

مجلة
الأكاديمية
العربية
بالدنمارك

THE ARAB ACADEMY IN DENMARK

العدد - 25 - Issue

THE ARAB ACADEMY IN DENMARK

Magazine
الأكاديمية العربية بالدنمارك
THE ARAB
ACADEMY
IN DENMARK

Designed: Mohamed Soliman
Mohamed.Soliman@yaho.com



دورية علمية وحكمة نصف سنوية
صادرة عن الأكاديمية العربية بالدنمارك

2020

A Semi-annual Evaluated Scientific Journal
Issued By The Arab Academy In Denmark





المجلة العلمية

الأكاديمية العربية في الدنمارك

دورية علمية محكمة نصف سنوية

سكرتير التحرير

أ.م. د. فاخر جاسم

رئيس التحرير

أ. د. وليد الحياي

المستشار العلمي للمجلة

أ. د. محمود عبدالعاطي

مدير معامل التأثير العربي - اتحاد الجامعات العربية

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. لطفي حاتم

أ. د. يونس عباس حسين

أ. م. د. منذر الطموني

أ. م. د. محمد فلهي

أ. م. د. مجدي الجعبري

عنوان المراسلة

Address

The Arab Academy in Denmark

kobbelvænget 72 B, st

2700 brønshøj- Denmark

The journal Website: www.ao-journal.org

The journal E-mail: journal@ao-journal.org

The Arab Academy E-mail: info@ao-academy.org

© حقوق الطبع والنشر محفوظة للأكاديمية العربية في الدنمارك

المجلة العلمية للأكاديمية العربية في الدنمارك

Det kongelige bibliotek Nationalbibliotek og kopenhavns
Universtietsbibliotek Pligtafleverings-afdeling ISSN
Danmark ISSN- 1902-8458 - ISSN-1902

رقم الإيداع بالمكتبة الملكية الدنماركية ومكتبة جامعة كوبنهاغن 8458

شهادة معامل التأثير العربي رقم ٨٤٥٨ = ١٩٠٢

البحوث المنشورة تم تقويمها من قبل أساتذة
متخصصين بحسب التخصصات العلمية
الهيئة الاستشارية

أ.د. جاسم حلو نعمة الموسوي - نائب رئيس جامعة سابقا - عالم في علوم الحياة - العراق

أ.د. نظير الأنصاري - جامعة لوليو التكنولوجية - السويد

أ.د. محمد موسى الصالح - جامعة الفرات - سوريا

أ.د. حسن السوداني - أكاديمي واعي - السويد

أ.د. إدريس الكريني - جامعة القاضي عياض - المغرب

أ.د. بوهنية قوي - جامعة ورقلة - الجزائر

أ.د. كريم فاخر نعمة - جامعة فيلكو تارنوفو - بلغاريا

أ.د. حياة قطاط القرمازي - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - جامعة الدول العربية

ثمن العدد: في الدول العربية ٤ يورو € أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي \$
وفي دول الاتحاد الأوروبي ٥ يورو €

المؤسسات		الأفراد		الاشتراك السنوي
البلدان الإسكندنافية	البلدان العربية	البلدان الإسكندنافية	البلدان العربية	الاشتراك بعملة €
١٠٠	٨٠	٥٠	٤٠	لمدة سنة
١٦٠	١٥٠	٨٠	٧٠	لمدة سنتين
٢٤٠	٢٣٠	١١٠	١٠٠	لمدة ثلاث سنوات
٤٢٠	٣٥٠	١٦٠	١٥٠	لمدة خمس سنوات

المحتويات

٥	افتتاحية العدد أ.د. محمود عبد العاطي
٦	أولاً: البحوث الاقتصادية
٧	الدولة الربية وتحديات النمو والتنمية في الاقتصاد العراقي د. عباس فياض
٤١	الحاجة الي تشريع قانون لبيع فوائض المنتجات النفطية د. محمد صباح علي
٥٢	تأثير تقلب الصادرات والواردات علي سعر الصرف أ.د. شريف غياط د. جمال مساعدي
٧٥	ثانياً: بحوث العلوم السياسية
٧٦	السيادة والدولة: دراسة في المفهوم والعلاقة د. صلاح نيوف
١٠٥	الولاية والسيادة بين جدلية المنظور الفقهي ودلالات البعد السياسي أ.م.د. محمد باقر البهادلي
١٣٥	ثالثاً: بحوث الادارة
١٣٦	الانشطة المتوازنة لمؤازرة الفكر الاستراتيجي "ادارة الازمة عموماً وكورونا خصوصاً" أ.د. سلمان زيدان
١٦٣	رابعاً: بحوث الاعلام
١٦٤	مخاطر عمل مراسلي الفضائيات الدولية في الدول الهشة: دراسة لحالة العراق د. فارس حسن المهداوي
١٩٤	خامساً: بحوث الفلسفة
١٩٥	شرح مواقف مارون عبود في تحليل ونقد (العقول الاخرى) د. وائل احمد خليل الكردي
٢٠٥	سادساً: بحوث العلوم الاجتماعية

٢٠٦	دور المرأة في التنمية الاجتماعية .الاقتصادية ما بعد النزاعات المسلحة مع التركيز على العراق أ.د. سناد عبد القادر مصطفى
٢٣٠	سابعا: بحوث الصحة والبيئة
٢٣١	انتشار الامراض السرطانية وعلاقتها بالتلوث الاشعاعي لذخائر اليورانيوم المنضب المستخدمة في الحرب علي العراق أ.د. كاظم المقدادي أ.د. كريم حسين خويدم أ.د. نظير الانصاري أ.د. علي فهد الطائي
٢٧٦	ثامنا: بحوث التربية والتعليم
٢٧٧	درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الاعمال) لطلبة المدارس الثانوية في مديرية تربية قسبة المفرك من وجهة نظر المعلمين أ.م.د. لميس تيسير خوالده

افتتاحية العدد

الأستاذ الدكتور محمود عبد العاطي

المستشار العلمي لـمجلة الأكاديمية

يصدر العدد ٢٥ من المجلة العلمية للأكاديمية العربية وهي تحقق انجازاً علمياً جديداً تمثل في حصولها على معامل التأثير العربي لعام ٢٠١٩ بشهادة رقم ٨٤٥٨ - ١٩٠٢ والذي يضعها في مصاف المجلات العربية المرموقة جنباً الى جنب مع زميلاتها التي تصدر من بعض الجامعات العربية.

كما يصادف صدور هذا العدد والأكاديمية تسير بخطوات وثيقة نحو تحقيق النجاحات العلمية المتتالية حيث تم الاتفاق مع بعض الأساتذة البارزين على البدء من اتخاذ اجراءات فتح فرعاً لها في مدينة القاهرة المحروسة والعمل جار على اتخاذ كافة الإجراءات القانونية لفتح المقر لكي يكون جاهزاً لاستقبال الطلبة الراغبين بالدراسة في الأكاديمية العربية من خلال انتظامهم بفرع القاهرة وفق التعليم المزدوج (التقليدي والإلكتروني) أو الإلكتروني فقط. حسب ما يرغب به الدارس.

يحتوي العدد ٢٥ على أحد عشر بحثاً موزعة على عدة محاور اقتصادية وسياسية وتربوية وبيئية. وقد توزع الباحثين من مختلف الجامعات والدول، جامعات أوروبية وعربية في السويد والدنمارك وبريطانيا والأردن والجزائر والعراق. وهذا التنوع سواء بالجامعات أو الدول يعكس مدى النجاح الذي حققته المجلة العلمية للأكاديمية في الأوساط العلمية ليس فقط على صعيد الدول والجامعات العربية وإنما على صعيد الجامعات والدول الأوروبية.

في الختام نأمل أن يصدر العدد القادم وتحقق الأكاديمية خطوه مهمة اخر بالنشر من خلال أحد خدمات اتحاد الجامعات العربية وهو احد اصدارات عملاق النشر الدولي السفير والذي يسمى Digital commons وهنا لا يسعني إلا أن أحي جميع الزميلات والزملاء الباحثين الذين تقدموا للمجلة بالأبحاث العلمية المرموقة التي نشرت بعد تحكيم رصين، وهنا ندعو الى المواصلة بالعمل البحثي الدؤوب ونتطلع ان تقدم الأكاديمية خدمة مميزة للعالم العربي من خلال الالتزام بأعلى معايير الحرفية والدقة في التعليم والنشر العلمي.

أولاً: بحوث الاقتصاد

الدولة الريعية وتحديات النمو والتنمية في الاقتصاد العراقي

د. عباس الفياض

المقدمة.

ثمة تعريفات متعددة للدولة الريعية أبرزها "أنها تستمد كل أو جزء كبير من إيراداتها الوطنية عن طريق تأجير الموارد المحلية لعملاء خارجيين. ومن بين الدول الريعية في الوطن العربي، السعودية والإمارات العربية المتحدة والعراق وإيران والكويت وقطر، وكذلك في أمريكا اللاتينية وشمال أفريقيا مثل فنزويلا ونيجيريا والجزائر. أما التعريف الأشمل للدولة الريعية، فهي "الدولة التي تعيش على العائدات الريعية المتأتية من الخارج بشكل منتظم مقابل ضعف العمليات الإنتاجية المحلية، وفي هذه الحالة يجب أن يكون دافع الربح أجنبيًا، وبدونه لا يؤثر على مجمل الدخل لأن الربح ليس حصيلة إنتاج معين وإنما حصيلة إعادة توزيع الثروة من دافع الربح، ولذلك ينبغي أن يكون مدفوعًا من الخارج ليؤثر على دخل الدولة كتحويل من خارج الدولة لداخلها. وتعتمد هذه الدول على مورد طبيعي واحد من نفط أو غاز أو معادن أو غيرها، حيث يمثل هذا المورد القابل للنضوب، مصدرًا لتغطية احتياجات الدولة من الطاقة ومشتقاتها، بالإضافة إلى كونه مصدرًا كليًا لتمويل خزينة الدولة. تهدف هذه الدراسة للإشارة لمخاطر الاعتماد على هذا المورد بصفة تكون كلية، لاسيما في ظل تكرار الأزمات في الأسواق العالمي، وانعكاس ذلك على إيرادات الدولة الريعية، كما تقدم الدراسة بعض المقترحات والحلول على المدى القصير والاستراتيجي التي يمكن ان تساعد العراق باعتباره دولة ريعية، وذلك بتنويع اقتصادياته والتحكم بنفقاته لمواجهة انكماش إيرادات. وإيجاد علاج لقضية البطالة والفقر ومحاربة الفساد المالي والإداري المستشري في العراق. كلمات مفتاحية: الدولة الريعية، موارد طبيعية، الاقتصاد العراقي، البلدان النفطية.

Abstract;

There are multiple definitions for renties state most prominently derived all or a larg portion of its revenue through lease local resource for foreign scholars .As for the broader definition for rentier state is the state who lives on rentierm income from abroad regularly, such as low domestic productivity.

Oil countries can be considered as a natural source specific to some state, indeed an exhaustible source that can effectively contribute partial funding (countries exporting multi) or general (rentier) economic need of the producer countries such as Iraq,Algeria, Lebia, Nigeria, Venezuela , Arab gulf countries and others . The rentier state solution should close the margin between poverty and unemployment with increased employment and challenge corruption.

The rentier nature of the economy is entered due to the dependence upon oil as the principal source of income and financing of non oil activity and the relative fragility of industrial production.

This study develops a theoretical model to analyse wether a rentier state can diversify its economy away from the rent revenue and hence sustain the economic development and preserve.

We will try through this study to highlight the economic risks of rentier countries especially in times of crises as well as short and long term solutions that can diversify the Iraqi economy.

Iraqi economy, oil countries, natural the rentier state, **Key words:** source.

مشكلة البحث:

الإشكالية تبدأ مع قدرة الدولة على أن تكون مكتفية ذاتيا، فالدولة الريعية دولة ضعيفة لأنها تعتمد في ميزانيتها على الآخرين بشكل أقرب إلى أن يجعلها عاجزة، فهي لا تنتج غذاءها ولا مستلزمات الحياة اليومية بنفسها، واقتصادها رهن الطلب والعرض، تبحث مشكلة البحث حول الفرق بين الخصائص والممكنات للدولة الريعية المتاحة والاقتصاديات الريعية من جهة اخرى ومدى تأثيرها على النظام السياسي ويمكن طرح الاسئلة التالية:-

* هل كل دولة تمتلك النفط الخام تعتبر دولة ريعية.

* كيف يمكن الخروج من الدولة الريعية إلى الدولة ذات الانتاج الحقيقي.

فرضية البحث:

تتمثل فرضية البحث في ان الدولة الريعية تؤثر على النظام السياسي بشكل يختلف عن غيرها من الدول ذات المصادر العديدة للاقتصاد، من خلال ما يلي:

* كلما ازداد الاعتماد على النفط في تحقيق الموارد ضعف الاهتمام بالصناعة والزراعة وغيرها وازداد تبني الدولة للاقتصاد الريعي.

* اعتماد الدولة على مصدر الريع يؤدي إلى ضعف المسألة وانتشار الفساد وضعف الديمقراطية.

* إيرادات كثيرة وفقدان التنمية.

اهداف البحث:

يهدف البحث إلى التعريف على ماهية الريع وإشكاليته وماهية الدولة الريعية والاقتصاد الريعي وخصائصهما ونقاط الضعف والقوة والعمل على تجاوز المصاعب فيهما.

أهمية البحث:

كثير ما يثار الجدل حول موضوع الدولة الريعية وطبيعتها، ودراسة هذه الحالة من اجل النهوض بالاقتصاد وتنويعه بهدف تحقيق التنمية المستدامة ووضع بعض المقاربات والمقترحات التي تصب في هدف تحقيق التنمية.

منهجية البحث:

يهدف العمل تحقيق فرضية البحث ويستخدم تحليلات مفهوم الدولة الريعية وتوجهات الاقتصاد وتحديات النمو والتنمية كإطار تحليلي، يعكس العلاقة الظاهرة بين التنمية الاقتصادية بسبب الموارد الطبيعية وتدهور الصناعات التحويلية، ويتبع البحث من المنهج الاستقرائي القائم للوصول إلى نتائج كلية من مقدمات جزئية للوصول إلى نتائج تحقق الهدف من الدراسة.

هيكل البحث:

يتكون البحث من ثلاث محاور :

الأول، مدخل النظري .

الثاني، الدولة الريعية في العراق وخصائصها.

الثالث، مقترحات ومقاربات لتنويع الاقتصاد العراقي .

مجال الدراسة:

الاشكالية المطروحة في الدراسة تخص سياقاً مكانياً وزمانياً، حيث جرى التركيز على الدولة العراقية. في إطار زمني محدد من ٢٠٠٣ - ٢٠١٩ وهي المرحلة التي شهدت تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية جديدة في البلاد، بفعل التوجهات الجديدة للاقتصاد العراقي، وفقدان النمو والتنمية وبناء دولة المكونات السياسية والطائفية والفئوية والمحاصصة بدلاً عن المواطنة، وعرضت البلاد للصراعات الإقليمية والدولية، وسببت البطالة والفقر والفساد.

المحور الاول: مدخل نظري.

يشير الفكر الاقتصادي الى ان العصور القديمة تميزت بالاقتصاد الطبيعي أو الاقتصاد المغلق، أي في تلك المجتمعات التي تسودها الزراعة. إذ يصعب على المفكرين الأوائل الكتابة عن علم الاقتصاد، في ظل اقتصاد قائم على الزراعة التي يؤديها العبيد، والتي يختصر إنتاجها للاستهلاك الذاتي والعائلي. كما من الصعوبة أن يعد بحث نظري عن الاجور، حيث لا يوجد عمل بأجر، او البحث في نظرية القيمة أو الثمن أو الاسعار، حيث تندر المبادلات، وإن وجدت فإنها تأخذ شكل المقايضة، ولا عن رأس المال حيث أدوات الانتاج بدائية ومصنعة أهلياً ومحلياً. ففي سومر ومصر والصين والهند أو في اليونان وروما بعدها" ق م " كانت الزراعة هي الصناعة الأساسية، التي تدور حول الاسرة المعيشية، وكان "الرقيق" هم قوة العمل. كما أن الفكر الاقتصادي نفسه لم يعد علماً مستقلاً، حتى منتصف القرن الثامن عشر. إذ كنا نجده في أحضان الفلسفة أو اللاهوت وفي القرون الوسطى في احضان التاريخ. وتمت فلسفته عند المفكرين العرب في القرن الرابع عشر. ورث النظام الاقطاعي مميزات النظام العبودي، الذي لا يختلف كثيراً في السياق عن سلفه من حيث عدم اعطاء حرية للمنتج في تملك وسائل الإنتاج . يضاف الى ذلك تميزه بتدني مستوى التكنولوجيا الانتاجي، وضيق "السوق" المحلية والاشكال المختلفة لتنظيم الريع. أما فائض المنتج فيظهر بصفات متنوعة من الريع "ريع السخرة" "العمل" أو الريع العيني أو النقدي أو كلاهما لسد حاجة أسياد الارض، في ظل الملكية المحدودة للفلاحين داخل مجتمعات قائمة على الزراعة، التي يؤديها العبيد أو الأبقان وتكون معدة للاستهلاك الذاتي. إذ يحصل السيد او الإقطاعي على ريع الارض على شكل عيني، وهو الشكل الغالب للريع. هذا الريع يؤدي الى دوامه واستمرار الاقتصاد الطبيعي، الذي على ضوءها تتحقق شروط الانتاج، وتجديده داخل الوحدة الاقتصادية الاقطاعية. كما يظهر الى جانب الريع العيني او البضاعي شكل آخر للريع، هو الريع النقدي وسيادة الاقتصاد الطبيعي في الريف والاقتصاد السلعي في المدن، وبخاصة في الفترة الاخيرة من تاريخ النظام الاقطاعي، نظام قائم على

استثمار عبيد الارض "النظام العبودي" وبعده "النظام الاقطاعي" كما تشير الدراسات والبحوث الى وجود اسواق وحرفيون^(١). ولكن معظمهم من الرقيق. ولم يكن هناك نشاط صناعي كما نفهمه اليوم، وغالبية البضائع المادية تشتري من ريع الارض، وغيره من تحصيلات الجمارك والمكوس، الذي يتحصل عليه ملاك الارض الذين يعيشون في المدن. وقد عرف العرب والمسلمين من بعد معاني لكلمات عديدة تتعلق بالريع (غنيمة، وفيء، وخراج، وجزية، وعشر) التي لها معانٍ وتفسيرات كثيرة و"خراج الأرض التي فسرت بالفوز بالشبي بلا مشقة"^(٢). كما ميز العلامة ابن خلدون في المقدمة في الفصل الاول- الفصل الخامس منه، في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما، إذ يقول: (وإن الكسب هو قيمة الأعمال البشرية.. إنما الكسب يكون بالسعي في الاقتناء والقصد الى التحصيل. فلا بد في الرزق من سعي وعمل.. وفي مكان آخر أشار "اعلم ان المعاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله...")^(٣) (الجابري في كتابه "نقد بنية العقل العربي" أستند إلى ابن خلدون ليقدم مفاتيح ثلاث هي: (العصبية القبلية والعقيدة والغنيمة)، ويفسرها بأنها تعني الاقتصاد الريعي في الظروف الحالية، ويوظفها لقراءة التجربة السياسية العربية.. المدرسة الماركنتيلية ركزت على التجارة بديلاً عن الزراعة والريع الزراعي، ولكنهم ركزوا على بدائل أخرى للريع للحصول على الثروة لتعزيز عملية التراكم الاولى لتنمية العملية الصناعية في بلدانهم. بالاضافة للضرائب والحماية الجمركية وذلك من خلال تبني سياسة الاستعمار والنهب والسيطرة على مكامن الذهب والفضة للبلدان التي احتلت من قبلهم. أما الفيزوقراطية التي قدمت للفكر الاقتصادي معطيين الأول: اعطائهم الأولوية والأهمية للزراعة دون غيرها من القطاعات وفي الثاني: بررت دخل الملاكين العقاريين الذي يحصلون عليه دون عمل وحسب نموذج الجدول الاقتصادي الذي افترضه كيني نقطف ما يلي "يعطى المزارعون، كذلك مليوني فرنك فرنسي، لطبقة الملاك، كريع نقدي، مقابل الأرض التي يتولون زراعتها لحسابهم الخاص". ويكون فرانسوا كيناي أول من استخدم الريع في الدراسات الاقتصادية آدم سمث^(٤) "المدرسة الكلاسيكية" يفسر الريع" بأنه الثمن المدفوع لقاء استعمال الارض.. "أي اعتبره شكل من اشكال المردود المالي أما "ديفيد ريكاردو" David Ricardo - 1772 - 1823 فقد أشار في مؤلفه مبادئ الاقتصاد السياسي

(١)- راجع الاستاذ ابراهيم كية - دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي - مطبعة الارشاد- الطبعة الاولى- الجزء الاول- بغداد ١٩٧٠ ص ٣٩١، ٣٩٢ .

(٢) راجع مؤلف د. محمد ضياء الدين الرئيس - الخراج و النظم المالية للدولة الإسلامية - دار الأنصار - القاهرة، ط٤ ، ١٩٧٧ ، ص ١١٠ فما فوق.

(٣) ابن خلدون في المقدمة ... وتحديداً في الفصل الاول - الفصل الخامس منه.

(٤) آدم سمث - ثروة الامم - ترجمة حسني زينة- معهد الدراسات الاستراتيجية- ط١ - بغداد، بيروت، ٢٠٠٧ ، ص ٢١١

والضرائب- الذي صدر ١٨١٧* ان الربيع جزء من منتج الأرض يتم دفعه لمالك الأرض مقابل استخدام قوى لتربة الأصلية التي تبقى سالمة. أما كارل ماركس (١) " المدرسة الماركسية" فكان أول من لفت الانتباه الى ماأسماه بـ" الرأسمالية الريعية" في وصف للرأسماليين غير المنتجين إقتصادياً، أي الذين تأتي إيراداتهم من خلال الربيع مثل اصحاب الاراضي والعقارات المؤجرة، وحتى الاسهم والسندات . كما وأشار الى ان الاقتصاد الريعي يقوي علاقات القرابة والعصبية. وعدا تحليل ماركس المستفيض للربيع العقاري الذي شخّصه كأساس دخل إحدى الطبقتين المالكيتين الأساسيتين اللتين صنفهما في «رأس المال»، ألا وهما الملاك العقاريون والرأسماليون كما سبق الذكر، فقد تبع الاقتصاد الكلاسيكي أيضاً بتسمية الذين يعيشون من فائدة رأسمالهم النقدي بزوي الربيع (Rentiers). حيث تذهب النيوكلاسيكية أبعد من المدرسة الكلاسيكية، عند الحديث عن الربيع حيث تقر بأن الربيع من الممكن أن ينشأ إعتباراً لمرونة الطلب. كما إنه قد يكون في فترة زمنية محددة ثم يزول، وعمقوا الفكر الكلاسيكي المبني على المنفعة وقياسها.. أما كيفية الحصول على الربيع: إنّ الحصول على الربيع مرتبط مع أحد أنواع الاحتكار، مثل احتكار الموقع أو احتكار الملكية أو غيرها من أنواع الاحتكارات الأخرى، وعادة ما يكون هذا المصدر بيد الدولة، التي تكون هي صاحبة الحق الوحيد في استخراجها والتصرف فيه. ويمكن أن يرتبط الربيع بمصدرين رئيسيين (داخلي وخارجي).

أما مفهوم الدولة الريعية فيشار لها على إنها الدولة التي تعتمد على الاقتصاد الريعي في توفير عائد وايرادات الدولة. كما تفصح عنه الميزانية السنوية بأبوابها المختلفة، فقد جرى تداول هذا المفهوم في بداية القرن العشرين، إذ نجد التسمية ذاتها في صميم كتاب "لينين" الشهير، «الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية»، حيث يطلق التسمية عينها على الذين يعيشون من عائدات الأسهم والسندات ويصفهم بالطفيليين، أسوةً ببعض الإقتصاديين في عصره، بل يرى فيهم فئة باتت مسيطرة في بعض الدول الإمبريالية التي يطلق عليها صفة «الريعية» مؤكداً أنّ «الدولة الريعية هي دولة رأسمالية طفيلية وان هذا الظرف لن يمر بدون تأثير على كل الاوضاع الاجتماعية والسياسية للبلدان المعنية (٢) وازداد الاهتمام من قبل الإقتصاديين في النصف الثاني من القرن العشرين وتحديداً في نهاية الستينات وبداية السبعينات من القرن

(١) كارل ماركس-رأس المال- المجلد الثالث -عملية انتاج رأس المال - ترجمة د. فالح عبد الجبار دار-الفارابي بيروت- لبنان، ٢٠١٣ ص ٧٢٣

(٢) *Lenin, "Imperialism, the highest Stage of Capitalism" in Robert C Tucker, ed., the (١) - Lenin Anthology New York ;W. W. Norton, 1975) .
مؤلف فلاديمير أليش لينين : الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية.

الماضي، اذ ركزت البحوث حول الدولة المصدرة للنفط في مناطق الشرق الاوسط وشمال افريقيا، ولم تختصر البحوث على رجال الاقتصاد، بل شمل علماء السياسة والاجتماع وغيرهم. تعرف الدولة الريعية بأنها تلك التي تعتمد إيراداتها المالية على الموارد الطبيعية وعلى ما يستخرج من باطن ليدلوا بتفسيراتهم لبعض الظواهر المرتبطة بالريع. كان اول من ربط مفهوم الريع بالدولة تحت مسمى الدولة الريعية، هو الباحث الإيراني **حسين مهدي** في بحثه الموسوم "طبيعة الدولة الريعية"^(١) بوصفها تلك الدولة التي تعتمد بالدرجة الاولى على دخل ريعي، يأتي من الخارج دون عملية إنتاجية محلية، وهذه الحالة تكاد تتصف بها جميع الدول النفطية في البلدان النامية، وقد جاءت استنتاجات مهدي هذه اثر زيادة العائدات الحكومية الايرانية جراء تأمين النفط في بداية الخمسينات من القرن الماضي. ووفقاً لهذا المفهوم، فإن دفع رسوم المرور من قناة السويس ودفع رسوم بناءً على استخدام انابيب النفط المارة عبر اراضي دول، تعتبر كلها ريعاً إضافياً الى العائدات النفطية. كما والارض أوتعتد عليها بنسبة كبيرة، وهذا يعكس ضعف النشاط الاقتصادي او تدنيه وتؤمن ميزانيتها السنوية بالاعتماد على تصدير الموارد الطبيعية.

التعريف الشامل للدولة الريعية، هي التي تعيش على العائدات الريعية المتأتية من الخارج بشكل منتظم مقابل ضعف العمليات الانتاجية المحلية "ضعف هياكل الانتاج المحلي والريع الخارجي مصدر أساسي للدخل". كما ينبغي الاشارة الى انه في حالة الدولة الريعية يجب ان يكون من يدفع الريع أجنياً، وبدون ذلك سوف لا يؤثر على مجمل الدخل، لأن الريع ليس حصيلة انتاج معين وإنما حصيلة إعادة توزيع الثروة من دافع الريع، ولذلك ينبغي ان يكون مدفوعاً من الخارج في عام ١٩٩٥ نشر د. **حازم البيبلاوي وجيكامو لوتشاني** كتابهما عن (الدولة الريعية في العالم العربي) حيث اشاروا وظاهرة الأقتصاد الريعي لها جذور تاريخية تعود الى بدايات القرن السادس عشر عندما حصلت إسبانيا على ثروات نتيجة اكتشاف واستغلال مناجم الذهب والنحاس في مستعمراتها في دول أمريكا اللاتينية. كما شهدت استراليا في منتصف القرن التاسع عشر على الحالة ذاتها على المعدن النفيس، وفي الى مفهوم واسع للريع وميزوه بأربعة خصائص وهي:

*يشكل الريع الخارجي العامل المهيمن في الاقتصاد.

ليؤثر على دخل الدولة كتحويل من خارج الدولة لداخلها.

(١) الباحث الايراني حسين مهدي- طبيعة الدولة الريعية.

* وحددت الهيمنة ٤٠ % من دخل الدولة.

* ينخرط معظم السكان في استهلاك أو توزيع الربيع، وليس انتاجه من خلال قطاع الدولة، وتعمل أقلية في انتاج النفط مباشرة.

* المستلم لإيرادات الربيع الوحيد هي الدولة.

في القرن العشرين برزت ظاهرة "المرض الهولندي" في الاقتصاد، نتيجة اكتشاف النفط والغاز في النصف الثاني من القرن العشرين. شهدت كل من المكسيك والنرويج وأذربيجان نفس الاكتشاف للنفط والغاز في اراضيها، وبنفس الوقت شهدت بلدان أفريقيا وبخاصة نيجيريا، فقد قدمت الطبيعة لهذه البلدان من ثروات سخية في الطاقة الهيدوكاربنونية، في العقود الاخيرة من القرن العشرين. ظهرت ملامح الاقتصاد الريعي في إقتصاديات معظم البلدان العربية وفي دول الخليج والعراق خاصة، ويعتبر الإقتصاد الريعي خطيراً على الدولة، فعندما تعتمد دولة في جزء كبير من إيراداتها على مورد محدد، فإنها بذلك تضع نفسها تحت سطوة المتغيرات الخارجية، فيرتبط مصيرها الاقتصادي بأي عامل من شأنه أن يؤثر على نسبة الطلب على هذه المادة في الاسواق العالمية في الخارج. مؤخراً ظهرت دراسات جدلية كثيرة تطرح افكار حول نعمة أو نقمة المصادر الطبيعية ومعظمها تؤكد على المرض الهولندي^(١).

المحور الثاني: الدولة الريعية وتكريس الطائفية والمحاصصة .. وفي زيادة البطالة والفقر والفساد.

يعد العراق واحد من الدول الريعية الذي اعطى دوراً متميزاً لهذا لقطاع النفط بعد منتصف السبعينات وارتفاع واردات هذا القطاع نتيجة للتأميم وارتفاع اسعار النفط عالمياً. وأهتم به على حساب القطاعات الأخرى الصناعية والزراعية وغيرها، وبصرف النظر عن السياسة الاقتصادية التي انتهجها النظام الدكتاتوري السابق بهيمنة الدولة، وشموليتها ومركزيتها المقيته التي بدورها حطمت اقتصاديات البلد، وحجمت دور القطاعات الأخرى، عدا النفط، ولا نريد ان نقرن بما حصل ويحصل بعد التغيير، فأن المحتلين أدخلوا الاقتصاد ما بعد ٢٠٠٣ في حالة من الفوضى والعبثية، إذ وضعوا سياسة جديدة سميت "بسياسة الاصلاح الاقتصادي" فالاستراتيجية التي طبقها الاحتلال "المشروع الاقتصادي للحاكم المدني بول بريمر"^(٢) وأثار الحرب وبحسب

(١) - أنظر النفط والاستبداد، الاقتصاد السياسي للدولة الريعية - مجموعة مؤلفين - معهد الدراسات الاستراتيجية - ط ١ ، بغداد ، اربيل، بيروت، ٢٠٠٧ ، ص ٦١ . ومجموعة أخرى من الباحثين سأذكر بعض مصادره بالانكليزية للاستفادة.

(٢) بول بريمر - عام قضيته في العراق- النضال لبناء غد مرجو- ترجمة عمر الأيوبي- صادر عن دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، ٢٠٠٦ ص ١٠٢، ١٠٣.

المشروع الاقتصادي لسلطة الاحتلال فقد كان من ضمن الأولويات حسب قول بريمر " إن من اولى اولوياتنا إعادة انتاج النفط الخام والوقود ثانية"، وضرورة الانفتاح على العالم (١)، والذي حصل جرائها، التحول من المركزية إلى النظام اللامركزي في ادارة الحكم، كما تضمنت الأهداف بأختصار، انفتاح الاقتصادي على العالم وفتح السوق العراقية للمنتجات الأجنبية بدون ضوابط، وفي الجانب الآخر أوقف العمل بنحو ٢٠٠ معمل ومؤسسة كانت تشكل العمود الفقري للبنية التحتية للاقتصاد الوطني. مثل الحديد والصلب والاسمنت والبتروكيماويات والاسمدة والكبريت والفوسفات والسكر والصناعات النفطية والغذائية والنسيج والاحذية والسيجائر والادوية والزيوت النباتية والطماطم وغيرها. في وقتها دعى "ماريك بيلكا" وكان وزير مالية سابق في بولونيا و يعمل تحت قيادة بول بريمر في العراق (إلى استثمار فرصة الفوضى كي "يكونا فعالين" في الدفع قدما بسياسات من شأنها أن تؤدي إلى تسريح أعداد كبيرة من العمال، ويجب تصفية كل المؤسسات الحكومية غير المنتجة بشكل فوري ومن دون بذل أي مجهود لإنقاذها عن طريق صرف اعتمادات مالية لها من المال العام) كما وتضيف المعلومات الصادرة من اتحاد الصناعات العراقي التي تشير الى ان ٩٠% من المشاريع الصغيرة والمتوسطة البالغة ٣٦ ألف قد توقفت عن العمل منذ ذلك الحين. وبدلاً من اعادة الاعمار لهذه المشاريع التي قدرت وقتها تكاليف اعادة الاعمار ما بين ١٠٠-١٢٠ مليار دولار (تقدير البنك الدولي ١٠٠ مليار دولار أمريكي عام ٢٠٠٦) اقل واكثر حسب هذه الاوساط. ومعالجة الأزمة في الاقتصاد، وذلك بتنوع مصادره منذ البداية وحماية ودعم منتجاتنا المحلية. وأن غياب الدعم الحكومي لتنمية القطاع الصناعي، وعدم معالجة تلك جعل قائمة الكلف الانتاجية المحلية، تفوق مثيلاتها في الدول المجاورة. وأدى ذلك الى ان الصناعي العراقي شدد العزم بإغلاق مصنعه او اللجوء الى الغش الصناعي او نقل مدخراته للعمل في القطاع التجاري، المتميز بالربح السريع او تهريب رؤوس الاموال واستثمارها في الخارج، وأدت هذه العملية الى تهميش واخراج القطاع الصناعي المحلي، وتفكيك القاعدة الانتاجية المحلية بكاملها. يقول لودفيج فون ميزس (٢) (يتوجب على الدول النامية تكريس رأس المال المحلي وجذب رأس المال الأجنبي، ولغرض تعزيز الادخار المحلي من الجماهير، من الضروري التذكير بأن الادخار يفترض سلفاً توفر وحدة نقدية مستقرة، وهذا يتضمن غياب أي نوع من التضخم. كما ان الامور الضرورية

(١) راجع نعومي كلاين - عقيدة الصدمة، صعود رأسمالية الكوارث - ترجمة نادين خوري - شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط٤، ٢٠١٧-، بيروت، لبنان، ص٤٤٤

(٢) إنظر لودفيج فون ميزس- السياسة الاقتصادية، آراء لليوم والغد- ترجمة د. حازم نسييه، تدقيق فادي حدادين- الاهلية للنشر والتوزيع، الاردن، ط١، ٢٠٠٧، ص ١٢٢

اللازمة لتحقيق المزيد من المساواة الاقتصادية في العالم يكمن في التصنيع – وهذا ممكن تحقيقه فقط من خلال المزيد من الاستثمارات الرأسمالية وزيادة تراكم رأس المال، وقد يبدو غريباً لكم إنني لم اتعرض الى عامل يعتبر من العوامل الرئيسية في التصنيع، ألا وهو إجراءات الحماية) التأكيد للبرفسور ميمزس هنا على التصنيع، فتحنا السوق وحرية التجارة منذ ٢٠٠٣، ودعينا وندعو الآن للاستثمار بلا تحديد، ولم نحدد نوع أواي استثمار يريد العراق وفي اي مجال؟ ودون ان نحدد ما هي الأولويات للاقتصاد.. وماهي الإصلاحات المطلوبة؟ يقول د.عباس النصر اوي^(١): لاجدال بأن العراق يحتاج الى مبالغ ضخمة من الاستثمار الاجنبي، ولكن الاستثمار الحقيقي الذي يحتاجه هو الاستثمار الذي يضيف الى قدرته الانتاجية من السلع والخدمات، وليس الاستثمار العقيم... فالاستثمار الاجنبي الذي سيشتري مشروعاً قائماً لن يؤدي سوى الى استبدال ملكية محلية بملكية أجنبية، دون تغيير مستوى إجمالي الانتاج المحلي للعراق، ويمكن ان ينطبق التحفظ ذاته على رأس المال المحلي، الذي سيستثمر في مشاريع قائمة بالفعل. مما سيحرم الاقتصاد من استثمار رأس المال هذا في مشروعات جديدة، قادرة على زيادة إجمالي الانتاج المحلي". أن العمل الذي بدأه بريمر باتجاه تحرير الاقتصاد، الذي جرى الحديث عنه ووفق سياسة التثبيت والتكيف الهيكلي. فالاول يفترض ان يؤدي الى خفض التضخم واستعادة قدرة العملة الى التحويل وتجديد خدمة الدين وتقليل النفقات، وكبح نمو الطلب المحلي للوصول الى وضع مستقر قابل على الاستمرار، ويكون العراق قادراً على تغطية العجز في الحساب الجاري. أما برنامج التكيف الهيكلي، فهي مجموعة من الاجراءات الاقتصادية المفترضة، تهدف الى تحرير الاقتصاد والتجارة، من خلال رفع السيطرة والضبط من قبل الدولة، وأتباع الخصخصة وتطبيق سياسة موجهة نحو التصدير وأجراء تعديلات على هيكل الاقتصاد الوطني. وإذا نظرنا الى جوهر برنامج بريمر، فهو برنامجاً انكماشياً -اي غير توسعي- لصالح الوفاء بالالتزامات ديون خارجية. وهذا الافتراض والتفسير النظري، لسياسة التثبيت والتكيف الهيكلي، الذي وضعته دوائر معينة وفرضته على العراق وغيره من الدول النامية، لا يتلائم مع اقتصاديات هذه البلدان، لان المصممين لهذه البرامج لا ينظرون الى العجز في الحساب الجاري في هذه البلدان بعلاقته بالاستهلاك والاستثمار والادخار في البلد المعني، ومالم تؤخذ هذه الاعتبارات فان تحرير التجارة يشكل خطراً على البلد، وهنا تكمن الفروقات بين اقتصاديات الدول المتقدمة، والدول النامية وتلك الناشئة والتي تعاني من ركود اقتصادي.

(١) د. عباس النصر اوي- دفاعاً عن القطاع العام- منشور باللغة الأنكليزية – وجرت ترجمته في مجلة الثقافة الجديدة العراقية

والتجارب اثبتت ذلك في الثمانينات والتسعينات وفي بداية الألفية الثالثة. وانما شكل التوجه خطراً على التوجهات التنموية لبلدان نامية لأسباب عديدة.

يشير ميشال نشوسودوفسكي (١): (ان خطط التثبيت الماكرو إقتصادي وبرنامج التصحيح الهيكلي المصممة من قبل "صندوق النقد الدولي" تشكل وسيلة شديدة الفعالية لاعادة تنميط حياة الملايين من الاشخاص، وللتصحيح الهيكلي اثر مباشر على ظاهرة عولمة الفقر. كما ويقول ان عملية "الجراحة الاقتصادية" التي تتم بحسب وصفة الصندوق تؤدي الى الضغط المداخل الفعالية وتدعم منظومة التصدير المرتكزة على يد عاملة رخيصة). إن السياسة الاصلاحية التي نفذت بموجب صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، تمخضت عن ان السياسة النقدية والمالية ذات توجهات محددة مفادها كيف يمكن تسديد الديون على هذه البلدان، ولاتعالج البطالة أو تنمية الصناعة الوطنية ولا تؤدي الى التنمية، في حين ينبغي ان تكون " رغم استقلالية البنك المركزي " تنسيق بينهما (ان السياسات المالية والنقدية يجب أن يكون لها هدف رئيسي ألا وهو السعي للتشغيل شبه الكامل وبالتالي لا يمكن فصل مسؤولية السياسة النقدية للبنك المركزي عن مسؤولية السياسة المالية للحكومة مما يتطلب إعادة صياغة العلاقة بينهما بحيث تمثل في مساءلة ومحاسبة مشتركة أمام البرلمان المنتخب وأن يكون هدف السياسة المالية والنقدية التأكيد على مستوى تدفق الطلب الكلي وهو العنصر الحيوي لإحداث نسبة عالية من التشغيل في النشاط الاقتصادي) (٢) لكن لماذا السياسة النقدية بالعراق اخذت منحى متشدداً في البداية. بهذا الصدد يشير " جوزيف ستجلتزر" ان: (الحاح صندوق النقد الدولي على البلدان النامية في الحفاظ سياسات نقدية متشددة، أدى الى ان تجعل معدلات الفائدة اعلى وأستحداث الوظائف أمر مستحيل حتى في أفضل الظروف، لأن تحرير التجارة حدث قبل أن توضع شبكات الضمان في مكانها المناسب. فقد وقع أولئك الذين، فقدوا وظائفهم في عائلة الفقر وأنتابهم شعور عارم بعدم الامان) (٣). فلماذا تتخذ البرنامج الاقتصادية الحكومية هذا المنحى المشكوك في سلامته؟. صحيح ان هذه الإجراءات نجحت في استقرار لسعر الصرف للعملة الوطنية و تحجيم مستويات التضخم وأظهرت تحسناً في الاحتياطات النقدية في البنك المركزي الواردة من النفط، وفسر البعض من الاقتصاديين والسياسيين العراقيين هذا النمو بالتنمية وهو غير ذلك، والنمو في

(١) -ecosociete- Montreal-Canada,1998,P.62Cite par Michel Chussu Dovsky in La Mondialisation De La Povrete-

(٢) د. شريف دلاور- حتى لايسرق المستقبل- دار الطناني للنشر والتوزيع- القاهرة ط١، ٢٠١٤، ص٢٤.
(٣) انظر : - جوزيف ستجلتزر- العولمة ومساؤها- ترجمة فالح عبد القادر حلمي - مراجعة د. مظهر محمد صالح- الناشر بيت الحكمة ، ط١ ، العراق ، بغداد، ٢٠٠٣ ، ص ٣٣.

القطاع النفطي لا يؤثر على التنمية في بلد، يفترض ان تنمو فيه القطاعات الثلاث الصناعي والزراعي والخدمي ثلاث أمثال النمو في القطاع النفطي، لكي تستوعب القوى العاملة، لكنها بنفس الوقت نقلت هذا العجز من موازنة الدولة الى ميزانية المواطنين، من عوائل وافراد بفعل ارتباط اي انفاق متولد من قطاع النفط الريعي، بتوليد ضغوط تصاعد الاسعار المحلية سواء على "المواد الغذائية أو الخدمات وغيرها" حيث ادت الحالة الى ان السياسة المالية اعتمدت على النفط وعوائده الريعية السنوية لتمويل الميزانية، وتغطية النفقات بدلاً من البحث عن موارد اخرى تعزز خزينة الدولة مثل الضرائب والجمارك وغيرها.

ماذا حصل بعد بريمر؟

غن الحكومات المتعاقبة بعد بريمر، فبدلاً من ان تعيد النظر في الأولويات التي اتخذت، فأنها سارت

على نفس النهج، الذي أملته المؤسسات المالية والنقدية الدولية وتحديداً "صندوق النقد الدولي والبنك الدولي"، أو بتأثيرات منها مباشرة اوغير مباشرة، مثلت القاعدة التي انطلقت منها السياسة الهادفة الى تعميق الاندماج مع الاقتصاد العالمي وكانت معالم هذه الظاهرة تتجسد بايجاز في:-

١ - تفاقم البطالة وتزايد مرتبتها الرقمين العشرين.

٢- إزدیاد الفجوة بين الفئات الاجتماعية المختلفة.

3- تزايد التهميش الاجتماعي بشكل خطير.

عند الحديث عن الاقتصاد العراقي نجد أن هناك جوانب قصور عديدة يمكن رصدها في محاولة لتقييمه، فعلى مستوى الاختلالات الهيكلية مازالت هناك قطاعات مهمة وحيوية مهمشة وتعاني ضعفاً في أدائها وقلة اهتمام صناع السياسة الاقتصادية، ولعل من أبرز هذه القطاعات قطاع الصناعة التحويلية (الذي لا تتعدى نسبة مساهمته ١,٥ في المائة من الناتج المحلي الإجمالي) وضعف أداء قطاع المصارف والتأمين (إذ تقل نسبة مساهمته عن ٠,٣ في المائة من الناتج المحلي الإجمالي) وقطاع البناء والتشييد الذي تقترب مساهمته من ٣,٥ في المائة. فضلاً عن مشكلات في قطاع الزراعة مثل ضعف الاستثمارات واعتماد أساليب تقليدية في الري والزراعة، وتراجع حصص العراق المائية المتأتية من نهري دجلة والفرات كل ذلك يأتي مقابل هيمنة لقطاع النفط (تزيد نسبة مساهمتها على ٥٦ - ٦٢ في المائة من الناتج المحلي الإجمالي)، ومما يزيد الطين بلة أن هذا القطاع أيضاً يعاني من مشكلات واختلالات داخلية عميقة منها

النقص الكبير في الاستثمارات والتكنولوجيا، وتهالك بنيته التحتية، وضعف الصناعات المساندة له كالكهرباء وغيرها. وأدت تلك السياسات إلى ما يلي:

- ١- تباين مستويات المعيشة بين الفئات والطبقات الاجتماعية المختلفة.
- ٢- وأثرت على الطبقات الكادحة والفئات الوسطى بشكل خاص. ٣
- ٣- وبالمقابل أدت الى تحسن كبير في دخول وأستهلاك بعض الشرائح، وعلى الخصوص لمن يعملون بأنشطة ذات علاقة بالمشاريع التي طرحتها سلطة الاحتلال في البلاد أو في قطاع التجارة الخارجية، أوفي المضاربات أوالتهرب. وكان التأثير أفقياً وعمودياً وفي مختلف الطبقات الاجتماعية، وحتى في داخل الطبقة الواحدة، ونمت الفئات الطفيلية المرتبطة بالرأسمال الدولي في الخارج وبين عملية تفكيك وتصفية ركائز العمليات الانتاجية وانتشار الفساد الاقتصادي الواسع وقيام السلب والنهب في الداخل ، ولا تختصر هذه الطفيلية على القطاع الخاص أو النشاط الخاص، بل إنها تمتد الى قطاع الدولة ويعني ذلك أنها مرتبطة بالشرائح المختلفة في القطاعين العام والخاص، كما إنها أدت الى أحتدام الصراعات الطائفية وحالة الاستقطاب، وادت الى تكريس الطابع "الطائفي - المناطقى لبناء الدولة"، الذي نشأ عنها تناقضين:

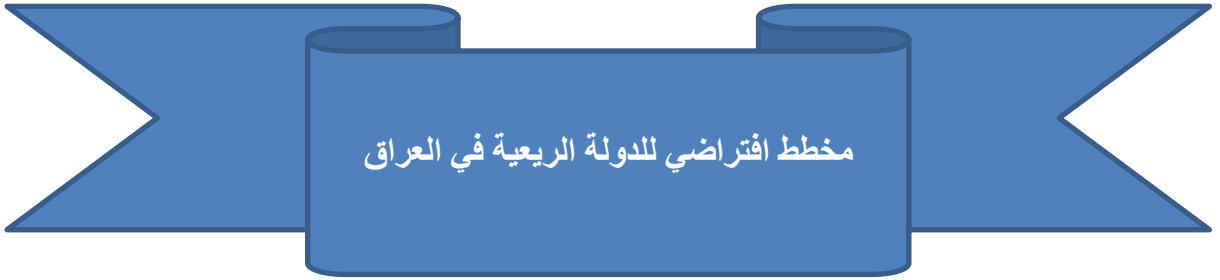
الأول، بين الدور السياسي التقليدي للدولة، المتمثل في تأمين ديمومة النظام المسيطر دون عوائق.

والثاني، وبين دورها الاقتصادي المتمثل في تأمين "الريع" للقطاعات الطائفية والمناطقية الطامحة للسلطة والثروة والتي أحتلت مواقع سيطرة على المفاصل الاقتصادية والسياسية والامنية الاساسية.

الدولة الريعية: دولة المحاصصات الطائفية.

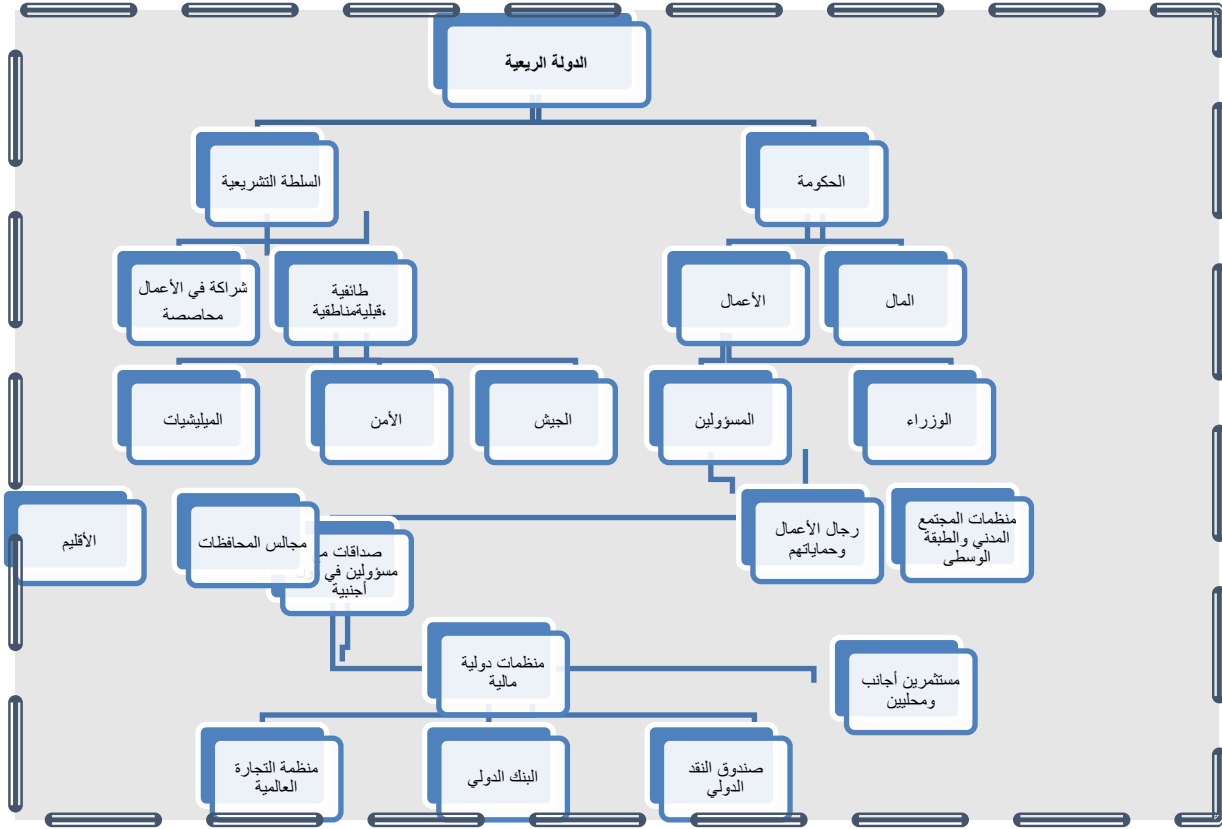
احتلال العراق فرض حكام أختيرمعظمهم مقدما على أساس ولائهم الظاهر لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية في المقام الأول، وتبنت سلطة الأئتلاف الدولية الانتقالية "منهجية الارض الجديدة" في ظل غياب المعلومات عن كيفية ادارة المدن فعلياً. الدولة الريعية لانتتظر الدعم من مواطنيها بل تستحوذ على مصادر الدعم الذاتية "ريوع النفط،الغاز، المعادن.. الخ" لحماية موقعها ومصالحها ضد التهديدات الداخلية حصرياً، وبالضرورة فأن الدولة نشأت على النقيض من الاصلاح والتغيير، وترى بقائها متوقفا على مافيات الفساد ومليشيات المحاصصات الطائفية وعلى ادامة الاستبداد. بل لاتظهر إلا حين تلوح في في الإفق مخاطر الانتقال الى الديمقراطية

(تتمترس عندما تشاهد المظاهرات في الشارع)، حيث تسيطر العلاقات الأبوية والعشائرية والوجاهية على العلاقات بين الحاكم والمحكوم أو الحقوق والواجبات، وتصبح العلاقات الشخصية فوق العلم والكفاءة والمعرفة. لذلك يشير قسم كبير من الاقتصاديين الى إن الاقتصاد الريعي يتلائم مع طبيعة النظم السياسية التي تحكم من خلال فئة او فئات بعينها "محاصصة". تستند على توزيع الربح وفقاً لولاءات الفئة، سواء كانت قبلية او عشائرية او طائفية او مناطقية (لاحظ المخطط الافتراضي). يقول د. زياد الحافظ^(١) " ان الاهتمام الأساسي هو حماية النظام القائم والمستفيدين وبدلاً من الأبداع والمخاطرة يقود الى بناء مجتمع بعقلية ريعية، قوامه جهد قليل ودخل كبير، وهذا بدوره يولد مشاعر الأسترخاء في المجتمع . كما يولد عدم رغبة المواطنين في الانخراط في الحياة السياسية، أو في واجبات تحتاج الى جهد. الدولة مكثفة بتسلم مواردها الطبيعية من الخارج، وبذلك تتعقد أشبه بالصفقة بين الدولة والمواطنين، هي غير محتاجة لجهد مواطنيها، فهي لا تنتظر منهم



• الدولة الريعية

(١)- د. زياد الحافظ: كاتب وباحث عربي مقيم في الولايات المتحدة - مقالة منشورة على الانترنت - أوضاع الأقطار النفطية وغير النفطية - مركز دراسات الوحدة العربية- المعهد السويدي في الإسكندرية، تشرين الثاني/



"الشكل من عمل الدراسة: عمل افتراضي يظهر تشكل الدولة المركب والمعقد بعد ٢٠٠٣ (اتحادي - اقليم - محافظات) وعلاقات طائفية ومناطقية وقبلية محاصصية ترتبط بميليشيات ومحاسيب وجميعها ترتبط بعلاقات دولية واقليمية ومنظمات مالية دولية، ومستثمرين اجانب ومحليين. بالاضافة إلى منظمات مجتمع مدني وطبقة وسطى ذات نفوذ ضعيف." ثروة تستلمها على شكل ضرائب جراء خدمات. وبالمقابل المواطنين مرتاحين وسعداء، بالذي يحصلون توليد عليه دون عناء ولا بذل جهد" (١٦). وهذا بدوره يؤدي الى شحة في الانتاج" أي كان نوعه" ويخلق بؤرة لتفشي البيروقراطية واللامبالاة في سائر الاجهزة في الدولة وتنخلق أجواء تفتقد فيها:

١- القيم الاقتصادية والاجتماعية.

٢- ثقافة العمل والإنتاج

٢- تطوير البنية التحتية.

٣- تدني حالة التعليم والثقافة المجتمعية.

وبدلاً من أن يساهم الربيع بالنهوض والتقدم، يلعب دوراً في ترسيخ وتوسيع حالة الاتكالية ويساهم في بناء فئة نفعية همها، كيفية الحصول على المال بأي من الطرق، إذ يسود الاقتصاد الريعي، تكوينات تتمحور حول العشيرة او القبيلة أو الاسرة الممتدة الواحدة، بالاضافة الى الطوائف والأثنيات والمناطقية وميليشاتها وغيرها من التقسيمات والتصنيفات والمكونات القائمة في اقتصادها على هذه السلعة. وجرياً على تلك المميزات، فإن العلاقات الاجتماعية السائدة في نمط الإنتاج الريعي مغلقة بطبيعتها، وأحكمت هذه التشكلات قبضتها بالفعل على موارد الدولة. حيث نمط الاقتصاد السائد لاي مجتمع، يشكل مفتاحاً هاماً لفهم الكثير من العلاقات الاجتماعية والثقافية والسلوكية لذلك المجتمع.. والدولة وهي تحصل على جزء كبير من دخلها، سواءً من موارد الربيع او غيره، على الرغم ما يستنزف من موارد هائلة من النقد الأجنبي، فضلاً عن إنها خلقت آثار انكماشية شديدة على نمو الطلب الكلي وعلى قطاعات الانتاج، ولم تؤدي الى خلق وطائف جديدة، وبالتالي لم تعمل على معالجة تفاقم البطالة التي يعانيتها العراق، ولا تفتح آفاق الى تنويع الاقتصاد، وبخاصة قطاعي الصناعة والزراعة او تساهم في عملية التنمية، وانما وسعت من مستوى خط الفقر، وحدثت فجوة كبيرة في مستوى المداخل بين فئات المجتمع. كما وأدت الى ضعف الادخار والاستثمار بفعل ارتفاعات الضريبة التي حددها البنك المركزي في البداية. ومن جانب آخر لوحظ أن الدولة قد أصابها الترهل نتيجة التوظيف غير المدروس الذي يزداد سنوياً بعشرات الألوف أغلبها "ترضيات محاصصة وفساد" وهذا يرهق الموازنة برواتب إضافية من إيرادات النفط وهذا ما تكشفه الموازنات التشغيلية أثناء إرتفاع الأسعار العالمية وبالمقابل يؤدي هبوط الأسعار إلى انخفاض الإيرادات ففي عام ٢٠١٤ عند هبوط اسعار النفط من ١٤٠ دولار للبرميل الواحد إلى أدنى من ٤٠ دولار للبرميل الواحد ومع الحرب ضد "داعش" أدى ذلك إلى عجز كبير في الموازنة، مما دفع الحكومة للهرولة تجاه الديون لتغطية نفقات الحرب وإلى دفع رواتب الموظفين، نتيجة عدم اخذ الحذر من تقلب أسعار النفط التي تمر بحالات ارتفاع وانخفاض بشكل شبه دوري لأسباب عديدة منها تتعلق "العرض والطلب، التخمة في الأسواق، تلاعب كبريات الشركات والمتحكمين بالسوق النفطية العالمية، نشاط أو ركود الأقتصاديات الكبرى" وهذا ما تكرر من جديد أيضاً وأدى إلى حصول صدمة في ٢٠٢٠، حيث انخفض سعر برميل النفط الواحد إلى أقل من ٢٠ دولار نتيجة لحرب الاسعار، مما أدخل الحكومة والاقتصاد في مأزق يصعب الخروج منه، في ظل الركود الاقتصادي العالمي وجائحة كورونا التي شلت الحياة في مختلف انحاء العالم، حيث تدهورت اقتصاديات بلدان كبرى عديدة وشركات عالمية متعددة الجنسيات

وقضت على العديد من المشاريع المتوسطة والصغيرة في العالم وحالة ركود اقتصادي مخيفة توصف بأنها فاقت أزمة ٢٠٠٨-٢٠٠٩ ولا تعرف ملامح لنهايتها لحد الآن، وما برح هذا الوباء يحصد المئات من أرواح البشر كل يوم، وتحولت مدن العالم إلى أشباح، الأمر الذي يطرح تساؤل: كيف ستكون حال الدول الريعية في البلدان النامية وموازنتها والدول العربية والخليجية والعراق منها، وكيف هو حال العراق في ظل البطالة والفقر والفساد المالي والاداري وفقدان صناديق السيادة والتحوط؟! لقد نتج عن السياسة الحكومية السابقة عدد من الظواهر التي أدت إلى عرقلة مساعي التنمية الاقتصادية والاجتماعية، من أهمهاك

أولاً، البطالة.

تمثل البطالة في الوقت الراهن إحدى المشكلات الاساسية التي تواجه معظم دول العالم وتعد البطالة من المشكلات المستعصية في الدول النامية، وبالذات الدول العربية وبخاصة العراق وتحتل الأولوية في العراق نظراً لارتفاع معدلاتها بسبب إعادة هيكلة الاقتصاد وكثرة المشاكل الناجمة عنها. وبالرغم من خطورتها إلا انها لم ترصد بشكل دقيق، والدليل على ذلك تناقض الإحصاءات الرسمية حولها، فضلاً عن تناقضاتها مع ما تنشره المنظمات الدولية. ففي الوقت الذي تشير إحصاءات البنك الدولي إلى ان نسبة البطالة في العراق تزيد عن ٥٠%. فإن نتائج المسح الذي أجرته وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي ومع وزارة العمل والشؤون الاجتماعية أشار إلى ان معدل البطالة في العراق يبلغ ٢٨,١%. كما ان المنظمات غير الرسمية حددت نسبة البطالة في العراق تبلغ ما بين ٤٠-٦٠%، تشير تقديرات وزارة التخطيط العراقية إلى أن نسبة البطالة في العراق بلغت ٣٥ بالمئة، من بينها ١٤ بالمئة نسبة الخريجين العاطلين عن العمل، يرى مختصون أنها مرتفعة جداً، قياساً بالإمكانيات الاقتصادية المتاحة لواحد من أغنى بلدان العالم، بما يحتويه من كميات نفطية هائلة وثروات أخرى. أعلن الجهاز المركزي للإحصاء، أن نسبة البطالة بين الشباب في العراق بلغت ٢٢,٦ بالمائة. وقال الجهاز المركزي للإحصاء التابع لوزارة التخطيط في إحصائية اجراها، إن "نسبة البطالة بين الشباب للفئة العمرية بين ١٥ الى ٢٩ سنة بلغت ٢٢,٦% بارتفاع عن المعدل الوطني بلغ ٧٤%"، مشيراً الى ان "البطالة لدى الذكور لهذه لفئة بلغت ١٨,١%"، في حين بلغت البطالة لدى الاناث نسبة ٥٦,٣%". وأضاف البيان أن "نسبة معدلات مشاركة الشباب في القوى العاملة قد بلغت ٣٦,١%"، مبيناً أن "الذكور الشباب شكلوا نسبة ٦١,٦% مقابل ٨,٨% للإناث الشباب". وأعلن صندوق النقد الدولي في أيار ٢٠١٨ ان معدل بطالة الشباب في العراق تبلغ اكثر من

٤٠% . تفاقمت مشكلة البطالة في العراق خلال السنوات الاخيرة بسبب غياب الخطط الحكومية التي تهدف الى توفير فرص عمل للعاطلين من خلال تفعيل القطاع الخاص، كما يتخرج سنويا من الجامعات الاف الطلاب دون ان يجدوا وظائف لهم في الدولة .

ثانياً، الفقر في العراق.

ذكر البنك الدولي في تقريره، أنه يبلغ عدد سكان العراق ٣٨,٥ نسمة واجمالي الناتج المحلي ١٩٧,٧ مليار دولار، ومعدل الفقر وفقاً لخط الفقر المحدد بـ ٣,٢ دولار في اليوم هو ١٧,٩%. فيما ترتفع النسبة باحتساب ٥,٥ دولار دخل في اليوم الى ٥٧,٣ دولاراً، لكن خط الفقر الوطني تم تحديده بـ ٢٢,٥%. فيما يبلغ معدل العمر في العراق ٦٩,٦. وبحسب إحصائية البنك الدولي فإن "نسبة الفقر في العراق وصلت إلى ٤١,٢% في المناطق المحررة، و ٣٠% في المناطق الجنوبية، و ٢٣% في الوسط، و ١٢,٥% في إقليم كردستان". وأوضحت الإحصائية أن "٤٨% من السكان في العراق أعمارهم أقل من ١٨ عاماً بينهم ٢٣% فقراء، أي كل طفل من أربعة أطفال يصنف فقير، وتشير الإحصائية الدولية إلى أن ٥% نسبة الأطفال الفقراء في كردستان، و ٥٠% نسبة الأطفال الفقراء في المحافظات الجنوبية، وقد نشرت الأمم المتحدة بالتعاون مع جامعة أوكسفورد، مؤشراً للفقر متعدد الأبعاد، يقيس الفقر.

جدول 16: بطالة الشباب في الدول العربية

2014	2009	
20.0	21.7	الجزائر
42.0	27.0	مصر
34.6	32.3	العراق
28.8	28.6	الأردن
20.7	20.9	لبنان
48.9	43.7	ليبيا
46.6	47.1	موريتانيا
20.2	18.1	المغرب
42.7	38.1	فلسطين
23.3	22.8	السودان
78.0 (2015)	16.1	سوريا
31.8	30.5	تونس
29.9	24.8	اليمن
29.7	24.5	المنطقة العربية
14.0	13.7	العالم

المصدر: البنك الدولي 2016 والإسكوا 2016 - سوريا: خمس سنوات في خضم الحرب.

- الارقام الواردة : نشرات المنظمات الدولية " صندوق النقد الدولي والبنك الدولي " وزارة التخطيط والتعازن الإنمائي، وزاره العمل والشؤون الاجتماعية، وزارة التخطيط العراقية، الجهاز المركزي للإحصاء، الاعلام جريدة الشرق الأوسط

مستوى الصحة أو التعليم أو مستوى المعيشة في العراق، تصل نسبة السكان القابعين تحت خط الفقر المحلي إلى ١٨,٩ في المئة من إجمالي عدد السكان، أما بالنسبة لخط الفقر الدولي، فإن النسبة تصل إلى ٢,٥ في المئة فقط، وذلك وفقاً لآخر إحصاء في عام ٢٠١٢. وأترك الارقام الرسمية والدولية والاعلامية تتحدث عن حجم ومستوى الفقر في العراق، هذا، ويبلغ أعداد الموظفين في القطاع العام والمتقاعدين أكثر من ٥ ملايين شخص تخصص لهم رواتب نصف ميزانية العراق سنوياً؛ مما يعني عدم توفر الأموال اللازمة للاستثمار والتنمية الشاملة. ومما يعني أيضاً ازدياد الدين العام الذي ارتفع من ٧٣,١ مليار دولار في عام ٢٠١٣ إلى ١٣٢,٦ مليار دولار في عام ٢٠١٨، هذا في حين أن الاحتياطي النقدي قد أخذ في الانخفاض من ٧٧,٨ مليار دولار عام ٢٠١٣، بحيث وصل ٤٠,٨ مليار دولار في عام ٢٠١٨.

يبلغ الربيع النفطي السنوي للعراق حول نحو ٧٠ مليار دولار سنوياً، لكن رغم هذا الربيع العالي، نجد أن نسبة الفقر في البلاد قد ارتفعت منذ احتلال ٢٠٠٣، حيث تشير معلومات البنك الدولي إلى أن نحو ٥٠ في المائة من نسبة الأطفال الفقراء تكمن في المحافظات الجنوبية، وهو أمر إن دل على شيء، فهو أنه من بين الأسباب الرئيسية للحراك الشعبي الواسع والمظاهرات في المحافظات العراقية وبخاصة الجنوبية والوسطى، كما هو حاصل منذ بداية فصل الخريف" في الأول من اكتوبر ٢٠١٩ نضيف أيضاً بأنها شملت العراق كله "مع الاخذ بظروف المناطق الاخرى" ونعتقد يتفق معنا بعض المحللين الاقتصاديين والسياسيين أن المتظاهرين والناشطين هم من بيئة مختلفة محتقنة "مثلت كل شرائح المجتمع ولعب الشباب والمرأة دوراً متميزاً فيها" بسبب المظالم والتهميش والإقصاء الذي يعانونه جراء نقص الخدمات والفقر والبطالة، نتيجة المزيد من التدهور في أوضاع سوق العمل، الأمر الذي أدى إلى انخفاض معدل مشاركة الشباب بين ١٥ - ٢٤ عاماً تراجعاً ملحوظاً إضافة إلى مشاكل كثيرة مجتمعية واقتصادية. لاحظ اطار مخطط رقم ١ "

إطار رقم (١) تجربة البرازيل – تخفيض الفقر

إطار رقم (٢) تجربة سنغافورة – القضاء على الفساد

تجربة سنغافورة. التي كانت الى عهد ليس ببعيد ذات سجل سيء، وذات الأمكانيات البسطة بالمقارنة مع أمكانيات العراق الاقتصادية. والتجربة شاهدة حديثة على قدرة الدول، على تسخير أمكانياتها المتوفرة من أجل تحقيق إنجازات هامة، وغير مطروقة تجعل الآخرين يقفون أحتراماً لها للوقوف بوجه الفساد وتصبح قدوة يحتذى بها في هذا المجال فقد وقفت سنغافورة ضد الفساد بكل انواعه . وبمثل ما ذهب إليه التجربة المذكورة، نعتقد أن المجتمع العراقي يحتاج لأن يكون محصناً ضد الممارسات الفاسدة مثلما "يحتاج الجسم البشري لاكتساب المناعة ضد المكروبات والفيروسات" وذلك لا يكون ممكناً الا ببناء اسس قوية للمؤسسات وتشريعات قانونية فاعلة وتنمية ثقافية مجتمعية تستهجن الفساد، ومتى ماتوفرت "الأرادة والعزيمة" ونهج المعنيين في سلطة القرار نهج الدول التي سبقتنا في هذا الميدان. الأخذ بتجارب الدول التي نجحت بمكافحة الفساد، وذلك ليس فقط بالاعتماد على المؤسسات الحكومية وإنما أشراك المؤسسات غير الحكومية "منظمات المجتمع المدني والنقابات" الفاعلة منها، وتوفير نوع من الثقة وعدم التدخل الحكومي في شؤونها. لانها منظمات يفترض أن تكون مستقلة عن الاجهزة

في البرازيل هناك ١٢ مليون أسرة، تلتزم بإرسال أبنائها للمدرسة وللوحدة الصحية. بفضل Bolsa Familia وقد استحدث هذا البرنامج الرئيس الأسبق البرازيلي "لولا دا سيلفا" وهو عبارة عن سياسة إعادة توزيع الدخل في بلاده من أعلى إلى أسفل. حيث يقدم ٥,٠% من الناتج الإجمالي في صورة مساعدات نقدية لـ ١٢ مليون أسرة. بشرط إلزامها بتحسين حياة أبنائها من الفقر، وتم تحويلات للأطفال بحدود ١٢ دولار شهرياً، وقد ساهم ذلك البرنامج في تراجع معدلات الفقر الى ٢٧% خلال الفترة الاولى من رئاسة لولا دا سيلفا والتحويل الذي يساعد لهذه البوليصة العائلية يتم عن حصيله الضرائب التي تشتمل على ضرائب تصاعدية، ويعد نجاح للادارة البرازيلية في جعل فكرة الضرائب التصاعدية. ان مرحلة التعليم مجانية من الأبتدائية حتى الدكتوراه، وكذلك الخدمات الصحية متضمنه تقديم الأدوية، وهي الفكرة التي تكررت في العديد من دول أمريكا اللاتينية والتجربة اللاتينية هي نموذج اقتصادي يجمع بين انطلاق النمو الاقتصادي والعدالة الاجتماعية، وهذا مادفع المنظمة الأممية (مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية "أونكتاد") لأن تقدم هذا النموذج كبديل للسياسات التحررية التي هيمنت على العالم فترة التسعينيات، وتسببت في انتاج الازمة المالية الحالية. ان السبب في

<p>الحكومية، والاستفادة من خبرتها الفتية في ميدان كشف الحقائق. فيما يتعلق بحقوق الانسان وفي مكافحة الارهاب وفي رصد التجاوزات الانتخابية وفي غيرها، والتعاون معها هنا في ميدان محاربة الفساد وتخليص البلاد منه. فالحملة التي بدأتها الحكومة ضد الفساد مع كل ما فيها لم تجدي شيئاً يذكر، ونقترح على أصحاب القرار إذا توفرت الجدية والمسؤولية والارادة "مسؤولين وأفراد المجتمع" أن يعجلوا بأصدار:-</p> <p>١- "قانون مكافحة الفساد"، كما فعلت سنغافورة من قبل.</p> <p>٢- وأن يتزامن ذلك مع رفع رواتب الموظفين والعمال من ذوي الدخل المحدود والعاملين في الضرائب والجمارك والعقارات.</p> <p>٣- تأهيل مستوياتهم التعليمية والتكنولوجية في مستوى تقديم الخدمات وذلك بالتركيز على حزمة من القوانين الصارمة "طاردة للفساد" وضمان تطبيقها الفعلي على الجميع بدون استثناء وتوفير استقرار أمني.</p>	<p>عدم الرضى للنتائج التي أسفر عن تطبيق نوعية معينة من السياسات التنموية في معظم الدول النامية التي ناهزت فترة ثلاثين عاماً. وهي مجموعة السياسات التي انطلقت في "توافق واشنطن" الذي جسد الليبرالية الجديدة الاقتصادية المحددة في برامج الإصلاح الاقتصادي. ان الدول التي ألزمت بهذه النوعية من السياسات لم تعجز عن اختراق جدران التخلف والتبعية المحيطة بها، والانطلاق إلى رحاب التنمية السريعة فحسب ، بل أنها عجزت عن تحقيق أيضاً عن تحقيق تقدم ملموس في إنجاز أهداف أكثر تواضعاً.</p>
---	--

- حرصت الدراسة أن تضع الارقام كما وردت من مصادرها اعلاه عدا بعض التعليقات

ثالثاً، الفساد المالي والاداري.

بعد التغيير والاحتلال عام ٢٠٠٣، إنتقلت مظاهر الفساد الإداري والمالي المختلفة إلى كل مفاصل الدولة ومؤسساتها الجديدة وأتسمت الفترة بأوضاع اجتماعية وسياسية وأقتصادية غير مستقرة وبتزايد حالات الفساد التي تمثلت بفتح أبواب الانحراف في القيم الأخلاقية وبحالات

الكسب السريع من خلال وسائل الفساد المختلفة. في هذا الصدد تشير قراءة إلى أن " تفاقم الفساد مع تصاعد سياسات الانفتاح الاقتصادي واتساعها والنشاط المتزايد لرفع القدرة التنافسية للمنتجات والذي ترافقه حركة الأموال وحركة غسل الاموال المتصلة بالجريمة المنظمة. وبلغ في التسعينات درجات غير مسبوقه في جميع انحاء العالم، ولذلك تزايد الوعي بضرورة مكافحته، وأظهرت الأبحاث العديدة التي نشرت من قبل المؤسسات المتخصصة الكلفة الباهظة التي يتطلبها القضاء على الفساد ، كما أظهرت دوره في إعاقة النمو وتخريب التنمية على المستوى الاقتصادي وانعكاس ذلك على الوضع الاجتماعي في أي بلد يعاني تلك الآفة الخطيرة".^(١)

ففي العراق تشير مصادر الى انه جرى هدر اموال منذ ٢٠٠٤-٢٠١٢ بقيمة ٢٤٥ مليار دولار أمريكي، وفي مصادر اخرى تقول فيها وزارة التخطيط ان ماتم هدره وتبذيره ونهبه بطرق الفساد المالي والاداري، وحسب وزير التخطيط السابق، تم توظيف ٧٠٠ مليار دولار، من ٢٠٠٤ - ٢٠١٢ لم يصرف منها سوى ٢٠% والسؤال اين ذهبت ٨٠% من هذه الاموال؟!^(٢) تحدث د. أحمد الجبلي^(٣) قبل وفاته عن الفساد المالي بالقول: "اتضح لنا وجود مافيات فساد كبيرة استولت على المصارف، ولديها شركاء في البنك المركزي، كما أن هناك مسؤولين كبارا في الدولة يدعمون تلك المافيات ويحمونها وتشير التحقيقات إلى أن أحد المعنيين قد حول خلال السنوات الثلاث الماضية ستة مليارات وخمسمئة وخمسة وخمسين مليوناً وستين ألفاً وثلاثمئة وثمانية وستين (٦,٥٥٥,٦٦٠,٣٦٨) دولاراً من البنك المركزي إلى حسابه في ثلاث شركات وهمية في بنك الإسكان الأردني"، فضلاً عن بعض المعاملات الأخرى. وقال أيضاً ان «سبب الانهيار الاقتصادي هو فترة الحكم من سنة ٢٠٠٦ إلى سنة ٢٠١٤ حيث دخل العراق مبلغ ٥٥١ مليار دولار والحكومة استوردت ما مجموعه ١١٥ مليار دولار والبنك المركزي باع للبنوك الأهلية كمية ٣١٢ مليار دولار، مضيفاً ان «هذا المبلغ الذي أهدر (٣١٢ مليار دولار) مشدداً حسب قوله كان بإمكانها بناء الاحتياطي النقدي". وتعتبر قضايا الفساد في العراق من أهم القضايا التي سببت انهيار الاقتصاد العراقي وإفلاس خزينته وظهور عجز كبير في ميزانية العامين ٢٠١٥ و ٢٠١٦، ٢٠١٧، ٢٠١٨، ٢٠١٩ أما في عام ٢٠٢٠ فقد دخل

(١)- انظر : سمير التنير - الفقر والفساد في العالم العربي - دار الساقي - بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٩ ، ص ١٣ .

(٢) د. عباس الفياض - بحث بعنوان " الفساد المالي والاداري في العراق وكيفية ومعالجته" - قدم في مؤتمر كلية الادارة والاقتصاد ، البصرة ، عام ٢٠١٣ ، منشور في مجلة الجامعة المحكمة. عام ٢٠١٤ موجود أيضاً على شبكة الانترنت.

(٣)- د . احمد الجبلي : عضو مجلس النواب العراقي ، وعضو اللجنة المالية في البرلمان حتى وفاته ٢٠١٥ .

العراق في مأزق مالي وكساد اقتصادي يصعب الخروج منه بفعل انهيار اسعار النفط والفساد المالي والاداري وجائحة كارونا التي أشير لها من قبل. والسؤال المطروح أما كان الأجدران يجري استثمار جزء من هذه الأموال في اعادة هيكل الاقتصاد، وتجديد تلك المصانع والمؤسسات الانتاجية، بدلاً من الحديث عن المشاريع الوهمية التي يشير لها المسؤولين في الدولة و مجلس النواب، التي بلغت ٦٠٠٠ مشروعاً وهمياً، وما خصص لها من مبالغ بحدود ٢٠٠ مليار دولار !!! لنتعرف على منظمة الشفافية الدولية ، وكيف يجري تقييم الدول وما موقع العراق منها؟ تمنح المنظمة من خلال مؤشر مدرك الفساد، كل دولة درجة تتراوح ما بين الصفر وعشرة درجات، بمعنى أن الدولة التي تحصل على عشرة درجات، فتقديرها نظيف وخالي من الفساد. أما الدول التي تحصل على تقدير أقل من خمس درجات، فهذا يعني أن جميع الأعمال والصفقات والمشاريع في هذه الدول خاضعة للفساد بأنواعه. وتعتمد المنظمة على عينة من الدول يتم اختيارها سنوياً، تطرح بعض الأسئلة لأستقصاء الحقائق ، حول سوء استخدام السلطة والمسؤولية لتحقيق مصالح ذاتية ، على حساب المال العام أو على حساب أموال الشركات بالنسبة للقطاع الخاص. وتعتمد المنظمة على التقصي الميداني او مسوحات معينة ومحددة لهذا الغرض (مثل البنك الدولي، المجموعة الدولية لتطوير الادارة وعلى شبكة المصادر والمعلومات، من المؤسسات التي تعتمد على استطلاعات وأستبيانات والمجموعة الدولية للتجارة، المنتدى الاقتصادي العالمي، وحدة الاستخبارات التابعة لمجلة الأيكونوميست، مركز أبحاث الأسواق الدولية، مجموعة أستشارات الأخطار السياسية والأقتصادية لأفريقيا التابعة للامم المتحدة). أن تقرير منظمة الشفافية الدولية يشير الى أن العراق يقع في أسفل السلم في الترتيب العالمي، وفي نسب متزايدة فيما يخص قيمة مدركات الفساد، خلال الفترة الممتدة من سنة (٢٠٠٣ وما بعدها " أنظر الجدول" يحتل مراكز متدنية حتى عام ٢٠١٨، ٢٠١٩) حيث أحتل على المستوى العالمي الترتيب ١٦٩. في حين تربعت كل من الدنمارك وفلندا ونيوزلندا والسويد المركز الأول، وتأتي سنغافورة في المركز الثاني. أما على مستوى البلدان العربية. فيأتي ترتيب العراق العشرين وتأتي بعده أيضاً السودان والصومال على التوالي . في حين تتقاسم كل من الإمارات وقطر الأول عربياً والمركز ٢٧ دولياً، وموقع العراق خطير جداً في كل معنى الكلمة. أن المعلومات التي يوفرها تقرير مدركات الفساد المنشورة سنوياً، بغض النظر عن المبالغة أو عدمها فإنها توفر معلومات، لأصحاب القرار أو الجهات المعنية في التخطيط وللباحثين الأقتصاديين العديد من المعطيات الهامة والمفيدة. أذ تقدم هذه مادة رقمية وكمية يمكن التعامل معها. أما بالنسبة للبحث المطروح، فإنها دعمت المفاهيم والأفكار التي وردت في مشكلته وفرضياته .

أ- تقدم المؤشرات كيف تغيرت معايير النزاهة في الإدارات الحكومية وفي القطاع الخاص كثيراً في السنين الماضية وفي دول (متقدمة ونامية) ولم تعد مشكلة الفساد متجذرة في دول دون غيرها. أذ يلاحظ كيف انتقلت بلدان من مواقع متوسطة وتمدنية في الفساد الى مصاف الدول المتقدمة مثل سنغافورة (انظر تجربة سنغافورة وكيف قضت على الفساد المالي والاداري كما مشار في ايطار رقم ٢ اعلاه)، هونغ كونغ، باربيدوس، تشيلي، بهامس، الأرغواي، كوريا الجنوبية، الإمارات العربية المتحدة، قطر.. الخ وغيرها تمكنت من تحسين معدلاتها، كما في أستراليا ونيوزلندا وهنكاريا وأندونيسيا.. الخ وعلى المعنيين ان يبدوا من حيث انتهى الآخرون.

ب- المعايير العالية للدول التي تعكسها التقارير الواردة، تقدم تطبيقات أحسن وأفضل لمعايير النزاهة والعكس بالعكس صحيح، "ولا ينبغي كما يقول الباحث" وولفغالغ كاسبر^(١) النظر الى المقارنات الزمنية للفساد بشكل تقريبي بسبب التغيرات المنهجية المتبعة وطبيعتها الذاتية. أن التقارير تعطي انطباعاً بأن الدول النزيهة تكاد تنحصر معظمها في الدول الأكثر تطوراً، في حين ان الدول التي يكثر فيها الفساد عادة ماتكون من الدول النامية. مما يعطي انطباعاً بتفاعل بين شيوع الفساد للحكام وتدني المستوى المعاشي للمواطنين من ذوي الدخل المتدنية وبينهم وبين الذين يعيشون تحت مستوى الفقر وهذا ما تقرب منه البحث.

ج- مؤشرات مدركات الفساد المتصاعدة في العراق من ٢٠٠٣ حتى ٢٠١٨، ٢٠١٩. تعطي اعتقاداً أستعصاء القضاء على الظاهرة، وبالتالي يصعب القضاء على حالة الفقر في البلاد، حتى لو جرى التصميم والعزم في إدارة المؤسسات الحكومية والخاصة بأفضل الطرق. إذ لا يمكن الحاق الهزيمة بالفساد، إذا كانت الأعراف الاجتماعية والسياسية، تتقبل وتشجع على تعاطي الرشوة وتحرص للدفاع عن منتسبيها ونخبها بفعل المحاصصة والمناطقية وتعتبر السياسية "حلبة للثراء". وهذا مؤشرفي البحث. نخلص للقول يصعب الحديث على القضاء على ثلاثي الفساد والبطالة والفقر، مالم يجري اعادة النظر بالعملية السياسية والاقتصادية وذلك بعاملين:

الأول، أن الاستراتيجية التي مارسها المحتلون، والتي تتحدد، بأضعاف الدولة وأعتقاد آلية السوق الحرة والتي لا تزال لم تتغير، سببت الكثير من الكوارث الراهنة "بطالة .. فقر.. فساد" وهي استراتيجية حدها كمحرك ومنظم للعملية الاقتصادية، وتشكيل البنية السياسية على أساس طانفي ومكوناتي، والحالة لم تتغير وهي استراتيجية مشوهة وغير عقلانية. كما ساهمت بذلك

(١)- وولفغالغ كاسبر: بروفيسور الفخري للاقتصاد في جامعة نيو ساوث ويلز البريطانية وزميل أقدم بمركز الدراسات المستقلة

دول اقليمية ودولية في التدخل في الشأن العراقي، وتحول العراق الى ساحة صراع، لكل هذه الأطراف .

الثاني، إن القوى السياسية العراقية، لم تنجز برانامجاً استراتيجياً تنموياً وطنياً عراقياً، بل فضلت اختيار السياسة الطائفية في تحقيق المكاسب "فساد مالي واداري" وعلى حساب غيرها، وتحول البرامج السياسية والاقتصادية، كملاحق للأستراتيجية الامريكية، وأثرت تلك الى دخول العراق في دوامة العنف الطائفي على حساب المواطنة، وجرى التعيين على هذا الاساس، مما أهدر طاقات بشرية ومالية كبيرة .

منظمة الشفافية الدولية / جدول (١) لمدرجات الفساد العالمي وموقع العراق بين الدول.

Rank	Country	CPI2016	Number of Sources	Std Error 2016	90% Confidence interval		Scores Range		Data Sources															
					Lower CI	Upper CI	Min	Max	World	World	Global Insight	Bertelsmann	African Development	IMD	Bertelsmann	World	PRS Internatio	Varities	Economic	Freedom House	PERC			
1	New Zealand	90	7	2.56	86	94	79	99		90	83			95	99	79	93		90					
1	Denmark	90	7	2.46	86	94	83	99		85	83			98	99	85	93		90					
3	Finland	89	7	1.46	87	92	83	94		91	83			94	90	85	93		90					
4	Sweden	88	7	1.33	85	90	83	93		86	83			86	90	85	93		90					
5	Switzerland	86	6	1.57	83	89	80	90		80	83			88	90		85		90					
6	Norway	85	7	1.85	82	88	80	93		80	83			83	80	84	93		90					
7	Singapore	84	8	2.35	81	88	88	91		88	83	73		91		85	76		90				89	
8	Netherlands	83	7	2.32	79	87	82	90		82	83			89	71	82	85		90					
9	Canada	82	7	2.03	79	85	73	90		73	83			85	80	79	85		90					
10	Germany	81	7	2.73	77	86	67	90		67	83			85	80	79	85		90					
10	Luxembourg	81	6	1.96	78	84	85	83		85	83			81	80		85		72					

10	United Kingdom	81	7	2.12	77	84	71	90		80	71			80	80	80	85	90		
13	Australia	79	8	1.27	77	81	72	83		80	83			81	80	78	76	72		81
14	Iceland	78	6	3.81	71	84	61	85		85	83			80	61		85	72		
15	Hong Kong	77	7	2.62	73	82	67	88		82	83			87		77	67	72		74
15	Belgium	77	7	1.55	74	79	72	83		73	83			79	80	74	76	72		
17	Austria	75	7	1.36	73	77	71	80		73	71			74	80	79	76	72		
18	USA	74	9	3.15	69	80	64	90		65	71			74	90	72	76	69		64
19	Ireland	73	6	4.31	66	80	54	83		83	71			83	71		76	54		
20	Japan	72	8	3.02	67	77	52	88		78	71			74	52	75	76	72		78
166	Iraq	17	5	1.87	14	20	10	20			10	20					15	19		
168	Guinea-Bissau	16	4	2.09	13	20	13	23			22		14				15			
169	Afghanistan	15	5	1.74	12	17	10	3		10	20					13		16		
170	Libya	14	4	2	11	17	10	9		10	12						15	9		
170	Yemen	14	7	3.05	9	19	22	8		12	10	28					15	49		
170	Sudan	14	7	2.99	9	19	22	2		22	16	11					6	29		
173	Syria	13	5	1.97	10	16	89	1		10	8						15	29		
174	Korea (North)	12	3	1.39	10	15	10	5		10	12						15			
175	South Sudan	11	5	3.21	5	16	29	2		10	16	5						9		
176	Somalia	10	5	2.98	5	15	07	1		10	8	0					15	7		

المحور الثالث: ملاحظات نقدية.. مقاربات .. مقترحات وأفكار .. للخروج من مأزق الربعية.

مما لاشك فيه يعاني الاقتصاد العراقي من تشوهات هيكلية في قطاعاته المختلفة فضلاً عن تخريب وتدمير البنية التحتية نتيجة الحروب في ظل النظام الدكتاتوري وتدني الانتاجية ومعدلات بطالة عالية وتضخم خيالي وتدني في العملة الوطنية (الدينار العراقي) في ظل حصار قاتل وفوارق معيشة لاتوصف وتدهور صحي وتعليمي واسع.. بعد الاحتلال الذي حصل عام ٢٠٠٣ وسقوط النظام الدكتاتوري، جرى الحديث عن الاصلاحات الاقتصادية، الأمر الذي يبعث للتساؤل هل ان تلك الاصلاحات الاقتصادية ضرورية؟ وإذ كان الجواب بنعم فما هي هذه الاصلاحات وما نوعها وكيف نعالجها، وما هي صفاتها ومضمونها. وما هدفها، وهل هي إجراء وطني ودراسة مستفيضة لواقع الاقتصاد؟، ام إن الاصلاح مفروض من جهات معينة، وإذا كان كذلك فما اطاره النظري؟ وللإجابة على ذلك يتطلب بلا شك دراسة النشاط الاقتصادي، ودراسة الهيكل الاقتصادي وتقديم معالجات حقيقية للتشوهات القائمة فيه، وما الطرق التي يمكن ايجادها، لجعل الاقتصاد قادر على تقديم تحسين دائم لوسائل العيش، من خلال التوزيع العادل للموارد الوطنية. حيث يتصف العراق بأنه من البلدان الغنية بالموارد، إذ يمتلك احتياطي نفطي يقدر ١٤٣ مليار برميل ويحتل المرتبة الثالثة في قائمة الدول الأكبر في العالم من حيث الاحتياطي النفطي. ويشكل النفط الميزة الاقتصادية فيه، وبنفس الوقت يشكل التهديد الاول للاقتصاد الريعي الوحيد الجانب وكذلك عامل تهديد لما يسمى بالديمقراطية غير المستقرة الى حد بعيد، كما و يعد المحرك الرئيسي للتنمية طويلة الامد، إذا استخدم بشكل علمي وعقلاني وخلاف ذلك فإنه يقف عائقاً أمام التنمية المستدامة، وفي قراءات اخرى بات الاقتصاد العراقي على مفترق طرق في ظل صراعات طائفية ومحاصصة وفساد مالي وإداري وموازنات بين المد والجزر تعاني عجوزات كبيرة، وظروف أمن غير مستقر وعمليات هجرة واسعة. ومن جانب آخر ان الاقتصاد العراقي يعاني اشكالات كثيرة، وبحاجة الى اصلاح، بل والى اصلاح جذري، ولكن المشكلة التي يفترض معرفتها، ونعني بها مضمون هذا الاصلاح، وكيف جرى ترويجه من قبل المدارس المختلفة، التي تشترك في الفلسفة والغايات والاهداف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. التي تهدف الى اعتماد السوق دون غيره محرراً للنشاط الاقتصادي وآلية لممارسته وتوجيهه والترويج الى مفهوم وممارسة الخصخصة دون أن يسبق ذلك دراسات جدوى حقيقة لهذا التوجه. ولم ينظر أصحاب القرار إلى تجارب بلدان مشابهة لظروف العراق، وما حل بها جراء الأخذ بتلك الوصفات، أو بشواهد الازمة العالمية التي يعيشها العالم جراء عبثية السوق الحرة، والتي دفعت رؤساء البلدان الكبار، لايجاد ضوابط تحد من تلك العبثية. ومن جانب آخر أن فشل وصفات المؤسسات الدولية في ايجاد حلول جعل بلدان نامية كثيرة تعيد النظر (بتوافق واشنطن) وبشروطه القاسية على تلك البلدان، بل أن الفشل جعل

المؤسسات الدولية التي روجت لتلك الوصفة بإعادة النظر بها او التخفيف من النبرة إتجاهها بعد ان فشلت تجارب عديدة، جربت تلك الوصفات ولم تحصد التنمية المنشودة بل الشقاء المستمر "ولا ندري لماذا تمسك القائمين من اصحاب القرار بهذا التوجه؟". أن صياغة السياسة الاقتصادية تعد من المهام الاساسية للنجاح طويل الأمد في الحوكمة الاقتصادية، و صياغة سياسة وطنية تبين بشكل واضح الخطوط الرئيسية لادوار القطاعين العام والخاص وكذلك المختلط والتعاوني واعادة هيكلة الاقتصاد وتنويعه واعتماد اللامركزية بإجراءات تمكينية أساسية يمكن اتخاذها في اطار خطة تنموية استراتيجية تأخذ بإعتبار امكانيات الاقتصاد العراقي، واشكاليات التنمية التي مرت بها بلدان مشابهة لظروف العراق ونجحت في تحقيق التنمية.

سنركز مناقشتنا في هذا المحور على مدى استثمار الموارد النفطية الريعية التي حصل عليها العراق بعد عام ٢٠٠٣ في تغيير هيكلية الاقتصاد العراقي وتحقيق التغيرات المطلوبة في بناء هذا الاقتصاد من خلال استعراض بعض المؤشرات الاقتصادية الاجمالية في إطارها الكمي والوصفي التي تبين لنا، أن الدولة العراقية لم تستخدم الموارد المالية الكبيرة المتأتية من الصادرات النفطية وفقاً لمبدأ الرشادة والعقلانية بل كانت تستخدم مبدأ "اصرف مافي الجيب يأتيك مافي الغيب" كما أكدت عليه الكثير من الكتابات، في الوقت الذي أكدت كل نظريات التنمية في البلدان النامية على ضرورة تشخيص المصدر الذي ولد الفائض الاقتصادي في الدول النامية وتوظيفه في تطوير القطاعات السلعية الانتاجية والانشطة الاخرى التي تخلق قيم مضافة لتحقيق عملية التراكم الرأسمالي اللازم للتنمية المستدامة، وهذا الأمر لم يتحقق في الاقتصاد العراقي حتى غاب عن بال الدولة، ولفترة طويلة بأن النفط في العراق هو مرهون بوقت وزمن وسينضب، فضلاً عن أنه عرضة لمتغيرات خارجية عدة. وكان على الدولة أن توجه هذه الفوائض المالية نحو الاستثمار في الانشطة الاقتصادية المهمة وإجراء الحسابات الدقيقة للموازنة بين متطلبات الحاضر والمستقبل . ولكن مما يأسف له أن السياسات الاقتصادية في العراق لم تحقق هذا الهدف. و أشير إلى شيء سبق وان أكدته في مناسبات عديدة، هو فشل تجربة الاصلاح الاقتصادي وفشل نموذج "توافقات واشنطن" الذي سارت عليه فلسفة اصحاب القرار بعد ٢٠٠٣ التي انجبت الفساد الضخم وتحالف السلطة والمال ذات النزعة المحاصصية، التي ادت إلى اغتناء فئة قليلة "محاسبين" مرتبطة بالشركات الخارجية، ونمت سياسة الاستيراد " الاستهلاكي تحديداً" وهذا الفشل لم يقتصر بالعراق لوحده، وانما شمل بلدان اخرى التي روجت لخفض الدعم واضعاف الدولة، وتفكيك مؤسساتها والخصخصة وتحرير السوق وغيرها من امور، دون التطرق إلى عدالة التوزيع أو توفير الوظائف والتشغيل، أو التفكير بماهية

اولويات الاصلاح أو كيفية إدارة الدولة، مما أدى إلى أن تشمل التشوهات كل القطاعات الاقتصادية، والتي تظهر بشكل واضح من خلال انخفاض نسبة مساهمة القطاعات السلعية "الصناعة والزراعة" في تكوين الناتج المحلي الاجمالي. إذ تشير إحدى المصادر، أن قطاع الصناعة انخفضت نسبة مساهمته في الناتج المحلي الاجمالي من ٤,٢% عام ٢٠٠٢ إلى نسبة ٠,٤% عام ٢٠١٢ وتراجع نمو هذا القطاع بعد هذا العام بشكل واضح، أثر توقف أغلب مؤسسات الإنتاج بسبب الفوضى الاقتصادية، التي شهدتها الاقتصاد العراقي بعد هذه الفترة، وعمت التخريبات التي شملت أغلب شركات القطاع الصناعي مثل صناعات الحديد والصلب والصناعات البتروكيمياوية وصناعات النسيج والمواد الغذائية، اضافة إلى ذلك أن الدولة لم تستثمر العوائد المالية التي حصلت عليها بعد التغيير، في تأهيل هذه الشركات وإعادة تشغيلها، لذلك استمرت حصة هذا القطاع بالتضائل التدريجي في تكوين الناتج المحلي الاجمالي. أما القطاع الزراعي فهو القطاع الأخر الذي انخفضت نسبة مساهمته من ٨,٦% في عام ٢٠٠٢ إلى نسبة ١,٥% في عام ٢٠١٢، وأصبح العرض المحلي من المنتجات الزراعية لاتسد الطلب المحلي المتزايد عليها وتقلص حجم إنتاج هذا القطاع. ومن ذلك يبدو إن هنالك علاقة عكسية في تطور قطاع النفط الخام على حساب تطور القطاعات الاقتصادية، وخاصة منها الانتاجية كالصناعة والزراعة، إذ يظهر إن نمو قطاع النفط بمعدلات عالية والقطاعات الانتاجية تنمو بمعدلات سالبة. وبهذا الصدد نشير إلى أن بعض الدراسات، على أن استكمال عملية البناء التنموي للاقتصاد تحتاج إلى:

- ١- تصدير ٦ مليون برميل باليوم لمدة عشر سنوات، لكي تسترد عافية البنية التحتية، ويستكمل بناء قطاع الخدمات بكل جوانبه، لكي يواكب التقدم الحاصل في دول المنطقة.
- ٢- شرط ان يرافق ذلك ارادة وطنية مخلصه والحقيقة أن هذه الارادة في الأمد القصير لايمكن أن تتحقق أو شك في تحقيقها في ظل تركيبة سياسية وأقتصادية معقدة تطفو على بنيتها المحاصصات الطائفية والجهوية.
- ٣- وحتى إذا افترضنا توفر مصادر التصدير، فأن كميات الانتاج المستهدفة والايادات المتوقعة لم تكن مضمونة في ظل تدن أسعار النفط في السوق العالمية في الوقت الحاضر وعدم القدرة على التنبؤ بمعدلاتها في ظل المتغيرات الدولية السريعة والمفاجئة. في ضوء هذه الخلفية لا يبدو للمراقب وجود إدارة اقتصادية ذات منظور واضح أو موحد، مع تواضع التنسيق بين أجهزة الدولة المختلفة المسؤولة عن رسم وتنفيذ السياسات الاقتصادية ومن أبرز الامثلة على

ذلك جولات التراخيص النفطية التي سببت ضرراً كبيراً للاقتصاد العراقي^(١). كما لا يبدو أن هناك هيئات رقابية ومتابعة قوية. إن غياب منظور تنموي واضح أو موحد مع تواضع التنسيق بين أجهزة الدولة المختلفة المسؤولة عن رسم وتنفيذ السياسات الاقتصادية وضعف وتعدد مراكز الإدارة الاقتصادية، ساهم وسيساهم بزيادة الاعتماد على الربيع النفطي. يقول د. سمير التنير: " ينبغي النظر إلى اقتصاد البلدان العربية النفطية كإقتصاد ذو طبيعة ثنائية فهناك قطاع مهيم ذو كثافة كبيرة لرأس المال هو قطاع النفط وهناك قطاع تقليدي يمتاز بكثافة العمل هو القطاع غير النفطي. ويقدم القطاع النفطي الجزء الأكبر من الناتج المحلي الإجمالي في هذه البلدان^(٢).

المقترحات الاستراتيجية:

* اصلاح القطاع الصناعي واعادة هيكلته. ووضع سياسة اقتصادية فعّالة، والقيام بالإصلاحات الضرورية لتأمين ما يقتضيه ذلك من تنسيق وتكامل بين السياسة المالية والسياسة النقدية، وتطوير آليات وضع الموازنة العامة، وتخطيط وتنفيذ البرامج الاستثمارية. وتطوير المصارف والمؤسسات المالية وتحقيق أستتاب أمني وأستقرار سياسي

* اصلاح القطاع الزراعي وإعادة هيكلته. وتحسين خصوبة الارض وتزويد الفلاحين والمزارعين بالمكائن والالات الحديثة وبالأسمدة ومكافحة الآفات الزراعية وحماية منتجاتهم وتطوير الريف حضارياً.

* تنويع الاقتصاد افقياً وعمودياً بعد قراءة بحثية لقدرات البلد الاقتصادية والمنتجات الوطنية.

* تشجيع القطاع الخاص الوطني للنهوض بمهامه الوطنية. وضع المعايير المحاسبية الدولية قيد التطبيق في الافصاح المالي، وفوائده بالنسبة للمستثمرين والمالكين والممولين وحاملي الأسهم، وغيرها من الجهات الحكومية والقطاع الخاص وضمن الشركات المعولمة، وكذلك المعايير الدولية لرقابة الجودة والتدقيق والمراجعة وقواعد السلوك الاخلاقي للمحاسبين المهنيين.

(١) راجع مؤلف د. عباس الفياض الخصخصة وتأثيرها على الاقتصاد العراقي. " علماً أن جولات التراخيص وقعت في وقت لم يكن فيه العراق يعاني من شحة في الأموال، ولم يكن قيد التمويل يحول دون تطوير صناعته النفطية في العراق"- للمزيد يمكن مراجعة دراسة للدكتور نبيل عبد الرضا حول جولات التراخيص - الحوار المتمدن.

(٢) أنظر : د. سمير التنير - التطورات النفطية في الوطن العربي والعالم ماضياً وحاضراً- الجزء الثاني - دار المنهل اللبناني، بيروت ، ط١، ٢٠٠٨، ص ٩٩- ١٠٠ .

* ضرورة الوقوف على حقيقة قوة الدولة اقتصادياً، أي عدم الدخول في صراعات خارجية قد تكلف الدولة مزيداً من الاعباء في مرحلة النهوض.

* تشجيع التصنيع من خلال زيادة الانفاق على بند الطاقة، كقطاع هام يقوم عليه النشاط الصناعي وبما يساهم في زيادة الانتاجية ورفع نسب التخصيصات للقطاعات التي توفر القيمة المضافة للاقتصاد. إذ لازالت الدولة تستورد أكثر من ٩٥% من حاجاتها من السلع الصناعية و٨٥% من حاجاتها من المواد الغذائية ولا تصدر إلا سلعة واحدة هي "النفط".

* إحتواء الاقتصاد غير الرسمي ومحاربة الغش الضريبي "معرفة كم يستحوذ من الكتلة النقدية في العراق".

* اعادة بحث السياحة المحلية والدولية "التاريخية والدينية والثقافية" وتشجيعها، وايجاد مبتكرات جديدة لجذب السياحة.

* الاهتمام بالمشاريع الصغيرة والمتوسطة ومشاريع تشغيل الشباب.

* محاربة الفساد ومتابعة قضايا أموال الدولة المسروقة بجدية في الداخل وفي المحافل الدولية منذ ٢٠٠٣. وحصص ثروات كبار المسؤولين وتحديد مصادرها من قبل الاجهزة الرقابية وأن يتحقق ذلك قبل تولي المسؤولية العامة ومكافحة عمليات غسل الأموال وانتقال الأموال غير المشروعة، وتفعيل الاجراءات القانونية بحق المخالفين.

* إنشاء أجهزة رقابية فعالة ذات صلاحيات واسعة. تتمتع باستقلال تام بعملها، وتعد تقاريرها بشكل دوري وعلني للمواطنين وبالتعاون مع المؤسسات الاعلامية.

* تبني استراتيجية تنمية مستدامة، واعتماد خطط تنمية متوسطة وقصيرة الأجل، بالاشتراك مع حكومة الاقليم والحكومات المحلية، تهدف إلى توسيع وتنويع وتحديث قاعدة الاقتصاد، وتنمية القدرات البشرية، والاستخدام العقلاني والكفوء لموارد البلاد، بما يحقق مستوى ونوعية حياة أفضل لجميع المواطنين.

الخلاصة.

يحتاج العراق الى مقارنة عقلانية واقعية تنطلق من المعالجات الأساسية للاقتصاد، ومشاكلة الفعلية والجمع بين دور السوق ودور الدولة في مواجهة المقاربات. التي تقدس الدولة بالمطلق أو السوق بالمطلق، يتطلب الامر انتهاج سياسة تسعى باتجاه تظافر الجهود بين القطاعين الدولة والخاص والمختلط ، بما يؤدي الى تعظيم العائد الاقتصادي ودفع عجلة التنمية. أخذين في الاعتبار الأولويات الاجتماعية، وحاجة البلد الى استراتيجية تدفع باتجاه انتقال من الاقتصاد الريعي الى اقتصاد انتاجي. ووضع الربيع في صلب سياسة التنمية المستدامة وأستخدامه لتعظيم

الثروة الوطنية، وهذا يتطلب اخراج الربيع من التداول الاستهلاكي وتوجيهه نحو الاستثمار في البنية التحتية. والتركيز على تعظيم فرص التشغيل وزيادة الانتاجية، وغير ذلك نرى صعوبة اطلاق تنمية مستدامة أو بناء ديمقراطية أو تنفيذ برنامج دون ان يكون للدولة دوراً نشيطاً، بالاضافة الى تنشيط وتحفيز القطاعات الاخرى الخاص والمختلط والتعاوني.. الخ فليس المطلوب واقعية او عدم واقعية الخصخصة واقتصاد السوق. بقدر ما مطلوب فشلها، بعد ان تضاعف بريقها ولا يتعد الأمر كونه "موضة" كما يقال لم تزكيتها التجارب، والعمل باتجاه الدولة التنموية. التي تشكل تجربة النورالاسيوية نموذجاً لها والدول الناشئة دليل منطقي مكمل لها وتجاوز الهنات فيها. وأن تتضافر جهود عقول العراقيين من اقتصاديين بمختلف الاختصاصات وغيرهم من الاختصاصات الاخرى في القانون والسياسة والفلسفة والاختصاصات العلمية الاخرى، للخروج بمعالجات تضع الاقتصاد في الاتجاه الصحيح، وبالاستفادة من التجارب والخبرات الدولية والاقليمية في هذا المجال.

المصادر العربية:

١. ابن خلدون في المقدمة وتحديداً في الفصل الاول - الفصل الخامس منه.
٢. آدم سميث - ثروة الامم ترجمة حسني زينة- معهد الدراسات الاستراتيجية- ط ١ - بغداد، بيروت، ٢٠٠٧ .
٣. بول بريمر - عام قضيته في العراق- النضال لبناء غد مرجو- ترجمة عمر الأيوبي- صادر عن دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، ٢٠٠٦ .
٤. التنير، سمير - الفقر والفساد في العالم العربي - دار الساقى - بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٩ ،
٥. التنير، سمير - التطورات النفطية في الوطن العربي والعالم ماضياً وحاضراً- الجزء الثاني - دار المنهل اللبناني، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٨ .
٦. جوزيف ستكلنز- العولمة ومساؤها- ترجمة فالح عبد القادر حلمي - مراجعة د. مظهر محمد صالح- الناشر بيت الحكمة ، ط ١ ، العراق ، بغداد، ٢٠٠٣ ،
٧. زياد الحافظ:- مقالة منشورة على الانترنت - أوضاع الأقطار النفطية وغير النفطية - مركز دراسات الوحدة العربية- المعهد السويدي في الاسكندرية، تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥ .
٨. حسين مهدي- طبيعة الدولة الريعية، بدون، ١٩٧٠

٩. الرئيس، محمد ضياء الدين - الخراج و النظم المالية للدولة الإسلامية - دار الأنصار - القاهرة، ط٤ ، ١٩٧٧ .
١٠. شريف دلاور- حتى لايسرق المستقبل- دار الطناني للنشر والتوزيع- القاهرة ط١، ٢٠١٤
١١. سمير أمين - الاقتصاد السياسي للتنمية للقرنين العشرين والواحد والعشرين - ترجمة فهيمة شرف الدين- دار الفارابي- بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢ .
١٢. عبد الرضا ، نبيل ، حول جولات التراخيص - الحوار المتمدن
١٣. عباس الفياض - بحث بعنوان " الفساد المالي والاداري في العراق وكيفية ومعالجته" - قدم في مؤتمر كلية الادارة والاقتصاد ، ة البصرة ، عام ٢٠١٣ ومنشور في مجلة الجامعة المحكمة.
١٤. عباس النصراوي- دفاعاً عن القطاع العام- منشور باللغة الأنكليزية - وجرت ترجمته في مجلة الثقافة الجديدة العراقية.
١٥. - كارل ماركس -رأس المال- المجلد الثالث -عملية انتاج رأس المال - ترجمة د. فالح عبد الجبار دار-الفارابي بيروت- لبنان، ٢٠١٣ .
١٦. - كبة، ابراهيم - دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي - مطبعة الارشاد- الطبعة الاولى- الجزء الاول- بغداد ١٩٧٠
١٧. لودفيج فون ميزس- السياسة الاقتصادية ، آراء لليوم والغد- ترجمة د. حازم نسيبه ، تدقيق فادي حدادين- الاهلية للنشر والتوزيع ، الاردن، ط١ ، ٢٠٠٧ ، ص ١٢٢
١٨. فلاديمير أليش لينين : الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية، بدون.
١٩. مجموعة مؤلفين - النفط والاستبدال، الاقتصاد السياسي للدولة الربعية معهد الدراسات الاستراتيجية - ط١ ، بغداد ، اربيل، بيروت، ٢٠٠٧ ؛ ومجموعة أخرى من الباحثين سآذكر بعض مصادرهم بالانكليزية للاستفادة.
٢٠. نعومي كلاين - عقيدة الصدمة ، صعود رأسمالية الكوارث - شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط٤ ، لبنان، ٢٠١٧
٢١. ولفالغ كاسير: البروفسور الفخري للاقتصاد في جامعة نيو ساوث ويلز البريطانية وزميل أقدم في مركز الدراسات المستقلة

المصادر الاجنبية:

- 1- Jeffrey D. Sachs and M. Warner, 'Natural Resoure Abundance and Economic Growth' NBER Working Paper; no. 5398. Nation Bureau of Economic Research. Cambridge. MA. December 1995. P. 39.
- 2-Throvalduer Gylfason, 'Natural Resources and Economic Growth; Whatis the Connection?' 'CESifo Working Paper; no. 530. Center for Economic Studies and IFO, Institute for Economic Research, Munich, August 2001, pp. 1-10.
- 3-Press Terry Lynn Karl, the Paradox of Plenty: Oil and Petro-State (Berkeley, CA: University of California, 1997
- 4-*Lenin, " Imperialism, the highest Stage of Capitalism" in Robert C Tucker, ed., the Lenin Antbology New York; W. W. Norton, (1975).
- 5-ecosociete- Montreal-Canada, 1998, P.62Cite par Michel Chussu Dovsky in La Mondialisation De La Pouvrete Ed

الرسوم والاشكال.

- * الرسم الافتراضي للدولة الريعية من عمل الدراسة – ينشر لأول مرة
- * اطار ١، ٢ من عمل الدراسة) مقارنة مختصرة لتجربتين عمليتين بشرح موسع في كتاب سينجز قريبا للمؤلف).
- * جدول البطالة : البنك الدولي، الأسكوا (٢٠١٦).
- * تقرير منظمة الشفافية الدولية لعام ٢٠١٦ ولاتختلف مكانة العراق في السنوات اللاحقة.

الحاجة إلى تشريع قانون لبيع فوائض المنتجات النفطية

د. محمد صباح علي

دكتور في القانون العام

مدرس القانون المالي والإداري

وزارة النفط - شركة توزيع المنتجات النفطية - هيئة الشؤون والاستشارات القانونية

- قسم العقود

Mohamedsabah290@gmail.com

الملخص:

أن تشريع قانون يحكم عملية بيع فوائض المنتجات النفطية؛ يعد ضماناً للثروة النفطية وتعزيز مواردها، بالإضافة إلى تعزيز دور الجهات التي تمارس نشاط البيع بتطبيق القانون، وامتداد ذلك للدور الرقابي أثناء عمليات الرقابة والتدقيق للعقود المبرمة، وأخيراً يعزز مبدأ المشروعية في أن يستند عمل الإدارة إلى القانون.

Summary.

The enactment of a law governing the sale of surplus petroleum products is a guarantee of oil wealth and the enhancement of its resources, in addition to strengthening the role of the entities practicing the selling activity by applying the law, and extending that to the supervisory role during the control and auditing processes of the contracts concluded, and finally strengthens the principle of legality in the administration's work based on the law.

المقدمة:

إذا كان استخراج النفط الخام وتصديره يعد مورداً أساسياً ومهماً من الموارد الاقتصادية الأساسية والمهمة للعراق؛ باعتباره الركيزة الأساسية الوحيدة التي يقوم عليها الاقتصاد العراقي، بالإضافة عما يرد من عائدات للمنتجات النفطية بعد تصفيتها وبيعها داخل السوق المحلي من منتجات نفطية تلبي حاجة الطلب العام، فإن الفائض من هذه المشتقات (النفثا- زيت الوقود) يشكل مورداً مالياً لا يستهان به عن طريق طلب السوق الداخلي والخارجي،

الغرض منه إعادة هذه الفوائض وجعلها صالحة للاستخدام بعد إضافته مواد لها تحسن من جودتها للاستعمال، حيث تحقق هذه الفوائض مبالغ مالية كبيرة أثناء بيعها داخل السوق المحلي أو التصديري، إذ لا يمكن للمصافي العراقية تكريرها مرة أخرى بسبب محدودية طاقتها وضعف الإمكانيات والتقنيات التي تمكنها من تصفيته، ويؤدي بقائها إلى أمرين؛ الأول ارتفاع الخزين وتوقف وحدات التكرير داخل المصافي، والثاني إعادة حقنه مع النفط الخام، وهذا ما يسبب للوزارة خسائر مالية كبيرة مما يدفع الوزارة إلى بيعها للأغراض المحلية والتصديرية، والسؤال الذي يطرح في هذا الشأن، ما هو القانون الذي يحكم بيع وتصدير هذه الفوائض النفطية؟ أن الإجابة على سؤالنا تكون غياب القانون الذي يحكم بيع فوائض المنتجات النفطية، حيث لا يوجد تشريع قانوني ينظم آلية بيع فوائض المنتجات النفطية لأغراض التصدير، وتتم مزاولة البيع وفقاً لأسعار النشرة العالمية المعتمدة لشهر البيع ويكون الفائز هو صاحب أوطاً حسم سعري من سعر النشرة العالمية، وهو ما جعلنا في حاجة إلى الدعوة إلى تشريع قانوني يضع آلية ثابتة لهذه الأنشطة، وينظم عملها، ويضعها بين نصوص قانونية تحكمها، وتسهل عمل السلطات الرقابية أثناء ممارسة عملها في الرقابة والتدقيق بعد عملية التعاقد.

أهمية البحث:

تنصب أهمية البحث من عدة جوانب منها، الجانب المالي المتأتي للشركات النفطية خاصة والوزارة عامةً من خلال تعظيم الموارد النفطية، فضلاً عن أن وجود تشريع قانوني لهذه الفوائض يعد من أحد جوانب الشفافية في العمل، بالنسبة للشركات المتعاقدة على الشراء، والإدارة، والأجهزة الرقابية، بالإضافة إلى تحديد السلطة التقديرية التي تمارس أثناء التعاقد ومنح الموافقات على الشراء.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في عدم وجود تشريع قانوني يحكم عملية بيع فوائض المنتجات النفطية، وعدم خضوع هذا النشاط إلى قانون محدد، فعلى سبيل المثال لا يمكن تطبيق تعليمات تنفيذ العقود الحكومية على هذا النوع من البيع كون أن التعليمات تختص بأساليب الشراء الذي تحصل الدولة على حاجتها بأقل الأسعار، بينما الفوائض (بيع) منتجات نفطية الأمر الذي يلزم تحقيق أعلى سعر للخزينة، بالإضافة إلى أن الأصل العام هو وجود قانون أو تعليمات أو ضوابط تحكم عملية البيع والشراء في تنظيم إي مرفق من مرافق الدولة، مما لا يمكن قبول ممارسة تلك العملية خارج نطاق التشريع والقانون.

أهداف البحث:

يتوخى البحث بيان الأهداف الآتية: -

- ١- مدى سريان تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم ٢ لسنة ٢٠١٤ على بيع فوائض المنتجات النفطية.
- ٢- مدى سريان قانون بيع وإيجار اموال الدولة على بيع فوائض المنتجات النفطية.
- ٣- مدى وضع قانون ينسجم مع هذا النوع من البيع بعد تحديد تكوين هذه الفوائض وانسجامها مع الوضع القانوني الأنسب.

منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج التحليلي القائم على دراسة وتحليل نتائج هذه الفوائض النفطية والتعامل معها على أساس أنها مصدر للطاقة يمكن الاستفادة منها للحاجة المحلية، أم أن إمكانية إعادتها غير مجدية ليتسنى لنا تحديد نظام قانوني معين، فمن خلال الاطلاع على عمليات الصناعة النفطية لعدد من الدول ومن بينها مجاورة للعراق، لم نجد عملية بيع فوائض منتجات نفطية، وهو ما أكده عدد من ذوي الاختصاص بأن تلك الفوائض تلجأ الدول إلى استخدامها بسبب صلاحيتها للاستعمال مرة أخرى.

تقسيم البحث:

قسم البحث إلى مقدمة وثلاثة مطالب مع خاتمة البحث التي تضمنت النتائج والتوصيات، وكالاتي:

المطلب الأول : مفهوم بيع فوائض المنتجات النفطية.

المطلب الثاني : اساليب بيع فوائض المنتجات النفطية.

المطلب الثالث : القانون الواجب التطبيق على بيع فوائض المنتجات النفطية.

المطلب الأول: مفهوم بيع فوائض المنتجات النفطية.

ان اي دراسة او بحث سواء كانت في مجال القانون او غيره من المجالات المتخصصة الأخرى لابد وان يتصدرها تحديد لمفهوم المصطلحات الأساسية التي تتناولها ، ذلك لان افتقار اي دراسة او بحث لمثل هذا التحديد قد يوقع المتلقي والقارئ في غموض وإبهام ، ومن هذا

المنطلق سنيين في هذا المطلب من البحث مفهوم بيع فوائض المنتجات النفطية في فرعين
نخصص الاول : لتعريف فوائض المنتجات النفطية ، أما الثاني لبيان أهمية بيع هذه الفوائض :

الفرع الاول: تعريف فوائض المنتجات النفطية.

يدخل النفط في مجالات متعددة من الحياة ويتم الاستفادة منه على نطاق واسع ، الا ان هذه
الاستفادة لا تتحقق بمجرد استخراجها من باطن الارض ، إذ لا بد من مروره بعمليات معينة حتى
يتم الحصول منه على مشتقات عديدة تدخل في استعمالات متعددة^١ ويطلق على هذه العمليات (
تكرير النفط) والتي يقصد بها مجموعة عمليات الهندسة الكيميائية والمرافق الأخرى
المستخدمة في مصافي النفط والتي يتم بها تحويل النفط الخام الى منتجات صالحة للاستخدام
كالغاز النفطي المسال ، الكازولين ، الكيروسين والوقود النفاث وغيرها ، اي هي عملية فصل
النفط الخام من الاملاح والغازات والمياه والشوائب التي تخرج معه اثناء استخراجها من الآبار
النفطية^٢ او هو اعادة ترتيب الجزيئات المكونة من الهيدروجين والكربون لتكوين مجموعات
تختلف عن تلك الموجودة في النفط الخام وتعد صناعة تكرير النفط من اهم الصناعات على
مستوى العالم ، وذلك لما ينتج عنها من مواد مكررة تدخل في استعمالات متعددة كالغاز ،
الكازولين ، الديزل وزيت الوقود ، كما وينتج عنها أيضا القائم للصناعات البتروكيمياوية وهي :
النافثا ، وغازات الإيثان والميثان وغيرها^٣.

يطلق على المنتجات التي يتم استخراجها من النفط الخام بعد عمليات تكريره بـ (
الفوائض النفطية) وهي كثيرة ومتنوعة كما بينا سابقا ، وتحتل أهمية اقتصادية كبيرة في
البلدان كافة ، وذلك لما تمثله من اساس يعتمد عليه قيام صناعات اخرى ولما يدره بيعها من
ارباح مالية هائلة للدول المنتجة لها ، وتعد (النافثا وزيت الوقود) من اهم الفوائض النفطية
في العراق ، ويتم انتاجها بكميات كبيرة في مصافي النفط.

وتعرف النافثا بأنها : عبارة عن قطعة التكرير الخفيفة والتي تشمل المواد
الهيدروكربونية وتعد من اهم منتجات التقطير وتستخدم لإنتاج البنزين للسيارات وبعض انواع
وقود الطائرات بالإضافة الى استخدامها كمادة اولية في الصناعات البتروكيمياوية الا ان هذه
المادة لا يمكن استخدامها كوقود للسيارات ما لم تمر بمرحلة ثالثة تعرف بعملية التهذيب والتي

١. د. نبيل جعفر عبد الرضا ، اقتصاد النفط ، ط١ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١١ ، ص١٢٧ .

٢ عمليات تكرير النفط ، بحث منشور على الموقع الالكتروني : <https://m.marefa.org>.

٣. د. نبيل جعفر عبد الرضا ، اقتصاد النفط ، المرجع السابق ، ص١٢٧ ، ص١٢٨.

ينتج عنها البنزين الصالح للاستعمال^١ كما وتعرف بانها البنزين الخام قبل معالجته كيميائيا اي قبل إضافة مواد أخرى له وتتخصص بإنتاجها المصافي البتروكيمياوية^٢.

أما زيت الوقود فيعرف بانه بقايا السائل البني الداكن بعد الانفصال عن النفط او منتجات اعادة تدوير البنزين والكيروسين والغاز النفطي وهو خليط من الهيدروكربونات وراتنجات النفط ويستخدم كوقود للسفن والمراجل والافران الصناعية^٣ ويتم انتاج هذا النوع من المنتجات النفطية في مصافي زيوت الوقود وتنصف بكونها منتجات خفيفة لا يمكن الاستفادة منها ما لم تمر بعمليات اخرى تجعلها صالحة لاستخدامات متعددة^٤.

الفرع الثاني: اهمية بيع فوائض المنتجات النفطية.

تتمثل اهمية بيع فوائض المنتجات النفطية في جانبين الاول: مالي والجانب الثاني هو الجانب الإنتاجي (الفاي) وهذا ما سنبحثه في فرعين من هذا المطلب نخصص الغول : لبيان الأهمية المالية ، والثاني للأهمية الإنتاجية :

اولا : الأهمية المالية:

ان لبيع المنتجات النفطية والفوائض الناتجة عنها اهمية كبيرة في اقتصادات الدول المتقدمة والنامية على حد سواء ، فالدول المنتجة للنفط ومشتقاته تحصل على عوائد تسهم في تمويل الموازنة العامة وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية بشكل مباشر وذلك عن طريق تصدير النفط ومشتقاته ، اما الدول المستهلكة فأنها تحقق عائدات ولكن بشكل غير مباشر حيث تحقق التنمية الاقتصادية والاجتماعية وذلك بطريق استخدام النفط الخام في انتاج السلع والخدمات التي تساهم في تحقيق تلك التنمية .

ويعتمد العراق في جانب كبير من اقتصاده على الإيرادات المتحصلة من بيع النفط الخام ومشتقاته، وذلك باعتباره بلدا ريعيا يقوم اقتصاده في الدرجة الاولى على بيع المنتجات النفطية وتوزيع العائدات على المواطنين من دون وجود نشاطات اخرى زراعية ، صناعية او غيرها ° وبناءا على ذلك فان بيع فوائض المنتجات النفطية وعلى وجه الخصوص (الناقتا وزيت

٤ علي حسين علي راشد وزينة عبد الرضا هادي وعصام علي شاه ، تحسين العدد الاوكتاني للكازولين بواسطة التحلل الضوئي ، مجلة البحوث والدراسات النفطية ، وزارة النفط ، مركز البحث والتطوير النفطي ، ص ٢ .

٢ د. نبيل جعفر عبد الرضا ، اقتصاد النفط ، مرجع سابق ، ص ١٢٩ .

٣ زيت الوقود المازوت ، بحث منشور على الموقع الالكتروني: تاريخ الزيارة ٢٠١٩/٧/٣٠ www. Kazkontrakt.kz

٤ د. نبيل جعفر عبد الرضا ، اقتصاد النفط ، مرجع سابق ، ص ١٢٩ .

٥ د. نبيل جعفر عبد الرضا و مصطفى عبدالله محمد ، المسارات العكسية للنفط العراقي ، ط ١ ، شركة الغدير للطباعة ، البصرة العراق ، ٢٠١٦ ، ص ٤١ .

الوقود) يحقق ارباحا تضاف الى ميزانية الدولة الى جانب الارباح التي يحققها بيع النفط الخام ، حيث قدر مجموع الايرادات التي حققها بيع فوائض المنتجات النفطية للمصافي كافة لعام (٢٠١٨) مبلغ قدره (٤١٠٥١٦٦٠٦,٤ \$) ، وذلك بحسب الإحصائية الإجمالية الصادرة من الهيئة المالية في (شركة توزيع المنتجات النفطية)^١.

ثانيا : ديمومة عمل المصافي:

تتمثل هذه الاهمية في ان بيع هذه الفوائض بعد استخراجها من النفط انما يؤدي الى تخفيف العبء على مصافي النفط والتي تتسم بصغر حجمها نسبيا ما يجعلها غير قابلة لخرن هذه الفوائض ، ذلك بالإضافة إلى عدم وجود صناعات بتروكيماوية متطورة في العراق يمكن الاستفادة من هذه الفوائض فيها^٢ ، كما أن عدم التخلص من هذه الفوائض يؤدي إلى حقنها في النفط ومن ثم التأثير على أسعاره في الأسواق العالمية، حيث من المعروف ان النفط الثقيل المشبع بالمنتجات والمشتقات الاخرى يكون اقل سعرا من النفط الخفيف الخالي من هذه المنتجات، ومن ثم يؤدي إلى انخفاض قيمته وقلة الطلب عليه، مما أدى بقيادة القطاع النفطي التوجيه بعدم حقن الفوائض في النفط الخام .

المطلب الثاني: اساليب بيع فوائض المنتجات النفطية.

ان لبيع الفوائض النفطية اسلوبان الاول: اسلوب المناقصة العامة ، اما الأسلوب الثاني فهو أسلوب التعاقد المباشر و سنوضح ذلك تباعا في فرعين من هذا المطلب :

الفرع الاول: المناقصة العامة.

حددت المادة الثالثة من تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم (٢) لسنة ٢٠١٤ اسلوب المناقصة العامة بالنص على ان تنفذ (بإعلان الدعوة العامة الى جميع الراغبين في المشاركة بتنفيذ العقود بمختلف انواعها ممن تتوفر فيهم شروط المشاركة ، وان تتسم الاجراءات بالعمومية والتنافسية والعدالة والعلنية والوضوح ومراعاة السقوف المالية المقررة في تعليمات تنفيذ الموازنة الاتحادية عند اعتماد هذا الاسلوب) حيث تعني المناقصة العامة مجموعة الاجراءات النظامية التي تهدف الى دعوة اكبر عدد ممكن من المناقصين لتقديم عطاءاتهم

^١ تحققت تلك الإرباح خلال استلام شركة توزيع المنتجات النفطية لنشاط تصدير فوائض المنتجات النفطية، فقد حققت من عدة عقود لبيع فوائض منتوج النفط من المصافي الشمالية استثمارية وحكومية مبلغ إجمالي وقدره (١٣١١٩٣٢٤,٢٠) \$ ومن منتوج زيت الوقود مبلغ إجمالي قدره (٧,١٤٧٦٣٧,٨٨) \$ ، بينما حققت في سنة ٢٠١٧ من إيراد منتوج النفط من مصفى كركوك (١٨٤٢٢٨٠١) \$.

^٢ د. نبيل جعفر عبد الرضا ، اقتصاد النفط ، مرجع سابق ، ص٢٢٢، ص٢٢٣.

وعروضهم تمهيدا لاختيار الانسب من بينها سواء تعلق ذلك بجودة المادة المطلوب شراؤها او بأسعارها او بقية الشروط الاخرى المتمثلة بالكمية ووقت التجهيز وشروط الدفع والتسليم وغيرها من الامور التي يكون لها تأثير مباشر او غير مباشر في اداء هذه الوظيفة الهامة من وظائف المنشأة^١ يتم بيع فوائض النفط من (النافثا وزيت الوقود) وفقا لهذا الاسلوب حيث يكون البيع بدعوة عامة يتم الاعلان عنها في الصحف المحلية متضمنة فقرات تحدد شروط شركات النفط يلتزم الفائز بالمناقصة بها والتي تحال على صاحب او طأ حسم سعري والذي يمثل اعلى الاسعار^٢ ليتم بعد ذلك اجراء التعاقد معه وتجهيزه بالكميات المحددة من الفوائض النفطية خلال مدة العقد مع اعتماد اسعار النشرة العالمية لأسعار النفط (plats)^٣ ورغم ما يتميز به اسلوب المناقصة العامة من مميزات تتمثل بتأمين انجاز هذه المعاملات من خلال عدة اجراءات يغلب عليها طابع الشفافية قد لا تتلاءم احيانا مع بيع تلك الفوائض في حالات السرعة التي تتطلب التدخل العاجل عند ارتفاع الخزين في المصافي وتوقف وحدات التكرير والتي قد لا تسعف بالسير نحو تطبيق اجراءات وشروط التعاقد المنصوص عليها في تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم (٢) لسنة ٢٠١٤، ويسجل البعض على عملية التصدير تحفظ يقود إلى السلبية، وهي اعطاء مهمة تصدير هذه الفوائض للأفراد العاديين او الشركات المحلية بدلا من ان تتولاها الدولة ممثلة بوزارة النفط كونه يحقق ارباحا اكثر ويكون فرصة لبناء تعاون بين العراق والدولة الاخرى ، او استثمارها في صناعات وتحويلها لمنتجات يمكن الاستفادة منها بدلا من استيرادها من خارج العراق وهو منتج لموادها الاساسية^٤.

الفرع الثاني: اسلوب التعاقد المباشر.

يتم بيع فوائض المنتجات النفطية وفقا لهذا الاسلوب بناء على تعاقدات مباشرة تتم بين الشركات النفطية ممثلة بمدراءها مع الشركات النفطية المتخصصة وتحدد شركات النفط وفقا لهذا الاسلوب بنود العقد ، وذلك من حيث مدة العقد والسعر الذي يتم به البيع وكذلك الالتزامات المترتبة على طرفي العقد ومن مميزات هذا الاسلوب انه يتعامل مع الوضع الحرج في المصافي لتلافي ارتفاع الخزين وتعطيل وحدات التكرير داخل المصفى، إلا ان هذا الاسلوب لا

١ (يوسف مصطفى كمال ، تعريف المناقصة ، منشور على الموقع الالكتروني: [HTTPS:// HRDISCUSSION.COM](https://hrdiscussion.com)

٢ كتاب شركة توزيع المنتجات النفطية رقم ٦٥٨٣٢ في ١٨/١٢/٢٠١٨

٣ كتاب شركة توزيع المنتجات النفطية ٧٧٢٧ في ١٧/١٢/٢٠١٨

١ يراجع في ذلك تقرير ديوان الرقابة المالية الاتحادي، والمتضمن تقويم اداء وزارة النفط للحد من استيراد المشتقات النفطية والخطط الموضوعية لزيادة الانتاج محليا للسنوات (٢٠١٠-٢٠١١-٢٠١٢-٢٠١٣)، ص١٧ وما بعدها. حيث كان الأجدر بذلك إعطاء تلك الرخصة ولحالات محددة لمجلس إدارة الشركة بناء على حرجة وجسامة الموقف الذي يدعي السير بهذا الأسلوب من التعاقد كون أن الشركات النفطية تتخذ غالبية قراراتها عن طريق مجالس ادارتها ينظر في ذلك الفقرة (٧) من المادة ثالثا من تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم (٢) لسنة ٢٠١٤.

يعمل على اطلاقه فهو محدد لحالات طارئه يستحيل معها قيام جهة التعاقد بالجوء إلى طرق المناقصة، كما انه يكون مقرون بموافقة الوزير الشخصية، ومن سلبياته انه لا يقدم افضل الاسعار التي تقدمها المنافسة العامة، لأنها تحال على الشركة بنفس الاسعار السائدة في المنطقة ذات التعاقد السابق، ومهما يحقق هذا الاسلوب من مميزات إلا انه يبقى ومن وجهة نظرنا مرفوض كونه يعد استثناء على الاصل، كونه لم يطبق وفق ما معمول به في تعليمات تنفيذ العقود الحكومية^١ هذا من جهة ومن جهة أن السير بهذا الاسلوب من التعاقد يكون مدعاة شك أمام الجهات الرقابية .

المطلب الثالث: القانون الواجب التطبيق على بيع فوائض المنتجات النفطية.

ان عدم وجود تشريع قانوني ينظم عملية بيع فوائض المنتجات النفطية والسلبيات المترتبة على اتباع اساليب المناقصة العامة والتعاقد المباشر احد اهم الاسباب التي تدعو الى ايجاد قانون يحكم عمليات البيع هذه وكذلك دراسة مدى امكانية تطبيق اي من القوانين الاخرى على هذه البيوع وعلى وجه الخصوص تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم / ٢ لسنة ٢٠١٤ او قانون بيع وايجار اموال الدولة رقم / ٢١ لسنة ٢٠١٣ وهذا ما سنبحثه تباعا في الفرعين التاليين ليكون الاول : مدى امكانية تطبيق تعليمات تنفيذ العقود الحكومية والثاني لبيان مدى تطبيق قانون بيع وايجار اموال الدولة :

الفرع الاول: مدى امكانية خضوع بيع فوائض المنتجات النفطية لتعليمات تنفيذ العقود الحكومية.

صدرت هذه التعليمات في عام ٢٠١٤ وكان الهدف منها حل الازباك الذي كانت عليه التعاقدات العامة في العراق منذ عام (٢٠٠٣) ولغاية عام (٢٠٠٥) حيث لم يكن في العراق اي قانون او تعليمات تنظم العملية التعاقدية بشكل صحيح ومتكامل باستثناء امر سلطة الائتلاف المنحلة رقم (٨٧) لسنة ٢٠٠٤ وقد مرت هذه التعليمات بمراحل من التعديل وذلك لأجل معالجة المعوقات التي رافقت هذه التعليمات وتهيئة البيئة الاستثمارية الرصينة الجاذبة للمستثمرين^٢ والمتتبع لهذه التعليمات يجد بانها تسري على اربعة انواع من العقود هي :

2 يراجع في ذلك تقرير ديوان الرقابة المالية الاتحادي، والمتضمن تقويم اداء وزارة النفط للحد من استيراد المشتقات النفطية والخطط الموضوعية لزيادة الانتاج محليا للسنوات (٢٠١٠-٢٠١١-٢٠١٢-٢٠١٣)، ص ١٧ وما بعدها.

^٢ وزارة التخطيط، دائرة العقود الحكومية، تعليمات تنفيذ العقود الحكومية والضوابط الملحق بها، الطبعة المنقحة، تموز، ٢٠١٧، الفقرة (٧) من المادة (ثالثا) من تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم (٢) لسنة ٢٠١٤.

١. عقود الاشغال (المقاولات) ٢. عقود تجهيز السلع ٣. عقود الخدمات الاستشارية ٤. عقود الخدمات غير الاستشارية^١.

وبإمعان النظر على ما جاء بالفقرة (٣) من تعليمات تنفيذ العقود الحكومية والمستوحاة من قانون المناقصات والمزايدات المصري ومن بعده قانون تنظيم التعاقدات التي تبرمها الجهات العامة رقم ١٨٢ لسنة ٢٠١٨^٢، انه اجاز للشركات العامة والتي لا تسري عليها تعليمات تنفيذ العقود العامة بالتعاقد خارج اسلوب المناقصة ، واعتماد الصلاحيات والمهام والمنصوص عليها في النظام الداخلي المقر للشركة، مثل عقود التسويق وعقود الاستثمار مع الاخذ بنظر الاعتبار التشريعات القانونية ذات الصلة، وتجدر الاشارة هنا إلى أن مهام تسويق النفط منشطة لشركة التسويق(سومو) ووجود هذه الفقرة قد يعطيها ممارسة نشاطها مع بيع النفط الخام وأي عمل تصدير يلحق به، ولكن قد لا يكون القياس صحيح على شركة نفطية أخرى إلا بعد اعتماده في النظام الداخلي للشركة، والملاحظ أن اطلاق عملية التصدير لا تنطبق على تصدير فوائض المنتجات النفطية وسواء مارست من قبل شركة التسويق أو شركة أخرى كون الأثنين لم تمارس نشاط التصدير بالمعنى الفعلي والحقيقي، حيث تتم العملية بالاستعانة بالشركات المحلية المتقدمة للشراء ومن ثم تلزم هذه الشركات بتصدير المنتجات. ونرى أن وصف العملية بالبيع هي الأكثر دقة مع الإجراءات المتبعة.

صفوة القول هنا عدم امكان سريان التعليمات على عقود البيع التي تجريها مؤسسات الدولة لغرض بيع منتجاتها كونها قد وردت على سبيل الحصر وبالتالي عدم امكان تطبيقها على بيع فوائض المنتجات النفطية الذي تقوم به شركات النفط لاغراض تصديرها ، وذلك لعدم ورود هذا النوع من البيوع في هذه التعليمات .

الفرع الثاني: مدى سريان قانون بيع وايجار اموال الدولة رقم ٢١ لسنة (٢٠١٣) على بيع الفوائض النفطية.

ان الغاية من تشريع قانون بيع وايجار اموال الدولة هو المحافظة على اموال الدولة وتحقيق المصلحة العامة وذلك من خلال بيعها بموجب احكام معينة تسري عليها تحقيقا للعدالة والشفافية في العمل وقد حدد القانون الاموال التي يجوز بيعها وهي الاموال المنقولة وغير

وزارة التخطيط ، دائرة العقود الحكومية ، تعليمات تنفيذ العقود الحكومية والضوابط الملحة بها ، الطبعة المنقحة ، تموز ، ٢٠١٧ وردت هذه العقود في (المادة ١ / اولا من تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم ٢ لسنة ٢٠١٤ . ١ .
٢ وردت هذه العقود في (المادة ١ / اولا) من تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم ٢ لسنة ٢٠١٤ واجاز قانون المناقصات والمزايدات المصري لمجلس الوزراء ووزارتي الدفاع والداخلية التعاقد خارج اسلوب المناقصة في التعاقدات التي تستلزم اتباع شروط خاصة والواردة في عقود التسليم.

المنقولة العائدة للدولة كالاراضي والعقارات حيث يجوز للدولة التصرف باموالها ببيعها او استغلالها وذلك بايجارها والحصول على العوائد المالية من ذلك ، ولم يرد ضمن القانون اي ذكر لبيع فوائض النفط وذلك على اساس وجوب وجود قانون يعالج هذا الموضوع وبالتالي عدم امكان خضوع هذه البيوع لقانون بيع وايجار اموال الدولة .

كما ان احد اسباب عدم امكان تطبيق هذا القانون على بيع الفوائض النفطية هو ان القانون المذكور اوجب في المادة (الثانية) منه على ان يكون بيع وايجار اموال الدولة بناء على موافقة الوزير او رئيس الجهة غير المرتبطة بوزارة او اي منهما^١ ، و لو تحقق هذا الامر لا يمكن تطبيقه على بيع فوائض النفط ، لعدم سرية احكام قانون بيع وايجار اموال الدولة على هذا النوع من البيوع، إذ باللجوء إليه يكون هناك تعارض بين احكام القوانين، فضلا عن آلية تحديد اسعار البيع ، غير أن عن عدم تحقق سعر معين للمنتوج عند البيع بطريق المزايمة يلزم الإدارة بعدم البيع واعادة المزايمة ، ولا ينسجم الموقف عند حصول اختناقات وارتفاع مستوى الخزين التي تتطلب اجراءات سريعة لا تحتمل التأخير والتي قد تتعارض مع اجراءات البيع عن طريق قانون بيع وايجار اموال الدولة.

الخاتمة:

بعد الانتهاء من دراسة عملية بيع فوائض المنتجات النفطية بتحليل عناصرها نسجل مجموعة من النتائج والتوصيات التي نأمل من المشرع العراقي والجهات المختصة الاخذ بها وذلك لسد القصور التشريعي القائم:

النتائج:

١. ان بيع فوائض المنتجات النفطية يحقق العديد من المزايا لعل اهمها الارباح المالية التي تعود على الدولة حيث تمثل الايرادات الناتجة عنها موردا مهما من موارد الخزينة العامة ، بالإضافة الى المرونة الانتاجية المتمثلة بتجنب حقن او ابقاء هذه المواد في النفط لما يؤدي اليه من انخفاض سعره وعدم وجود الطاقة الاستيعابية للمصافي العراقية للإبقاء عليها .
٢. يجري بيع هذه الفوائض وفقا لأسلوبان هما المناقصة العامة والتعاقد المباشر ولكل منهما مزايا تتمثل بسرعة انجاز هذه المعاملات وتخليص المصافي العراقية منها ، اما العيوب فتمثلت بغياب تدخل الدولة بصورة مباشرة في تصدير هذه المنتجات لما يعود

^١ ينظر المادة (١) والمادة (٢) من قانون بيع وايجار اموال الدولة رقم (٢١) لسنة ٢٠١٣.

عليها ذلك من ارباح طائلة اضافة الى امكانية قيام تعاون بينها وبين غيرها من الدول في المجالات كافة .

٣. عدم امكان تطبيق تعليمات تنفيذ العقود الحكومية على هذه البيوع لكونها مخصصة للشراء وكذلك قانون بيع وايجار اموال الدولة، وذلك لعدم ورود ذكر لهذه البيوع فيه.

المقترحات:

١. ضرورة تولي الدولة بيع الفوائض النفطية عن طريق اقامة مزادات متخصصة؛ لما لذلك من اهمية في زيادة الارباح واقامة علاقات مع الدول الاخرى، كما يجنب الدولة عمليات التهريب واستخدامها لأغراض غير مشروعة.
٢. ضرورة اقامة صناعات بتروكيماوية قائمة على هذه المنتجات وتحويلها الى منتجات صالحة للاستخدام (كالبنزين) بدلا من أنفاق مبالغ طائلة لاستيرادها.
٣. ضرورة تشريع قانون لتنظيم عملية بيع الفوائض النفطية تنظم عملية البيع وتحكم النزاعات الناشئة عنها؛ تحقيقا للشفافية في العمل وتعظيم إيرادات الوزارة والخزينة العامة للدولة ، ولئن الأهمية تتمثل بخضوع جميع اعمال الوزارات والهيئات الى الرقابة سواء من قبل مجلس النواب او من قبل ديوان الرقابة المالية، وحيث ان عدم وجود قانون لتنظيم هذا الموضوع يشكل نوع من الاربك للوزارة امام الهيئات الرقابية المذكورة وذلك من حيث وجوب وجود قانون يسند عملية البيع هذه والاجراءات الواجب تطبيقها ، كما ان وجود مثل هذا القانون يعد دعامة اساسية لتحقيق مبدأ المشروعية المتمثل بوجوب خضوع جميع اعمال الادارة للقانون، فضلا عما يخلقه الاخير من طمأنينة للموظف المختص بالعمل.

تأثير تقلب الصادرات والواردات على سعر الصرف

”دراسة قياسية لحالة الجزائر خلال الفترة (2005-2015)”

Effect of volatility of exports and imports on the exchange rate
A standard study of the case of Algeria during the period (2005-2015)

د. جمال مساعدي

أ.د. شريف غياط

عضو بمخبر التنمية الذاتية والحكم الراشد

مدير مخبر التنمية الذاتية والحكم الراشد

جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ قالة، الجزائر

المسخلص:

هذه الدراسة هي محاولة في البحث عن مدى تأثير سعر صرف الدينار الجزائري، والذي يرجع بالأساس لعدة جوانب من جراء تذبذب التجارة الخارجية، من خلال بناء نموذج قياسي بصيغة (ARDL) وذلك نظرا لصغر حجم عينة الدراسة واحتوائها على متغيرين فقط يمثلان الصادرات والواردات، التي يغلب طابعها في الجزائر على صادرات المحروقات، التي يتجاوز في غالب الأحيان عائداتها من النقد الأجنبي (٩٨%). حيث تباع بالدولار.

وبالتالي لا دخل للدينار الجزائري في صفقات بيع البترول والذي يظل بعيدا في هذا الشأن. أما وارداتها فتعرف بأنها مواد أساسية لا يستطيع المواطن الاستغناء عنها، وهذان السببان قد يساهمان في تدهور قيمة سعر صرف الدينار الجزائري.

كلمات مفتاحية: التبادل التجاري، سعر الصرف، الصادرات، المرونة، النقود.

Abstract:

This study is an attempt to search for the impact of the Algerian dinar exchange rate, which is mainly due to several aspects due to the fluctuation of foreign trade, by building a standard model in the form of (ARDL) due to the small size of the study sample and it contains only two variables representing exports and imports, which dominate Its nature

in Algeria is based on hydrocarbon exports, which often exceed its foreign exchange earnings (98%). Where it is sold in dollars.

Therefore, the Algerian dinar has no income in the sale of oil, which remains remote in this regard. As for its imports, it is defined as basic materials that the citizen cannot do without, and these two reasons may contribute to the deterioration of the value of the Algerian dinar exchange rate.

Key words: trade, exchange rate, exports, flexibility, money.

أ. مقدمة:

يواجه الاقتصاد الجزائري تحديا صعبا، مرده إلى اقتصار هذا الأخير على اعتماد قطاع المحروقات بصورة شبه كلية في تغطية مدفوعات الوطن دون غيره من القطاعات. وذلك راجع إلى محدودية مصادر تحصيل العملة الصعبة، إن لم نقل انعدامها باستثناء صادرات المحروقات، خاصة في فترات الانكماش العالمي، التي يصاحبها تراجع الطلب على المحروقات. مما يؤدي إلى تراجع مستويات أسعاره في الأسواق الدولية، ومن ثم تدني عوائد البلد النفطية، وهو ما يتسبب في تراجع قيمة جانب الصادرات دون تراجع كميتها، ما يؤدي بدوره إلى هدر طاقة أو مادة أولية بأقل من قيمتها الحقيقية، وذلك بغية التخفيف من حدة العجز الناتج عن عدم تراجع قيمة الواردات، التي تعد بدورها متغير مستقل، لا يخضع لأسعار المحروقات نظرا لتركيبية واردات الجزائر، التي تعرف بأنها عبارة عن مواد استهلاكية غير مرنة وضرورية من جهة، وانخفاض العائد من الصادرات بسبب تراجع أسعارها من جهة أخرى.

وكما هو معروف، فإنه في حالة ما إذا كانت كل من قيمة وكمية الواردات في ثبات، وقيمة الصادرات في تراجع مع ثبات كمياتها، فإن هذا يترجم بانخفاض أسعار السلعة المحلية دون أسعار نظائرها من السلع الأجنبية، ووفق نظريات التبادل التجاري الدولي، فإن هذا يؤدي إلى زيادة كمية الإنتاج المحلي لأجل الاستفادة من قيام التجارة الدولية والحفاظ على التوازن الخارجي ولو على حساب الوضع الداخلي المتمثل في زيادة التضحية بطاقة إضافية. لكن مع الوضعية الاستثنائية والخاصة، التي تسود تجارة المحروقات.

فإنه لا مجال لزيادة الإنتاج المحلي وذلك احتراماً للمواثيق الدولية (منظمة أوبك) التي خصت سوق النفط دون غيرها بشروط تتمثل في تخصيص حصص لكل دولة لا يمكن الخروج عنها. هنا يكمن المشكل، بحيث إذا انخفضت أسعار الصادرات لا يمكن الرفع في كمياتها للتعويض، وبالتالي التوجه بالميزان التجاري نحو العجز، الذي يصاحبه تدني الطلب على العملة الوطنية من العالم الخارجي مسبباً تراجع في سعر الصرف.

ب. الإشكالية:

تأسيساً على ما تقدم، وبغرض الوقوف على أهم الأسباب، التي من شأنها التأثير على سعر صرف الدينار الجزائري على وجه الخصوص، بالإمكان طرح التساؤل الرئيس التالي:

- كيف يتأثر سعر صرف الدينار الجزائري بتغير الصادرات والواردات في الأجلين الطويل

والقصير؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية الأسئلة التالية:

- هل تذبذب قيمة الصادرات وقيمة الواردات يؤثر على سعر الصرف؟
- هل الجوانب التي تتحكم في سعر صرف الدينار الجزائري هي عامة وتتحكم في جميع عملات العالم؟

ت. فرضيات الدراسة:

لأجل البحث والخوض في موضوع الدراسة، والإجابة على الإشكالية الرئيسية وكذا الأسئلة الفرعية السالفة الذكر، تم تبني الفرضية التي مفادها:

- في ظل الانفتاح على العالم الخارجي، يتأثر سعر الصرف بحجم وحركة كل من الصادرات والواردات، ومن أجل الوصول بسعر الصرف إلى للمعدل المنشود يستوجب على الدولة الجزائرية الدفع بصادراتها نحو الارتفاع، أو السعي وراء إدخال الدينار الجزائري كوسيط في عملية بيع المحروقات.

ولتبسيط الفرضية الرئيسية، بالإمكان تبني الفرضيات الجزئية التالية:

- ✓ تذبذب قيمة الصادرات لا يؤثر على سعر الصرف لعدم تواجد وساطة الدينار فيها.
- ✓ الواردات أهم عامل يتحكم في تواصل تدني قيمة الدينار الجزائري.

ث. أهمية الدراسة:

تأتي هذه الدراسة في محاولة لتوصيف وضع أو حالة سعر صرف الدينار الجزائري كمتغير تابع لمتغيرات مستقلة (الصادرات والواردات)، وذلك بالاعتماد على الصياغة الرياضية وتحليلها، حيث أنه ونظرا لتدني سعر صرف عملة الدينار الجزائري (DZD) فإنه من المهم الإحاطة بالأسباب، التي لا تزال تبقي على هذا الأخير، أي الدينار في أدنى مستويات سلم العملات الأجنبية.

ح. أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مفهوم الصرف ومنه البحث في تحليل إشكالية التذبذب في التجارة الخارجية الجزائرية أو بالأحرى تشخيص التذبذب في هذا النمط التجاري من حيث الصادرات والواردات، والذي بدوره يؤدي إلى تغير سعر صرف الدينار الجزائري. وبالتالي محاولة معرفة مختلف الوضعيات، التي بإمكانها التأثير على سعر الصرف.

ج. منهج وهيكل الدراسة:

تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، استنادا لطبيعة موضوع البحث، الذي يتماشى وهذا المنهج. وذلك بالاعتماد على المعلومات والنشرات والدراسات والدوريات العلمية ومصادر المعلومات الالكترونية (الانترنت) المتوفرة.

ونظراً لأهمية الدراسة، فقد تم تقسيمها إلى محورين رئيسيين، حيث شمل المحور الأول: تأثير تغير معدلات التبادل التجاري الدولي على سعر الصرف، بينما عالج المحور الثاني: دراسة قياسية لتأثر سعر الصرف بتغير الصادرات والواردات الجزائرية خلال الفترة (٢٠٠٥-٢٠١٥)

د. الدراسات السابقة:

- دراسة محمد رتول بعنوان، "تحولات الدينار الجزائري وإشكالية التخفيضات المتتالية وفق نظرية أسلوب المرونات"، والتي تمحورت حول أسلوب المرونات المتبع في سياسات التعديل الهيكلي والقاضي بتخفيض العملة المحلية لزيادة الصادرات وتخفيض الواردات، ومن ثم قام بإسقاط هذا الأسلوب على الاقتصاد الجزائري.

وقد خلصت الدراسة، إلى أن الجزائر استفادت كثير من تطبيق سياسة التخفيض والاقتراب من الوصول إلى سعر صرف موحد، والذي من شأنه دفع نمو الاقتصاد، وتوصلت كذلك إلى أنه من أجل الحفاظ على التوازن يجب عقلنة عملية الاستدانة، والعمل على تحسين عملية المشاركة

وجلب الاستثمارات الأجنبية وتشجيع أصحاب الأموال الجزائريين، على استثمار أموالهم داخل الوطن.

لكن بعد مرور زمن نلاحظ أن سعر الصرف في السوق الموازي يتعد رويدا رويدا عن السعر الرسمي وذلك رغم تبني سياسة التخفيض المتتالي، وكذلك نلاحظ أنه لا جدوى من جلب الاستثمارات الأجنبية دون حنكة وخبرة التفاوض مع المستثمر الأجنبي، بحيث أصبحت المنفعة من الاستثمار الأجنبي تصب في صالح الشركات العالمية وعلى حساب البلدان المستضيفة.

- دراسة اويابة صالح، أثر التغير في سعر الصرف على التوازن الاقتصادي - دراسة حالة الجزائر (١٩٩٠-٢٠٠٩)، حيث قامت هذه الدراسة على تحليل تأثير سعر الصرف على التوازن الاقتصادي الداخلي والخارجي.

وقد خلصت إلى أنه ومن أجل تحقيق التوازن الداخلي والخارجي، يجب المزج بين السياسات الداخلية وسياسة الصرف لتحقيق الاستقرار داخليا والتوازن خارجيا. ومن أجل الحفاظ على الاستقرار في وضع التوازن، يجب بناء دعامة للاقتصاد تمكنه من المنافسة خارج المحروقات، وإعطاء أهمية لسياسة الصرف، وتنويع القاعدة الإنتاجية لتفادي الصدمات خاصة البترولية. وهذه الدراسة كانت خلاصة لحالة الاقتصاد العامة، بحيث شابها العموم ولم تتعمق وتشرح جانب سعر الصرف، بحيث بقيت تدور حول الوضع العام للاقتصاد الوطني.

- دراسة عبد الحميد مرغيث، سياسة سعر الصرف في ظل مسار الانتقال في الاقتصاد الجزائري، إن هذه الدراسة تقوم على فكرة تثبيت سعر الصرف مع دولة لديها نظام صرف قوي واقتصادها قوي لأجل التحكم في التضخم، أو التركيز على سعر الصرف الحقيقي لأجل استخدامه كعنصر من عناصر تشجيع الإنتاج المحلي وتقييد المنتجات المستوردة المنافسة وذلك عبر تخفيض قيمة العملة تدريجيا وتقريبها من السعر الموازي لسعر الصرف. لكن الملاحظ أنه رغم كل التخفيضات، التي قامت بها وتقوم بها الدولة الجزائرية في سعر صرفها، إلا أن الفارق بين السعر الحقيقي والسعر الموازي يتباعد، ورغم أن الجزائر لم تعوم الدينار كلياً، إلا أن معدلات التضخم في نمو وتزايد من سنة إلى أخرى.

اجمعت هذه الدراسات، على أن سعر الصرف له دور كبير في الاقتصاد. ويؤثر تأثيرا بالغا خصوصا لما يتعلق الأمر بميزان المدفوعات، وعلاقة التبادل التجاري للبلد مع الاقتصاد العالمي، ورغم أن جل هذه الدراسات أبرزت الدور الذي يلعبه سعر الصرف، إلا أنها لم توليه بدراسة كمتغير تابع يجب التحكم فيه، والتغلغل فيه أكثر بالتحليل، وإنما اقتصرت الدراسات

السابقة على إبراز الدور المهم لسعر الصرف دون الوقوف عند أهميته حقا ودراسة تأثيره بالاقتصاد الوطني لا تأثيره فيه.

ولذلك سيتم في هذه الدراسة التركيز على سعر الصرف كمتغير تابع، والإضفاء المزيد من التحليل المعمق للأسباب التي تجعل من سعر الصرف يتذبذب، أو يتراجع كما هو حال الدينار الجزائري.

المحور الأول: تأثير تغير معدلات التبادل التجاري الدولي على سعر الصرف

في هذا الجزء من البحث يتم التطرق لمختلف الوضعيات التي تأخذها حالة صادرات وواردات البلد وعلاقته بالعالم الخارجي، التي من شأنها التأثير في سعر الصرف نظريا لكن قبل ذلك، لا بأس من التعرض لمفهوم عملية الصرف.

بحيث يمكن تعريف الصرف على أنه: "عبارة عن عملية تظهر عندما يتم تبادل مختلف العملات فيما بينها"^١. ويتم التبادل وفق معدل، وهذا المعدل بدوره يعرف بسعر الصرف. وبالرجوع للتجارة الخارجية، فإنها ولا ريب تنتج من سلوكي: الاستيراد والتصدير. ومن خلال هذين السلوكين يكون أي اقتصاد ملزم بالتعامل مع الاستيراد والتصدير بعملة وطنية اتجاه عملات أخرى لإتمام الصفقات. وهذا ما يستوجب القيام بإجراءات الصرف، والذي يتم وفق معدل بين العملات ويتأثر بمقدار الطلب والعرض على إحدى هذه العملات الناتج عن مقدار الصادرات والواردات.

١.١. تأثير التغير في الميزان التجاري على سعر الصرف

تعد الصادرات الجانب الايجابي من ميزان التجارة، لما يتعلق الأمر بسعر الصرف وتؤثر تأثيرا كبيرا على رصيد ميزان المدفوعات وبذلك "ينتقل هذا الأثر من خلال أثر تذبذب حصيللة الصادرات على العملات الأجنبية المتاحة للدولة، وذلك باعتبار أن تيارات دخول وخروج رؤوس الأموال وعوائدها تؤثر على ميزان المدفوعات. فلما يفوق تيار خروج الأموال للاستثمار في الخارج في فترة ما، تيار دخول عوائد الاستثمار بالخارج، فإن هذا يشكل ضغطا عليه"^٢. وبهذا تتغير قيمة صادرات وواردات كل بلد مخلفة ورائها أثارا على سعر صرفها، قد ترفع منه وقد تخفض فيه. "فحين ما ترتفع قيمة الصادرات نسبة إلى الواردات، ستنتج قيمة العملة

^١ لطرش الطاهر، تقنيات البنوك، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ط ٦، 2007، ص ٩٥

^٢ الجوزي جميلة، ميزان المدفوعات الجزائري في ظل انضمام الجزائر إلى المنظمة العالمية للتجارة، مجلة الباحث، جامعة ورقلة، العدد ١١، سنة ٢٠١٢، ص ٢٢٩.

لارتفاع نتيجة لتزايد طلب الأجانب على هذه العملة، وسيعمل ذلك على تشجيع الاستيراد من الخارج، مما يؤدي إلى عودة حالة التوازن إلى سعر الصرف^١، وهذا في حالة ما إذا كان هذا الأخير أي سعر الصرف منخفض بمعنى أن هناك حالتين؛

الحالة الأولى: تأثير التغير في قيمة الصادرات على سعر الصرف: في حالة زيادة الصادرات فإنها تساعد على الزيادة والرفع من معدل الصرف، أما إذا انخفضت فلا تأثير لها.

الحالة الثانية: تأثير التغير في قيمة الواردات على سعر الصرف: خلاف على ما قيل سابقا، حيث أنه إذا زادت الواردات، فإنها تخفض من معدل سعر الصرف، والعكس إذا انخفضت فلا تأثير لها.

إلا أنه في غالب الأحيان، عندما تزيد الصادرات، يقابلها انخفاض الواردات والعكس. إذا فالتغير في حجم وقيمة الصادرات طردي مع سعر الصرف، أما تغير قيمة وحجم الواردات فإنه عكسي مع تغير سعر الصرف.

٢,١. تأثير مرونة الصادرات والواردات على سعر الصرف

لا ريب في أن سعر الصرف قد يتأثر من خلال تفاوت مرونة الطلب على الصادرات وكذا مرونة الطلب على الواردات وذلك في حالة أن تكون إحدهما أكبر من الأخرى.

أ. التأثير من خلال مرونة الطلب على الواردات: في حالة ما إذا كانت مرونة الواردات كبيرة مع ثبات مرونة الصادرات فإن "الطلب المحلي سيحاول البحث عن مواد محلية بديلة عن الواردات التي ارتفعت أسعارها"^٢.

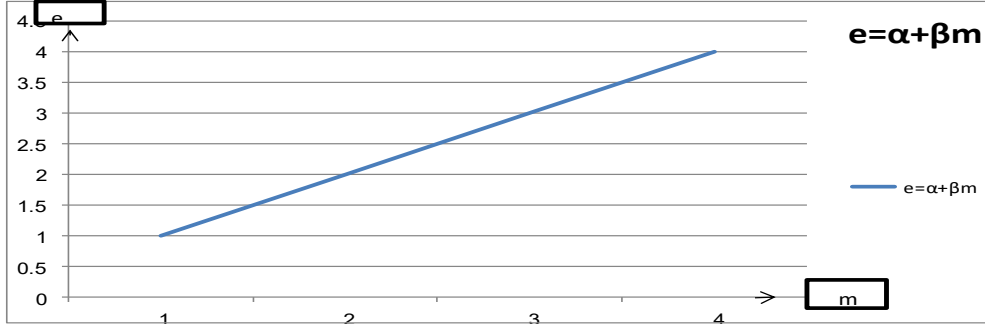
وبذلك يتغير سعر الصرف بمعامل انحدار طردي مع معامل مرونة الطلب على الواردات، وهذا وفق النظرية الاقتصادية والمنطق الاقتصادي. وهذا يعني أنه في حالة ارتفاع

١. ناصري نفيسة، أثر سعر الصرف على جذب الاستثمارات الأجنبية المباشرة في البلدان النامية - دراسة حالة الجزائر، مذكرة ماجستير غير منشورة في العلوم الاقتصادية، تخصص مالية وبنوك، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، دفعة ٢٠١١، ص ٦٨.

٢. الساعدي صبحي حسون وإياد حماد عبد، أثر تخفيض سعر الصرف على بعض المتغيرات الاقتصادية مع التركيز على انتقال رؤوس الأموال في بلدان مختارة، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الاقتصادية والإدارية، المجلد ٤، العدد ٧، سنة ٢٠١١، ص ٩٠.

مرونة الطلب على الواردات يرتفع معدل سعر الصرف، أما في حالة انخفاض معامل مرونة الطلب على الواردات ينخفض معدل سعر الصرف. وبالتالي يكون شكل المنحنى كما يلي:

الشكل رقم (١): تأثير مرونة طلب الواردات على سعر الصرف



المصدر: من إعداد الباحثين بالاستناد إلى الخلفية النظرية

انطلاقاً من التمثيل البياني أعلاه يمكن صياغة النموذج القياسي المناسب، على شكل ارتباط خطي بسيط، بالإمكان التعبير عنه رياضياً بالصيغة أو القاعدة الرياضية التالية:

$$1) \dots (..e_i = \alpha + \beta m_i + \mu_i$$

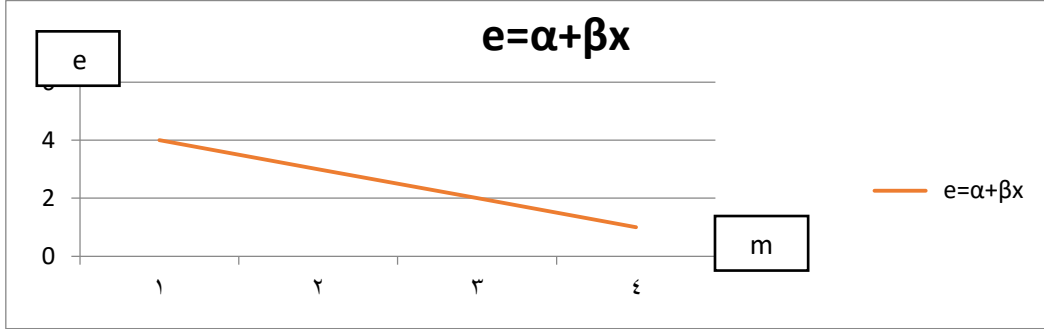
علماً وأن:

- $i = 1 \dots n$
- m : الواردات وهي عبارة عن المتغير المستقل.
- α : سعر الصرف الابتدائي.
- β : الميل الحدي للواردات أو معامل الانحدار.
- e : سعر الصرف وهو المتغير التابع.
- μ : انحراف سعر الصرف المقدر على سعر الصرف الفعلي لأسباب عشوائية أو خارجية.

ب. التأثير من خلال مرونة الطلب على الصادرات: في حالة ما إذا كانت مرونة الصادرات كبيرة مع ثبات مرونة الواردات، هذا يعني أنه بمجرد ارتفاع أسعار الصادرات يقل الطلب عليها وتكون غير مستقرة، وذلك ما يدعو إلى العزوف على طلب هذه الصادرات وبذلك يتغير سعر

الصرف بمعامل انحدار عكسي مع معامل مرونة الطلب على الصادرات طبقا للنظرية الاقتصادية والمنطق الاقتصادي، أي أنه في حالة ارتفاع معامل مرونة الطلب على الصادرات، ينخفض معدل سعر الصرف، أما في حالة انخفاض مرونة الطلب على الصادرات يرتفع معدل سعر الصرف. وعليه يكون شكل المنحنى كالتالي:

الشكل رقم (٢): تأثير مرونة طلب الصادرات على سعر الصرف



المصدر: من إعداد الباحثين بالاستناد إلى الخلفية النظرية

على ضوء ما تم توضيحه بيانياً في الشكل أعلاه، يمكن كذلك صياغة النموذج القياسي المناسب في صورة انحدار خطي بسيط، يعبر عنه بالعلاقة الرياضية التالية:

$$e_i = \alpha + \beta x_i + \mu_i \quad \dots (02)$$

علماً وأن:

- $n \dots \dots 1 = i$
- x : الصادرات وهي عبارة عن المتغير المستقل.
- α : سعر الصرف الابتدائي.
- β : الميل الحدي للصادرات أو معامل الانحدار وفي هذه الحالة إشارته سالبة.
- e : سعر الصرف وهو المتغير المستقل.
- μ : مقدار انحراف الصادرات المقدر على الصادرات الفعلية لأسباب عشوائية أو خارجية.

٣,١. تأثير جنسية كل من عملة الصادرات والواردات والمواد الأولية على سعر الصرف

يمكن معرفة حساسية تغير سعر الصرف عندما تكون الصادرات تباع بعملة غير العملة المحلية، وأيضا فيما إذا كانت المواد الأولية الداخلة في الإنتاج الوطني أجنبية أم محلية.

أ. **تبعات بيع الصادرات بالعملة الأجنبية على سعر الصرف:** يتم بيع الصادرات في الغالب مقابل العملة الوطنية لأنها تباع داخل البلد، لكن يوجد استثناءات فقد يتم بيع الصادرات بالعملة الأجنبية دون دخول العملة الوطنية في إتمام صفقة البيع. وفي هذا الاستثناء نميز حالتين هما.

أولاً: حالة ارتفاع حجم الصادرات: في هذه الحالة لا يتأثر سعر الصرف، وذلك لعدم وجود العملة الوطنية كوسيط للمبادلة، ومن ثم فارتفاع حجم الصادرات قد يؤثر فقط على سعر الصرف، عندما تكون الصادرات تباع بالعملة الوطنية ويؤدي ذلك إلى ارتفاع سعر الصرف.

ثانياً: حالة انخفاض حجم الصادرات: في هذه الحالة لا يتأثر سعر الصرف، وذلك لعدم وجود العملة الوطنية كوسيط للمبادلة، ومن خلال ذلك فانخفاض حجم الصادرات، قد يؤثر فقط على سعر الصرف، عندما تكون الصادرات تباع بالعملة الوطنية، إذ ينتج عن ذلك انخفاض سعر الصرف.

ب. **تبعات شراء الواردات بالعملة الوطنية على سعر الصرف:** يتم شراء الواردات في الغالب بالعملة الأجنبية لأنها تباع خارج البلد، لكن يوجد استثناءات، حيث قد يتم شراء الواردات بالعملة الوطنية دون دخول العملة الأجنبية في إتمام صفقة الشراء، وفي هذا الاستثناء توجد أيضا حالتان هما.

أولاً: حالة ارتفاع حجم الواردات: في هذه الحالة لا يتأثر سعر الصرف، وذلك لعدم وجود العملة الأجنبية كوسيط للمبادلة، ومن خلال ذلك فارتفاع حجم الواردات قد يؤثر فقط على سعر الصرف، عندما تكون الواردات تشتري بالعملة الأجنبية، وهو ما يؤدي إلى انخفاض سعر الصرف.

ثانياً: حالة انخفاض حجم الواردات: في هذه الحالة لا يتأثر سعر الصرف، وذلك لعدم وجود العملة الأجنبية كوسيط للمبادلة، وبالتالي فانخفاض حجم الواردات، قد يؤثر فقط على سعر الصرف عندما تكون الواردات تشتري بالعملة الأجنبية، وهو ما يؤدي إلى الحد من انخفاض سعر الصرف.

ج. **جنسية المواد الأولية كمؤثر في سعر الصرف:** قد يؤثر مصدر المواد الأولية الداخلة في الإنتاج على سعر الصرف، وهذا بالنسبة للمنتوج الموجه للتصدير أكثر منه للسوق المحلي. حيث

أنه إذا كانت المواد الأولية أجنبية فإنها تؤدي إلى "زيادة عرض العملة المحلية في السوق العالمية وبمرور الوقت يؤدي إلى تخفيض قيمة تلك العملة، وزيادة الإنتاجية تؤدي إلى انخفاض التكاليف، مما يؤدي إلى تحسين الوضع التنافسي، دخول الاستثمارات الجديدة تؤدي إلى زيادة الطلب على العملة المحلية ومن ثم ارتفاع قيمتها"^١، وهنا يتم التمييز بين وضعيتين:

أولاً: المواد الأولية الداخلة في العملية الإنتاجية محلية: في حالة ما إذا كانت المواد الأولية الداخلة في العملية الإنتاجية محلية، فإن المنطق الاقتصادي يستنبط أنه كلما كانت المواد الأولية الداخلة في العملية الإنتاجية مصدرها وطني فإنها لا تؤثر على سعر الصرف.

ثانياً: المواد الأولية الداخلة في العملية الإنتاجية أجنبية: إذا ما كانت المواد الأولية الداخلة في العملية الإنتاجية أجنبية فإن المنطق الاقتصادي يستنبط أنه إذا ما تغير سعر الصرف سيكون وفق معادلة انحدار ليست خطية لأنها تعتمد على الإيراد الحدي، الذي يعتمد عليه المنتجون المحليون من جراء استيراد المواد الأولية، لأجل بيعها أيضاً لكن بسعر صرف منخفض أيضاً، ومتغيره الداخلي سعر الصرف، أما متغيرة الخارجي أو المستقل هو محصلة الميزان التجاري، وهذا يعني أنه:

- عند زيادة المواد الأولية المستوردة، يتأثر سعر الصرف في حالة ما إذا كان الفرق الحاصل على المواد الأولية المستوردة أكبر من الفرق الحاصل في تكلفة الصادرات حيث سينخفض سعر الصرف.
- أما إذا كان الفرق الحاصل على المواد الأولية المستوردة أقل من الفرق الحاصل في تكلفة الصادرات، فإن سعر الصرف سيرتفع. أي أن:

$$\begin{cases} \Delta p > \Delta x \\ \Delta p, \Delta x > 0 \end{cases} \Rightarrow \Delta e < 0$$

$$\begin{cases} \Delta p < \Delta x \\ \Delta p, \Delta x > 0 \end{cases} \Rightarrow \Delta e > 0$$

ومن ثم فالنموذج، يكون متعددًا وليس بسيطًا، ويمكن كتابته على النحو الآتي:

^١ مورديخي كريانين، الاقتصاد الدولي مدخل السياسات، (ترجمة محمد إبراهيم منصور وعطية علي مسعود)، دار المريخ للنشر، الرياض ٢٠٠٧، ص ٢٦٥.

$$\Delta e_i = \alpha + b_1 \Delta p_i + b_2 \Delta x_i + u_i \quad \dots (03)$$

علما أن:

— Δp : التغير في تكلفة المواد الأولية المستوردة.

— Δx : التغير في تكلفة الصادرات.

— Δe : التغير في سعر الصرف.

- عند انخفاض أو خفض المواد الأولية المستوردة، يتأثر سعر الصرف في حالة ما إذا كان الفرق الحاصل على المواد الأولية المستوردة أكبر من الفرق الحاصل في تكلفة الصادرات، حيث سيرتفع سعر الصرف. أما إذا كان الفرق الحاصل على المواد الأولية المستوردة أقل من الفرق الحاصل في تكلفة الصادرات، فإن سعر الصرف سينخفض. وهو ما يمكن التعبير عنه بالمتراجحات التالية:

$$\begin{cases} \Delta p > \Delta x \\ \Delta p, \Delta x < 0 \end{cases} \Rightarrow \Delta e > 0$$

علما أن:

— Δp : التغير في تكلفة المواد الأولية المستوردة.

— Δx : التغير في تكلفة الصادرات.

— Δbc : التغير في محصلة الميزان التجاري.

— Δe : التغير في سعر الصرف.

٤,١. تأثير التغير في تكاليف الإنتاج المحلية على سعر الصرف

مع افتراض ثبات تكاليف الإنتاج والأسعار في الخارج، فإن ارتفاع تكاليف الإنتاج المحلي ومن ثم ارتفاع أسعاره في السوق المحلية يؤدي إلى إحداث أثر تحويلي في سلوك المستهلك المحلي^١.

^١ . الحمزاوي محمد كمال، سوق الصرف الأجنبي، منشأة المعارف جلال حزي وشركائه، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص ٤١.

وفق هذا الطرح نميز حالتين، إحداهما ارتفاع التكاليف والأخرى انخفاضها على المستوى المحلي.

أ. ارتفاع تكاليف الإنتاج المحلية: يعني هذا عزوف المستهلك عن المنتجات المحلية، نظرا لارتفاع أسعارها نتيجة لارتفاع تكاليف إنتاجها، وبالتالي التوجه إلى السلع الأجنبية وبالمقابل قلة الصادرات، ومن ثم زيادة الطلب على العملة الأجنبية وزيادة المعروض من العملة الوطنية في السوق العالمية، وهذا مؤداه انخفاض سعر الصرف.

ب. انخفاض تكاليف الإنتاج المحلية: يعني هذا إقبال المستهلك على المنتجات المحلية، نظرا لانخفاض أسعارها نتيجة لانخفاض تكاليف إنتاجها. وبالتالي العزوف عن السلع الأجنبية وبالمقابل زيادة الصادرات، ومنه زيادة الطلب على العملة الوطنية وزيادة المعروض من العملة الأجنبية في السوق العالمية، وهذا مؤداه ارتفاع سعر الصرف.

٥,١. تأثير التغير في الدخل الحقيقية على سعر الصرف

يتأثر سعر الصرف استجابة لتغير الدخل سواء المحلي أو الدخل في العالم الخارجي بحيث أنه "يختلف الأمر في حالة تغير الدخل الحقيقي في الدول عن حالة تغير الدخل الحقيقي في دولة أخرى. فمع بقاء العوامل الأخرى على ما هي عليه، نجد أن زيادة الدخل القومي الحقيقي يؤدي إلى زيادة وارداتها، الأمر الذي يتوقف بدوره على مرونة الواردات بالنسبة للدخل".^١

ووفق هذا المدخل نجد وجهين، إما زيادة الدخل المحلية مقارنة مع دخول الدول ذات الرابطة التجارية، أو العكس زيادة الدخل الحقيقية للدول الأخرى مقارنة بالدخول المحلية.

أ. زيادة الدخل الحقيقية المحلية: من شأنها أن تؤثر على سعر الصرف، فكلما كانت مرتفعة، فكر الفرد في السياحة والسلع الأجنبية، ما يجعل الطلب على العملة الأجنبية يزيد. وبذلك ينخفض سعر الصرف، أي أنه تربطها علاقة عكسية مع سعر الصرف.

ب. زيادة الدخل الحقيقية الأجنبية: من شأنها أن تؤثر على سعر الصرف، فكلما كانت مرتفعة فكر الفرد الأجنبي في السياحة والسلع المحلية، ما يجعل الطلب على العملة المحلية يزيد وبذلك يرتفع سعر الصرف، أي أنه لديها علاقة طردية مع سعر الصرف.

المحور الثاني: دراسة قياسية لتأثر سعر الصرف بتغير الصادرات والواردات الجزائرية للفترة (٢٠١٥-٢٠٠٥)

١. نفسه، ص ٤٢.

للقوف على حقيقة تأثير كل من الصادرات والواردات على سعر صرف الدينار الجزائري، سنقوم بقياس الظاهرة من خلال المنهج القياسي.

١,٢. بناء النموذج وصياغة الفرضيات

بهدف الوقوف على معرفة تأثير سعر الصرف، جراء تغير الصادرات والواردات الجزائرية خلال الفترة (٢٠٠٥-٢٠١٥) تم بناء النموذج الموالي، بحيث أن سعر الصرف يتغير بتغير الصادرات والواردات وفق الدالة التالية، نموذج (كوب دوجلاس) مع الإشارة إلى أن احتمال الخطأ المسموح به في هذه الدراسة هو في حدود (٥%)

$$e_i = \alpha ex_i^{\beta_1} im_i^{\beta_2} e^{\mu_i} \dots (04)$$

وبإدخال اللوغاريتم على طرفي المعادلة يصبح النموذج من الشكل التالي:

$$\ln e_i = \ln \alpha + \beta_1 \ln ex_i + \beta_2 \ln im_i + \mu_i \dots (05)$$

حيث أن:

- e : سعر الصرف
- α : ثابت أو سعر الصرف الابتدائي الغير مفسر من طرف المتغيرات المستقلة الممثلة في الواردات والصادرات
- ex : الصادرات
- im : الواردات
- μ : البواقي

ولأجل التحقق من هذا النموذج واختباره وفقا لطريقة المربعات الصغرى، وجب اختبار الفرضيات التالية:

- الأمل الرياضي للبواقي يساوي الصفر

$$\begin{cases} H_0 : \text{فرض العدم} \\ H_1 : \text{الفرض البديل} \end{cases}$$

- لا وجود لارتباط ذاتي بين الأخطاء

$$\begin{cases} H_0 : \text{فرض العدم} \\ H_1 : \text{الفرض البديل} \end{cases}$$

- تباين الأخطاء غير مرتبط بالزمن

$$\begin{cases} H_0 : \text{فرض العدم} \\ H_1 : \text{الفرض البديل} \end{cases}$$

- البواقي تخضع للتوزيع الطبيعي

$$\begin{cases} H_0 : \text{فرض العدم} \\ H_1 : \text{الفرض البديل} \end{cases}$$

٢,٢. الاختبارات الإحصائية

للقيام بالاختبارات الإحصائية يجب المرور على المراحل التالية:

أولاً: حد الخطأ:

$$\begin{cases} H_0 : \text{فرض العدم} \\ H_1 : \text{الفرض البديل} \end{cases}$$

الجدول رقم (١): إحصائية معلمات النموذج

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
LIM	0.160240	0.068208	2.349299	0.0467
LEX	-0.306877	0.109306	-2.807512	0.0229
C	4.950205	0.484878	10.20918	0.0000
R-squared	0.597721	Mean dependent var	4.327563	
Adjusted R-squared	0.497151	S.D. dependent var	0.114228	
S.E. of regression	0.081001	Akaike info criterion	-1.961712	
Sum squared resid	0.052489	Schwarz criterion	-1.853195	
Log likelihood	13.78942	Hannan-Quinn criter.	-2.030117	
F-statistic	5.943351	Durbin-Watson stat	0.707736	
Prob(F-statistic)	0.026188			

المصدر: من إعداد الباحثين بواسطة برنامج EViews 8

من خلال الجدول يتبين أن إحصائية كل من:

$$lim = 0.0467 < 0,05$$

$$lex = 0.0229 < 0,05$$

$$c = 0.0000 < 0,05$$

وتبعاً لهذه النتائج نرفض فرضية العدم ونقبل الفرضية البديلة، هذا ويتبين من الجدول أن النموذج إحصائياً مقبول: لأن كل معاملات النموذج أقل من 0,05.

ثانياً: الارتباط الذاتي بين الأخطاء

$$\begin{cases} H_0 : \text{فرض العدم} \\ H_1 : \text{الفرض البديل} \end{cases}$$

يمكن الحصول على إحصائية (F) من خلال الجدول الموالي:

الجدول رقم (٢): إحصائية (F)

Breusch-Godfrey Serial Correlation LM Test:

F-statistic	3.879722	Prob. F(2,6)	0.0829
Obs*R-squared	6.203295	Prob. Chi-Square(2)	0.0450

المصدر: من إعداد الباحثين بواسطة برنامج EViews 8

الجدول أعلاه يوضح قيمة (F) حيث أن: $f = 0.0829 > 0,05$ ، لذا نرفض فرضية العدم ونقبل الفرضية البديلة، مع الملاحظة أن الأخطاء لا ترتبط ذاتياً فيما بينها.

ثالثاً: ارتباط تباين الأخطاء عبر الزمن

$$\begin{cases} H_0 : \text{فرض العدم} \\ H_1 : \text{الفرض البديل} \end{cases}$$

الجدول رقم (٣): الإستقرارية

Heteroskedasticity Test: ARCH

F-statistic	0.017228	Prob. F(1,8)	0.8988
Obs*R-squared	0.021489	Prob. Chi-Square(1)	0.8835

Test Equation:
 Dependent Variable: RESID^2
 Method: Least Squares
 Date: 11/14/16 Time: 00:52
 Sample (adjusted): 2006 2015
 Included observations: 10 after adjustments

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	0.005000	0.002920	1.712552	0.1252
RESID^2(-1)	0.049608	0.377943	0.131257	0.8988
R-squared	0.002149	Mean dependent var	0.005194	
Adjusted R-squared	-0.122582	S.D. dependent var	0.007524	
S.E. of regression	0.007972	Akaike info criterion	-6.648846	
Sum squared resid	0.000508	Schwarz criterion	-6.588329	
Log likelihood	35.24423	Hannan-Quinn criter.	-6.715233	
F-statistic	0.017228	Durbin-Watson stat	1.853854	
Prob(F-statistic)	0.898813			

المصدر: من إعداد الباحثين بواسطة برنامج EViews 8

من خلال الجدول يتبين أن إحصائية كل من:

$$f = 0.8988 > 0,05$$

$$Obs R-squared = 0,8835 > 0,05$$

$$Resid 2(-1) = 0.8988 > 0,05$$

بما أن كل المعلمات أكبر من 0,05، فإنه لا يوجد ارتباط لتباين الأخطاء عبر الزمن. وللتأكد من ذلك نظيف الاختبار التالي:

الجدول رقم (٤): مجال الثقة للبواقي

Correlogram of Residuals					
Date: 11/14/16 Time: 00:17					
Sample: 2005 2015					
Included observations: 11					
Autocorrelation	Partial Correlation	AC	PAC	Q-Stat	Prob
1	0.512	0.512	3.7498	0.053	
2	0.077	-0.251	3.8440	0.146	
3	-0.265	-0.269	5.0976	0.165	
4	-0.318	-0.035	7.1641	0.127	
5	-0.309	-0.179	9.4445	0.093	
6	-0.344	-0.315	12.834	0.046	
7	-0.091	0.191	13.132	0.069	
8	0.046	-0.148	13.233	0.104	
9	0.141	-0.110	14.644	0.101	
10	0.052	-0.091	15.033	0.131	

المصدر: من إعداد الباحثين بواسطة برنامج EViews 8

يتضح من خلال الجدول أن إحصائية كل من:

$$Q\text{-Stat} = 15.33$$

$$X^2 = 18.30$$

$$Q\text{-Stat} < X^2$$

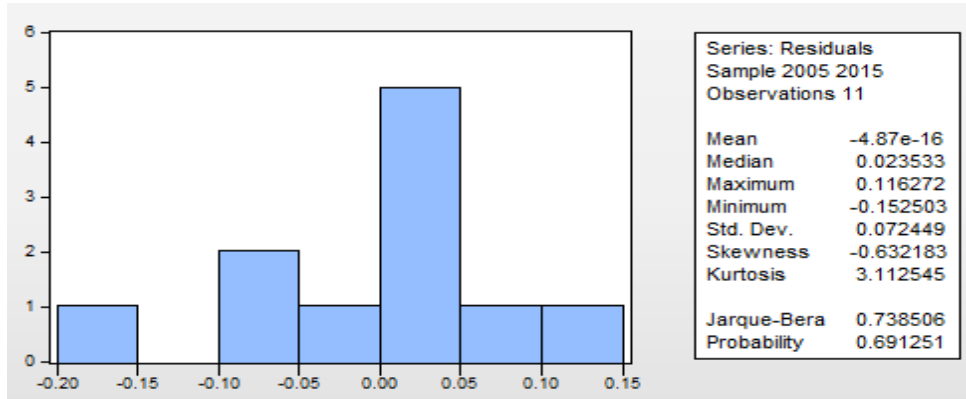
لذا فإنه ومن الجدول السابق وبالضبط في جزئية البيان، نلاحظ أن كل الملاحظات داخل مجال الثقة، إذا لا وجود لاتجاه عام ولا وجود لارتباط تبيان الأخطاء عبر الزمن. وبالتالي تباين البواقي ثابت عبر الزمن، ومنه ترفض فرضية العدم وتقبل الفرضية البديلة. أي أن السلسلة مستقرة عبر الزمن.

رابعاً: توزيع البواقي

$$\begin{cases} H_0 : \text{فرض العدم} \\ H_1 : \text{الفرض البديل} \end{cases}$$

من خلال مخرجات البرنامج وضمن البيان التالي يمكن معرفة طبيعة توزيع البواقي.

الجدول رقم (٣): توزيع البواقي



المصدر: من إعداد الباحثين بواسطة برنامج EViews 8

يظهر من البيان أن توزيع البواقي، يتوزع أو ينتشر حول قيمة تمثل الوسط، ومن جزئية الجدول نلاحظ أن إحصائية ($Jarque\text{-}Bera > 0,05$). وبالتالي فإن توزيع البواقي هو توزيع طبيعي، ومن ثم نرفض فرض العدم ونقبل الفرض البديل. أي أن توزيع البواقي يخضع للتوزيع الطبيعي.

وعليه فكل الاختبارات الإحصائية للنموذج مقبولة، وبالتالي يتم قبول النموذج إحصائياً واعتماده بعد قبوله اقتصادياً.

٣,٢. تقدير النموذج

يتم تقدير النموذج من خلال مخرجات البرنامج، كما هو موضح في الشكل التالي:

الشكل رقم (٤): نموذج سعر الصرف بدلالة الصادرات والواردات المقدر

```

Estimation Command:
=====
LS LE LIM LEX C

Estimation Equation:
=====
LE = C(1)*LIM + C(2)*LEX + C(3)

Substituted Coefficients:
=====
LE = 0.160240410399*LIM - 0.306877195626*LEX + 4.95020466756
    
```

المصدر: من إعداد الباحثين بواسطة برنامج EViews 8

بعد التأكد من الاختبارات الإحصائية والتي تجيب عن الفرضيات، التي تبني عليها الدراسات المستخدمة لطريقة المربعات الصغرى، تم القيام بتقدير نموذج شعاع الانحدار الذاتي بين كل من سعر الصرف كمتغير تابع والصادرات والواردات كمتغيرين مستقلين.

وكان النموذج المحصل عليه كما يلي:

$$\ln e_i = 4.9502 - 0.3068 \ln ex_i + 0.1602 \ln im_i \quad \dots\dots (06)$$

٤,٢. اختبار للنموذج

يتم اختبار النموذج من خلال مخرجات البرنامج، كما هو موضح في الجدول التالي:

الجدول رقم (٥): معامل التحديد ومعامل الارتباط

Dependent Variable: LE	
Method: Least Squares	
Date: 11/13/16 Time: 21:52	
Sample: 2005 2015	
Included observations: 11	
Variable	Coefficient
LIM	0.160240
LEX	-0.306877
C	4.950205
R-squared	0.597721
Adjusted R-squared	0.497151

المصدر: من إعداد الباحثين بواسطة برنامج EViews 8

نلاحظ من خلال الجدول، أن معامل التحديد المصحح في النموذج كبير، حيث قدر بـ ٠,٤٩٧. وهذا يعني أن معامل الارتباط يقدر بـ ٠,٧٠٤٩، أي أن تأثير الصادرات والواردات على سعر الصرف يقدر بـ ٧٠,٤٩%، والباقي المقدر بـ ٢٩,٥١% هي تأثير متغيرات لم تأخذ بعين الاعتبار في هذه الدراسة. وهو ما يفسر ويدل على قوة العلاقة بين الصادرات والواردات وسعر الصرف، بمعنى أنها علاقة قوية جدا.

5.2. تحليل النتائج

كما سبق وأن ذكرنا، لدينا النموذج من الشكل الآتي:

$$\ln e_i = 4.9502 - 0.3068 \ln ex_i + 0.1602 \ln im_i \dots (07)$$

علما وأن العلاقة، التي تمت دراستها هي على سلسلة سعر الصرف، التي تبين واحد دولار مثبتة وما يقابلها من الدينار. معنى ذلك أنه كلما زاد سعر الصرف، دل ذلك أو عبر عن زيادة الدولار مقابل الدينار. وبالتالي فالنموذج الذي يعبر عن علاقة سعر صرف الدينار مع الصادرات والواردات هو ذو تفسير عكسي للتفسير الاقتصادي للنموذج، بحيث نلاحظ أنه:

- عند زيادة قيمة اللوغاريتم للصادرات الجزائرية بوحدة واحدة، فإن اللوغاريتم لسعر صرف الدولار الأمريكي ينخفض بـ ٠,٣٠٦٨، وهذا يعني أن سعر صرف الدينار يزيد، لأن انخفاض الدولار يعني زيادة الدينار.
 - عند زيادة قيمة اللوغاريتم للواردات الجزائرية بوحدة واحدة، فإن اللوغاريتم لسعر صرف الدولار الأمريكي يزيد بـ ٠,١٦٠٢، وهذا يعني أن سعر صرف الدينار ينخفض لأن زيادة الدولار تعني انخفاض الدينار.
- وهذا يتماشى مع النظرية الاقتصادية، حيث أن زيادة الصادرات وانخفاض الواردات يؤدي إلى ارتفاع سعر الصرف، والعكس زيادة الواردات وانخفاض الصادرات يؤدي إلى انخفاض سعر الصرف.

الخاتمة:

تأسيسا على ما تقدم من شروحات وتحليل طيلة هذه الدراسة، نخلص القول إلى أن سعر الصرف مؤشر مهم، يعبر عن مكانة واقتصاد البلد في التجارة الدولية. وهذا يترجم الوضع

الاقتصادي للجزائر، حيث يلاحظ أن معظم القطاعات، التي من شأنها تحسين قيمة الدينار لم تبصر النور بعد، أي لم تشهد أي تطور أو نمو، مثل قطاع السياحة وقطاع الصناعة وقطاع الفلاحة، الشيء الوحيد الموجود والمتوفر والذي من شأنه تحسين قيمة الدينار هو المحروقات، وذلك لو كانت تباع بالدينار.

إذا أن الأوان لإعادة النظر في اتفاقيات منظمة أوبك (OPEC) واتفاقيات دفع مبيعات البترول، وإلا فإن الدينار الجزائري لن يعرف التحسن في سعر صرفه على المدى القصير والمتوسط في ظل هكذا ظروف.

النتائج المتوصل إليها:

لعل من أهم النتائج المتوصل لها عبر هذه الدراسة، ما يمكن حوصلته في الآتي:

- زيادة صادرات الجزائر تؤدي إلى تحسن سعر الصرف، وهذا منطقي ويتماشى مع النظرية الاقتصادية. لكن للأسف الجزائر لا تستطيع الزيادة من حجم صادراتها وتنويعها في ظل اعتمادها على قطاع واحد، وهو قطاع المحروقات.
- انخفاض الواردات يؤدي إلى تحسن سعر الصرف، وهذا ما يتماشى مع النظرية الاقتصادية ويعود ذلك إلى أن تراجع الواردات ليس بسبب إحلالها بمنتجات محلية، بل بسبب تراجع الصادرات وتبني سياسات التقشف، وهذا منطقي.
- الطلب على صادرات الجزائر مرن لأنه يفسر بسعر البترول، وهو يساهم في تدهور قيمة الدينار وذلك لاعتماد الجزائر على قطاع واحد في الصادرات. وهي لا تستطيع السيطرة والتحكم في أسعاره، بل لا تتبع صادراتها بالدينار، وهذا ما من شأنه ترك فراغ وعدم الطلب على الدينار في سوق النقد الأجنبي.
- الطلب على الواردات ليس مرن وذلك لاحتمية الواردات بالنسبة للفرد الجزائري، وذلك لعدم قدرة البلد على تحقيق الأمن الغذائي، وهذا بدوره عامل من العوامل التي تساهم في تدهور قيمة الدينار.
- بيع الصادرات بعملة غير عملة الدينار، يعد سبب انحطاط سعر صرف الدينار، وهذا من أهم وأكبر الأسباب التي تعرقل تحسن قيمة الدينار.
- الموقع الجغرافي وعلاقات الجوار أثرت سلبا على قيمة الدينار، وذلك لمقارنة الوضع المعيشي الأفضل بالنسبة للفرد الجزائري مقارنة بجيرانها، وهو ما يدفعه للسياحة، مما

يجعله يطلب العملة الأجنبية ويزيد عرض الدينار الجزائري. وهذه الظاهرة من شأنها المساهمة في تخفيض قيمة الدينار.

المقترحات:

- على ضوء ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج، بالإمكان أن نقترح ما يلي:
 - تحسين قيمة الدينار الجزائري، تستوجب استحداث سبل جديدة لبيع صادرات الجزائر بالدينار سواء كانت محروقات، أو خلق قاعدة إنتاجية معدة أصلا للتصدير لتنوع هيكل التصدير.
 - المنتجات الأساسية غير مرنة، ما يستدعي عدم الاعتماد على التوريد لتغطية الحاجات الأساسية، والتي تعود بالأثر السلبي على قيمة الدينار. وهذا يستوجب تنوع القاعدة الإنتاجية للبلد وتحقيق الأمن الغذائي.
 - يجب وضع وخلق بيئة مواتية لاستقطاب الأجانب الأوروبيين، بغية جلب العملة الصعبة وخلق طلب على الدينار لتحسينه.
 - لرد اعتبار الدينار الجزائري إلى ما مضى من حقبة كان فيها أعلى من الفرنك الفرنسي، يستوجب الأمر خلق سلعة جزائرية تطلب دوليا، وبالتالي يكون الطلب على الدينار، ومنه يرتفع سعر صرفه أمام باقي العملات.
 - ومن حيث طابع الاقتصاد الجزائري الذي يعتبر اقتصاد وحدوي، يعتمد على قطاع المحروقات؛ وبالتالي الطلب الخارجي يقتصر على المحروقات، ولذلك يجب وضع مقترحات، واتفاقيات تضمن بيع المحروقات بالدينار لأجل خلق طلب عليه، وجعله ذو معنى في سوق العملات الأجنبية.
 - من أكبر الأسباب، التي تضعف وتخفف قيمة الدينار هي اعتماده على الاستيراد في غالبية السلع الأساسية كالغذاء والدواء، واللباس. وبالتالي الدفع بالدينار إلى سوق العملة وذلك ما يجعل عرضه أكبر من الطلب عليه باستمرار، ومن ثم مواصلة طريقه في الانخفاض. لذلك يتطلب الوضع خلق إنتاج محلي يحل مكان الواردات، لكبح الضغط الموجه نحو الدينار.

قائمة المراجع:

١. لطرش الطاهر، تقنيات البنوك، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ط ٦، 2007.
٢. الجوزي جميلة، ميزان المدفوعات الجزائري في ظل انضمام الجزائر إلى المنظمة العالمية للتجارة، مجلة الباحث، جامعة ورقلة، العدد ١١، سنة ٢٠١٢.

٣. ناصري نفيسة، أثر سعر الصرف على جذب الاستثمارات الأجنبية المباشرة في البلدان النامية – دراسة حالة الجزائر، مذكرة ماجستير غير منشورة في العلوم الاقتصادية، تخصص مالية وبنوك، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، دفعة ٢٠١١.

٤. الساعدي صبحي حسون وإياد حماد عبد، أثر تخفيض سعر الصرف على بعض المتغيرات الاقتصادية مع التركيز على انتقال رؤوس الأموال في بلدان مختارة، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الاقتصادية والإدارية، المجلد ٤، العدد ٧، سنة ٢٠١١

٥. موردخاي كريانين، الاقتصاد الدولي مدخل السياسات، (ترجمة محمد إبراهيم منصور وعطية علي مسعود)، دار المريخ للنشر، الرياض ٢٠٠٧

٦. الحمزاوي محمد كمال، سوق الصرف الأجنبي، منشأة المعارف جلال حزي وشركائه، الإسكندرية، ٢٠٠٤،

الملاحق:

تطور كل من الصادرات، الواردات، وسعر الصرف للفترة (٢٠١٥-٢٠٠٥)

السنوات	2010	2009	2008	2007	2006	2005
الصادرات (بمليار دولار)	49.94	40.5	79.1	63.3	57	48.8
الواردات (بمليار دولار)	34.8	34.3	39.1	31.6	25.2	24.8
سعر الصرف USD/DZD	74.38	72.64	64.58	69.29	72.64	73.27
السنوات	2015	2014	2013	2012	2011	
الصادرات (بمليار دولار)		37.7	62.6	65.7	66	72.9
الواردات (بمليار دولار)		51.5	58.3	55	50	44.9
سعر الصرف USD/DZD		101.2	80.73	79.38	77.53	72.93

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على بيانات الديوان الوطني للإحصاءات؛

ثانيا: بحوث العلوم السياسية

السيادة والدولة: دراسة في المفهوم والعلاقة

Sovereignty and the state: study in concept and relationship

الدكتور صلاح نيّوف

سيرة ذاتية مختصرة:

الدكتور صلاح نيّوف. دكتوراه في العلوم السياسية، جامعة السوربون في باريس. قسم العلوم السياسية، الأكاديمية العربية في الدنمارك.
البريد الإلكتروني: sorpolitique@yahoo.fr

كلمات مفتاحية: مفهوم السيادة، السيادة، الدولة والعلاقات الدولية، سيادة الدولة وقوة الدولة، السيادة، العولمة ومستقبل الدولة - الأمة sovereignty, state and international relations, state sovereignty and state power, sovereignty, globalization and the future of the state-nation

ملخص.

عملت السيادة أحياناً على تبرير بعض المشاريع الإمبريالية واستعمار العديد من الأراضي من قبل القوى العالمية. ومع ذلك، وباسم السيادة، قادت حركات التحرر الوطني نضالاتها لضمان الاستقلال التام لمجتمعاتها السياسية. قاد هذا الوضع إلى تحدي للباحثين في العلاقات الدولية. وهو يشير في الواقع إلى المناقشات المتعلقة بالتغيرات في النظام الدولي من خلال تحويل مبادئه الهيكلية، ولا سيما مبدأ السيادة، الذي يبدو أنه يواجه تحدياً خاصاً من خلال التجارب الأخيرة للإدارة الدولية للأقاليم، والتمييز بين سيادة الدولة التي ستكون للقانون وسلطة الدولة التي ستكون للحقيقة/الفعل/الواقع. هذا هو معنى التمييز بين سيادة الدولة والقوة المبينة في هذه الصفحات.

إن تحليل تأثير العولمة على سيادة الدولة يطرح سؤالاً واضحاً: لماذا سعت دول كثيرة في هذه العالم إلى العولمة على الرغم من خطر فقدان السيادة الذي تنطوي عليه؟ هل لأن تأثير العولمة على السيادة والسلامة الإقليمية -السمتان الأساسيتان لـ "الدولة - الأمة" الويستفالية الحديثة - مبالغ فيه بشكل كبير؟ إذا كان هذا هو الحال (كما قد يعتقد البعض)، فإن هذا سيؤكد الكتابات والتنبؤات حول "نهاية الدولة - الأمة". هل من الممكن أن تقبل الدول بفقدان سيادتها لأنه لم يعد لها نفس القيمة مثلما كانت في الماضي؟

Abstract

Sovereignty has sometimes served to justify certain imperial undertakings and the colonization of many territories by the World powers. Yet it is still in the name of sovereignty that the national liberation movements their struggles to ensure full independence for their respective have led political communities. This situation did not fail to challenge researchers in international relations.

It refers in fact to the debates relating to changes in the international system by the transformation of its structural principles, in particular the principle of sovereignty, which seems to be particularly challenged by of international administration of territories. recent experiences

State sovereignty would be to the law what state power would be to the fact, and sovereignty would be understood as a right to law when the power designated the state of the state. This is the meaning of the distinction of state sovereignty and power outlined in these pages.

Analyzing the impact of globalization on state sovereignty begs the obvious question. Why have many states in this World pursued globalization despite the risk of loss of sovereignty it entails? Is it because the impact of globalization on sovereignty and territorial integrity - the two essential attributes of the modern Westphalian "nation-state" - is enormously exaggerated? If this is the case (as some might think), then this would confirm the writings and the predictions about "the end of the nation state". Is it possible for States to accept the loss of their sovereignty because it is no longer valued as much as in the past

مدخل: التأصيل النظري لمفهوم السيادة.

تاريخيا، "ولد مفهوم السيادة في مكان ما في القرن السادس عشر أو السابع عشر"^١. في ذلك الوقت، وفقا للاتفاقية المقبولة على نطاق واسع، تم فهم السيادة على أنها الاستقلال والحكم الذاتي للدولة. دولة ذات سيادة لديها هذا الشرط على إقليمها، ولديها اعتراف من قبل الدول الأخرى كلاعب متساوٍ قانونا في البيئة العالمية. اليوم، ومع نهاية التسعينات من القرن الماضي، لم يكن مفهوم السيادة مسألة إجماع. يعتقد بعض الباحثين أن هذا يرجع إلى أن عمليات التحول في العالم جارية/مستمرة. يميل البعض إلى تشبيه ما بعد - الحداثة بما بعد - السيادة، بالتالي إن ما سيحل محل السيادة لاحقا هو أمر غير واضح. ويذهب البعض الآخر إلى حد تصور "سياسة عالمية تكون فيه الدول، إذا كانت لا تزال موجودة، خدماً للمجتمع العالمي، والأسواق العالمية، وليست وحدات وفاعلين مستقلين لديهم حقوق"^٢.

اصطلاحيا، يكون "سيّدا" كل ما هو فوق كل شيء. فقد يكون الله في دولة دينية، الملك في ملكية مطلقة أو الشعب في الديمقراطية، ويمكن أن يكون الذي يمتلك سلطة عليا ومستقلة ويتم تصنيفه "سلطة ذات سيادة". إن صفة "سيّد" تشير إلى سلطة روحية قبل أن تنتقل إلى الاستخدام في السلطة الزمنية، بالمعنى اللاهوتي، "السيد" هو الكيان، ومن وجهة نظر ميتافيزيقية، الذي يكون كافيا بنفسه حيث أن الجوهر يستند إلى الذات. أيضا، هو مستقل، كامل ومغلق لأنه لا يوجد شيء أبعد منه. يمكننا أن نرى ذلك داخل التفكير الأوغسطيني "سان أوغستان" وكذلك اللاهوت السكولاستي (الفلسفة التي تم تطويرها في العصر الوسيط في الجامعات وتهدف للتوفيق بين الفلسفة اليونانية واللاهوت المسيحي)، حيث نرى أن وجود الله السيّد مفروض ككل مطلق ولا يوجد شيء خارجه. يصف سبينوزا في كتابه "الأخلاق" الله أنه "علة ذاته/سبب وجود ذاته" وله سيادة وسلطة سيادية"^٣. تميز العصر الحديث في أوروبا الغربية بإرادة الملوك تحرير أنفسهم من السلطة الروحية لبابا الكنيسة. لقد

^١ - Bruce PORTER, "War and the Rise of the State", The Free Press, N. York 1994, p.63.

^٢ - Barry HUGHES, Hughes, "Continuity and Change in Worlds Politics. The Clash of Perspectives", Prentice-Hall, Inc., New Jersey 1994, p.226.

^٣ - Baruch Spinoza, « Éthique », Partie I

كانت أولى خطوات بناء الدولة - الأمة في القرن السادس عشر هي تأكيد استقلالية السلطة الزمنية الوطنية عن السلطة الكنسية العابرة للقوميات.

إن السيادة في الحقل الديني مختلفة عن النموذج المرتبط بفكرة الدولة - الأمة التي فرضت نفسها في القرن السابع عشر مع معاهدة "وستفاليا" (لدينا تحفظات، نراها لاحقا، على هذه المعاهدات كبدائية أرست مفهوم الدولة الحديثة). جسدت هذه المعاهدات، كما هو شائع، نظاما دوليا حيث كل دولة فيه هي ذات سيادة ضمن اختياراتها الدينية (سوف تضع معاهدات وستفاليا عام ١٦٤٨ نهاية لحرب الثلاثين عاما، أما تعبير "النظام الوستفالي" يعني لاحقا النظام الدولي الذي وُلد بعد هذه المعاهدات، لكننا نتحفظ على ذلك). نُظِر إلى الدولة ككيان يفرض دينا واحدا داخل حدوده ("هذا الدين من هذا الأمير" حيث كان من يقود إقليما معينا هو من يحدد دين رعاياه)، ويمارس "احتكارا للعنف المادي المشروع" على رعاياه (وهو تعبير طوره ماكس فيبر ونجده في كتابه "العالم والسياسة"). يُفرض هذا الاحتكار داخل الحدود ضد النظام الإقطاعي ويتم الدفاع عنه في الخارج مع جيش وطني أكثر فأكثر. ستترجم سيادة الدولة - الأمة إلى حكم ملكي مطلق (نظّر له جان بودان في فرنسا القرن السادس عشر، وتوماس هوبز في إنكلترا السابع عشر)، قبل أن يتطور إلى سيادة الأمة التي ستتخذ شكلا من اشكال البرلمانية البريطانية أو نسخة أكثر راديكالية في فرنسا الثورة الفرنسية.

ومع نشأة الدولة المركزية في بداية العصر الحديث، تم استخدام مفهوم "السيد/الملك/الأمير" للإشارة إلى الأمير أو الملك أو الجمهورية (جنوة، البندقية، جنيف، إلخ)، التي تجسد كيانا مجردا وجماعيا تُتخذ باسمه قرارات عامة. أدى إنشاء جهاز الدولة بمؤسساته وكبار إداريينه إلى استقلاليتها، وانفصاله عن شخص الملك خلال القرن الثامن عشر. تطورت الفكرة وازدهرت من خلال أفكار بودان وهوبز ولوك، من بين أمور أخرى، قبل لعب دور مركزي في فكر روسو وتنظيره للجمهورية. والأهم من ذلك هو الذي يحدد، في "العقد الاجتماعي"، هذه الفكرة التنظيمية "السيادة/الملك" على أنها الشخص الجماعي الذي ينبع من "الإرادة

العامة". إنه يضع الشعب في تعارض مع الأفراد أو الكيانات المشكلة التي يسعى كل منها لتحقيق مصالحه الخاصة. وهكذا ينص إعلان حقوق الإنسان والمواطن لعام ١٧٨٩، في مادته ٣ على: "إن مبدأ السيادة يكمن أساسا في الأمة. لا أحد، لا فرد يمكنه ممارسة السلطة التي لا تنبثق عنها صراحة". في هذا المفهوم الفرنسي جدا، لا تتبع السلطة لا من مجموعات تتصرف، كهيئات وسيطة ولا من الأفراد، الذين يفهم أنهم في خدمة احتياجاتهم الخاصة. وبالتالي فإن هذه المادة تتضمن القانون الوطني كتعبير عن الإرادة العامة، وهي نفسها مظهر من مظاهر السيادة الشعبية.

يمكننا القول إن مبدأ السيادة، على المستوى النظري، يعني الاعتراف بالمساواة في السيادة بين الدول، وحق الشعوب في تقرير المصير وقاعدة عدم التدخل في الشؤون الداخلية. من الناحية العملية، إن النظام الناتج عنها (والذي نطلق عليه الوستفالي westphalien) لا يتوافق في ممارساته مع هذه المبادئ. وهكذا، فإن السيادة عملت أحيانا على تبرير بعض المشاريع الإمبريالية واستعمار العديد من الأراضي من قبل القوى الأوروبية. ولكن، أيضا، وباسم السيادة خاضت حركات التحرير الوطنية معاركها بهدف ضمان استقلال مجتمعاتها السياسية الكامل والنهائي. ساهمت موجة إنهاء الاستعمار التي تلت الحرب الثانية، وبشكل ما بمساعدة الأمم المتحدة، في نزع الشرعية عن أي شكل من أشكال التنظيم السياسي (الحماية، الوصاية، ...) الذي ينحرف عن هذا النوع المثالي. ومع ذلك، إن الحالات التي يدار به إقليم ما (كليا أو جزئيا) من قبل السلطات السياسية الخارجية كان لديها نزعة إلى التزايد في السنوات الأخيرة، وفي معظم الأحيان بدعم من الأمم المتحدة (ولكن في بعض الأحيان من دونها) (كمبوديا، تيمور الشرقية، العراق، كوسوفو، إلخ).

أهمية البحث.

إن عدم اليقين من وجود تعريفات نهائية ومحددة لمفاهيم السيادة، القوة وسيادة الدولة شجعت لتقديم دراسة حول إعادة النظر فيها من خلال تمييزها كمصطلحات ومفاهيم وعلاقتها وارتباطها ببعضها بعض وأنها مفاهيم يتم تناولها من وجهات نظر مختلفة

وفي مجالات متعددة وهنا تكمن أهمية البحث، أي التأكيد على الاختلاف والتعدد في الرؤى لهذه المصطلحات من خلال تحليلها.

أهداف البحث.

يحدد هذا البحث أهدافه في ثلاثة: الأول، توضيح أن هيمنة السيادة كمفهوم سياسي يعزز الهويات الاستعمارية في العلاقات الدولية، الثاني، تحليل وفهم العلاقة بين "سيادة الدولة وقوة الدولة" وأن سيادة الدولة هي قوة الدولة الحقيقية، الثالث، توضيح تأثيرات العولمة في جانبين على الدولة - الأمة: التشكيك في الدولة - الأمة ومعارضة شرعية الدولة.

منهج البحث.

يتبع البحث منهج "البحث العلائقي" Relational research في بحث العلاقات بين المصطلحات والمفاهيم وتأثرها المتبادل، هذا المنهج الذي يمكن البحث من قياس ما إذا كانت متغيرات المفاهيم مترابطة وخاضعة لمتغيرات أخرى. كما يتيح للبحث توضيح ما إذا كانت هناك علاقات مهمة أو أكثر أهمية بين المتغيرات وقوة هذه العلاقة واتجاه العلاقة وطبيعة العلاقة.

إشكالية البحث.

تتعرض السيادة إلى مخاطر عديدة من بينها العولمة الاقتصادية، التدخلات العسكرية واستمرار الهيمنة المفهومية الغربية للدولة والعلاقات الدولية. يطرح هذا البحث إشكالية من جانبين: مفهوم السيادة نفسه، غموضه وعدم وجود تعريف واحد له متفق عليه. أيضا، كيف أدى التاريخ الطويل لمصطلح السيادة لقراءات مختلفة: تاريخ المفهوم الذي بدأ بأرسطو، مرورا ببودان، هوبز، الثورة الأميركية والثورة الفرنسية إلى أن وصل إلى تحولاته الكبرى اليوم. أما الجانب الثاني فهو إشكالية العلاقة بين المفهوم الداخلي للسيادة (إرادة الشعب والدولة - الأمة) وتجاهل النظام القانوني الدولي لهذا المفهوم حتى العصر الحديث.

فرضية البحث.

يقترح البحث فرضيتين محاولا مناقشتهما انطلاقا من الإجابة على إشكالية البحث. الأولى، أن التاريخ الفكري للسيادة هو الذي خلق النظام الدولي المهيمن هرميا ووضع الأبتمولوجيا الراهنة للعلاقات الدولية، الثانية أن الرأسمالية العالمية بكل تجلياتها لا تستطيع التخلي عن مفهومي السيادة والدولة لأنهما أدوات لتحقيق حماية رأس المال على الصعيد العالمي.

هيكلية البحث.

ينقسم البحث إلى مدخل وثلاثة محاور رئيسية: أولا، السيادة، الدولة والعلاقات الدولية، ثانيا، سيادة الدولة وقوة الدولة، ثالثا، السيادة، العولمة ومستقبل الدولة - الأمة.

أولا - السيادة، الدولة والعلاقات الدولية.

توقف الباحثون في العلاقات الدولية كثيرا عند هذه الحالة، والتي تعود أساسا إلى المناقشات المتعلقة بالتغيرات في النظام الدولي من خلال تحول مبادئه البنوية، ولا سيما مبدأ السيادة وهو على ما يبدو مشكوكا فيه أو قيد المساءلة بشكل خاص من خلال التجارب الأخيرة للإدارة الدولية للأقاليم. الهدف من هذه المساهمة هو إظهار أنه سيكون من السابق لأوانه الابتعاد عن مبدأ السيادة لفهم طبيعة الظاهرة المشار إليها: "السيادة والإدارة الدولية للأقاليم" والتي سوف نتحدث عنها لاحقا.

يرى "هينسلي" أن: "الفكرة هي وجود سلطة سياسية نهائية ومطلقة في المجتمع السياسي [...] وأنه لا يوجد سلطة نهائية ومطلقة في مكان آخر"¹. ولكن لا بد من التأكيد أن الطبيعة المطلقة للسيادة لا تعني القبول بسلطة غير محدودة لأنه يوجد قيود قانونية فوقية (ما بعد - قانونية: قواعد دستورية، ومبدأ دولة القانون) والتي من

¹ - Harry HINSLEY, « Sovereignty », Cambridge, 1986, p. 1.

المفترض أن تحد من السلطات السيادية المطلقة. بمعنى آخر، لا يعني هذا الفهم أنه لكي يتم الاعتراف بالكيان السياسي يجب أن يمارس هذا الكيان سيطرة صارمة على جميع الأنشطة التي تجري على أراضيه وكذلك جميع مواطنيه. يشير "دانييل فيلبوت" إلى أن: "الباحثين يخلطون بين السيادة والسلطة والسيطرة، وينسون المعنى التقليدي للمفهوم كسلطة قانونية ودستورية"^١. إذا أردنا النظر من هذه الزاوية فإن للسيادة ثلاثة خصائص:

الأولى، هي مفهوم واضح بشكل قوي أنه قانوني يناقش مسألة السلطة من الجانب القانوني. الثانية، إن السلطة التي تفترضها هي مطلقة، مقارنة مع سلطة نسبية، ضمن منظور أن الدولة تكون ذات سيادة أو من غير سيادة. لذلك لا يمكن وجود حالة بين الحالتين لأن السلطة، بحكم تعريفها، لا يمكن تقاسمها. الثالثة، "إن الطابع المطلق يتطلب أيضا شرط الوحدة: فالاستقلال الذي تفترضه السيادة له نتيجة طبيعة تجعل الكيان السيادي هو الوحيد المخوّل بسلطة اتخاذ القرار التي تؤثر على المجالين الداخلي والدولي"^٢.

إن التاريخ الفكري للسيادة خلق نظاما دوليا هرميا وفق المفاهيم الغربية والتي شكلت مرجعية أستمولوجية للعلاقات الدولية. ضمن هذا المعنى، يمكننا الربط الجيني بين التفاوتات / اللامساواة المادية والإيديولوجية الدولية بالداء أو الاعتلال الذي يصيب المواقف الأنطولوجية الأوروبية حول معايير الدولة، أي "أن العلاقات الدولية، ضمن هذا المعنى، تستمر تحت الاستعمار المفهومي الغربي باعتبار الغرب الفاعل المهيمن في النظرية والممارسة"^٣.

^١ - Daniel PHILPOTT, «Usurping the Sovereignty of Sovereignty?», World Politics, vol. 53, n°2, January 2001, p. 298.

^٢ - Alan JAMES, « The Practice of Sovereign Statehood in Contemporary International Society », in R. JACKSON (ed.), Sovereignty at the Millennium, op. Cit. pp. 40, in B. DELCOURT, "Le Principe de souveraineté à l'épreuve des nouvelles formes d'administration Internationale de territoires », Revue du Centre d'études ET de recherches en administration publique, 2005, pp. 87-110.

^٣ - Jonathan IAN WHITE, « A Critical Reflection on Sovereignty in International Relations Today », E-International relations students, University of Birmingham, December 2018.

لقد فسر المتخصصون في العلاقات الدولية معاهدة ويستفاليا على أنها نقطة تحول في التاريخ، وهو الوقت الذي تغيرت فيه بنية المجتمع بشكل أساسي لدرجة أنه لم يكن هناك عودة. كما يقول التاريخ، كانت أوروبا قبل ويستفاليا شبكة معقدة ومتداخلة من سلطات سياسية متعددة، ولم يكن أي منها يحتكر السلطة السياسية. بعد ويستفاليا، "كانت الدول الأوروبية كيانات ذات سيادة مستقلة وسيطرة حصرية على أراضيها والحق في عدم التدخل في شؤونها الداخلية من قبل القوى الأجنبية"^١. لكن القراءات الأكثر دقة لأصل نظام الدولة أكدت أن الأمر أكثر تعقيدا من ذلك بكثير. كانت إحدى المراجعات التاريخية الأكثر أهمية تتناول مسألة مبدأ (عدم التدخل)، حيث كان الجدل حول ما يجعل الدول ذات السيادة - على الأقل فيما يتعلق بالنظام الدولي - هو مبدأ (عدم التدخل). يساند "روبيرت جاكسون" أن "المعيار الأساسي لمثل هذا الترتيب السياسي (الدولة ذات السيادة) هو المنع الأساسي لأي تدخل أجنبي يفرض في نفس الوقت واجب التسامح وحق الاستقلال لجميع رجال الدولة" (جاكسون، مرجع سابق، ص٦).

اعترض باحثون آخرون على أهمية وستفاليا في تطور نظام الدولة أو النظام الدولاتي الحديث. شكك "سيفان كراسنر" في المفهوم القائل بأن معاهدة وستفاليا أنشأت نظام الدولة العالمي، وفي عمله "السيادة: النفاق المنظم"، يرى أن: "معيار عدم التدخل في الشؤون الداخلية ليس له علاقة عمليا بسلام وستفاليا الذي تم توقيعه عام ١٦٤٨. ولم يتم ذكر هذا المعيار بوضوح إلا في نهاية القرن الثامن عشر"^٢.

يرى "جوناثان هافيركروفت" أن التعامل مع تطور السيادة ليس لحظة أو فكرة ثابتة، ولكن كنتيجة لصراع أيديولوجي. رأى أن "المناقشات في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر حول سلطة عزل الملوك كانت جزءاً لا يتجزأ من مفهومنا الحديث للسيادة. ركزت هذه المناقشات على مسألة ما إذا كان للبابا الحق في الإطاحة

^١ - Robert JACKSON, «Quasi-States: Sovereignty, International Relations, and the Third World», Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2007, p.50.

^٢ - Stephen KRASNER, «Sovereignty: organized hypocrisy. Princeton», Princeton University Press, 1999, p.20.

بالملوك الأوروبيين الذين انتهكوا القانون الإلهي. رأى المدافعون عن البابا أنهم يدافعون عن النظام المسيحي لعموم أوروبا. في هذا النظام، كانت السلطة الروحية للكنيسة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالسلطة الزمنية التي مارسها الملوك. كانت السيادة تشير إلى السلطة العليا، ومن هذا المنظور اللاهوتي، يمكن لله وحده أن يكون صاحب السيادة. لقد نشأت مسألة سلطة طرد البابا فقط في الحالات التي كان فيها نزاع حول اختصاص السلطة البابوية والملكية. رأى نفسه يحدد المبادئ القانونية التي يمكن من خلالها حل مثل هذه النزاعات. ورأى أنصار الملوك الأوروبيين الأمور بشكل مختلف: إن السماح للبابا بتأكيد سلطة نزع الملكية من شأنه أن يقوض سلطة الملكيات ويمكن أن (ويؤدي في بعض الأحيان) إلى إثارة حرب أهلية. على هذا النحو، لا يمكن السماح للقوى الخارجية بممارسة أي سلطة داخل الدولة. كان الملك سيادياً، وكانت السمة الأساسية للسيادة هي أن الملك كان السلطة النهائية في جميع الأمور، سواء كانت دينية أو زمنية^١.

رأى "كراسنر" في دراساته أن: "أهم نتيجة تجريبية لأعماله هي أن المبادئ المرتبطة بالسيادة القانونية الوستفالية والدولية في نفس الوقت انتهكت دائماً. لم تكن السيادة القانونية الوستفالية ولا الدولية ولا في أي وقت من الأوقات متوازنة وثابتة"^٢. يستخدم "كراسنر" الظرف (دائماً) باستمرار ليقول إن السيادة لم تقدم تغييراً واسعاً وتاريخياً في ممارسة السيادة ولا تؤكد عصراً ذهبياً كانت السيادة فيه محترمة في ممارستها وذلك قبل أن تغرق في التقادم والانحطاط "لقد قامت الدولة بخرق سيادتها وانتهاك سيادة الآخرين، هذا هو الثابت" (المرجع السابق، ص ٢٤). أراد "كراسنر" تحدي والتشكيك في النظرية الواقعية والنظريات الأخرى التي تفترض سيادة ثابتة غير مختزلة، وكذلك ادعاءها التغيير الكبير في مجال تأسيس القانون الدولي أو خطاب العولمة.

^١ - Jonathan HAVERCROFT, op, Cit, p.122.

^٢ - Stephen KRASNER, op, cit, p.24.

لقد استمر بناء العلاقة بين الشرق والغرب وفق أطروحة هوبز (أن هؤلاء الموجودين في الشرق كانوا بحاجة إلى خصائص الحضارة الأوروبية)، فالتدخلية اليوم interventionisme مبررة ضمن فرضية أن الغرب هو الحامي الوحيد لحقوق الإنسان في العلاقات الدولية. إن إعطاء الأولوية للسيادة كنمط في التنظيم السياسي داخل العلاقات الدولية جعل من الغرب سلطة فكرية أساسية في السياسة الدولية، لذلك كانت رؤيتهم بأن معايير الدولة يجب أن تكون فقط غربية. نظرياً، هذا استعمار للعلاقات في السياسة الدولية، لأن كل ما يتعلق بمعرفة خصائص الدولة، السيادة وما يعنيه أن تكون دولة ذات سيادة يتم تعريفه فقط بالمصطلحات الغربية. أما عملياً، فإن تأسيس أو النظر إلى الغرب كواقع متفوق لأبستمولوجية أو المعرفة يقود إلى تقييمات لتطور الدولة وحدثتها فقط بما يتوافق مع المعايير الأوروبية، مما يضمن تطبيقات تتصف بقصر النظر لحلول المشكلات التي وُجدت ضمن سياق عرقي، زمني أو مكاني محدد. بشكل عام، إن هيمنة السيادة كمفهوم سياسي يعزز الهويات الاستعمارية في العلاقات الدولية حيث يوضع الغرب في مكان يبدو فيه متفوقاً وجودياً وأبستمولوجياً على الشرق واضعاً النظام الدولي ضمن تسلسل هرمي معياري.

ثانياً - سيادة الدولة وقوة الدولة.

إنه، وبالإضافة إلى العلاقة بين الدولة - السيادة والعلاقات الدولية، من الضروري تحليل وفهم العلاقة بين "سيادة الدولة وقوة الدولة". إن سيادة الدولة هي قوة الدولة الحقيقية، وضمن هذا المعنى ستُفهمُ السيادة على أنها حق في القانون عندما تحدد القوة حالة الدولة. هذا هو معنى التمييز بين سيادة الدولة والقوة الدولالية التي تشكل جزءاً من الإشكالية التي يطرحها هذا البحث. تُفهمُ السيادة على أنها امتياز ما بعد أو ما فوق قانوني، مثل "القاعدة الأساسية/المعايير الأساسية" أو "Grundnorm" في الكيلسينية، نسبة إلى "هانز كيلسن".

يُعرف النمساوي - الأميركي هانز كيلسن (١٨٨١-١٩٧٣)، تقريبا، عالميا كواحد من أهم المنظرين القانونيين المعاصرين. يشكل تصوره للنظام القانوني كنظام يتكون "بدرجات" (/ نظرية الخطوات أو المراحل Stufentheorie) أساس الفهم الذاتي لمعظم الأنظمة القانونية القائمة. ومع ذلك، من الواضح أن المعلقين على عمله لا يبدو أنهم يتفقون على أحد أهم جوانبها ومميزتها: مفهومه لأساس صلاحية القانون. وضع كيلسن فرضية بديلة وهي فكرة "المعيار الأساسي" (أو Grundnorm) كأساس لصلاحية النظام القانوني. تقول هذه الفرضية أنه إذا عدنا من خلال "درجات/مراحل" مختلفة للنظام القانوني، فإننا نواجه أو نصطدم بالضرورة مع الافتراض المسبق الذي هو أساس صلاحية النظام بأكمله، مشترطين أن السلطة التي أنشأت أول معيار معترف به على هذا النحو كان مفوضا لها القيام بذلك. السبب في أن هذه الفرضية من المفترض أن تفلت في نفس الوقت من الواقعية القانونية والحق الطبيعي jusnaturalisme هو أن "المعيار الأساسي" لا يُنظر إليه كحقيقة ولا كقاعدة بالمعنى القانوني، بل كشرط مسبق ضروري لإدراك النظام القانوني على هذا النحو. لذلك، يقترح كيلسن، بمعنى ما، أن مشكلة أساس صحة القانون تحل نفسها، لأنه إذا افترضنا أن هناك قانون، فيجب علينا بالضرورة أن نفترض بالفعل أن لديه أساس^١.

إذن، السيادة، وفق "المعايير الأساسية" عند كيلسن، تُفهم على أنها امتياز ما بعد قانوني أو ما فوق قانوني، في حين تُعتبر القوة كمعطى واقعي يمكن الوصول إليه تجريبيا وتترجمه القوة والفعالية الحقيقية لفعل الدولة. كلاسيكيا، تعتبر مفاهيم سيادة الدولة وقوة الدولة مفاهيم مترادفة، لكن مفهومهما المشترك مثير للجدل لأنه يلبس طابعا قانونيا عند العديد من المختصين وطابعا واقعيًا عند آخرين.

إن سيادة الدولة وقوة الدولة مفاهيم قد تبدو لا جدال فيها لأنها حققت نجاحات كبيرة، لذا فهي موجودة في كل مكان في خطابات أولئك الذين يشككون أو يطرحون الأسئلة، من زاوية أو أخرى، في الدولة والمؤسسات العامة. ربما، مع ذلك، قد يُفكر أو لا

^١ - Hans Kelsen, « Théorie générale du droit et de l'État », Paris : LGDJ, 1997.

يزال يُفكر فيها وتناقش اليوم عندما يكون معناها ونطاقها غير مؤكد. وربما من الأفضل عدم الاقتراب منهم كمعنيين أو دلالين لمعنى واحد، ربما يحتاج العلم والنظرية والفلسفة وأشكال أخرى من التفكير بالدولة ودراستها إلى كل من مفهوم سيادة الدولة ومفهوم قوة الدولة.

يخلص "ريموند دي مالبيرج"، بعد تفصيله لمختلف معاني كلمة "السيادة" في عصره، إلى أنه بالكاد يمكن أن يكون أكثر من مجرد مفهوم "مشوش وغامض" خضع "لتمددات مفرطة" (المرجع السابق، ص ٧٩). نفس الملاحظة يمكن وضعها اليوم، لدرجة أننا نرى في السيادة "مفهوما غير متناسق كما أنه لا يمكن تجنبه أو الالتفاف عليه"^١. حلّ "توماس بيرنس" وبدقة في كتابه، انظر الهامش، مؤلفات "جان بودان" (الكتب الستة للجمهورية" وهي المحاولة الأولى لإعادة التفكير بشكل منهجي في السياسي المستند إلى القانون الروماني فيما يتعلق بقوة السيادة. يعرض "بيرنس" المراحل التي دفعت هذا المفهوم "قوة السيادة" لفرض نفسه انطلاقاً من أعمال جان بودان كمبدأ جديد مهيم على الخطاب السياسي (ص ٢٦)، ويحاول تعرية الصيرورات التي انتهت إليها عمل توماس هوبز "الفيثيان"، والذي بموجبه توضّح نموذج ومنهج ميكيافيلي في فهم ما هو سياسي أي الاعتراف والقبول بهشاشة الأشياء البشرية (أي تعرضهم الإجباري للاختلاف والتنوع والفساد)، والتي يمكن استبداله بنموذج جديد معاكس تماماً مما يؤدي إلى إعادة القدرة على تغيير الواقع خارج حقل السياسي من خلال التحالف مع المجال ما بعد التاريخي للقانون (ص ١٣١).

إذن، قوة الدولة وسيادة الدولة مثل قناع علينا أن نفهم ما يخفي خلفه، لا سيما أن هناك من يراه مبدأ فارغاً تماماً لا معنى له، "فمحكمة النقض"، "مجلس الدولة"، "الأمة"، "الشعب"، "الناخب"، "المشرّع"، "الملك وحتى رئيس الجمهورية" هي جميعها في الغالب مصنفة "كذات سيادة". فكل مؤسسة لا تخضع لسلطة أعلى، حسب ترتيب

^١ - Thomas Berns, « Souveraineté, droit et gouvernementalité », Arch. Phil. Droit 2002, p. 353, In « Souveraineté de l'Etat et puissance de l'Etat », Boris Barraud, Revue de la Recherche Juridique – Droit Prospectif 2017-1, n° 165.

اختصاصها ولديها سلطة القرار النهائي وبلا مراجعة هي ذات سيادة. يطرح هذا أسئلة عديدة: ألا يمكن فهم السيادة، بالمعنى الدقيق للكلمة، على أنها سيادة الدولة؟ وإذا لم تكن هي سيادة الدولة، ألا ترتبط بشكل أكبر بالمشرّع؟

وبما أن السيادة هي واحدة من أكثر المفاهيم المثيرة للجدل والغموض في القانون الدولي يجب التمييز أثناء مناقشتها بين جوانب مختلفة: السياسية، القانونية، الدستورية والدولية "كما تجدر الإشارة أيضا إلى أن مفهوم السيادة وفي تطوره التاريخي لا يستبعد الخضوع للقانون الطبيعي، الوضعي، الوطني والدولي"^١. إنه، وعلى ضوء هذه الاستخدامات المتعددة لمفهوم السيادة، طرح "ميشيل فيرالي" السؤال التالي: "هل مازالت السيادة هي نفسها؟". ورأى فيرالي أن "السيادة هي تفسير للواقع الاجتماعي أكثر مما هي انعكاس له، وبالتالي انعكاس يمكن أن يشوه الواقع ولا يترجم كل جوانبه، أي تعمل على خدمة الواقع الاجتماعي والحفاظ عليه أو تعديله"^٢.

يُعرّف المفهوم القانوني للسيادة في الغالب امتدادات وطبيعة وطرائق ممارسة سلطة أو اختصاص الدولة. إن التعريف أو التفسير لمفهوم السيادة عبر مفهوم سلطة الدولة أو اختصاصها مرتبط بتعريف السيادة "كسلطة السلطة/اختصاص الاختصاص" وهو تعريف عن "صلاحيات الدولة" والذي يميزها بشكل لا لبس فيه عن المنظمات الدولية. يستخدم معظم المؤلفين هذين المفهومين ويعتبرون أن الحد من ممارسة الاختصاصات/الصلاحيات السيادية للدولة يشكل قيودا لسيادتها. إن الفاعل الرئيسي في دراسات العلاقات الدولية هو الدولة ذات السيادة، فالعالم المعاصر يتم تعريفه على الصعيد العالمي كنظام من الدول حيث السيادة هي القاعدة الرئيسية. أما القانون الدولي فقد تم تأسيسه على هذه القاعدة وباسمها تشرعن الدول تداخلاتها الدولية.

^١ - Arangio-Ruiz, « L'Etat dans le sens du droit des gens et la notion du droit international », vol. 26 (1976), p. 281.

^٢ - Michel VIRALLY, « Une pierre d'angle qui résiste au temps : avatars et pérennité de l'idée de souveraineté », IUHEI, Sijthoff, 1977, p. 179.

وتبقى فكرة السيادة التي تنطلق من السيطرة المقتصرة على الدولة على إقليم محدد هي نقطة الانطلاق في كل التحليلات في العلاقات الدولية.

إن هذه الحصرية المتعلقة بسيادة الدولة على إقليمها تتطلب وجود بنية سياسة للسلطة متميزة ومستقلة عن الدول الأخرى. وتكون تعبيرات هذه السلطة السياسية في إبعاد كل نشاطات يقوم بها آخرون من غير الدولة على أراضيها. هذا يعني أن اختصاص أو صلاحية الدولة فوق إقليمها وعلى الأشخاص المقيمين عليها وكذلك حماية النظام الاجتماعي هو من أولوياتها مع استثناءات تنتج عن القانون الدولي. يرتبط مفهوم الاختصاص بشكل كبير بمبدأ المساواة وهو العكس تماما من مبدأ التعسف والاستبداد. هذه "الكلية" أو "الحصرية" في ممارسة الدولة لسيادتها تعني، وعلى العكس من مواضيع أخرى في القانون الدولي، أي ليس للدولة حدود أو شروط مسبقة ولا تتبع قواعد مفروضة عليها لممارسة سيادتها وهذا ما أشرنا إليه سابقا باستخدام تعبير "اختصاص الاختصاص" أي تمتلك الدولة وحدها تحديد صلاحية صلاحياتها.

هذا الاستخدام للصلاحيات والاختصاص لديه جانب خارجي له حدود تتعلق بسيادة الدول الأخرى ضمن القواعد الدولية والمسؤولية القانونية الدولية لكل دولة. أيضا، وفيما يتعلق بصلاحيات الدولة داخل إقليمها فإن القانون الدولي يمكنه أن يضع بعض الحدود لهذه الصلاحية. بمعنى آخر، "حصرية ممارسة هذه الصلاحيات للدولة لا يعني تعسفها في القيام بأي فعل تريده أو تغيير قواعد وقوانين دولية ترتبط بها من جانب واحد. لذلك إن مفهوم "الكلية" أو "الحصرية" يجب أن يُفسَّر بانتباه كبير. تعني الاستقلالية ضمن هذا المعنى أن الدولة تمارس صلاحياتها من غير الخضوع إلى أوامر من فاعلين قانونيين آخرين ضمن الارتباط بالقواعد القانونية الدولية"¹. تُترجم الاستقلالية بشكل خاص من خلال حرية الدولة بالتعاقد على واجبات والتزامات قانونية دولية. إن هذا الجزء من الصلاحيات الخاصة بالدولة يكون ضمن

¹ - Jerzy KRANZ, « Réflexions sur la souveraineté », in Theory of International Law at the Threshold of the 21st Century, The Hague-London-Boston 1996, pp.183-214.

حالة ممارسة صلاحياتها غير المحددة بالقانون الدولي الخاص. وهي صلاحيات مصنفة ضمن المجال الخاص للدولة.

إن مادية مفهوم السيادة انطلاقاً من صلاحيات واختصاصات الدولة لا يمكن تصوّره من وجهة نظر القانون الدولي. ففي كل مرة نشهد تراجعاً في صلاحيات الدولة نحاول عبثاً تكييف مفهوم السيادة معها. الحل الوحيد للخروج من المأزق المثير للجدل حول مفهوم السيادة وحدوده هو وضع هذا المفهوم في مكانه وقطع علاقته بمفهوم الصلاحيات ويرى "كرانز" في هذا الشأن: "السيادة ليست قائمة من الصلاحيات. السيادة في القانون الدولي تعني أن صلاحية الدولة هي خاصة حصريّة، كاملة ومستقلة"^١. وستتيح لنا هذه المقاربة استبعاد النقاش غير الضروري حول قابلية القسمة أو "قابلية تحويل ونقل" السيادة، ومن وجهة نظر القانون الدولي فإن مبدأ سيادة الدولة وسلطاتها هما سؤالان، مرتبطان ببعضهما، لكن غير متطابقين. بمعنى آخر، مفهوم السيادة لا يحدد مدى السلطات الحصرية للدولة ولكن طريقة ممارستها. حيث يوجد أربعة مبادئ توجيهية تحدد طريقة ممارسة الدولة لصلاحياتها: مبدأ الاستقلال، مبدأ الحصرية، مبدأ المساواة ومبدأ الامتناع"^٢.

بناء على ما سبق، نلاحظ جانباً للسيادة نفسها يقترب من الأسطورة؛ وهذا ما يفسر في المقام الأول بسبب جانبها الغامض وغير المحدد، ولهذا السبب أيضاً يشبه بعض الباحثين مصطلح "السيادة" "بخطٍ وهميٍّ يشبه خط الاستواء": كل شيء له معنى معين من قبل، كل شيء له معنى معين بعد"^٣، ولكن يجب علينا أن نكون قادرين على تحديد هذه المعاني المتعارضة والحد منها. ويشير البعض إلى أن السيادة "قد تم الاقتراب منها بالفعل من جميع جوانبها ومن جميع الزوايا"^٤.

^١ - Jerzy KRANZ, « Réflexions sur la souveraineté », op.cit., p. 186.

^٢ - Charles ROUSSEAU, « L'aménagement des compétences en droit international », *RGDIP*, 1930, p. 423-439, in Lider Bal, « Le mythe de la souveraineté en droit international », op.cit., p.28.

^٣ - Jean COLIN, « Variations sur la souveraineté », *Annuaire Français de Relations Internationales* 2009, p. 3.

^٤ - Sabine SAURUGGER, « Théoriser l'État dans l'Union européenne ou la souveraineté au concret », *Jus Politicum* 2012, n° 8, p. 1.

رأى بعض الباحثين أن مصطلحي "السيادة" و "القوة" هما "مصطلحان مترادفان ونستخدمها بنفس المعنى"^١، بينما رأى آخرون أن "القوة تحمل، كما هو في المصطلح الكلاسيكي الفرنسي، اسم السيادة. وكم أن مصطلح السيادة يشير إلى مجموع السلطات المشمولة بسلطة الدولة وبالتالي هو مرادف للسلطة"^٢. ولكن، وعلى ما يبدو، أنه تجب العودة إلى وقت بعيد للبحث عن أصول الربط بين السيادة وسلطة/قوة الدولة. في الواقع، وفي القرن السادس عشر، كان جان بودان، المفكر الأول للسيادة، وفي الوقت نفسه المفكر الأول للدولة الحديثة، وصفها السيادة بأنها "السلطة المطلقة والدائمة للجمهورية"^٣، وقد أدرك العلامة المميزة لهذه "الجمهورية" -الاسم الذي أطلقه على الدولة- في "قانون الحكومة [...]" ذي السلطة السيادية"^٤. ومنذ ذلك الحين، جمعنا أو وضعنا بشكل عام سيادة الدولة وقوة الدولة وسلطتها معا في مفهوم واحد. على سبيل المثال، كتب "لويسو"، في مقالة "دراسة حول اللوردات" المنشور عام ١٦١٤، أن "السيادة هي ذروة السلطة"^٥. وهكذا، من الناحية التاريخية، تم تعريف السيادة دائما على أنها القوة، لدرجة أن مصطلحي "سيادة الدولة" و "قوة الدولة" قد بديا متكافئين. إن الصعوبة، ومنذ ذلك الوقت، أي منذ اعتبار أن السيادة هي السلطة، لا نعرف بالضبط ما تعنيه فكرة السلطة/القوة، وخاصة إذا كانت قوة واقعية أو قوة قانونية.

يمكننا أن نجد في بعض المحاولات لترسيم حدود قوة الدولة تجاه سيادة الدولة. يبدو أن التمايز الأول بين سيادة الدولة (Souveränität) وقوة الدولة (Staatgewalt) كان عمل العقيدة الألمانية في نهاية القرن التاسع عشر، والتي أرادت بهذه الطريقة تقديم أداة فعالة لتمييز الدولة الفيدرالية، التي سيكون لها السيادة والقوة، والمقاطعات المفدرلة، التي سيكون لها القوة فقط، دون أن تكون ذات سيادة. لذلك هناك عقيدة أقلية، تنتظم حول أعمال "لاباند وجيلينك" حيث وفقهما "لا ينبغي أن نخلط بين قوة

^١ - Olivier BEAUD, « La puissance de l'État », Puf, coll. Léviathan, 1994, p.18.

^٢ - R. CARRÉ DE MALBERG, « Contribution à la théorie générale de l'État », op. cit., p. 9.

^٣ - J. BODIN, « Les six livres de la République », 1576, L. I, chap. 8.

^٤ - Ibid., L. I, chap. 1.

^٥ - Charles LOYSEAU, « Traité des seigneuries », 1614, chap. 2 (cité par Th. BERNS, « Souveraineté, droit et gouvernementalité », art. préc, p. 352.

الدولة والسيادة"^١، والتي تعتبر أنه يجب أن يميز بين مفهومي السيادة والقوة في إطار الولايات الاتحادية. ولكن، إلى جانب حقيقة أن هذا المفهوم لا يمكن أن يكون صالحاً إلا فيما يتعلق بفئة معينة من الدول، إذا كان هناك تمايز بين السيادة والقوة، فإن هذا بالكاد يعتمد على التقسيم بين فعل / قانون؛ إنها مسألة مستويات: القوة ستكون على مستوى أقل مقارنة بالسيادة. وهكذا، تتميز القوة والسيادة باختلاف الدرجة ولكن ليس باختلاف الطبيعة. من المؤكد أن الدولة تستفيد من قوة/سلطة تسمح لها بفرض نفسها على أي فرد وأي شخص، وهذا ما يشار إليه بتعبير "القوة العامة السيادية". ويفضل بعض المتخصصين في هذا المجال تسمية "القوة/السلطة الدولاتية" والتي هي ترجمة للمفهوم الألماني (Staatgewalt) كما ورد أعلاه والذي يمكن اختصاره أيضاً بمفهوم "السيادة". ورغم أن القوة الدولاتية هي بالفعل العنصر المؤسس إلا أنه يتم دمجها مع مفهوم السيادة.

إن نظرية "القوة الدولاتية" التي قدّمها "مالبريغ" في عام ١٩٩٤ تبين وبقوة علمية "استحالة" التمييز بين القوة الدولاتية والسيادة. "الدولة هي سيادية"^٢ كما كتب مالبريغ، وهذا يعني أن لديها قوة لا تخضع لأية قوة أخرى ولا يمكن أن تعادلها قوة أخرى. أي أن سيادة الدولة هي النتيجة والخلاصة ونفي لكل عقبة أمامها أو خضوع لها. كان مالبريغ واعياً للاستخدام الدقيق لمفهوم السيادة ووضع لها تعريفاً: "السيادة هي مجموع حقوق القوة النشطة، سواء كانت داخلية أو خارجية" (المرجع السابق، ٧٠). لقد تمّ الخلط في النصوص الدستورية الفرنسية بين السيادة وقوة الدولة لذلك أظهر مالبريغ أهمية مفهوم السيادة وميّز بينها وبين قوة الدولة رغم صعوبة التمييز. مهما كان، وإذا استخدمنا مصطلح القوة الدولاتية أو السيادة فإن نظرية مالبريغ تحتفظ بأهمية كبيرة، فأصل الدولة هو عملية من السيادة، هذه السيادة هي المبدأ التأسيسي للدولة ومذلك استمراريتها. مع ذلك لا يمكن للدولة أن تستمر إلا إذا أضفنا عليها الطابع المؤسسي، ولهذا السبب طوّر مالبريغ "نظرية الجهاز" أي

^١ - Georg JELLINEK, « L'État moderne et son droit : Théorie juridique de l'État », (1911), 2005, p. 126.

^٢ - R. CARRÉ DE MALBERG, « Contribution à la théorie générale de l'État », t. I, op. cit. p. 70

علامات السيادة. وبالتالي، وضمن هذا المعنى، فإن نظرية الجهاز هي نتيجة طبيعية لسيادة الدولة.

إذن، السؤال هو: هل "السيادة - القوة" تأتي من الفعل أو الواقع أم تأتي من القانون؟ "لم يكن منظرو الدولة قادرين على تقديم إجابة واضحة على هذا السؤال. ولهذا السبب بالذات فإن مفاهيم السيادة والقوة الدولاتية هي تعددية"^١. إن المفهوم القانوني (للسيادة - القوة) أو للسلطة السيادية للدولة يسود بالتأكيد على مفهومها الواقعي من حيث أنه مدعوم من قبل عدد أكبر من الباحثين. بالمقابل، فإن الفجوة بين النجاح النسبي لأحدهم والفشل النسبي للآخر ضعيف للغاية، مما يؤدي تطوير الشكوك الدلالية والمفاهيمية حول هذه (السيادة - القوة). لكن المناقشات والتردد يمكن العثور عليها أيضا عند مفكرين في (السيادة - القوة) القانونية وعند المفكرين في (السيادة - القوة) الواقعية "وهذا ما يمكن من النظر إلى السيادة القانونية والسلطة الواقعية بمفاهيم محددة ولكنها نوعية: السيادة "كحق في القانون"؛ القوة/السلطة "كحالة أو وضع الدولة" (بوريس بارود، المرجع السابق، نفس الصفحة).

حاول البحث في هذه الفقرة منه توضيح الغموض الذي يغطي مفهومي (السيادة - القوة) والتأكيد على ضرورة عدم اختزال الدولة إلى القانون، إلى دولة - القانون أو إلى قانون الدولة. لا تزال الدولة حاضرة بقوة كفكرة تعبر عن القوة التعسفية، وعندما يتم التعبير عنها بالقانون، لا شيء سوى هذه "القوة التعسفية" التي تعبر عن نفسها. وبالمثل، عندما تنخفض فعالية أو كفاءة القانون، فإن هذا يترجم إلى انخفاض مصاحب في هذه القوة التعسفية. ووفقا لتعريف "سيمون جويارد فابر": "السيادة هي السلطة /القوة التي استولى عليها القانون"^٢. ستكون سلطة/قوة الدولة هي النظر التجريبي للمفهوم القانوني لسيادة الدولة، بحيث يمكن طرح أي دراسة عن الدولة للتشكيك في قوتها من الزاوية الاجتماعية والسياسية وسيادتها من الزاوية القانونية.

^١ - Boris BARRAUD, « Souveraineté de l'État et puissance de l'État », Revue de la Recherche Juridique – Droit Prospectif 2017-1, n° 165, p.6.

^٢ - Simone Goyard-Fabre, « « Légitimité », in D. ALLAND, S. RIALS, Dictionnaire de la culture juridique, in Boris BARRAUD, « Souveraineté de l'État et puissance de l'État », p. 10.

ثالثا - السيادة، العولمة ومستقبل الدولة - الأمة.

بداية، ندرك أن الدولة - الأمة تسعى جاهدة للحفاظ على وللتقاطع جغرافيا بين كيانين: الدولة ككيان سياسي محدد جغرافيا، والأمة والتي هي بناء سياسي ينطلق من الوحدة الثقافية أو القومية لشعب ما. ظهرت الدولة - الأمة في أوروبا لإعطاء السلطة السياسية شرعية أخرى غير الشرعية الدينية فكانت نظرية الدولة - الأمة. أما بمعناها الحديث فقد كرستها الثورة الفرنسية وأوروبا القرن التاسع عشر. الأمة هي مفهوم أو مبدأ روحي، روح أو إرادة الحياة الجماعية وهي تعبير عن الإرادة الجماعية للشعب. يمكننا أن نقرأ في المادة الثالثة من "الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمواطن" (كل أمة لديها الحق في أن تصبح دولة) أي للشعوب حق "في تقرير مصيرها" وهذا يعني أن تنظم نفسها في دول. أصبح للدولة سلطة شرعية في داخلها كما في خارجها. إن المفهوم الحديث للدولة - الأمة هو مطلب معظم الدول وهي أساس العلاقات الدولية في هذا القرن.

أما العولمة فهي عملية من الدمج الاقتصادي للاقتصادات الوطنية من خلال التبادل التجاري، يشار إليها بأنها تلغي المسافات وتبني ما اصطلح عليه بالقول "قرية عالمية". كانت أهم مراحل العولمة هي التي امتدت بين عامي ١٨٧٠-١٩١٤. إن العولمة الحالية، التي بدأت في السبعينيات، لا تخلو من سابقة لها: فبين ١٨٧٠ و١٩١٤، ارتبط انفتاح الاقتصادات بالتوسع السريع في التجارة والاستثمار عبر الحدود الوطنية. وصاحب ذلك أيضا أزمات مالية مماثلة لتلك التي حدثت في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين. ففي أسواق السلع، اتسمت العولمة الأولى بنمو التجارة، على الرغم من اعتماد تدابير حمائية في معظم البلدان المتقدمة. لقد تم استخلاص الدروس من الافتقار إلى المعاملة بالمثل وتنسيق السياسات التجارية في نهاية القرن التاسع عشر. تم إنشاء المنظمات الدولية التي تضمن الانفتاح التدريجي والتنسيق الأفضل للسياسات التجارية للبلدان في مراحل التنمية المختلفة. وفي أسواق رأس المال، شهدت العولمة الأولى تكاملاً متزايداً للأسواق المالية للبلدان المتقدمة. كان هذا التكامل المالي مفضلاً من خلال استقرار سعر الصرف الذي سمح

به معيار الذهب. يتمتع المستفيدون من تدفقات رأس المال بسمات مشتركة من موجة من العولمة إلى أخرى: الاستثمارات موجهة إلى البلدان الغنية بالموارد الطبيعية، ولديها قوة عاملة مدربة وتستفيد من تكاليف النقل المحدودة وإطار مؤسسي ملائم لتغطية الديون. كانت تدفقات رأس المال الدولية، خلال العولمة الأولى، مفضلة بسبب انخفاض مخاطر الصرف وتكاليف المعاملات المرتبطة بمعيار الذهب. وكان، خلال العولمة الأولى، تدويل الأسواق المالية، وبدرجة أقل، التكامل الدولي للقطاع المصرفي، مصحوبا بأزمات مالية أدت لترددات وأحدثت الأزمات المعاصرة. وتسلبت هذه السابقة الضوء بشكل خاص على المزايا المرتبطة بديون البلدان الناشئة بالعملة المحلية وإعادة موازنة أرصدة الحسابات الجارية، مما يحد من ضعف الاقتصادات أمام التوقف المفاجئ لتدفقات رأس المال.

بشكل عام، تؤثر العولمة في جانبين على الدولة - الأمة: التشكيك في الدولة - الأمة ومعارضة شرعية الدولة. ففي الجانب الأول، وصل تبادل السلع والخدمات ورأس المال والتدفق الحر للأفكار والأشخاص إلى مستوى لا مثيل له في تاريخ البشرية. عبور للحدود وتقويض للصلاحيات الحصرية التي تتمتع بها الدولة. شهد تطور التجارة تسارعا هائلاً. شكلت صادرات البضائع في عام ١٨٢٠ ١٪ من الناتج المحلي الإجمالي العالمي؛ وتمثل الآن ٢٠٪. تاريخياً، يُذكر أن كل فترة سلام عالمي نسبي كانت مناسبة لزيادة التجارة. من ناحية أخرى، اتسم صعود القوميات بشكل عام بانخفاض في التجارة الدولية. في عام ١٩٥٠، كانت تجارة السلع تمثل ٥,٥٪ فقط من الناتج المحلي الإجمالي العالمي، مقابل ٩٪ في عام ١٩٢٩ و ٧,٩٪ في عام ١٩١٣. ومنذ عام ١٩٩٠، شهد العالم مرحلة سريعة للغاية من التكامل، تذكرنا بنهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. إن هذه العولمة في الواقع لا تخلو من سابقة، لكنها أقوى وتذهب إلى أبعد من أي وقت مضى. حيث تعتمد الدول - الأمم الآن على انفتاحها على التجارة العالمية.

أما في الجانب الثاني، أدت حركة النزوح والهجرة واللجوء إلى التشكيك في شرعية الدولة. نزح ٢٣,٧ مليون شخص في عام ٢٠٠٦. وتم عد ١٠ ملايين لاجئ و ١٥٠

مليون مهاجر في عام ٢٠٠٧. واستقبلت إسبانيا ما يقرب من ٥ ملايين مهاجر في ٥ سنوات، وجميعهم تقريبا يقيمون بشكل نظامي. "لم يعد الانتماء إلى مجتمع وطني واضحا على أراضي الدول. إن "الهويات الوطنية" تضعف وتتنازع عليها الأديان والأصول واللغات، مما يدفعنا إلى الاقتراب من "الجزور. لم يعد العيش في إقليم ودفع الضرائب هناك كافيا لمشاركة الوعي بالانتماء إلى نفس المجتمع وقبول قواعده. يتم تحدي مفهوم الأمة من قبل مفهوم "الكونية" ^١ cosmopolitisme.

إذن، لقد أصبح نقل المعلومات واستلامها وتخزينها وحتى تحويلها يخضع لسيطرة أقل وأقل من قبل الدول ذات السيادة، الأمر الذي يثير، فيما يتجاوز مسألة سيادة الدولة، أسئلة أخلاقية وقانونية تبدو وكأنها جديدة ومعقدة. وهكذا، ووفقا لبيير بيلانجر: "السيادة الرقمية هي السيطرة على حاضرتنا وقدرتنا كما يظهر من خلال استخدام تقنيات وشبكات الكمبيوتر" ^٢. ضمن هذا السياق، يمكن طرح وتحليل السؤال بطريقتين مختلفتين: الأولى، يعترف المواطنون بالدولة ودورها البارز لأسباب تتعلق بالأمن الداخلي والدفاع الوطني وكونها ضامن للسيادة الوطنية. الثانية، أن يتم استبدال السيادة الرقمية الوطنية "من الأعلى" بسيادة رقمية "من الأدنى" والتي تسمح لكل مواطن بالبقاء سيدا على بياناته واتصالاته في موقف تطوعي مفترض من قبل كل فرد.

أصبحت العلاقة بين العولمة والدولة موضوع نقاش مكثف على مدى العقدين الماضيين. إن الآراء الأولى حول هذه العلاقة، التي لا تزال سائدة إلى حد ما، تعتبر أن العولمة تقوض استقلالية الدولة. وفقاً لهذا التصور، كانت الدولة ستصبح عاجزة وخاضعة تماما للاقتصاد الرأسمالي العالمي. لن يعمل الاقتصاد العالمي فقط خارج سيطرة الدولة، بل سينظر إلى مقاومة العولمة أيضا على أنها عقبة بل وتضر

^١ - Jean-Dominique GIULIANI, « L'Etat-nation dans la globalisation au XXIème siècle », Bureau des Conseillers de Politique européenne. "Changements, innovations et distributions : tendances et menaces sociales, politiques et économiques".3, 4 et 5 décembre 2007.

^٢ - Pierre Bellanger, audition 19 octobre 2016.

بالرفاهية الاقتصادية والاجتماعية للدول - الأمم. ومن أجل الازدهار أو حتى البقاء على قيد الحياة، يجب على الدول قبول هذا الواقع ووضع نفسها وفقاً لذلك.

إن هذا الرؤية للعولمة تختزلها إلى ظاهرة اقتصادية بشكل رئيسي، مدفوعة بحرية إلى حد ما برأس المال، بما في ذلك الاستثمارات التي تدعم الإنتاج عابر القوميات والتدفقات المالية العديدة. لكن العولمة هي أكثر بكثير من مجرد قوة اقتصادية، إنها متعددة الأبعاد من حيث أبعادها الاقتصادية والسياسية والأمنية والثقافية والبيئية. يشير هذا المفهوم الأوسع للعولمة إلى فكرة أن هناك نظاماً دولياً قوياً جداً يتم فيه تقليل استقلالية الدولة إلى حد كبير. وفقاً لديفيد هيلد: "تعني العولمة في الوقت نفسه ظهور نظام اقتصادي عالمي خارج عن سيطرة دولة واحدة (حتى في الدول المهيمنة)، وتوسيع شبكات الروابط عابر القومية والاتصالات التي ليس للدول تأثير كبير عليها، والنمو الهائل للتنظيم الدولي القادر على الحد من عمل وفعل حتى أقوى الدول، وتطوير نظام عسكري عالمي...، جميع العمليات قادرة على الحد من نطاق السياسات المتاحة للحكومات ومواطنيها"¹. ومع ذلك، فإن نهاية الدولة - الأمة ستؤدي إلى ثلاث إشكاليات.

أولاً، لا يمكن الخلط بين السيادة والحصرية الإقليمية territorial exclusivity، حيث تتآكل الحصرية الإقليمية/السلطة على الإقليم، بدلاً من سيادة الدولة - الأمة. يدعو تيار الحصرية الإقليمية إلى ما يطلق عليه "دولة - المنطقة" region-state والتي تتوافق مع حماية السيادة، وهذا ما وُصف في آسيا بـ "مثلثات النمو" أو "المناطق الاقتصادية الطبيعية" حيث لا تمثل حالة فقدان أو تآكل للسيادة.

ثانياً، من السهل المبالغة في تأثير العولمة، خاصة في شكلها الاقتصادي، بالنسبة إلى تآكل السيادة في وقت تتعرض فيه هذه السيادة لهجوم من مصادر أخرى بما في ذلك ما يسمى تقليد "الحروب العادلة" التي تروج، من بين أمور أخرى، لحق المجتمع

¹ - David HELD, « Democracy: From City State to a Cosmopolitan Order? *Political Studies*, vol. 40, pp. 32-34.

الدولي في التدخل في الشؤون الداخلية للدول التي لا يستطيع قادتها حماية حقوق مواطنيهم أو المتهمين بإساءة استخدام السلطة.

ثالثاً، ربما كان السبب الأكثر أهمية هو أن تصور "نهاية الدولة - الأمة" يتجاهل الدور الذي تلعبه الدول نفسها في عملية العولمة وفي تكيف احتياجاتها ومطالبها. وعلى حد تعبير بانيتش: "إن فكرة أن العولمة هي عملية يهرب من خلالها رأس المال أو يتجاوز الدولة - الأمة هي فكرة مضللة من جهتين. أولاً، غالباً ما يكون هناك تقدير مبالغ فيه للسلطة التي كان على الدول - الأمة السيطرة عليها في وقت سابق. الدليل الذي لا يمكن إنكاره ... [هو] أن رأس المال تمكن من الخروج من قبضة الدولة من خلال كونه عالمياً. ولكن حتى بالنسبة لأولئك الذين لا يخضعون لهذه الأوهام، هناك إغراء كبير لتجاهل مدى العولمة اليوم تكتبه الدول نفسها وتتكون بشكل أساسي من إعادة تنظيمها بدلاً من تجاوزها".^١

يرى "رالف ميليباند" في كتابه (دور الدولة في المجتمع الرأسمالي)، "إن الدولة هي قبل كل شيء الأداة القسرية للطبقة الحاكمة، حتى من حيث الملكية والسيطرة على وسائل الإنتاج".^٢ وبالتالي، ومن أجل تمكين الطبقة الرأسمالية من تجميع الثروة، كان على الدولة "مهمة إزالة العائق القائم الذي يتعارض مع الحرية الاقتصادية. الوظيفة الثانية للدولة هي تحديد شروط تبادل البضائع في السوق. كانت الوظيفة الثالثة للدولة هي التأكد من أن المال أدى وظيفته كوسيلة للتبادل والحفاظ على القيمة. الوظيفة الرابعة كانت التخصص في الوظائف ومركزية سلطة الدولة، وأخيراً، كانت وظيفة الدولة هي زيادة رأس المال".^٣ يشرح كوكس معنى تدويل الدولة: "أولاً، هناك عملية تكوين إجماع بين الدول فيما يتعلق باحتياجات أو متطلبات الاقتصاد العالمي التي تتم في إطار أيديولوجي مشترك (أي معايير مشتركة لتفسير الأحداث الاقتصادية

^١ - Leo PANITCH, « Rethinking the Role of the State », in MITTLEMAN J.H., (ed.), Globalization Critical Reflections, The International Political Economy Yearbook, vol. 9, Boulder, Lynner Rienner, 1996, pp. 84-85.

^٢ - Ralph MILIBAND, "The State in Capitalist Society". Great Britain: Hazel Watson & Viney Ltd, p.7.

^٣ - Robert COX, "Production Power and World Order Social Power in the Making of History". New York: Columbia University Press. pp, 130-131.

والعامة). الأهداف الراسخة في فكرة الاقتصاد العالمي المفتوح). ثانياً، إن المشاركة في تشكيل الإجماع هذه منظمة بشكل هرمي. ثالثاً، يتم تعديل الهياكل الداخلية للدول بحيث يمكن لكل منها أن يحول الإجماع العالمي على أفضل نحو إلى سياسة وممارسة وطنيتين، مع مراعاة الأنواع المحددة من العوائق التي من المحتمل أن تنشأ في البلدان التي تحتل مختلف المواقف المرتبة هرمياً في الاقتصاد العالمي. (المرجع السابق ص ٢٥٤).

ضمن هذا المعنى، لم تفلت الرأسمالية العالمية من الدولة. وبعيداً عن هروب الرأسمالية العالمية من الدولة، ما نراه دولاً نشطة ومجموعات مسيسة للغاية من الطبقات الرأسمالية تعمل على تأمين الدستورية الجديدة لضبط الليبرالية الجديدة من خلال توسيع اعتمادها على الدولة. إلى جانب الدستورية الجديدة، نشأ نظام عالمي ومنطق وبنية حكم جديد، باختصار، شكل جديد من السيادة، وهي "دولة عالمية" تحكم العالم. ومع ذلك، الرأسمالية العالمية هي منظمة على الصعيد الوطني وتعتمد بشكل غير قابل للاختزال على الدولة الوطنية.

الخلاصة.

يمكننا الاستناد إلى مفهوم السيادة إلى حد ما بتمييز مفيد لفهم ظاهرة "تدويل الدولة" والتدخل في الشؤون الداخلية السيادية، أيضاً يمكننا من فهم استمرار المطالبات بالسيادة التي أهملت في الآداب السياسية المعاصرة. هذا الإهمال الذي عزز ما يسمى بالمقاربة "البراغماتية" المرتبطة بنموذج جديد بديل للسيادة: "الحكومة العالمية". إن تمييز وفهم السيادة يقود إلى ربطها بأسئلة جديدة حول علاقتها بطبيعة السلطة وشرعيتها وكذلك مفهوم الدولة. يبدو أن الغلاف الرسمي الرئيسي للدولة هو القانون، وفي مقدمته السيادة. إن اختراعات القانون والسيادة، مثلها مثل العقد الاجتماعي أو الأمة، سوف تعمل على أن تجعل من الممكن تبرير وجود الدولة وعملها. هذه القوة القانونية التي تتكون فيها السيادة تجعل من الممكن إضفاء الشرعية على عنف الدولة وجعلها مقبولة. القوة القانونية هي من صنع الإنسان وضرورية لتنظيم المجتمع

المتطور، ومنذ الدور الذي قام به جان بودان، كان الدور الرئيسي للسيادة هو إضفاء الشرعية على سلطة الدولة. وهذا يستدعي القانون من أجل جعل بعض الحقائق الواقعية العنيفة مقبولة وموضوعية. عندما تتوافق القوة مع حقيقة السيطرة الفعالة على أنشطة شعب في إقليم ما، تكون السيادة هي الحق في السيطرة الفعالة على أنشطة شعب في إقليم ما. الآن أصبح من السهل التحكم بفعالية في أنشطة الناس في إقليم عندما يكون لديك الحق بأشياء ليست من حقلك، حتى لو كان هذا الحق مجرد بناء نفسي غير موجود خارج سيكولوجية الجماعة. لم تعد الأشكال القديمة للسلطة السياسية: "السلطة التقليدية" و "السلطة الكاريزمية" كافية، لكن "السلطة القانونية" مؤسسة على الإيمان بالوضع القانوني للسلطة وعلى فكرة أن أولئك الذين يمارسونها لديهم اختصاصات إيجابية للقيام بذلك. بالتالي، السيادة، التي تُفهم على أنها حق في الحق، لن تكون سوى هذه السلطة القانونية.

"لا تستطيع الدولة الاستمرار من غير القانون، هو محركها ووقودها في آن واحدة"^١، أما علاقة التبعية بين القوة/السلطة والسيادة، بين القانون والفعل ستكون ذات اتجاهين. لذا سيكون صحيحاً أن السيادة والقوة القانونية تنطلق من القوة والقوة الواقعية. إن "الدولة كيان قانوني لأنها موجودة، [وبالتالي] من لحظة ظهورها في الحياة. لا يتم تفسيرها بواسطة إجراء تنظمه القواعد القانونية ولكن بحقيقة وجودها"^٢. ستظهر سيادة الدولة والشخصية القانونية للدولة في نفس الوقت بالضبط وللأسباب نفسها. لذلك ستكون هناك حاجة لا غنى عنها للسلطة/القوة من وجهة نظر السيادة لأن هذه السلطة، كعنصر أساسي، هي شرط دولاتي. وبعبارة أخرى، ستكون القوة ضرورية للسيادة حيث لا توجد سيادة بدون دولة ولا دولة بدون قوة. وبهذا المعنى، تمكنت محكمة لاهاي الدولية من تحديد أن السيادة لا يمكن الاعتراف بها إلا بشرط أن تثبت الأفعال الإيجابية القدرة على التصرف كسيادة^٣.

^١ - Boris Barraud, op, cit., 21.

^٢ - Santi ROMANO, « L'ordre juridique », Dalloz, France 2002, p.37.

^٣ - Cour internationale de Justice, avis, 15 oct. 1975, Sahara occidental.

تتطلب الدولة قوة واقعية متفوقة وقوة قانونية عليا. هذا هو السبب في أنه قد يكون من المثير للاهتمام فصل السيادة والسلطة والنظر في أن السيادة ستكون للقانون كما ستكون السلطة للواقع/الفعل. ربما ينبغي على السلطة، التي تم تصورهما كدولة، أن تنضم إلى السيادة في مراكز الدراسات المتعلقة بالدولة، على الأقل عندما يقوم بها علماء السياسة أو علماء الاجتماع. وهذا سيكون أكثر صحة في عالمنا المعاصر، عندما تصبح الحدود أكثر سهولة في اختراقها ويهدف جزء متزايد من العمل المكرس للدولة إلى التشكيك في مستقبلها الغامض في عالم في طريقه الدائم نحو العولمة. اليوم، يبدو أن هناك العديد من "الدول التي لا تتفوق سلطتها فعلياً ومادياً"^١، في حين أن "عولمة أهم المشاكل تجعل فكرة السيادة عبثية قليلاً"^٢.

توصية.

إن التوصية الوحيدة لهذا البحث، وفي وقت الانتقال من الدولة الحديثة إلى "دولة ما بعد الحداثة"، هي اقتراح إنشاء مراكز أبحاث عربية وشرق أوسطية يمكنها أن توفر دراسات رصينة وجادة لمفاهيم سيادة الدولة وسلطة الدولة لأن فهمهما بشكل أفضل سيحدد مصير الدولة في هذا الإقليم، ماذا سيكون واقعها ومستقبل أزمتهما، ما هي تغيراتها وما ستكون تحولاتها في كل أبعادها.

المراجع.

- Alan JAMES, « The Practice of Sovereign Statehood in Contemporary International Society ».
- Arangio-Ruiz, « L'Etat dans le sens du droit des gens et la notion du droit international », vol. 26 (1976).
- Barry HUGHES, Hughes, "Continuity and Change in Worlds Politics. The Clash of Perspectives", Prentice-Hall, Inc., New Jersey 1994.
- Boris BARRAUD, « Souveraineté de l'État et puissance de l'État », Revue de la Recherche Juridique – Droit Prospectif 2017-1, n° 165.

^١ - F. HAMON, « Droit constitutionnel », op. cit., p. 28.

^٢ - Bertrand Badie, Pierre Birnbaum, Philippe Braud, Guy Hermet, « Dictionnaire de la science politique et des institutions politiques, Armand Colin, Paris 2015.

- Bruce PORTER, “War and the Rise of the State”, the Free Press, N. York 1994.
- Baruch Spinoza, « Éthique », Partie I.
- Bertrand Badie, Pierre Birnbaum, Philippe Braud, Guy Hermet, « Dictionnaire de la science politique et des institutions politiques », Armand Colin, Paris 2015.
- Charles LOYSEAU, « Traité des seigneuries », 1614, chap. 2 (cité par Th. BERNS, « Souveraineté, droit et gouvernementalité », art.
- Charles ROUSSEAU, « L'aménagement des compétences en droit international », *RGDIP*, 1930, p. 423-439, in Lider Bal, « Le mythe de la souveraineté en droit international.
- Cour internationale de Justice, avis, 15 oct. 1975, Sahara occidental.
- Daniel PHILPOTT, «Usurping the Sovereignty of Sovereignty?». *World Politics*, vol. 53, n°2, January 2001.
- David HELD, « Democracy: From City State to a Cosmopolitan Order?» *Political Studies*, vol. 40.
- DELCOURT, “Le Principe de souveraineté à l’épreuve des nouvelles formes d’administration Internationale de territoires », *Revue du Centre d’études ET de recherches en administration publique*, 2005.
- Georg JELLINEK, « L’État moderne et son droit : Théorie juridique de l’État », (1911), 2005.
- Hans Kelsen, « Théorie générale du droit et de l’État », Paris : LGDJ, 1997.
- Harry HINSLEY, « Sovereignty », Cambridge, 1986.
- J. BODIN, « Les six livres de la République », 1576, L. I, chap. 8.
- Jean COLIN, « Variations sur la souveraineté », *Annuaire Français de Relations Internationales* 2009.
- Jean-Dominique GIULIANI, « L’Etat-nation dans la globalisation au XXIème siècle », Bureau des Conseillers de Politique européenne.
- Jerzy KRANZ, « Réflexions sur la souveraineté », in *Theory of International Law at the Threshold of the 21st Century*, The Hague-London-Boston 1996.

- Jonathan IAN WHITE, « A Critical Reflection on Sovereignty in International Relations Today », E-International relations students, University of Birmingham, December 2018.
- Leo PANITCH, « Rethinking the Role of the State », in MITTLEMAN J.H., (ed.), Globalization Critical Reflections, The International Political Economy Yearbook, vol. 9, Boulder, Lynner Rienner, 1996.
- Michel VIRALLY, « Une pierre d'angle qui résiste au temps : avatars et pérennité de l'idée de souveraineté », IUHEI, Sijthoff, 1977.
- Olivier BEAUD, « La puissance de l'État », Puf, coll. Léviathan, 1994.
- Pierre Bellanger, audition 19 octobre 2016.
- Ralph MILIBAND, « The State in Capitalist Society ». Great Britain: Hazel Watson & Viney Ltd.
- Robert COX, « Production Power and World Order Social Power in the Making of History ». New York: Columbia University Press.
- R. CARRÉ DE MALBERG, « Contribution à la théorie générale de l'État », t. I.
- Robert JACKSON, « Quasi-States: Sovereignty, International Relations, and the Third World », Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2007.
- Sabine SAURUGGER, « « Théoriser l'État dans l'Union européenne ou la souveraineté au concret », Jus Politicum 2012, n° 8.
- Santi ROMANO, « L'ordre juridique », Dalloz, France 2002.
- Simone Goyard-Fabre, « « Légitimité », in D. ALLAND, S. RIALS, Dictionnaire de la culture juridique, in Boris BARRAUD, « Souveraineté de l'État et puissance de l'État ».
- Stephen KRASNER, « Sovereignty: organized hypocrisy ». Princeton, Princeton University Press, 1999.
- Thomas Berns, « Souveraineté, droit et gouvernementalité », Arch. Phil. Droit 2002, p. 353, In « Souveraineté de l'Etat et puissance de l'Etat », Boris Barraud, Revue de la Recherche Juridique – Droit Prospectif 2017-1, n° 165.

الولاية والسيادة

بين جدلية المنظور الفقهي ودلالات البعد السياسي

الاستاذ المساعد الدكتور

محمد باقر البهادلي

ملخص البحث.

تتباين المفاهيم السياسية بتنوع التفسيرات الفكرية، والأصول النظرية، وتغير من خلال التطبيقات العملية، المتفاعلة مع حركية النص، وتطور المفهوم بلحاظ الأصل والمصادق.

فالولاية كمفهوم سياسي يرتبط كثيراً بالتفسير الديني، سواء من حيث الاطلاق أو التقييد أو ما بينهما، لكنه يختلف في دلالاته السياسية بين علماء الدين اعتماداً على المبنى الفقهي والأساس الفكري لكل منهم، ومدى صلة ذلك بالحكم والسلطة.

ومفهوم السيادة إقترن - وفق التطورات والتطبيقات - بالدولة. فأخذ البعد السياسي الذي يقترن من التفسير الديني في بعض الدلالات، ويبتعد عنه في موارد أخرى، مع تحقق التلازم بينه وبين مفهوم الدولة وأركانها.

من هنا إنطلقت فكرة البحث : (الولاية والسيادة بين جدلية المنظور الفقهي ودلالات البعد السياسي)، والذي تكون من مقدمة ومبحثين وخاتمة وقائمة بأهم المصادر والمراجع.

تناول المبحث الأول مفهوم الولاية وأقسامها، وتوزع على أربعة مطالب؛ كان المطلب الأول في معنى الولاية ودلالاتها بين اللغة والإصطلاح ، وبيان أهم الآراء العلمية في ذلك، مع بيان بعض الإشكالات التي ترد على تلك التعريفات.

أما المطلب الثاني فكان في طبيعة الفهم الإسلامي للولاية من خلال رأي المفسرين لآيات القرآن الكريم ، وبيان ترابط المفهوم بنشأة الحضارة العربية الإسلامية .

أما المطلب الثالث فكان في توضيح أصالة الولاية وفق التفسير الإسلامي وهي - بحسب هذا التفسير - لله تعالى بالأصالة على العباد والبلاد، وبيان مدى الترابط بين الولاية الحقيقية التي نشأت من خالقيته ومالكيته - عز وجل - ، وبين مفهوم الحاكمية وأقسام ذلك و تفرعاتها .

أما المطلب الرابع فكان في علاقة الولاية بالسلطة وفق المذاهب الإسلامية ، والتي اختلفت بحسب النظريات الفكرية والآراء الفقهية .

أما المبحث الثاني فكان في مفهوم السيادة ومصادر شرعيتها وفق الآراء الفلسفية والقانونية. وجاء بأربعة مطالب أيضاً؛ المطلب الأول كان في مفهوم السيادة لغة واصطلاحاً وبيان حدودها .

المطلب الثاني كان في السيادة وفق التطور النظري لآراء الفلاسفة والقانونيين عبر قرون متعددة ساهمت في التراكم المعرفي للمفهوم وتطوره لحين بروز مفهوم الدولة الحديثة، ليكون ركناً من أركانها الرئيسية.

أما المطلب الثالث فهو في أنواع السيادة وفروعها وأصولها، وتطور المفهوم مع طبيعة التطور الفكري والسياسي والذي ترافق مع ظهور الأنظمة السياسية الحديثة .

أما المطلب الرابع فهو في السيادة وفق القانون الدولي، وتأثير ذلك النظام عليها، بلحاظ الأفكار الأساسية التي يقوم عليها بنين القانون الدولي المعاصر والذي يكون مبدأ السيادة هو الأساس فيه، وبعدّ المبدأ المنظم لطبيعة العلاقات الدولية بين الدول المستقلة، والكاملة السيادة .

وأختتم البحث بخاتمة فيها أهم الاستنتاجات، وذلك من خلال التأكيد على وجود اختلاف في تفسيرات الولاية، مع بيان ارتباطها بمفهوم السلطة، ويتركز الاختلاف في حدود السلطة وشرعيتها .

وأخيراً يمكننا القول أن مفهوم الولاية يقترن غالباً بالبعد المكاني بلحاظ الفهم الديني، وصعوبة تطبيق مصاديقه وفق التفسير الديني على جميع الدول أوفي كافة أنظمة الحكم، مع الاخذ بالاعتبار أحقية النظريات التي فسرتة من عدمها، والأسس التي استندت عليها، دون إغفال دلالاته المقيدة تارة وإمكانيته العامة تارة أخرى.

لكننا نلاحظ أن مفهوم السيادة بات شمولياً أكثر؛ لإمكانية تطبيقه ودراسة شرعيته وتحقيق مفرداته على جميع الدول سواء أكانت دولاً إسلامية إتخذت من الحكم الإسلامي نظاماً يستند على نظريات الولاية التي تنبثق منها السيادة ، أو من خلال أنظمة الدول التي إنتهجت العلمانية أو الليبرالية كنظام حكم للدول مع وجود غالبية مسلمة، أو بالنظر الى دول أخرى شرعت ببناء مؤسسات تشريعية وتنفيذية، سواء أكانت ديمقراطية النهج، أو التي إبتعدت عن الديمقراطية نظرياً وتطبيقياً.

وأختتم البحث بأهم المصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها فيه.

Wilaya and sovereignty between the dialectic of the doctrinal perspectives and the implications of the political dimensions

Abstract:

Political concepts vary with the high diversity of intellectual interpretations and theoretical origins. These concepts change according to practical applications, and they interact with the dynamics of the scripts and the evolution of the idea with consideration of sources and validity.

The governorship (Wilaya) as a political concept is very much linked to religious explanations, both in terms of its absoluteness, limitations, or in between. However, it differs in its political connotations among religious scholars depending on the doctrinal structure and the intellectual basis of each of them and the extent to which this relates to governance and power.

The concept of sovereignty and the development and application of it is associated with the state, and it is one of the state pillars. This concept has adopted a political dimension which is associated with religious interpretations in some contexts and moves away from religion in other connotations.

In this paper, these two concepts are discussed through different perspectives to reach a clear definition of Wilaya and sovereignty. We discuss the concept of Wilaya, the origin of the word in the Arabic language, and how this word can be used and its significance in the terminology. We also tried to elucidate the authenticity of the Wilaya

under the Islamic interpretation, which is "according to this interpretation," the power of Allah (God) on the creatures, including the people. Later we discussed the concept of sovereignty and the sources of its legitimacy according to philosophical and legal opinions.

In conclusion, we emphasize the existence of a difference in the interpretations of the governorship in Islam. These differences are associated with the concept of power, and they are concentrated within the limits of power and its legitimacy. Despite the importance of the term of governorship (Wilaya) in the Arab and Islamic heritage, but it has always been linked to the doctrinal and intellectual structure in the Islamic culture, which sometimes goes to the extent that may exceed the principle of governance and authority. It takes a political dimension rather than religious differences between the sects.

On the other hand, the concept of sovereignty has emerged earlier than the concept of governorship (Wilaya). However, it took different forms across history, and it had different shapes between the civilizations. In some contexts, sovereignty as a political concept was also linked to certain religious beliefs. However, this concept has evolved with the emergence of the modern state. The link between sovereignty and the authority and the idea of political independence is the central pillar of the contemporary state.

المقدمة.

ترتبط دلالات المفاهيم السياسية - غالباً - في مصاديقها وتطبيقاتها، وربما تقترن كثيراً بالحقب التاريخية المنشأة لها، أو المتكونة عنها. ومع تنامي البعد النظري لكل مفهوم، والمستند الى تفسير ديني، أو منشأ سياسي - منفرد أو متصل - وبشكل أو بآخر؛ لا بد من ملاحظة الضرورة التاريخية لنشأته وتطورات.

وقد يتفق مفهوم الولاية مع السيادة بالمؤدى والتطبيق في كثير من مفاصلهما إلا انهما يختلفان في طبيعة النشأة والتكوين. فنرى إقتران الأول - غالبا - بالتفسير الإسلامي ونشوء الدولة فيها ، إلا اننا نرى بروز مفهوم السيادة في آراء الفلاسفة والمفكرين الذين سبقوا ظهور الحضارة الإسلامية.

إشكالية البحث:

يختلف الفقهاء كثيراً في تفسير الولاية، وذلك لطبيعة المبنى الفكري والنظري لكل منهم، ونرى أن التفسير السياسي للسيادة وفق الفهم الديني يختلف باختلاف المدارس الفكرية أيضاً.

الآن إرتباط الولاية والسيادة بدلالات الحكم والسلطة يشكل جدلية تخط نوعاً ما بين الشرعية ومصادرها، والمشروعية وأسسها.

ولابد من التفريق بين التفسير الديني المطلق بحدود الدين، وبين المفهوم المطلق بنطاق الدولة الواحدة أو الدول المتعددة.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في طبيعة التمييز بين التفسير الديني والبعد السياسي، إذ ان المنظور الفقهي للولاية ربما يأخذ بعداً سياسياً بالاستناد الى نظريات وتفسيرات معينة. وذلك لا يعني إمكانية تطبيق المنظور هذا على كل الأنظمة السياسية أو الدول المختلفة في عالمنا المعاصر. ويمكن أن نتخذ من المفهوم السياسي للسيادة ما يؤدي لمفهوم الولاية ؛ بلحاظ مطابقته من عدمها، أو تكييفه وفق التفسير الديني للدول التي تتخذ من الدين نظام حكم فيها .

اطار البحث:

تكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة وقائمة بأهم المصادر والمراجع.

فالمبحث الأول تناول مفهوم الولاية وأقسامها وتوزع على أربعة مطالب؛ المطلب الأول كان في الولاية لغةً واصطلاحاً، والثاني تناول الفهم الإسلامي للولاية، والثالث تطرق الى أقسام الولاية وتفرعاتها، أما المطلب الرابع فكان في علاقة الولاية بالسلطة وفق المذاهب الإسلامية.

المبحث الثاني كان في مفهوم السيادة ومصادر شرعيتها وفق الآراء الفلسفية والقانونية، وهو على أربعة مطالب أيضاً؛ فالمطلب الأول تناول مفهوم السيادة وحدودها ، والثاني تناول السيادة وفق الآراء الفلسفية والقانونية، والثالث في أنواع السيادة وفروعها وأصولها، أما المطلب الرابع

فقد تناول السيادة في القانون الدولي وتأثيرات النظام الدولي الجديد عليها، ومن ثم الخاتمة التي كان فيها أهم الاستنتاجات، وأختتم البحث في قائمة بأهم المصادر والمراجع.

منهج البحث:

إعتمد البحث على المنهج الاستدلالي والتحليلي، وذلك كون الولاية كمفهوم وتطبيق تعتمد على الرجوع الى الأدلة التي إستندت الى أسسها وشرعيتها ، التي إعتمدت في الفهم الإسلامي على القران الكريم والسنة الشريفة ، كما تشمل روايات أهل البيت (ع) ، والأدلة الأخرى التي لاتخلو من إختلافات في تفسيراتها ، فضلاً عن مفهوم السيادة وفق تحليل النظريات والآراء التي تطرق اليها كثير من الفلاسفة والمفكرين، وتحديد مدى إرتباط المفهومين من حيث الفقه والشريعة والتطبيق السياسي ، وتأثيرات وتطورات المجتمع الدولي عليهما .

مصادر البحث:

إن البحث في مسألة نظرية وقعت محلاً للاختلاف بين المفكرين تتطلب الاعتماد على مصادر مختلفة في اللغة والتفسير والفقه والأصول والفلسفة والفكر السياسي، لذا تنوعت مصادر الدراسة بين عدة علوم معرفية من أجل الإحاطة بمقاربة عملية لجدلية المفهوم ودلالاته السياسية .

وأختتم البحث بالخاتمة التي تم التطرق فيها الى أهم الاستنتاجات المتعلقة بالبحث. ومن ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع .

اللهم وقّفتني إذا أشكلت عليّ الأمور لأهداها ، وإذا تشابهت الأعمال لأزكاها ، وإذا تناقضت الملل لأرضاها . والحمد لله رب العالمين الذي جعل لكلّ شيء قدراً .

المبحث الأول

مفهوم الولاية وأقسامها

المطلب الأول: الولاية لغةً واصطلاحاً

الولاية في اللغة مأخوذة من (وَلِيَ) إذ يقال: وُلِيَ الشيء، وولي عليه ولاية وولاية^(١).

(١) بن زكريا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ج٦، (مادة ولي)، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ، ص١٤١.

والولاية (بفتح الواو) تأتي بمعنى النصره والتولي، ومن ذلك قوله تعالى: [... مَا لَكُمْ مِنْ وَاٰلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ...]^(١). وبكسر ها أي الولاية فتأتي بمعنى السلطان، والخطة، والإمارة، والملك، والبلاد التي يتسلط عليها الوالي^(٢).

واختلفت الآراء في تفسير معنى الولاية اصطلاحاً، ومن أهمها :

أولاً: أن الولاية تفيد القول على الغير^(٣).

وقد أعترض على هذا التعريف بأن الولاية صفة تقوم بالأشخاص وليست تنفيذاً أو نتيجة؛ لأن التنفيذ أثر للولاية ولا تعني حقيقتها، أو تكون مصداقاً لها. كما انه تعريف غير جامع لأنواع الولاية.

ثانياً: هي سلطة تجعل لمن تثبت له القدرة على انشاء التصرفات والعقود وتنفيذها^(٤).

وهنا يرد الاشكال في اطلاق نوع السلطة وعدم تحديده، وتشابك الاطلاق بين السلطة غير الشرعية والشرعية منها، مما يدخل في مجال الجدل في تحديد معيار الشرعية.

ثالثاً: الولاية سلطة شرعية لشخص في إدارة شأن من الشؤون وتنفيذ إرادته فيه

على الغير من فرد أو جماعة^(٥).

وهنا يجعل للولي تنفيذ إرادته على الغير دون إعتبرات أخرى تتعلق بولاية الاختيار وحدودها، كما أنه قصر الولاية على الفرد أو الجماعة دون الأمور الأخرى.

رابعاً: الولاية هي سلطة شرعية يتمكن بها صاحبها من إدارة شؤون المولى عليه وتنفيذها^(٦).

وبذلك فان الولاية يستدل منها على الحاكمية والسلطة والقيادة وتدبير شؤون الأمة. لكن الملاحظ أن شرعية السلطة غير متلازمة دوماً مع صاحب الولاية. فكثير ما يحصل تداخل وتدافع بين الشرعية والمشروعية سواء في الوالي أو المولى، أو ما ينتج عن ذلك من أعمال وفق فترات تاريخية مختلفة.

(١) سورة الانفال: الآية: ٧٢.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج٦، (مادة ولي)، دار المعارف، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٤٩٢.

(٣) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الحنفي، التعريفات، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ص ١٧٧.

(٤) شلبي، محمد مصطفى، احكام الاسرة في الإسلام، الدار الجامعية، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، ص ٢٧١.

(٥) الزرقاء، مصطفى بن احمد، المدخل الفقهي العام، مطبعة طربين، دمشق، ج٢، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، ص ٨١٧.

(٦) الودعاني، محمد بن عبد الله، الولايات الخاصة في الفقه، أطروحة دكتوراه غير منشوره، جامعه الامام، المعهد العالي للقضاء، الرياض، ١٤١٣هـ، ص ٢٢-٢٦.

ولكن لا يمكننا إغفال الترابط والانسجام الظاهر بين معنى الولاية في اللغة والاصطلاح؛ إذ أن الولي مصداق لمعاني التدبير والقدرة والرعاية، وجلب المصالح، ودرء المفسدات في الأعمال التي يمارسها والتصرفات التي يقوم بها لأجل حق مولّيه.

وقد أستخدم مفهوم الولاية بدلالة القرب في القضايا المعنوية والوجودات غير المادية، وفي القضايا المعنوية والفكرية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية. واكتسبت في بعض الاحيان عمقا قانونيا وأخرا غير قانوني، لا بل حتى غير شرعي.

المطلب الثاني: الفهم الإسلامي للولاية

ورد مصطلح الولاية ومشتقاته بشكل كثير في القران الكريم، إذ ورد بحدود (٩٠ مرة)، مما يؤكد موقع هذا المفهوم في الثقافة القرآنية. جاء في قوله تعالى: [اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ]^(١) وقوله تعالى: [إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا]^(٢) قوله جلّ شأنه: [الْوَالِيَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ]^(٣).

وغالبا ما يؤكد على مفهوم القرب بين شئيين، وما يترتب على هذا القرب من ارتباط وإنشاد، وربما محبة ومسؤولية وصلاحيّة من التدبير والإدارة. أو من مسؤولية وصلاحيّة تعاون أو إسناد، أو من إندماج وتأثر^(٤).

وفي المفهوم الأعم لمصطلح الولاية فانه لا يقتصر على الولاية المحدودة كولاية الولي بالنسبة الى الأيتام والفُصَّر والشؤون الحسبية. بل المقصود هي الولاية التي يحق معها أن يتصرف الولي في شؤون المجتمع نفوساً واموالاً، وينظم أمورهم ويدبر مجتمعهم بالسلطات الثلاث؛ التشريعية والتنفيذية والقضائية، وما يتفرع عنها من آليات ومؤسسات.

ومما ضمن في مصطلح الولاية من مفهوم فهو السيادة والسلطة. سواء في الاستعمال القرآني أو في السنّة الشريفة. ومن هنا يكون لهذا المصطلح مفاهيم عدة في التراث الإسلامي، وتنوعت في التراث الإسلامي الامامي، فتارة كانت ولاية تكوينية، وأخرى كلامية، وثالثة عرفانية، ورابعة فقهية^(٥).

(١) سورة البقره الآية: ٢٥٧

(٢) سورة المائدة الآية: ٥٥

(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٤.

(٤) للتفصيل أكثر أنظر: الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القران، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٧ هـ، ج٢، ص ٣٤٩، ج٦، ص ٥٠.

(٥) الموسوي، الشريف المرتضى علم الهدى، الذخيرة في علم الكلام، تحقيق أحمد الحسيني، مؤسسه النشر الإسلامي، قم ١٤١١ هـ، ١٩٩٠م، ص ٤٠٩.

وظهر هذا المصطلح في بداية نشأة الدولة الإسلامية كجزء من النظام الاداري الذي يسهل إدارة المدن والأمصار من خلال من كانوا يسمون (بالعمال والولاة). وقد دأب الرسول (ص) وهو ينشر الدعوة الى الإسلام أن يكون ثمة إداريين سموا بالعمال، مهمتهم الامامة؛ أي إمامة الناس في الصلاة، وتنقيفهم في أمور دينهم ، وتعليمهم القرآن الكريم، ومبادئ العقيدة. فضلا عن قيامهم بجمع ما يترتب على المسلمين من صدقات واموال.

وكان معظم أولئك العمال من الصحابة الذين أختيروا على أسس تمتعهم بصفات التفقه بالدين، والنزاهة ، والاستقامة، والحرص على الدولة. أما الاختلاف بينهم من حيث الدقة والتفاني، فهو بحسب مقدراتهم وطبيعة المرحلة. لكنهم لم يكونوا مطلقا التصرف، كما لم تكن لهم صفة سياسية^(١).

وبعد أن اتسعت الدولة صارت كلمة (الوالي) تطلق على كل من يتولى إدارة المدن والامصار الإسلامية. ثم تطور المنصب في عهد الخلفاء الراشدين وأصبح يوحي بالسلطة والنفوذ السياسي. فالى جانب العمال الذين إقتصرت وظيفتهم على جباية الخراج وجمع الصدقات، إنصرف الوالي لإدارة دفة السياسة وإدارة الولاية في جوانبها العامة.

المطلب الثالث: أقسام الولاية وتفرعاتها

وفق الفهم الإسلامي للولاية؛ فان الولاية لله بالأصالة على العباد والبلاد، والذي منه تنفرع باقي الولايات والسلطات [هُنَالِكِ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا]^(٢).

وقد ظهر من هذا أن المقصود من حصر الحاكمية في الله عزوجلّ، هو حصر أصالة الحاكمية وجذورها وعللها المستتبعة لها وهي الولاية. فيما أن الولاية على العباد منحصرة في خالقهم، فالحاكمية بمعنى الولاية والتصرف منحصرة فيه سبحانه ، إذ لا يجوز (وفق هذا الفهم) لأحد أن يتولى الحكومة إلا أن يكون مأذونا ممن له الولاية الحقيقية ، بمعنى تكون ولاياتهم طولية وليست عرضية .

ولا نعني من عنوان إنحصار حق الحاكمية في الله حصر الأمرة في الله سبحانه وتعالى. بمعنى أن يتولى الأمرة على العباد والتسلط عليهم تسلطا حكومياً، وانما المقصود هو الولاية بالواسطة. فان الأنبياء والأولياء وكل مأذون من قبله سبحانه وتعالى أن يتولى الحكومة من جانب

(١) بسبوني ، د. عبد الغني، نظريه الدولة في الإسلام ، الدار الجامعية ، بيروت، ١٩٨٦م ، ص ١٩٩.
(٢) سورة الكهف الآية: ٤٤

الله عزَّوجلَّ. وعليه فالولاية وحق الحكومة بالأصالة حق الله تعالى ، وانما يتصدى غيره بإذنه عزَّوجلَّ او بأمره^(١).

[إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ]^(٢).

والمراد من الحكم هو الحاكمية القانونيّة، وهي تنبعث من الولاية الحقيقية التي تنشأ من خالقيته ومالكيته عزَّوجلَّ. وفي ذلك يخاطب الله نبيه داود(ع): [يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ]^(٣).

وهنا يتبين ان استخلاف الله سبحانه وتعالى لداود(ع) يدلُّ على إعطائه حق الحاكمية على الناس بمعناها الواسع الشامل لكل شؤون الحكم^(٤).

و يصطلح على الولاية الإلهية على الكون بالولاية التكوينية والتي يمكن تقسيمها الى أربعة أقسام:

١. ولاية الخلق: بمعنى انه هو الخالق لكل شيء: [ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ]^(٥). ونسبة الخلق اليه تبارك وتعالى حقيقية، ونسبته الى غيره مجازية كما في قوله تعالى: [أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ]^(٦) وهذا ما ذهب اليه المفسرون وعلماء الكلام.

٢. ولاية الابقاء: لأن بقاء الاشياء برعايته وقيمومته سبحانه على كل شيء. قوله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا]^(٧)، وفي قوله تعالى: [وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ]^(٨).

٣. ولاية الانماء: إذ هو عزَّوجلَّ رب العالمين فكل شيء ينمو بإرادته ورعايته ، ومن الواضح أن الانماء غير الایجاد والابقاء، فالانماء فيه نوع من التحويل من حال الى حال ، سواء كان هذا التحويل من الأسوأ الى الافضل أو من الافضل الى الأسوأ، وحتى حين يكون بدرجات التفضيل المتدرجة أو النوعية.

(١) موسى، د. محمد يوسف، نظام الحكم في الإسلام، تحقيق حسين يوسف موسى، دار الفكر العربي، القاهرة، بلاتاريخ ، ص١٨.
(٢) سورة يوسف الآية: ٤٠.
(٣) سورة ص الآية: ٢٦.
(٤) الأملي، حيدر، نص النصوص في شرح الفصوص، طهران، ١٣٥٣هـ، ١٩٧٥م، ص٦٧١.
(٥) سورة غافر الآية: ٦٢.
(٦) سورة ال عمران الآية: ٤٩.
(٧) سورة فاطر الآية: ٤١.
(٨) سورة الرعد الآية: ٧٨.
(٩) سورة الزلزلة الآية ٧، ٨.

٤. ولاية الجراء: إذ هو جل شأنه يتولى الحساب في الدنيا والآخرة، ثواباً أو عقاباً كما قامت عليه أدله العقل والنقل، وآراء المفسرين، إذ ورد في قوله تعالى: [فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ] (١)، وقوله جلّ شأنه: [قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ] (٢).

ولعل التعبير الجامع الذي ورد في القرآن الكريم الشامل للولاية الالهية على الكون بأبعادها الأربعة هو التدبير. إذ أن التدبير في اللغة يدل على التفكير في دبر الامور، والتدبير معنى جامع يتضمن انماء التصرفات الالهية والكون، إيجاداً أو إبقاءً، وإنماءً وحساباً (٣)

وهناك ما يسمى الولاية التشريعية وهي بمعنى مالكية القدرة على التصرف في شؤون التشريع بما يشمل أحكام القوانين والأنظمة، وهي أولاً وبالذات مختصة بالله سبحانه وتعالى لا غير، كما قامت عليه الفطرة والعقل وتضامن الآيات والروايات. فله حق جعل الاحكام، ووضع القوانين، وإنزال الكتب، وإرسال الرسل، وجعل الشرائع والاديان؛ لأنه هو العالم بالمصالح والمفاسد الواقعية، وبما يحتاج اليه الخلق في الحاضر والمستقبل، أما غيره فلا إحاطة له بشيء من ذلك (٤).

قال تعالى: [إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ] (٥)، وكما ورد في قوله جل شأنه: [الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَفُضُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ] (٦).

من هنا نرى أن السلطة الحقيقية في الوجود ناشئة من الولاية الحقيقية الذاتية على شؤون التكوين والتشريع. وهذه الولاية الذاتية لا يملكها الا الله سبحانه، فهو مبدأ السلطة والولاية، وهو مصدرها. وكل سلطة أو سيادة أو ولاية ينبغي أن تنفرع منه وتنشأ من رضاه وفق التفسير الإسلامي للولاية .

ويعتقد بعض علماء الشيعة الإمامية بوجود الولاية الجعلية، أو السلطة التنصيبية؛ التي تعني الولاية التي جعلها صاحب الولاية الأصلية أو التابعة للغير، سواء كان بنحوها الخاص كما في نواب الغيبة الصغرى. أو العام كالفقهاء جامعي الشرائط في زمن الغيبة الكبرى كما في زماننا هذا. ويعتقدون بأن ولاية الفقهاء إمتداد لولاية المعصومين؛ لكونها ثابتة للفقهاء بالجعل والتنصيب، وبذلك تكون ولايتهم تشكل المرتبة الثالثة لمنشأ السلطة ومصدر السيادة وفق رأي

(٤) سورة المائدة الآية ١٠٠.

(٥) عمارة، محمد، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٣٦ وما بعدها.

(٤) العاملي، جعفر مرتضى، الولاية التشريعية، المركز الإسلامي للدراسات، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ص ٢٤.

(٥) سورة يوسف الآية: ٤٠.

(٦) سورة الأنعام الآية: ٥٧.

المؤمنين بهذا التفسير. ولا يتفق علماء الشيعة الإمامية على هذا، إذ لا يعتقد كثير منهم بهذه الولاية العامة للفقهاء في كل أمور الأمة^(١).

المطلب الرابع: الولاية وعلاقتها بالسلطة وفق المذاهب الإسلامية.

أولاً : الولاية لدى فقهاء الامامية

تعد طاعة أولي الأمر واجبة لدى جميع المسلمين بالاستناد إلى الكتاب الكريم والسنة الشريفة وإجماع المسلمين، لكن الاختلاف فيما بينهم في تحديد من هو ولي الأمر، وأين تجب الطاعة، وفي أي الأمور، وما هي مواضع الخروج عن طاعتهم، وفي أي وقت. وهذا مدار بحث طويل يختلف بحسب المذاهب والنظريات الفكرية والفقهية.

لكن من يعتقد بولاية الفقيه العامة يرى بأن لها عدة مراتب:

المرتبة الأولى: الولاية على إجراء الحدود وتطبيق الاحكام.

المرتبة الثانية: الولاية على الحكومة والسياسة من نظم البلاد وحفظ الحدود. والدفاع، وكل ما يرتبط بنظام المجتمع والمصالح العامة.

المرتبة الثالثة: الولاية على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المرتبة الرابعة: الولاية على الأموال والنفوس مطلقاً.

المرتبة الخامسة: الولاية على التشريع، بأن يكون للفقيه حق وضع القوانين وتشريعها بحسب ما يراه من المصالح ضمن إطار الأدلة الأربعة^(٢).

وقد اختلفت أقوال الفقهاء في ثبوت ولاية الحكومة من ناحية الإطلاق والتقييد إلى أقوال ثلاثة وهي: الإطلاق والوسط والتقييد.

القول الأول: الإطلاق. فيثبت للفقيه ما للمعصوم (ع) من الولاية والسلطنة. وهذا ما ذهب إليه المحقق النراقي^(٣).

(١) الصفار، الشيخ فاضل، فقه الدولة، دار الأنصار، ج١، ص ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص ٢٤٥.
(٢) للتفصيل أنظر البهادلي د. جواد، مختصر المفتاح في أصول الفقه المقارن، مطبعة مجمع أهل البيت، النجف، ط١، ٢٠١٢م، ص ١٨٧ - ١٨٨.
(٣) النراقي، أحمد بن مهدي، عوائد الأيام في بيان قواعد استنباط الأحكام، دار الهادي للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، ص ١٨٨.

القول الثاني: الوسط: وهو المشهور بين الفقهاء حيث ذهب إلى أن الفقيه مضافاً إلى منصب الإفتاء أو القضاء، والتصدي لما يدخل في وظيفة الحاكم والولاية من الامور النوعية الراجعة إلى تدبير الملك والسياسة، وهذا ما ذهب إليه الشيخ الطوسي والبهائي والكركي^(١).

القول الثالث: التقييد، اذ يحصر مسؤولية الفقيه ومناصبه بالتصدي للامور الحسينية والافتاء والقضاء فقط، وهذا اختيار جمع من الفقهاء، كالمحدث البحراني والشيخ مرتضى الأنصاري والسيد الخوئي وغيرهم. اذ يرى الشيخ الأنصاري أن الولاية تقسم إلى قسمين: وهما: الولاية المستقلة وهي ما يتصرف الولي بنفسه فيها، وغير المستقلة وهي ما يكون تصرف غيره منوطاً باذنه^(٢).

ومع القول بثبوت الولاية فلا يعني ذلك وجوب تصدي الفقيه لجميع الامور بنفسه بالمباشرة، بل يمكنه أن يفوض الامور إلى أهلها من الأشخاص أو المؤسسات مع رعاية القوة والتخصص والأمانة والخبرة، ويكون هو المشرف عليهم والمراقب لهم بعيونه وأيديه، ومسؤولاً عن أعمالهم، إذا تساهلوا أو قصرُوا. كما ينبغي أن يشاور المطلعين والخبراء في الحوادث والامور الواقعة المهمة.

ويرى السيد السيستاني أن الولاية فيما يعبر عنها في كلمات الفقهاء بالامور الحسينية تثبت لكل فقيه جامع لشروط التقليد^(٣). واما الولاية فيما هو أوسع منها في الامور العامة التي يتوقف عليها نظام المجتمع الإسلامي فلمن تثبت له من الفقهاء، ولظروف أعمالها شروط إضافية؛ و منها أن يكون للفقيه مقبولية عامة لدى المؤمنين^(٤). ويرى ان حكم المجتهد الجامع للشرائط المقبول لدى عامة الناس؛ نافذ مطلقاً فيما يتوقف عليه نظام المجتمع، إلا إذا تبين خطؤه وكان مخالفاً لما ثبت قطعاً في الكتاب والسنة^(٥).

ويعدّ الشيخ محمد حسين النائيني أول من صاغ مضمون ولاية الأمة في كتابه، تنبيه الأمة وتنزيه الملة. وتعدّ أفكار الشيخ محمد مهدي شمس الدين، حول النظام السياسي الإسلامي، ودور الأمة في السلطة، مواصلة لتطوير نظرية النائيني السياسية. وتدعو هذه النظرية إلى اقامة الدولة في عصر الغيبة بناءً على قاعدة ولاية الأمة على نفسها.

(١) الطوسي، الغيبة، مصدر سابق، ص ١٧٧. كذلك الهمداني، رضا، مصباح الفقيه، تحقيق محمد الباقر وآخرون، ط١، ج٣، قم، ١٤١٧هـ، ص ١٦١.

(٢) الأنصاري، مرتضى، المكاسب، اسمايليان، ج ٩، قم ١٤١٦هـ، ص ١٥٤.

(٣) لا يجوز التقليد إلا للمجتهد، والذي يبلغ درجة الاجتهاد لابد من أن تتوافر فيه الملكة التي يتمكن بها من استنباط الأحكام الشرعية. وهذه الملكة هي قوة تحصل بعد القدرة الكاملة والإحاطة البالغة بجميع منابع الأحكام ومدارك الاجتهاد من علم متن اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان والنبع والمنطق والكلام والتفسير والحديث وعلم الأصول وغيرها، ويقسم الاجتهاد إلى الاجتهاد المطلق والاجتهاد المجتزئ. للتفصيل انظر البهائي، د. محمد باقر، الحياة الفكرية في النجف الأشرف، مطبعة ستارة، قم، ط١ ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤ م، ص ١٨٥.

(٤) جواب استفتاء ورد إلى مكتب السيد السيستاني موقع مكتب سماحة السيد السيستاني الاستفتاءات WWW.sistani.org

(٥) الخفاف، حامد، النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠٧ م، ص ٢٢٢.

ثانيا : الولاية لدى فقهاء الجمهور :

يختلف فقهاء الجمهور في مسألة الولاية على خمسة مشارب :

الأول: ذهب إلى ولاية الأمة .

الثاني : ذهب إلى ولاية الحل والعقد.

الثالث : ذهب إلى ولاية الحاكم.

الرابع : ذهب إلى ولاية القوة والتسلط.

الخامس : ذهب إلى ولاية الله سبحانه وتعالى^(١).

ووجه هذا الأخير ناشئ من الفهم في أنهم يتفقون على أن الحاكم هو ولي الأمر الذي نص عليه الكتاب الكريم والسنة الشريفة من حيث الولاية الكبرى، مما قد يستفاد منه الرجوع إلى النص الشرعي، إلا أنهم من حيث الولاية الصغرى جعلوا تعيين الحاكم يتم بالشورى تارة، وباختيار أهل الحل والعقد تارة أخرى. بواسطة اختياره ممن سبق من الحكام ثالثة، وبواسطة تصديه للسلطة وغلبته وقهره لغيره وتوليه لها رابعة . ويستدلوا على ذلك ببعض الحوادث والوقائع التاريخية . أما نوع الإطاعة التي أوجبها الله تعالى لأولي الأمر أياً كانوا – بناء على الأقوال المطروحة بذلك - فذلك فيه جدل كبير فهل هي إطاعة من نوع إطاعة الله تعالى وفي عرضها أو هي من نوع آخر، وهو سبب افراد إطاعة الله تعالى عنها تكون تأسيساً لأمر آخر^(٢).

تعقيب:

من خلال ما تقدم يظهر لنا أن مفهوم الولاية يأخذ في الغالب الجانب الشرعي ، ويفهم بمصاديق السلطة من خلال التفسير الفقهي وفق المذهب والاعتقاد وأحياناً يحصل إختلاف في الفهم والتفسير حتى بين أطراف المذهب الواحد بناء على المباني الفقهية التي يستدل بها من خلال الاجتهاد ، الذي يعتمد على الاستنباط في الأحكام من خلال ما ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة وروايات وأحاديث المعصومين (ع) ، وهذا ينعكس أيضاً على شرعية الحاكم ومشروعية السلطة. والتي تعد الأساس في فرض السيادة بمفهومها الحديث والمعاصر.

(١) التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، شرح المقاصد، ج٥، عالم الكتب بيروت، ١٩٨٩م، ص ٢٣٤.
(٢) البهادلي، د. جواد، الثابت والمتغير في الشريعة الإسلامية، ط١، مطبعة مجمع أهل البيت، النجف الأشرف ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩م، ص ٣٠٩ - ٣١٢.

فحين نبحت السيادة لا يمكننا في الفهم الإسلامي أن نتجاوز حق الولاية وللمن تؤول وفق التفسير والمنظور الفقهي الإسلامي. لكننا إن ثبتنا حق الولاية يمكننا معرفة السيادة وحدودها وأركانها ، إستنادا الى أصل التولي سواء بالاتفاق أو بالأمر الواقع.

لكن في الغالب وبعد إختلاط المجتمعات أصبح التفسير الإسلامي للولاية لابد أن يراعى نسبية التمثيل والاعتقاد الإسلامي. فلا يمكننا مثلا تفسير نظرية الولاية بكل أقسامها في المجتمعات الغربية التي يشكل المسلمون فيها نسبة ضئيلة . ولا يمكن تطبيق ذلك في الدول التي يشكل المسلمون الغالبية فيها، ولكن أنظمة الحكم تبتعد عن الإسلام إبتعاداً كبيراً وربما لن يكون الإسلام إلا في فقرة دين الدولة في الدستور.

وبذلك يمكن القول أن مفهوم الولاية اصبح مفهوما يقترن بالتطبيق المكاني ، ولا يمكن أن نرى مصاديقه في جميع الدول وفي أنظمة الحكم المختلفة. دون إغفال أحقية النظريات التي فسرتها، والأسس التي إستندت عليها مع الاتفاق والإختلاف فيما بينها.

لكننا يمكننا القول ان مفهوم السيادة بات شموليا اكثر ويمكن تطبيقه ودراسة شرعيته ومدى تطبيق مفرداته على جميع الدول سواء أكانت الدول الإسلامية التي إنتهجت الحكم الإسلامي بالاستناد إلى نظريات الولاية التي تنبثق منها السيادة أو من خلال أنظمة الدول الإسلامية التي إنتهجت العلمانية في أنظمة الحكم مع وجود غالبية مسلمة ، فضلاً عن الدول التي شرعت ببناء مؤسسات تشريعية تنفيذية بعضها يبتنى على أسس ديمقراطية، والبعض الآخر إبتعد عن الديمقراطية قولا وفعلا.

المبحث الثاني

مفهوم السيادة ومصادر شرعيتها وفق الآراء الفلسفية والقانونية

المطلب الأول : مفهوم السيادة وحدودها

جاءت كلمة السيادة في اللغة العربية من الفعل (ساد)^(١)، وساد قومه صار سيدهم، والسود مصدر السيادة، وهي تعني رفعة القدر وشرف المنزلة، وهو مفهوم يدل على الغلبة والقوة والمنزلة.

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، مصدر سابق، ص ٢٤٨.

وإصطلاحاً فإن السيادة مصطلح قانوني مترجم من كلمة فرنسية *souverainete*، وهي مشتقة من الأصل اللاتيني *superanus*، والذي يعني بالأساس الأعلى، لذلك تعرف السيادة أحياناً بالسلطة العليا^(١).

وبالرغم من أن المفهوم بدلالاته الحالية يعد من المفاهيم الحديثة نسبياً والتي ظهرت في فرنسا وسط ظروف تاريخية ساهمت في تواجده، إلا أنه حظي باهتمام كبير لدى فلاسفة اليونان. ونشأ المصطلح مع ظهور الدولة وممارستها للسيادة والسلطة في العديد من دول الحضارات القديمة كالإغريق والصين ومصر وبلاد الرافدين.

فالإغريق كانوا من أولى المجتمعات التي سعت إلى إقامة مجتمع سياسي منضبط محدد المعالم لديه قدر من الثبات نسبياً، وتعد الفلسفة اليونانية القديمة هي ما مهدت الطريق لذلك، وكانت السيادة لديهم محاطة بهالة من المعتقدات الدينية التي تضي عليها القداسة والإلزامية، مما جعلت الأفراد يؤمنوا بها حد الطاعة، واقتترنت حينها بطاعة الإله، وأحكام الدين. وهو ما أحدث نوعاً من الحراك السياسي وتطبيق الديمقراطية^(٢).

وكثيراً ما يتم الخلط بين مفهومي السيادة والسلطة، حتى أن البعض يجعلهما فكرة واحدة، كما أنه يفقد الثبات والبنية التي تجعله متماسكاً. بينما السلطة يمكن القول عنها بأنها الممارسة الفعلية للهيأة الحاكمة في الدولة، فهي تعد من المفاهيم التي تمتلك قدر من الثبات كونها مصدر ممارسة السيادة وتشكل مظهر من مظاهرها.

ويستعمل الاستقلال كمفهوم مترابط مع السيادة وخصوصاً الاستقلال السياسي للدولة، ومع أن هناك اختلاف بين المصطلحين إلا إن الترابط والتلازم بينهما وثيقاً، ويعد الاستقلال هو بمثابة الباعث لتفعيل ممارسة السيادة. فكثير من الشعوب لديها قدرٌ من السيادة نظرياً، لكن الذي يعرقل ممارستها هو فقدانها الاستقلال.

المطلب الثاني: السيادة وفق الآراء الفلسفية والقانونية.

تعددت نظريات الحكماء قديماً في تفسير السيادة إلى آراء عدة تختلف من حيث الإطلاق والتقييد.

(١) العلوي، د. ياسر وأخرون، معجم المصطلحات السياسية، معهد البحرين للتنمية السياسية، ٢٠١٤م، ص ٤١.
(٢) الورداني، د. أيمن أحمد، حق الشعب في إسترداد السيادة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٣٧.

فأرسطو مثلا تكلم عن السلطة العليا في الدولة ، وتضمنت المفاهيم اللاهوتية عموما بتجسيد السيادة في شخص الحاكم بموجب نظرية الحق الإلهي، ويكون الحاكم مسؤولاً عن تطبيق القانون الإلهي^(١).

وارتبطت فكرة السيادة بالمفكر الفرنسي جان بودان (١٥٣٠ - ١٥٩٦م) الذي اخرج سنة ١٥٧٧ كتابه (الكتب الستة للجمهورية) وتضمنت نظرية السيادة، وذلك بمبادئه بضرورة التشريع في المجتمعات البشرية وقبول الناس لذلك على أساس انه طبيعي، وينسجم مع ميلهم وإرادتهم . وفي تفسيره للسيادة على أنها السلطة العليا المعترف بها والمسيطر على المواطنين والرعايا دون تقييد قانوني ، ماعدا القيود التي تفرضها القوانين الطبيعية والشرائع السماوية^(٢).

ويرى المفكر الإنجليزي توماس هوبز (١٥٨٨ - ١٦٧٩م) أن المجتمع الطبيعي هو مجتمع تسوده الفوضى والصراعات، ويرى أن الإنسان مصلحي وذاتي التفكير، ولا يحافظ على عهده وعقوده، ولا يطيع قوانين المجتمع إذا لم ينسجم ذلك مع صالحه.

وبالتالي فإن سلطة الدولة وسيادتها ضرورية للبقاء، ولا يمكن نقض العقد الاجتماعي الأصيل الذي تضمن التنازل عن الحقوق الطبيعية لصالح الدولة؛ لأن الحاجة لمثل هذا التنازل ضرورة مستمرة لضمان السلم الاجتماعي والحياة الجيدة ، وعليه فإن العقد الاجتماعي الذي خلق قوة السيادة للدولة مشروط بدوام قدرة الدولة على حفظ النظام والأمن ، وتمكين المجتمع من بلوغ الحياة الجيدة والحفاظ على القيم^(٣).

ويرى جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨م) أن السيادة القطعية في إطار إرادة الشعب العامة ، ويرى كذلك أن كل أشكال الحكم الموجودة والممكنة تختلف فقط في تدبير السلطة التنفيذية، بينما السيادة تبقى دائما من حق الشعب ، هذا الأخير قد يعهد بالسلطة التنفيذية في تدبير شؤونه لجزء كبير من الشعب، فيطلق على هذا الشكل من الحكم اسم الديمقراطية^(٤)، وقد يعهد بها لعدد محدود من الأشخاص فيطلق عليه اسم الأرستقراطية وبالتالي فقد وجه إهتمامه نحو إيجاد نظام اجتماعي يحمي أفرادها من الفساد. خصوصا وانه بعكس هوبز لم يكن يعتقد بأنانية الفرد المطلقة.

وقدم جون أوستن (١٧٩٠-١٨٥٩م) أكثر الشروح القانونية دقة وتأثيرا لمفهوم السيادة ، ولم يكن بحاجة للرجوع إلى نظرية العقد الاجتماعي؛ لإنشغاله بالقانون، وهو الذي يمكن تعريفه على

(١) الصفار، فقه الدولة، مصدر سابق، ص ١٩٤ - ١٩٩ .
(٢) المالكي، عبد الله، سيادة الأمة قبل تطبيق الشريعة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١ ، بيروت، ٢٠١٢ م ، ص ٨٨.
(٣) فسننت ، أندرو، نظريات الدولة ، ترجمة د. مالك شهيوه ورفيقه، دار الجبل، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٨٦.
(٤) نصر، د. محمد عبد المعز، في النظريات والنظم السياسية، مجد ، بيروت ، ١٩٨٩م، ص ٩١.

أنه الإرادة الصادرة عن موقع السيادة في الدولة . وهكذا فقد انطلق من ضرورة وجود السيادة ، وبالتالي وجود جهة معينة تمتلكها غير مجزأة وغير مقيدة قانونياً؛ لأنها مخولة بتشريع القوانين^(١).

ويعتقد أوستن أن المجتمع يميل إلى الطاعة ونحو رئيس مشترك ، كما يثير مسألة علاقة السيادة باعتراف الآخرين ، بينما إعتبر هوبز أن ممارسة السيادة تفرض على الآخرين الاعتراف الواقعي بها، وهو مساوٍ عنده للاعتراف القانوني.

الفكر الاسلامي والنظريات الغربية في السيادة :

تجدد الاشارة هنا الى ان الكثير من المفكرين الإسلاميين يرون أن النظريات المذكورة في تحديد مفهوم السيادة أو تعريفها غير تامة؛ لأنها نظرت إلى السيادة من الناحية النظرية الظاهرية والثانوية، ولم تبحث في أصلها ومصدرها الحقيقي الذي يكون للخالق عزَّوجلَّ لثبوت حق الخلق والتكوين ، والذي يملك حق التصرف منه فهو مصدر السيادة على الوجود تكويناً، والذي يملك سيادة التكوين يملك سيادة التشريع أيضاً؛ لملازمة التشريع للتكوين وتفرعه منه . ويرون ان بعض النظريات مبهم ومجمل واستشهدوا بنظرية أرسطو ، وبعضها يكون أعم كمنظرية الحق الإلهي؛ وذلك لكون الحاكم صاحب السيادة الشرعية هو ما نشأ حقه من رضا الخالق.

أما النظرية الفرنسية فقد أقرت ضمناً بتقديم حق الشريعة على حق الفرد والمجتمع، وهو إقرار ضمني بحق الخالق عزَّوجلَّ، لتبعية الشريعة إلى الخالق. إلا أن الإشكال فيها من جهة أخذها للسيادة الإلهية إستثناءً لا أصلاً^(٢).

وأما النظرية الإنجليزية فقد أخذت السيادة كضرورة ثانوية لا أصيلة؛ لأنها فرضت الحاجة إليها لغرض النظام والقيم والمجتمع . وبالتالي فهي أخذت بالعرض في مقام ما بالذات^(٣).

كما أنها أخص لجهة إمكان إلغاء السيادة في ما لو فرض إرتفاع التنازع والخصام بين الأفراد وفق ما ذهبت إليه النظرية الماركسية، حين برزت لتطالب بالقضاء على البرجوازية والتي تستخدم السيادة لإخضاع الشعب لصالح تأمين مصلحة الطبقات الحاكمة على حساب الأكثرية الكادحة ، ونقل السيادة لصالح دكتاتورية البروليتاريا تمهيداً لخلق المجتمع الشيوعي،

(١) التومي ، د. خالد، السيادة الوطنية وتحولات العلاقات الدولية الراهنة، المعهد المصري للدراسات، eipss.org ، ٢٠١٩م، ص٥.
(٢) شكر ، د. زهير الوسيط في القانون الدستوري ، ج ١، مجد، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٢٦.
(٣) نصر، في النظريات والنظم السياسية، مصدر سابق، ص ١٧ - ٢٧.

وإلغاء سبب وجود الدولة كأداة قمع طبقي تمهيدا لزوال الدولة. وبالتالي إلغاء ظاهرة السيادة بمفهومها المعروف مع أن السيادة في الدولة تهدف أيضا إلى إيصال البشرية إلى الكمال روحياً وفكرياً ، وعملياً للحاجة البشرية الذاتية إلى الكمال ، حتى لو فرض عدم التنازع أو التخاصم، أو فرض انعدام الطبقات^(١).

أما نظرية أوستن فهي إما بالمجمل أو بالتلويح ولو من بعيد تشير إلى النظرية الإسلامية القائلة بلزوم وجود سيادة ذاتية لها حق التصرف والتقنين بالأصالة.

ولعل هذه الإشكاليات أظهرت نظرية أخرى في القانون الوضعي تدعو إلى سيادة القانون، وذلك لأن تعددية المجتمع الحديث لا تتسجم مع وحدانية نظرية السيادة وإطلاقياتها . وأن مبدأ السيادة مبدأ خطر؛ لأنه يؤدي إلى تكتل صلاحيات مركزية واسعة جدا في يد الدولة، يهدد حقوق الفرد وحرية، ويحرم التنظيمات الاجتماعية الأخرى من السلطات . فضلا عن أن السيادة في الدولة ليست مصدرا للقانون، والدولة نفسها تكون خاضعة للقانون الذي يحمي الأفراد وحقوقهم . وبالتالي يفرض قيوداً على الدولة^(٢).

وتأسيساً على ذلك فإن القانون نفسه يصبح موضع السيادة ، وضماناته قائمة في مطابقته للظروف الاجتماعية التي تستند إلى مفاهيم الحق والعدل ولا تأتي من سلطة الدولة.

المطلب الثالث: أنواع السيادة وفروعها وأصولها

درجت العادة عند القانونيين على التفريق بين سيادة الدولة، والسيادة في الدولة . والقصد من هذا التمييز هو الفصل بين خارج الدولة وداخلها. فالأولى تنظر إلى خصائص السلطة الدولية بالقياس إلى الدول الأخرى ، والثانية تنظر إلى صاحب السيادة العليا في الدولة.

وفي الواقع فإن سيادة الدولة والسيد في الدولة هما شيئان مميّزان وسلطاتهما تختلف أيضا ، ولو في السعة والضيق. فسيادة الدولة هي إحدى المقومات الأساسية في شخصية الدولة وتلتصق بها التصاق لا يقبل انفصام . فالسيادة هي جزء لا يتجزأ من شخصية الدولة في المحافل الدولية وحقيقة مجردة عن صاحبها ، أي مجردة عمّن تسند إليه بغض النظر عن الحاكم أو السلطان^(٣).

وأما مسألة السيادة في الدولة ، فتقودنا إلى معرفة العضو الذي تسند إليه هذه السيادة، والذي يعود له حق السلطة الأمرة والناهية والمنفذة للقوانين والضوابط.

(١) ليلة، محمد كمال، النظم السياسية، الدولة الحكومة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧١م ، ص ٤٧ - ٥٩.

(٢) بسبوني، نظرية الدولة في الإسلام، مصدر سابق، ص ٣٩ - ٤٠.

(٣) بويوش، د. محمد ، أثر التحولات الدولية الراهنة على مفهوم السيادة الوطنية، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، ٢٠٠٥م ، ص ٢٠.

فمن الناحية القانونية السلطة الأمرة تعود إلى الأفراد الذين خولهم الدستور هذا الحق في القوانين الوضعية ، أو خولتهم الشريعة في تطبيق هذه القوانين، وإصدار الأوامر بحسب قوانين الشريعة . غير أن هذه الشرعية لا تكفي للإجابة على السؤال حول معرفة الأشخاص اللذين يعود لهم حق إصدار الأوامر^(١).

ومن هنا يجب التفريق بين سيادة الأمة وسيادة الشعب . ويرفض مؤيدو السيادة الشعبية جميع المعطيات التي قالت بها نظرية سيادة الأمة من خلال ما يأتي:

أولاً: لا يقرّون بوضع الأمة فوق القانون.

ثانياً: يقولون بالافتراع العام لجميع المواطنين دون التمييز؛ لأنه كل فرد من الشعب يملك جزءاً من السيادة، ولأن حجب التصويت عن فئة من المواطنين من شأنه تقليص السيادة الشعبية، والذي ينعكس أيضاً إلى تقليص السيادة الحكومية والسلطوية أيضاً.

ثالثاً: كون الانتخاب حقاً والانتخاب كحق يجعل من ممارسته حقاً اختيارياً لا يخضع الآ لشروط السلم والأهلية والتمتع بالحقوق المدنية ونحو ذلك.

وعلى الشعب مالك السيادة أن يمارس سلطانه على الدوام ؛ لأن السيادة لا يمكن التنازل عنها ، كما لا يمكن تجزئتها، ولا يمكن بالنتيجة إحالتها ولا توزيعها بين عدد من السلطات أو عدد من الأعضاء دون زوالها^(٢).

وأما بالنسبة لسيادة الشعب ورأي مؤيديها، فالنواب هم وكلاء الشعب ومراقبون بصورة دائمة من قبله ؛ أما عن طريق الاستفتاء إذا كان من الصعب إجتماع كافة أفراد الشعب في مكان ما ليمارس حقه في الانتخاب وفي إعطاء الصوت والرأي مباشرة، وأما عن طريق الوكالة الإلزامية التي تفرض على النواب أن يتقيدوا بالأوامر المعطاة لهم من قبل الناخبين، وعلى الحكومة أن تخضع هي لمشيئة النواب الذين هم بدورهم يخضعون لإرادة الشعب^(٣).

ومن الواضح أن هذه تؤدي إلى النظام المجلسي، حيث تسيطر جمعية واحدة على كل السلطات، وتخضع هذه الجمعية بصورة مستمرة لإرادة الشعب الذي يستطيع عزل ممثليه وإبدالهم بغيرهم في حال عدم الالتزام بالتعليمات التي أعطيت لهم .

(١) بسببوني، نظرية الدولة في الإسلام، مصدر سابق، ص ٥٠.
(٢) المكني، الناصر، الإسلام والدستور، مجمع الأطرش، تونس، ٢٠١٤ م، ص ٣٧٢.
(٣) سليمان، د. أشرف إبراهيم، القانون الدستوري والنظم السياسية، ط ١، القاهرة، ٢٠١٥ م، ص ١٤٦ - ١٤٨.

وقد عرفت السيادة في القانون بأنها السلطة العليا التي لا تعلوها سلطة ، وميزة الدولة الاساسية الملازمة لها ، والتي تتميز بها عن كل ما عداها من تنظيمات داخل المجتمع السياسي المنظم ، ومركز إصدار التشريعات والقوانين ، أو الجهة الوحيدة المخولة بمهمة حفظ النظام والأمن ، وبالتالي المحتكرة الشرعيّة الوحيدة لوسائل القوة ولحق استخدامها لتطبيق القانون^(١).

وتأخذ السيادة إتجاهين فهناك السيادة الداخلية وأخرى السيادة الخارجية.

وتتصف السيادة الداخلية بخصائص تعين حدودها وهي:

أولاً: القطعية بمعنى أنها الشرعيّة العليا التي لا توجد أية حدود قانونية لسلطتها في سن قوانين الدولة ، ولا يخفى أن هذا يختص بالقوانين الوضعية لا الشرعيّة.

ثانياً: العملية الشاملة لجميع الأفراد والمنظمات داخل حدود الدولة.

ثالثاً: الدائمة، بحيث يستمر مفعول السيادة طالما أن الدولة قائمة بصرف النظر عن تغيير الأشخاص الذين يمارسون هذه السلطة أو تغير شكل المؤسسات الدستورية التي تتم عبرها ممارسة السيادة.

رابعاً: اللاتجزئية: لان السيادة تتضمن عدم المشاركة والتقسيم ، فلا يمكن أن يكون هناك أكثر من سيادة واحدة في دولة واحدة دون قيام صراع يحسم في نتيجة الأمر وحدانية السيادة^(٢).

أما على صعيد السياسة الخارجية؛ فجوهر السيادة هو التحرر أو الاستقلال عن السيطرة أو التبعية لدول أخرى، ويتجسد ذلك من خلال إيفاد واستقبال البعثات الدبلوماسية، وعقد المعاهدات ، وإعلان الحرب والسلام مع الدول الأخرى.

أما موضع السيادة فيختلف باختلاف القائم عليها ، فقد يكون الملك أو الرئيس أو البرلمان أو الشعب أو المؤسسات التمثيلية والقضائية وما شابه ذلك بحسب هيكلية نظام الحكم . ويعد القانون بمثابة تجسيد للسيادة ودليل جوهرها.

ويتفرع على أصل السيادة فروع ثلاثة:

الأول: مبدأ سيادة القانون .

الثاني: سيادة الدستور .

(١) الكيالي، د. عبد الوهاب، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج ٣، ١٩٨٥م، ص ٣٥٦.
(٢) الصفار، فقه الدولة، مصدر سابق، ص ١٩٤.

الثالث: السيادة القومية .

غير أن العلاقات الدولية بطبيعتها مقيدة بقواعد من القانون الدولي والعرف. لهذا فإن سيادة الدولة في علاقتها الخارجية مشروطة باحترام الدولة لهذه القواعد ، وكذلك للتقاليد المرعية والعرف الدولي. فالمواثيق الدولية والمعاهدات والاتفاقيات متعددة الأطراف، أو الثنائية تقيد بطبيعتها حرية التصرف ، لكنها لا تتعارض مع السيادة القومية للدولة؛ لأن هذا العقد ملزم لجميع الدول المتعاقدة ، وفي سبيل مصالحها المشتركة ، فضلا عن أن الخضوع للقانون لا يعد منافياً لسيادة الدولة ، أما الخضوع الذي يفقد الدولة سيادتها القومية فهو خضوع لإرادة دولة أخرى لما فيه الهيمنة والتصرف في شؤون الافراد أو في شؤون الدول . بلحاظ شرعية السلطة وبالتالي شرعية سيادتها.

المطلب الرابع: السيادة في القانون الدولي وتأثيرات النظام الدولي الجديد عليها

تعد السيادة من الأفكار الاساسية التي يقوم عليها بنيان القانون الدولي المعاصر، وقد أكدت معظم المواثيق الدولية ضرورة احترام مبدأ السيادة . وهذا ما يقره ميثاق الأمم المتحدة بما نصه: (تقوم الهيئة على المساواة في السيادة بين جميع أعضائها)^(١)، كذلك ورد: (ليس في هذا الميثاق ما يسوغ (للأمم المتحدة) أن تتدخل في الشؤون التي تكون من صميم السلطان الداخلي لدولة ما)^(٢).

ومن خلال ممارسة سلطان الدولة بالكامل على الأشخاص والأموال لكافة مظاهر السيادة وحريتها في تصريف شؤونها الخارجية ، يبرز لنا في التداول القانوني للمفهوم دول تامة السيادة ودول ناقصة السيادة.

فالأولى هي التي لا تخضع في شؤونها الداخلية والخارجية لسيادة دول أخرى ، ولا يحد من سلطتها شيء سوى قواعد القانون الدولي، وهذا هو الوضع الطبيعي.

أما الثانية فهي دول ناقصة السيادة أو ذات السيادة المنقوصة ، وهي التي لا تتمتع بكامل حريتها في التصرف ؛ بسبب خضوعها لدولة أخرى. فهي تتمتع بمركز قانوني ، لكنها لا تستطيع إدارة شؤونها بنفسها.

(١) المادة رقم (٢) ، الفقرة الأولى من ميثاق الأمم المتحدة.
(٢) المصدر نفسه ، المادة نفسها .

ويرتبط مبدأ السيادة ارتباطاً وثيقاً في القانون الدولي . حيث أن القانون الدولي يجعل منه مبدأً منظماً للعلاقات بين الدول المستقلة . دون أن يعتمد ذلك أنه الوحيد في هذا المجال، لكن مبدأ السيادة يساعد في إبراز خاصية القانون الدولي العالمية بالنسبة إلى القانون الداخلي^(١).

إن مبدأ السيادة يؤلف قاعدة عرفية تضيف قيمة قانونية تعطيه الأولوية في هرمية قواعد القانون الدولي الذي هو بحد ذاته نتيجة إلتقاء إرادة دول ذات سيادة . لكن السيادة الشكلية المتمثلة بالاستقلال السياسي أصبحت أكثر فأكثر موضع تشكيك نتيجة إدخال مفهوم السيادة الفعلية المرتكز على الاستقلال الاقتصادي^(٢)، وعلى مبدأ سيادة الدولة الدائمة على ثرواتها ومواردها الطبيعية^(٣).

كما أن البعد الاقتصادي أضفى على مبدأ السيادة شرعية إضافية ، مما جعل منها عنصراً أساسياً لمبدأ حق الشعوب في التنمية.

أما البعد الثاني الذي كسبته السيادة فهو يتمثل بتوسيع مداها الجغرافي من خلال المجال الفضائي^(٤)، والمجال البحري^(٥)، وقانون البحار^(٦). فضلاً عن تأثير المفهوم الاقتصادي الذي طغى بشكل نهائي على المفهوم السياسي التقليدي^(٧).

وعند بروز مفهوم العولمة في نهاية العقد الأخير من القرن العشرين نرى أن مفهوم السيادة بدأ يتخذ منحى آخر؛ إذ أنّ قدرات الدول بدأت تتناقص تدريجياً بدرجات متفاوتة فيما يتعلق بممارسة سيادتها في ضبط عمليات تدفق الافكار والمعلومات والسلع والأموال ، وحتى البشر عبر حدودها. فالتطور الكبير في مجالات الاتصالات والمعلومات والإعلام، حدث من أهمية تواجد الحدود الجغرافية. كما أنه قدرة الدولة ستتراجع إلى حد كبير في فرض السيادة ، خاصة في ظل وجود العشرات من الأقمار الصناعية التي تتنافس على الفضاء.

كما أن توظيف التكنولوجيا الحديثة في عمليات التبادل التجاري والمعاملات المالية، يحدّ أيضاً من قدرة الحكومات على ضبط هذه الأمور ، مما سيكون له تأثير بالطبع على سياساتها

(١) للتفصيل انظر حناشي، أميرة، مبدأ السيادة في ظل التحولات الدولية الراهنة، رسالة ماجستير، كلية الحقوق ، جامعة قنوري ، قسنطينة ، الجزائر ٢٠٠٨ م، ص ٣٧ ويدها.

(٢) قرار رقم ٦٢٦ ، ٧١١ ، عام ١٩٥٨م، الصادر من الجمعية العامة للأمم المتحدة.

(٣) قرار رقم ١٣١٤ في عام ١٩٥٨م، الصادر من الجمعية العامة للأمم المتحدة.

(٤) القرار رقم ٢٢٢٢ الصادر في سنة ١٩٦٦م.

(٥) القرار رقم ٢٧٤٩ الصادر في ١٩٧٠م.

(٦) المؤتمر الثالث للأمم المتحدة لقانون البحار ، نيويورك ، كانون الاول ، ١٩٧٣ م .

(٧) الدقاق، محمد سعيد ، النظرية العامة لقرارات المنظمات الدولية ودورها في إرساء قواعد القانون الدولي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٧٣ م ، ص ١٠٤ - ١١٢.

المالية والاقتصادية^(١) . وبذلك يمكننا القول أن العولمة نظام يقفز على الدولة . الوطن والأمة ، ويؤثر عليها بشكل مباشر أو غير مباشر.

وفي ظل المتغيرات التي أحدثتها العولمة نرى أن هناك رأيين متعارضين في تأثير العولمة على السيادة.

الرأي الأول: يؤكد على إخفاء السيادة في ظل العولمة.

الرأي الثاني: يؤكد على استمرارية السيادة في وجود العولمة.

فأصحاب الرأي الأول يرون أن مفهوم الدولة القومية لم يعد له ما يبرره في ظل التنامي الاقتصادي الكبير وتقلص الحدود بين وحداته بفعل وسائل الاتصال تعددا وتنوعا . لذا فإن الدولة في ظل هذه التغيرات بدأت تفقد قوتها ونفوذها ، بلحاظ تطور قوانين السوق، وحرية رأس المال، وتعاضم نفوذ الشركات المتعددة الجنسية. كلها عوامل أدت مجتمعة إلى ضعف قوة الدولة والعمل المتواصل على الحد من أداء أدوارها التقليدية ، وخاصة على الصعيدين الاقتصادي والسياسي ، بل وحتى الاجتماعي.

فعلى المستوى الاقتصادي نجد أن سلطة الضبط الاقتصادي إنتقلت من الدولة إلى هؤلاء الفاعلين المتمثلين بالشركات والتكتلات التي تفرض على العالم ، كما أن الأسواق المالية والتجارية العالمية أصبحت خارجة عن تحكم الدول. فالنظام العالمي اليوم نظام تحكمه أسس عالمية مشتركة وتديره مؤسسات عالمية تؤثر فيه وفي بسط النفوذ والسيطرة على مناطقه المختلفة^(٢).

وربما تكون التأثيرات الصحية كالأوبئة وأمثالها لها أبلغ الأثر على كثير من مفردات السيادة ، وكما نلاحظ من تأثير وباء كورونا (كوفيد١٩) على تعطيل الدول لكافة الأنشطة التجارية والاقتصادية والسياسية، لا بل حتى الاجتماعية، مما وُجد احتمالية تفكك إتحادات وتجمعات دولية . وربما تكون العلاجات أو اللقاحات مفتاحا للتأثير والتأثر فضلا عن بعض الاشتراطات التي ترافق إنقاذ اقتصاد بعض الدول ومؤسساتها ، وعديد من الشركات المهتدة بالإفلاس، ممن لها تأثير على القرارات الدولية ، من خلال السياسة الخارجية أو العلاقات الدولية .

وبالتالي يمكن القول أن الممارسة القديمة للسيادة ، وخصوصا بحدود تحكمها في حركة الخروج والدخول من إقليمها أصبحت مهددة اليوم بحكم تطور العولمة ذاتها.

(١) المرابي، عبد المنعم، التجارة الدولية وسيادة الدولة ، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٢٦٦ - ٢٧٥.
(٢) محمد، د. منذر، مبادئ في العلاقات الدولية من النظريات إلى العولمة، مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٢٩٩.

كما أن تنازل الدولة عن بعض سلطاتها إلى منظمات أعلى منها كما في الاتحاد الأوروبي لابد من أن يدفع إلى إعادة النظر في المفهوم القديم ، ومراجعة الوظائف والأدوار التي كانت تقوم بها في ضوء التطورات العميقة التي لحقت في بنية النظام العالمي ، وبالتالي أصبحت الدولة لها كل مظاهر السيادة لكنها تباشر بشكل صوري مهامها في كثير من الأحيان^(١).

أما الرأي الثاني فهو يشكك في قدرة العولمة الاقتصادية على التدمير النهائي لسلطة العولمة الرقابية في مجال الاقتصاد الدولي، وبالتالي لم تؤدي إلى التآكل التام للدولة ولحدودها لسلطتها الرقابية ، وحتى التنفيذية والأدائية. بل كانت تتكيف دوما مع ما يحمله تطور البشرية من تحديات دون أن ينقص هذا من سيادتها.

ويذهب أنصار هذا الرأي إلى أبعد من هذا ، ويذكروا أن إقتصاد السوق والدولة نظامان متوازنان ليس لهما الغاية نفسها ولا الزمان نفسه ولا المكان . وإذا كان إقتصاد السوق يضمن النشاط الاقتصادي ، ويحقق على (المستوى النظري) التوزيع الأفضل للموارد ؛ فكيف يستطيع أن يحقق رغبات ومتطلبات العدالة والصحة والتعليم والقضاء والأمن والدفاع . مما يؤكد أن سيادة الدولة لا زالت حاضرة في كثير من المجالات الحيوية .

تعقيب:

يمكن القول أن مبدأ السيادة دائم ومستمر ومتغير. إلا أن صورة السيادة وحقيقتها والمسؤوليات التي تنهض بها تتغير. ولا تعني التطورات الحاصلة عليها نهاية مفهومها ، ولكن تعني أن السيادة قد تغير مفهومها وفحواها ، ومن ثم إعادة توزيعها .

القول أيضا ان حدود السيادة آخذة في التقلص والانتقاص ؛ بفعل المستجدات الدولية الراهنة وخصوصا العولمة. والتي حولت السياسة الدولية الناتجة عن النشاط وتفاعل السياسات الخارجية للدول ، إلى خضوعها لعوامل التجاذب والتنافر تارة ، والتسكين والإثارة تارة أخرى، وما يدور بين هذه المؤثرات ، وما ينتج عنها من صراع وتعاون عبر وسائل القوة والإجبار . وبعضها في المساومة والتراضي وفق نظرية المصالح المتبادلة التي تختلف أيضا في مراعاة المشروعية في التنفيذ أو التحقيق بحسب قوة هذه الدولة أو تلك ، ومدى التزامها من عدمه في القانون الدولي وسياقات المنظمات الدولية الراحية لتطبيق ذلك القانون. وربما تنطوي الاختلافات ببرامج

(١) زكي، د. رمزي ، ظاهرة تدويل في الاقتصاد العالمي وآثارها على البلدان النامية ، المعهد العربي للتخطيط ، الكويت، ١٩٩٣ م، ص ١٥ وما بعدها.

سياسات الدول إلى الصراع بين المصالح والوسائل ، وما يرافق ذلك من الانتقائية في الإلتزام بقرارات المشروعية وأسس الشرعية التي تحقق مفهوم السيادة بمعناه النظري والتطبيقي .

الخاتمة.

من خلال ما تقدم في البحث يمكن استخلاص النتائج الآتية:

١. مع اختلاف تفسيرات الولاية، إلا أنها ترتبط إرتباطا وثيقا بالسلطة، لكن الاختلاف في التفسير هو في حدود السلطة وشرعيتها . كما أن هناك توافق بين معناها اللغوي والاصطلاحي ؛ من حيث الإنسجام الظاهر في المعنى المؤدي إلى التدبير والرعاية والقدرة على ممارسة الأعمال التي تدخل ضمن نطاق التولية ، مع إختلاف حدودها بين تفسير وآخر.

٢. ترتبط أهمية مصطلح الولاية في التراث العربي الإسلامي بطبيعة المبنى الفكري والمذهبي لكل منهما ، وهو يأخذ مديات ربما تفوق مبدأ الحاكمية والسلطة من حيث الإطلاق والتقييد، ويتنوع أيضا من حيث الممارسة والتطبيق، ومدلولاتها بين ولاية تكوينية وأخرى كلامية وثالثة عرفانية ورابعة فقهية؛ تدل على أنها لا تقتصر على الجانب السياسي فحسب وإنما تتسع حدودها في بعض الأحيان ، إن لم نقل بإطلاقها . ولا يحد منها حد معين في أحيان أخرى.

٣. أن الولاية الإلهية على الكون، التي أطلق عليها الولاية التكوينية (وفق الاعتقاد) والتي تفرعت إلى ولاية الخلق، والإبقاء، والإنماء ، والجزاء ، وفق التفسير الإسلامي ؛ هي الأساس في ظهور ولايات أخرى تفرعت عنها . أو كانت نتيجة حتمية لها أو تفسيراً لديمومتها كولاية الفقيه، أو ولاية الأمة ، أو ولاية الحل والعقد، أو ولاية الحاكم . لا بل حتى ولاية القوة والتسلط. بلحاظ الإختلاف في أحقية التفسيرات ودلالات التثبث.

٤. يغلب على مفهوم الولاية الجانب الشرعي ، ويفهم بمصاديق السلطة ؛ من خلال التفسير الفقهي وفق المذهب والاعتقاد ، بناءً على المبنى الفقهي الذي يتولد من خلال الاجتهاد، وفق الاستنباط في الأحكام المستندة على الأسس والأصول الفقهية والشرعية ، وهذا ينعكس أيضا على شرعية الحاكم ومشروعية السلطة التي تعد الأساس في فرض السيادة بمفهومها الحديث والمعاصر.

٥. يعد مفهوم السيادة أسبق في البحث والتنظير من مفهوم الولاية ، مع الإختلاف في مصاديقه عبر الحقب التاريخية والحضارات المختلفة، مع إرتباط هذا المفهوم السياسي بهالة من

المعتقدات الدينية التي تضيف عليه القداسة والالزامية، ما يجعل الافراد يؤمنوا به حد الطاعة والذي إقترن بطاعة الآلهة وأحكام الدين المختلفة.

٦. طرأ على مفهوم السيادة المعاصر الكثير من التحولات والتغيرات التي كانت امتدادا لإسهامات فكرية فلسفية إبان قرون العصر الحديث المتعاقبة ، طرحها العديد من المفكرين والفلاسفة ليضيفوا على المفهوم نظرتهم وأرائهم، إستنادا لرؤى الواقع من زوايا مختلفة مع ملاحظة تطوراتهِ المتباينة.

٧. مع الترابط الكبير بين مفهومي السيادة والسلطة حتى أن البعض يجعلهما فكرة واحدة، إلا أن مفهوم السيادة يفقد الثبات والبنية التي تجعله متماسكا . الا أن السلطة التي تعد الممارسة الفعلية للحياة الحاكمة في الدولة تكون من المفاهيم التي تملك قدراً من الثبات؛ كونها مصدر ممارسة السيادة ، وتشكل مظهراً من مظاهرها . كما أن هناك ترابط وثيق بين الاستقلال والسيادة مع اختلاف المصطلحين. ويعد الاستقلال هو بمثابة الباعث لتفعيل وممارسة السيادة، فكثير من الشعوب لديها قدر من السيادة نظرياً إلا أنها لا تمارسها بسبب فقدانها الاستقلال.

٨. إختلف الفقهاء في مصدر السيادة إذ يرى بعضهم أنها لا بد أن تكون للشعب، والآخر لا بد أن تكون للأمة ، وآخرون يرون أن مصدرها الله أو من يعتقدون . لكن هناك تفرعات لأصل السيادة سواء أكانت لسيادة القانون أو سيادة الدستور أو السيادة القومية. وكل ذلك يرتبط ارتباطاً وثيقاً بدلالات شرعية السلطة ومشروعيتها ، وبالتالي شرعية سيادتها الناتج عن أصل التمكين.

٩. السيادة كمبدأ وركن من أركان الدولة إقترن بمساقات القانون الدولي ، ويضيف قيمة قانونية تعطيه الأولوية في هرمية قواعد القانون الدولي . ويبرز مبدأ السيادة كقاعدة ملزمة لا يمكن إنتهاكها من الناحية النظرية ، وهو يرتبط بوجود الدولة وهذا يعني تأثر السيادة بكل المؤثرات الدولية التي يكون لها أبلغ الأثر في بنية المجتمع الدولي؛ كالجانب الاقتصادي وتأثيراته ، والجانب العلمي والتكنولوجي وتأثيرات العولمة . مما يحدث إختلافاً كبيراً بين الممارسة القديمة للسيادة وبين التطورات الدولية الراهنة.

١٠. وأخيراً يمكن القول أن مفهوم الولاية بات مفهوماً يقترن بالتطبيق المكاني ، ولا يمكن أن نرى مصاديقه في جميع الدول، وفي كافة أنظمة الحكم المختلفة ، بلحاظ أحقية النظريات التي فسرتها من عدمها ، والأسس التي إستندت عليها بالاتفاق عليها او الاختلاف بشأنها . دون إغفال مصاديقه المقيدة وإمكانيتها العامة.

لكن مفهوم السيادة بات يأخذ بعدا أكثر شمولية ؛ لإمكانية تطبيقه ودراسة شرعيته وتحقق مفرداته على جميع الدول ، سواء أكانت دول إسلامية إتخذت من الحكم الإسلامي نظام يستند على نظريات الولاية التي تنبثق منها السيادة ، أو من خلال أنظمة الدول الإسلامية التي انتهجت العلمانية ، أو الليبرالية كنظام حكم للدولة مع وجود غالبية مسلمة ، فضلا عن دول أخرى عديدة إنتهجت بناء مؤسسات تشريعية وتنفيذية ، سواء أكانت ديمقراطية النهج ، أو التي إبتعدت عن الديمقراطية نظريةً وتطبيقاً من خلال القول أو الممارسة والفعل.

المصادر والمراجع.

* القرآن الكريم.

١. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب ، دار المعارف، بيروت، ١٩٩٨م.
٢. الأنصاري، مرتضى، المكاسب، اسماعيليان، قم ١٤١٦هـ.
٣. الأملي، حيدر، نص النصوص في شرح الفصوص، طهران، ١٣٥٣هـ، ١٩٧٥م.
٤. البهادلي، د. جواد، الثابت والمتغير في الشريعة الإسلامية، ط١، مطبعة مجمع أهل البيت ، النجف الاشرف ١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م.
٥. البهادلي د. جواد، مختصر المفتاح في أصول الفقه المقارن، مطبعة مجمع أهل البيت ، النجف، ط ١، ٢٠١٢ م.
٦. البهادلي، د. محمد باقر، الحياة الفكرية في النجف الاشرف، مطبعة ستارة ، قم، ط١، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤ م.
٧. التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، شرح المقاصد ، عالم الكتب ، بيروت، ١٩٨٩م.
٨. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الحنفي، التعريفات، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط ١ ، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
٩. الدقاق، محمد سعيد ، النظرية العامة لقرارات المنظمات الدولية ودورها في إرساء قواعد القانون الدولي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٧٣م.
١٠. الخفاف، حامد، النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، دار المؤرخ العربي ، بيروت، ٢٠٠٧ م.
١١. الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب ، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
١٢. زكي، د. رمزي ، ظاهرة التدويل في الاقتصاد العالمي وأثارها على البلدان النامية ، المعهد العربي للتخطيط ، الكويت، ١٩٩٣ م.

١٣. الزرقا، مصطفى بن أحمد، المدخل الفقهي العام ، مطبعة طربين، دمشق ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م.
١٤. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، كمال الدين وتمام النعمة ، دار الكتب الإسلامي ، قم، ١٩٧٥م.
١٥. الصفار، الشيخ فاضل، فقه الدولة، دار الأنصار ، قم ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
١٦. الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٧هـ.
١٧. الطوسي ، محمد بن الحسن، الغيبة ، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١١هـ .
١٨. العاملي، جعفر مرتضى، الولاية التشريعية، المركز الإسلامي للدراسات، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
١٩. العلوي، د. ياسر وآخرون، معجم المصطلحات السياسية، معهد البحرين للتنمية السياسية، ٢٠١٤م.
٢٠. الكيالي ، د. عبد الوهاب، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ج ٣، ١٩٨٥م.
٢١. المالكي، عبد الله، سيادة الأمة قبل تطبيق الشريعة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١ ، بيروت، ٢٠١٢م.
٢٢. المراكبي، عبد المنعم، التجارة الدولية وسيادة الدولة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٢٣. الموسوي، الشريف المرتضى علم الهدى، الذخيرة في علم الكلام، تحقيق أحمد الحسيني، مؤسسه النشر الإسلامي، قم ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
٢٤. النراقي، أحمد بن مهدي، عوائد الأيام في بيان قواعد استنباط الأحكام، دار الهادي للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
٢٥. الهمداني، رضا، مصباح الفقيه ، تحقيق محمد الباقر وآخرون، ط١، قم، ١٤١٧هـ.
٢٦. الورداني، د. أيمن أحمد، حق الشعب في إسترداد السيادة، مكتبة مديولي، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٢٧. بسيوني، د. عبد الغني، نظريه الدولة في الإسلام، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٨٦م.
٢٨. بن زكريا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٤١١هـ.
٢٩. سليمان، د. اشرف إبراهيم، القانون الدستوري والنظم السياسية، ط١، القاهرة، ٢٠١٥م.
٣٠. شكر ، د. زهير الوسيط في القانون الدستوري، ج١، مجد، بيروت، ١٩٩٤م.

٣١. شلبي، محمد مصطفى، احكام الأسرة في الإسلام، الدار الجامعية، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
٣٢. عمارة، محمد، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٣٣. فنسنت ، اندرو، نظريات الدولة ، ترجمة د. مالك شهيوه ورفيقه، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧م.
٣٤. ليلة، محمد كامل، النظم السياسية، الدولة الحكومة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧١م.
٣٥. محمد، د. منذر، مبادئ في العلاقات الدولية من النظريات إلى العولمة، ط١، مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٢ م.
٣٦. موسى، د. محمد يوسف، نظام الحكم في الإسلام، تحقيق حسين يوسف موسى، دار الفكر العربي، القاهرة، بلاتاريخ.
٣٧. نصر، د. محمد عبد المعز، في النظريات والنظم السياسية، مجد ، بيروت ، ١٩٨٩م.
- الأطاريح والرسائل الجامعية :**
- ١- الودعاني، محمد بن عبد الله ، الولايات الخاصة في الفقه ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعه الامام، المعهد العالي للقضاء ، الرياض، ١٤١٣هـ .
- ٢- حناشي، أميرة ، مبدأ السيادة في ظل التحولات الدولية الراهنة ، رسالة ماجستير، كلية الحقوق ، جامعة فتوري ، قسطنطينية ، الجزائر ٢٠٠٨ م .
- المواقع الألكترونية :**

1-www.aapsorg.org

2-www.context,revers.net.

3-www.eipss.eg.org.

4-www.legal-tools.org.

5-www.sistani.org.

ثالثا: بحوث الادارة

الأنشطة المتوازنة لموازنة الفكر الاستراتيجي

(ادارة الأزمة عموماً وكورونا خصوصاً)

Balanced activities to support strategic thought

(Crisis management in general and krone in particular)

أ.د. سلمان زيدان

ملخص البحث:

نظرا لما تمثله الأزمة من حيث الخطورة والأهمية والادارة والمعالجة الحازمة والمقتدرة، بالفكر القيادي الاستراتيجي وبالعقل الاداري المتقدم، فإن التقييم المتوازن لأداء المستويات القيادية والادارية باستخدام استراتيجية ادارة الأزمة، لا يرتبط بمستوى دون آخر، بل ان العملية شمولية تتكامل معها عملية صناعة واتخاذ القرارات من قبل المستويات كافة (العليا والوسطى والدنيا)، بعيداً عن العشوائية والارتجالية وانفعالات اللحظة الجزئية، وذلك بالاستفادة من العلوم والتقنيات الحديثة وتجارب الآخرين من جهة، وكذلك لردم الفجوة بين المنظمات والشركات الصغيرة والمتوسطة، وبينها وبين المنظمات والشركات الكبرى المتقدمة، للحاق بها وبخطواتها، والتفاعل معها ومع برامجها وقدراتها الاستراتيجية، في ملاحقة الأزمات وادارتها بعقلانية ورشد من جهة ثانية، مع الأخذ بالحسبان الحقيقة التي مؤداها أن الأزمة هي نقطة الانعطاف أو عملية تحوّل قد تكون الى الأحسن او الى الأسوأ، وهي تحمل إمكانات الفرصة والخطر في آن واحد. وما تمثله اليوم أزمة جائحة كورونا الكونية، إلا واحدة من الأزمات العظيمة التي اجتاحت كامل مساحة الكرة الأرضية، ولم تترك أحدًا في الساحة، ولا في المسؤولية القيادية والمجتمعية والتخصصية، إلا وانغمس في ما آلت اليه من تحديات على حاضر ومستقبل الانسانية والنظام العالمي ومنظماته، والدول ومؤسساتها، وسواها من مستويات كثيرة ومواقع واسعة ومهمة.

Abstract

Given what the crisis represents in terms of seriousness, importance, management, and firm and capable treatment, with strategic leadership thought and advanced management mind, a balanced evaluation of the performance of leadership and administrative levels using the crisis management strategy is not related to one level

without another, but that the process is holistic, integrated with the process of making and making decisions before All levels (upper, middle and lower), away from the randomness, improvisation and emotions of the partial moment, by taking advantage of modern science and technology and the experiences of others on the one hand, as well as to bridge the gap between organizations and small and growing companies I, and between them and the advanced major organizations and companies, to catch up with them and their steps, interact with them and with their programs and strategic capabilities, in pursuit of crises and manage them rationally and rationally, taking into account the fact that the crisis is the turning point or a process of transformation that may be for the better or for the worse, and it is Take the possibility of opportunity and danger at the same time. What the Krona pandemic crisis represents today is only one of the great crises that swept the entire area of the globe, and did not leave anyone in the leadership, societal and specialized responsibility, but indulged in the challenges it has entrusted to the present and future of humanity, the world order, its organizations, state institutions and other levels in Leadership and management

المفاهيم المعتمدة:

الأزمة، ادارة الأزمة، القيادة، التخطيط، التعبئة، الاجراءات، المواجهة، التغيير.

المقدمة:

في كثير من الدول والمنظمات، لا يزال مفهوم إدارة الأزمات كعلم غائباً بشكلٍ أو بآخر، حيث تحل محله اجتماعاتٌ بيروقراطية تلتقي فيها مجموعاتٌ من الأفراد للحديث والنقاش، من دون إطار علمي وعملي مدروس، أو أن تكون هذه المجموعات على دراية كافية بمفهوم إدارة الأزمة من الناحية العلمية البحتة. وفي أماكن أخرى تصبح فكرة إدارة الأزمات مجرد "مخازن" لاستضافة الموظفين المغضوب عليهم، وبعدي الكفاءة، وآخرين ممن يُراد وضعهم في درجات ومناصب وظيفية لا دور لها، في ظل غياب ثقافة العمل الجماعي، وصعوبة تكوين فرق العمل الكفوة، ناهيك عن امكانية انعقاد اجتماعات فاعلة لها، ومن ثم أداء عمل مثمر.

ومعلومٌ للقاصي والداني، أن إدارة الأزمات والكوارث كعلم ليست جديدة ولا طارئة، فالمفهوم ذاته يعودُ إلى بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، وتحديدًا منذ أزمة الصواريخ الكوبية التي نشبت بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق، حيث نجح الجانبان في تفادي كارثة نشوب حرب نووية ومن ثم تم تدشين "عصر إدارة الأزمات". بل هناك بعضٌ من الناس ما يزالُ يشككُ في أن المسألة تتعلقُ بعلم له قواعد وأسس ومعايير، ويرى أنه "فن" أو مجموعات من القواعد والمبادئ والمعايير الحاكمة، ولكنَّ الباحثين والعقلاء، يدركون أننا بصدد علم باتت له قواعدٌ ومبادئٌ مستقرة، شأنه شأن العلوم الادارية الأخرى، وينعكسُ ذلك في آلاف

الكتب والمؤلفات العلمية والبحثية، فهو علمٌ يجنبُ المخاطرَ أو الحدَّ منها، ويحجّم آثار الأزمات على أقلّ التقديرات، ويكتسبُ أهميةً متعاظمةً في ظلّ تعقّد العلاقات الدولية وتشابك القضايا والملفات، وتأثيرات الأزمات والكوارث، وتعدّد مصادرها الفعلية والمحتملة، وتنوعها بين الأزمات والكوارث الناشئة عن مصادر تتعلّقُ بسلوك البشر في مختلف المجالات (الصحة والاقتصاد والحروب ... الخ)، وأخرى تتعلّقُ بالطبيعة وما لا يمكنُ التحكمَ فيه، مثل الزلازل والبراكين والسيول والابوئة وغير ذلك. وفي أزمة وباء "كورونا" على سبيل المثال، يتجلّى عنصرُ ثقة الشعب بالقيادة الأمامية، كمحدّدٍ رئيسيٍّ في نجاح خطط التصدي للخطر، فالشعوب تلتفتُ حول قادتها الموثوق بهم في أوقات الأزمات، حيث يتحمّل القادة في مثل هذه الظروف عبءَ قيادة فرق العمل وصناعة واتخاذ القرار الملائم، وأيضاً مسؤولية بث الثقة والطمأنينة ورفع الروح المعنوية للشعوب واقناعهم باتّباع الاجراءات والقرارات التنظيمية التي تعلنها السلطات الحكومية، وبناء ما يُعرفُ بالإجماع الطوعي حول موضوع الأزمة. وعلى الرغم من أن أزمة تفشي فيروس "كورونا" لا تزالُ في مراحل التطور، ويصعبُ التنبؤ بمساراتها المحتملة خلال المستقبل المنظور، فإنّ هناك دروساً عدة يمكنُ استخلاصها من خلال تحليل مبدئيٍّ لمجريات الأحداث حتى الآن، وأهمّها على الاطلاق ضرورة الاهتمام بعلم إدارة الأزمات في جميع الدول، كبيرها وصغيرها، حيث اثبتت أزمة جائحة "كورونا" أن المسألة لا تتعلّق بمستويات التقدم والتطور بقدر ما تخضعُ لحسابات ليست معروفة حتى الآن، إذ ثبت ضعف الأنظمة الصحية، وغيابُ آليات إدارة الأزمات في دول غربية عدة، تُصنّف ضمن الدول المتقدمة، وكذلك تطوّر مستوى النظام الصحي (العام والخاص)، وفاعلية إدارة الأزمات الصحية ذات الصلة بوباء كورونا وكيفية مواجهة تأثيراته الآتية واللاحقة، الانسانية والمادية.

أهمية البحث:

تعدّ إدارة الأزمات قضية استراتيجية تتعلّقُ بثقافة العمل المشترك بالأساس، وهذه تبقى بدورها رهنَ القدرة على غرس مفاهيم العمل المؤسسي الحقيقي، ووجود أنظمة عمل تشجّع التنافس والابداع والابتكار والتميز والشفافية، وتحدّ من الأمراض الوظيفية التقليدية المتجذرة في البيروقراطيات الحكومية المتخلفة. فالقاعدة الحاكمة في إدارة الأزمات هي أن كلّ أزمة مشكلة، وليست كل مشكلة أزمة، بمعنى أنّ هناك بعض المشاكل الصغيرة التي قد تتفاقم وتمتد آثارها لتطال الدول والشعوب في حال عدم معالجتها فورياً أو التباطؤ في ذلك، بينما تبدو كلّ أزمة مشكلة معقدة متعددة الأبعاد، ويبقى أن تفشي فيروس "كورونا" قد اثبت أنّ الكثير من دول العالم

تعاني أزمة غياب الاهتمام بإدارة الأزمات، والقصور في وضوح الرؤية والوعي القيادي المسؤول وطبيعة العلاقة بالأطراف المعنية بالأزمة.

هدف البحث:

يهدف من هذا البحث إلى تحديد الأسس العلمية والتقنية والعملية، لتقييم الأداء القيادي والاداري، قبل وأثناء ظهور الأزمة وتفاقمها، وما بعد النتائج المترتبة عليها.

خطة البحث:

لتحقيق الأفكار والاتجاهات ذات الشأن بأهمية البحث والهدف منه، ومن وراء تناول ادارة الأزمة وتطوراتها، ستكون الخطة موزعة على وفق المباحث الآتية:

المبحث الأول: المنهج العلمي في ادارة الأزمة.

المبحث الثاني: مراحل الأزمة وفضاءات المعالجة.

المبحث الثالث: المواجهة مع أزمة وباء كورونا (كوفيد- ١٩).

استنتاجات وتوصيات.

قائمة المراجع.

المبحث الأول- المنهج العلمي في ادارة الأزمة

١-١ . مفهوم ونشوء الأزمة:

لا يخفى على المتابع لسير الأحداث وبخاصة السياسية والصحية منها، ما للازمات بكل أنواعها، من دور في تاريخ الشعوب والمجتمعات سواء على صعيد الهدم او البناء، وقراءة متأنية لدور الأزمات بشكل عام يفضي بنا الى تلمس خيوط تقودنا الى حقيقة مفادها، أن المنظمات التي اعتمد الهرم القيادي فيها على فرق خاصة وكفاءة في التعامل مع الأزمات، كانت أصلاً عوداً وأكثر على المطاوعة والاستمرار من قريناتها التي انتهجت اسلوباً مغايراً تمثل بالتصدي الأنبي غير المحسوب، والتعامل بطرق غير مدروسة سلفاً، مع بؤر الصراع والتوتر في البيئة الداخلية والبيئة الخارجية، مما أدى الى ضعفها وتفككها، فالأزمات ظاهرة ترافق سائر الأمم والشعوب والمنظمات، في جميع مراحل النشوء والارتقاء والانحدار. وعلى الرغم من أن حدوث الأزمات قديم قدم التاريخ، إلا أن وعي صانعي ومتخذي القرارات

الادارية، بأهمية ادارتها لم تتبلور بعد، إلا في السنوات الاخيرة من القرن العشرين، نظراً لتسارع الأزمات وتنوعها واشتداد التحولات الفجائية الحادة في المواقف، وتلاشي حدود البعد الزمني والمكاني بين مواقع الأحداث وبين متابعيها، وتخليّ الدول عن محليتها وتوقعها، وازدياد احساس الكيانات الادارية بانها جزء من عالم أكبر وأوسع من عالمها الخاص المحدود بكيانها الذاتي.

وفقاً لهذا المتراكم من الأحداث والمتغيرات، دفع الى السطح أهمية الاحساس بضرورات الادارة الرشيدة للأزمات، مهما كان وصفها وعنوانها، حتى أصبح استخدام المنهج العلمي كأسلوب للتعامل مع الأزمات أكثر ضرورة وأكثر حتمية اليوم، وفي الغد البعيد فحسب، ليس فقط لما يحققه من نتائج ايجابية، ولكن أيضاً لأنّ استخدام البديل غير العلمي له نتائج قد تكون غير محمودة أو مخيفة بشكل كبير، اضافة الى أنّ الادارة العلمية للأزمات ضرورة حتمية، ومسؤولية خاصة وعامة لمواجهة أوضاع الجمود والتردد والتحجر.

ونظراً لخطورة وأهمية موضوع الأزمات وادارتها ومعالجتها بالفكر الاداري المتقدم، وبغية التقييم المتوازن لأداء المستويات الادارية باستخدام استراتيجيات ادارة الأزمات، ينبغي أن تتكامل معها عملية صناعة واتخاذ القرارات من قبل المستويات القيادية الادارية، بعيداً عن العشوائية والارتجالية وانفعالات اللحظة الجزئية، وذلك بالاستفادة من العلوم والتقنيات الحديثة وتجارب الآخرين من جهة، وكذلك لردم الفجوة بين منظمات المجتمع المدني، والمنظمات والشركات الصغيرة والمتوسطة، وبينها وبين المنظمات والشركات الكبرى المتقدمة، للحاق بها وبخطواتها، والتفاعل معها ومع برامجها وقدراتها الاستراتيجية، في ملاحقة الأزمات وادارتها بعقلانية ورشد، من جهة ثانية، مع الأخذ بالحسبان الحقيقة التي مؤداها أن الأزمة هي نقطة الانعطاف أو عملية تحوّل، قد تكون الى الأحسن او الى الأسوأ، وهي تحمل امكانية الفرصة والخطر في آن واحد، حتى بلغنا ما بلغناه من تعريف بأنّ إدارة الأزمة هي عملية تهدف الى "التخطيط للأزمة بأسلوب علمي للتحوّل نحو وضع أفضل" (١).

فالأزمة، ما هي إلا عملية إدارية مستمرة ومستندة إلى التنبؤ بالأزمات المحتملة، ثم تعبئة الموارد المتاحة وحشدتها لمنع الأزمة بعد دراسة كلفة الهدف قيمياً ومادياً، واختيار العلاج الذي يحقق أقلّ ضرر، مع ضمان العودة للأوضاع الطبيعية في أسرع وقت، وبأقل كلفة، ثم دراسة أسباب الأزمة ومنع تكرارها، ومحاولة الاستفادة منها لقلب الخسائر إلى إيجابيات.

(١) إدارة الأزمات- التخطيط لما قد لا يحدث. تعريب: علاء صلاح- القاهرة: بيمك ، ٢٠٠٤، ص١٧.

ولا نشك لحظة، بأن الأزمة هي علمٌ وفنٌ لإدارة التوازنات والتكيف مع المتغيرات المختلفة، وبحث آثارها في كافة المجالات، فهي عملية الإعداد والتقدير المنظم والمنتظم للمشكلات الداخلية والخارجية التي تهدد بدرجة خطيرة سمعة المنظمة وبقائها، مما يفضي الى معرفة أقسام الأزمات ومعرفة أسبابها، ثم التعامل العلمي مع الأزمة عبر مجموعة خطوات، منها ما يكون قبل نشوء الأزمة ثم أثناء وقوعها وبعد وقوعها. هذا من ناحية ومن ناحية ثانية، فإن الأزمة ضمن السياق الإداري وحلقته، تعني تتابع أحداثٍ سريعة تهدد أهداف المنظمة أو المؤسسة أو كيانها، مصحوبة بحالات عدم التأكد، أو هي حالة معينة تواجه صانعي ومتخذي القرارات الإدارية، ليدركوا من خلالها بان هناك خطراً داهماً يهدد كيان المؤسسة أو المنظمة واهدافها، وحتى امكانية البقاء أو من دونها في أحيان أخرى (١).

ومما ينبغي التذكير به، أن معالجة الأزمة يقوم على أساس أن الأشخاص القريبين للأزمة، هم الأقدر على حلها أو توفير الحل المناسب لها، وعليه يلاحظ أن معظم الشركات اليابانية ونظام الدولة يتجه نحو اللامركزية في عملية صناعة واتخاذ القرارات، كما أنها تفضل استخدام الاجتماعات كوسيلة لحل الأزمات، ويُطلق على هذا النوع من الاجتماعات بحلقات الجودة، والتي تُعتبر بدورها واحدة من المهام المستخدمة في تحديد الأزمات والمشاكل وكيفية تحليلها (٢).

لقد تطورت الأفكار والمناهج العلمية ازاء مصطلح ادارة الأزمات، في أركان ومضامين علم الادارة العامة، عندما استخدم للتلويح بأسلوب جديد تبنته الاجهزة الحكومية والمنظمات العامة لإنجاز مهام عاجلة أو لحل مازق طارئة، وفي سبيل ذلك، ظهرت قوة المهام الخاصة أو الادارة بالاستثناء أو الادارة بالأهداف والنتائج أو ادارة المشروعات أو فكرة غرفة العمليات لإدارة المشاكل الحادة المتفجرة بمثابة ادارة أزمة. ولما تبلورت معالم هذا الاسلوب "ادارة الأزمة" ثار التساؤل حول امكانية تحويله الى نمط متكامل يُسمى بإدارة الأزمات، وذلك بوضع القواعد والاسس النظامية له، ليصبح نمطاً ادارياً محدد الخصائص، له آلياته المميزة في مواجهة الأزمات المتعددة والمتعاقبة والمتزامنة. لذا نرى أن ادارة الأزمات تتجسد في كيفية التغلب على الأزمة بالأدوات العلمية الادارية المختلفة، وتجنب سلبياتها، والإفادة من الايجابيات، خاصة وأن ادارة الأزمات هي تقنية تُستخدم لمواجهة الحالات الطارئة، والتخطيط للتعامل مع الحالات التي

(١) د. سلمان زيدان. القيادة الادارية واستراتيجية التعامل مع الأزمات. - صنعاء: دائرة التوجيه المعنوي، ٢٠٠٥، ص ٣١.
(٢) د. محمد بن علي شيبان العامري. قواعد في ادارة الأزمات. - الانترنت: مهارات النجاح، موقع الالكتروني.

لا يمكن تجنبها واجراء التحضيرات اللازمة لها، إن لم نقل هي منهجٌ منطقيٌ في التعامل مع الأزمات الحقيقية بطريقة تجعل المؤسسة تعملُ بشكلٍ منتظم في كل الظروف غير الاعتيادية.

ولا ريب في أن النظر في ثنايا الأحداث التاريخية الكبرى، يجعلُ الباحثَ أمام وقائع كثيرة ومتلاحقة، وأزمات متنوعة مصاحبة لها، لكون الأزمات على مر العصور تتوسط المراحل المهمة في حياة الشعوب والمنظمات، فبين كل مرحلة ومرحلة جديدة، ثمة أزمات متتالية، تحرك الأذهانَ وتشعلُ الصراع وتحفز الإبداع وتطرقُ فضاءات تكفلُ وتمهدُ السبيلَ والطريقَ الى مرحلة جديدة. وكان لنمو واتساع المجتمعات والمنظمات، ونضوب الموارد المتنوعة وشدة المنافسة السياسية والاقتصادية، الدور المؤثر في طول حياة الأزمات الى حد أن اصبح تاريخ القرن العشرين، وبدايات القرن الحادي والعشرين، على سبيل المثال، يشكل سلسلة من أزمات حادة على مستوى الأمم والدول والمنظمات المعاصرة وآخرها جائحة كورونا، تخللتها مراحل قصيرة من الحلول المؤقتة والدائمة، ومن هنا فقد نشأت أفكارٌ جديدة من أجل دراسة وتحليل الأزمات ومحاولة الخروج منها بأقل الخسائر، مع الأخذ بالحسبان أهمية البحث عن فرص ومواقف داعمة لتأخير أو معالجة الأزمات اللاحقة، إن تعذرَ تعطيلها.

ففي اطار الأزمات الادارية، يعتقد البعضُ "ان الأزمة الادارية إنما هي مشكلة غير متوقعة قد تؤدي الى كارثة إن لم يجر حُلها بصورة سريعة" (١). فالأزمة في المصطلح الإداري، بالنظر إلى آثارها، تُعرّف بأنها "تهديدٌ خطيرٌ يمكن أن يعصف بأهداف وقيم ومعتقدات وممتلكات الأفراد أو المنظمات والدول، سواء أكان الخطرُ متوقعاً أم غير متوقع" (٢). وعلى هذا الأساس، فإن الأزمة ما هي إلا موقفٌ او حدثٌ يؤدي الى إحداث تغيرات ايجابية وجادة في النتائج، وهي حدث او تراكم لمجموعة من أحداث غير متوقع حدوثها تؤثر في نظام المؤسسة او جزء منه، وهي من الناحية العملية انقطاع عن العمل كلياً او جزئياً لمدةٍ تطولُ او تقصرُ لسببٍ معينٍ يتبعها تأثرُ الكيان وتحوّله من شكلٍ الى آخر.

ومن المؤكد، أن هناك مجموعة من الأسباب المؤدية الى نشوء الأزمات، في مقدمتها الآتي (٣):

أولاً: الأسباب الانسانية وتشملُ العناصر الآتية:

١. سوء التقدير والاحترام.

(١) علي احمد فارس. إدارة الأزمات: الأسباب والحلول. - مركز المستقبل للدراسات والبحوث: الانترنت.

(٢) محسن الخضير ي. إدارة الأزمة. - القاهرة: مجموعة النيل العربية، ٢٠٠٣، ص ١١٣.

(٣) فؤاد يوسف عبد الرحمن الجبوري، سمية عباس مجيد الربيعي، أمل محمود علي العبيدي. - بغداد: الجامعة المستنصرية، كلية الادارة والاقتصاد، الانترنت، موقع شذرات الالكتروني.

٢. حب السيطرة والمركزية الشديدة.

٣. تعارض الأهداف والمصالح.

ثانياً: الأسباب الادارية وتشمل العناصر الآتية:

١. سياسات مالية مثل ارتفاع التكاليف وضعف قدرة الرقابة الداخلية.

٢. عدم التخطيط الفعال للعمليات الانتاجية والفنية والادارية.

٣. اتخاذ القرارات بشكل عشوائي وغير مدروس.

٤. ضعف انظمة الحوافز الناجحة، في مضامينها المادية والمعنوية.

٥. غياب الوصف الوظيفي الجيد للمهام والواجبات والمسؤوليات.

إن الأزمة هي حالة انتقال من مرحلة الى أخرى، يصاحبها نقص شديد في المعلومات، وحالة من عدم التأكد، وقد تكون مفتاح التطور والتغيير نحو الافضل او التقهقر والهلاك. وعليه فلا بد من تنصيب برنامج او اكثر، يتم تشغيله في ظروف الطوارئ، اذا ما أراد القائمون على الواقع الاداري والمسؤولية الادارية القيادية، تفادي مصير التقهقر والهلاك على اقل تقدير، وبرنامج من هذا القبيل هو عبارة عن منهج فكري وتطبيقي، يمثل تقنية فكرية وتقنية محاكاة، تُستخدم لمواجهة الحالات الطارئة التي لا يمكن تجنبها واجراء التحضيرات اللازمة لها قبل وقوعها، وهو بمعنى اكثر دقة أشبه بمحاولة تجميع المعلومات اللازمة عن مسببات الأزمة، ومن ثم تحليلها وصناعة واتخاذ القرار المناسب بشكل سريع وفاعل في اللحظة. ومما توصل اليه الباحثون، أن من خصائص الأزمات الإدارية ومواصفاتها، الآتي (١):

- أ- المفاجئة العنيفة والشديدة لدرجة انها تكون قادرة على شد الانتباه لجميع الافراد والمستويات الادارية والتنظيمية وليس القيادية في المنظمة فحسب.
- ب- التشابك والتداخل في عناصرها البشرية والمادية وعواملها وأسبابها.
- ج- عدم التأكد وعدم توفر المعلومات، مما يسبب الاخطاء في صناعة واتخاذ القرارات وبالتالي تفاقم وتدهور الاوضاع.
- د- غالباً ما يصاحب الأزمة أمراض سلوكية غير مستحبة أو غير محمودة، كالقلق والتوتر وحالات عدم الانتباه واللامبالاة.
- هـ- وجود مجموعة من الضغوط المادية والنفسية والاجتماعية وسواها، لتشكل في مجموعها ضغطاً على المستويات الادارية، وعلى عموم أعضاء الجهاز التنظيمي.

(١) د. سلمان زيدان. القيادة الادارية واستراتيجية التعامل مع الأزمات. مرجع سابق، ص ٣٤.

و- ظهور القوى المعارضة والمؤيدة (اصحاب المصالح) ليساعد ويفاقم، من شدة الأزمة.

٢-١. ادارة الأزمة في أحضان علم الادارة:

على الرغم من أنّ حدوث الأزمات قديم قدم التاريخ، إلا أنّ وعي صانعي ومتخذي القرار الإداري بأهمية ادارتها، بدأ يتنامى في النصف الثاني من القرن العشرين، نظراً لتسارع الأزمات وتنوعها واشتداد التحولات الفجائية الحادة في المواقف، وتلاشي حدود البعد الزمني والمكاني بين مواقع الأحداث وبين متابعيها، وتخليّ الدول عن توقعها، وازدياد احساس الكيانات الادارية بانها جزء من عالم اكبر وأوسع من عالمها الخاص المحدود بكيانها الذاتي. كل ذلك دفع الى السطح بشدة الاحساس بعالمية الأزمة، مهما كانت محلّيتها. وقد اصبح اليوم استخدام المنهج العلمي كأسلوبٍ للتعامل مع الأزمات أكثر ضرورة، وأكثر حتمية، ليس فقط لما يحققه من نتائج ايجابية، ولكن أيضاً لأنّ استخدام البديل غير العلمي، له نتائج قد تكون مخيفة ومدمرة بشكل كبير، اضافة الى أنّ الادارة العلمية للزمات ضرورة حتمية ومسؤولية وطنية لمواجهة أوضاع الجمود والتّحجر. ونظراً لخطورة وأهمية موضوع الأزمات واداراتها ومعالجتها بالفكر الإداري المتقدم، وبغية لحاق الدول النامية بركب العالم المتطور، لا بد من أن يتخذ القادة الإداريون في هذه الدول قراراتهم بعيداً عن العشوائية والارتجالية وانفعالات اللحظة الجزئية. والأزمة هي نقطة الانعطاف أو عملية تحوّل قد تكون الى الأحسن أو الى الأسوأ، كما ألمحنا من قبل، وهي تحمل امكانية الفرصة والخطر في آنٍ واحد. أما مفهوم الأزمة ضمن السياق الإداري فتعني تتابع أحداثٍ سريعة تهدد أهداف المؤسسة أو كيانها، مصحوباً بحالات عدم التأكّد، أو هي حالة معينة تواجه صانعي ومتخذي القرارات الادارية، حتى يدركوا من خلالها بأنّ هناك خطراً داهماً يهدّد كيان المؤسسة وأهدافها وحتى بقاءها احياناً^(١).

وعلى هذا الأساس، فإنّ للأزمات بشكلٍ عام، والأزمات الادارية بشكلٍ محدّد، خصائص وصفات، تتوضّح من خلال الأعراض والنتائج التي تنعكس على الجهاز الإداري بعناصره ومستوياته التنظيمية، ومكوناته المختلفة البشرية والمادية والاعتبارية، فكلّ أزمة تحمل في طياتها مقومات نجاحها وأسباب فشلها، كما أشرنا سابقاً، إذ ليس بالضرورة ان تتصفّ كلّ أزمة بالسوء أو أنها شرّ مستطير، فلربّما تصبح حافزاً على التقدم والتطور والمشاركة بفعالية، على

(١) اكرم سالم. ادارة الأزمات وسبل التعامل معها ومواجهتها. - الانترنت: الحوار المتمدن، موقع الالكتروني.

الرغم مما تحمله من درجات المخاطرة وعدم التأكد، لذا نجد البعض يرى في الأزمات فرصاً لتعزيز ادوارهم، افراداً ومنظمات^(١).

المبحث الثاني- مراحل الأزمة وفضاءات المعالجة

٢-١. المراحل العامة لظهور الأزمة:

يشير الكثير من المراجع العلمية، ويتفق أصحابها العلماء والباحثون، على أنّ الأزمة تمرّ بمراحل عديدة، وأنّ هناك اتفاقاً عاماً قد يكون موجوداً في هذا المرجع العلمي أو ذاك، من أن مراحل الأزمة تُقسّم بشكل عام، وفقاً للآتي من المراحل^(٢):

المرحلة الأولى- مرحلة الصدمة، المعبر عنها بالموقف الذي يتكوّن نتيجة الغموض، ويؤدي الى الإرباك والشعور بالحيرة وعدم التصديق لما يجري، وهي مرحلة تتناسب عكسياً مع مدى معرفة وادراك الانسان.

المرحلة الثانية- مرحلة التراجع، والتي تبرز بعد حدوث الصدمة، حيث تبدأ بوادر الاضطراب والحيرة بالظهور بشكل متزايد، ويصاحب ذلك أعراض، من بينها، زيادة حجم الأعمال التي لا جدوى منها، والتي توصف بالأعمال الفوضوية.

المرحلة الثالثة- مرحلة الاعتراف، وهنا تتجلى عقلانية التفكير فيما بعد امتصاص الصدمة، حيث تبدأ عملية ادراك واسعة ومراجعة للأزمة بغية تفكيكها.

المرحلة الرابعة- مرحلة التأقلم، حيث يتم استخدام استراتيجيات معينة، اضافة الى استخدام الموارد البشرية والمادية في المنظمة للتعامل والتخفيف من آثار اللازمة. وما لم يتم التعامل بذكاء وحذر في هذه المرحلة، فان الامور سوف تتجه بخطّ بياني نحو الكارثة. وقد اطلقت على هذه المرحلة تسميات اخرى من أبرزها، مرحلة الانذار المبكر او مرحلة اكتشاف اشارات الخطر، وهي بهذا المعنى أولى خطوات ادارة الأزمة، تليها مجموعة أساليب وقائية وسيناريوهات معينة تتابع أحداث الأزمة، وتحدّد لكل فرد في فريق الأزمة، دوره بمنتهى الوضوح، وتهيئ وسائل عمل تحدّد من الأضرار وتمنعها من الانتشار.

(١) د. كامل السيد غراب. الادارة الاستراتيجية/ اصول علمية وحالات عملية- الرياض: مطابع جامعة الملك سعود، ١٩٩٥، ص ٥٧-٥٨.

(٢) علي احمد فارس. إدارة الأزمات: الأسباب والطول.- مركز المستقبل للدراسات والبحوث، الانترنت.

٢-٢. فضاءات معالجة الأزمة:

وفي ذات السياق من الفهم والادراك لمحتوى الأزمة وتفاعلاتها الروحية والاعتبارية والمادية، نشير الى وجود نوعين من أساليب حل الأزمات: أولهما معروفٌ متداول، ويُصطلح عليه بالطرق التقليدية، وثانيهما، عبارة عن طرق متجددة لزمانها ومكانها، وقد يُصطلح عليها بالطرق غير التقليدية:

فالطرق التقليدية ذات العلاقة باستراتيجيات التعامل مع الأزمات، تتنوعُ وتتعددُ بحسب عنوان الأزمة، وحجمها وتأثيرها، ومن أهمها (١):

أ- إنكار الأزمة، حيث تتم ممارسة تعقيم اعلامي على الأزمة وإنكار حدوثها، واطهار صلابة الموقف، وأن الاحوال على أحسن ما يرام، وذلك لتدمير الأزمة والسيطرة عليها. وتستخدم هذه الطريقة غالباً في ظل الأنظمة الدكتاتورية والتي ترفض الاعتراف بوجود أي خلل في كيانها الاداري، وأفضل مثال لها إنكار التعرّض للوباء أو أي مرضٍ صحي، وما الى ذلك.

ب- كبت الأزمة، وتعني تأجيلَ ظهور الأزمة، وهو نوعٌ من التعامل المباشر مع الأزمة بقصد تدميرها.

ج- إخماد الأزمة، وهي الطريقة التي تقومُ على الصدام العلني مع قوى الأزمة نفسها، بغض النظر عن المشاعر والقيم الانسانية.

د- بخس الأزمة، أي التقليل من شأن الأزمة ومن تأثيرها ونتائجها، إذ يجري الاعتراف بوجود الأزمة، ولكن باعتبارها أزمة غير هامة.

هـ- تنفيس الأزمة، وتوصفُ بطريقة تنفيس البركان، حيث يلجأ المديرُ الى تنفيس الضغوط داخل البركان للتخفيف من حالة الغليان والغضب والحيلولة دون الانفجار.

و- عزل قوى الأزمة، حيث يقومُ مديرُ ادارة الأزمة برصد وتحديد القوى الصانعة للأزمة وعزلها عن مسار الأزمة، وعن مؤيديها، من أجل منع انتشارها وتوسعها، وبالتالي سهولة التعامل معها، ومن ثم حلها أو القضاء عليها.

(١) د. عبدالله عبدالرحمن البريدي. الابداع يخنق الأزمات.- الرياض: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، ١٣١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٥٤.

ز- تفرغ الأزمة، وحسب هذه الطريقة يتم ايجاد مسارات بديلة ومتعددة أمام قوة الدفع الرئيسية والفرعية المولدة لتيار الأزمة، ليتحول الى مساراتٍ عديدةٍ وبديلة تستوعب جهده وتقلل من خطورته. ويكون التفرغ على ثلاث مراحل:

- مرحلة الصدام أو مرحلة المواجهة العنيفة مع القوى الدافعة اللازمة لمعرفة مدى قوة الأزمة ومدى تماسك القوى التي انشأتها.
- مرحلة وضع البدائل، إذ يقوم المدير بوضع مجموعة من الاهداف البديلة لكل اتجاه أو فرقة انبثقت عن الصدام. وهذه العملية تشبه الى حد ما لعبة البليارد.
- مرحلة التفاوض مع أصحاب كل فرع أو بديل، أي مرحلة استقطاب وامتصاص وتكييف أصحاب كل بديل، عن طريق التفاوض مع أصحاب كل فرع، من خلال رؤية علمية شاملة مبنية على عدة تساؤلات مثل: ماذا تريد من أصحاب الفرع الآخر، وما الذي يمكن تقديمه للحصول على ما تريد، وما هي الضغوط التي يجب ممارستها لإجبارهم على قبول التفاوض، وهكذا.

أما الطرق غير التقليدية، في استراتيجيات التعامل مع الأزمات، فهي تتعدد أيضا وتتنوع، وهي طرق مناسبة للمستويات القيادية الادارية، ومتوافقة مع القدرات البشرية والمادية التي تمتلكها المنظمات، والمتغيرات التي تصاحب تطورها واتجاهاتها في زمانها ومكانها، وأهم هذه الطرق الآتي (١):

- أ- طريقة فرق العمل أو ادارة الأزمة، وهي من أكثر الطرق استخدامًا في الوقت الحالي، حيث يتطلب الأمر وجود أكثر من خبيرٍ ومتخصصٍ في مجالات مختلفة، حتى يتم حساب كل عامل من العوامل وتحديد التصرف المطلوب مع كل عامل. وهذه الطريقة إما ان تكون مؤقتة أو تكون دائمة، إذ تتألف فرق العمل أو فرق ادارة الأزمة من الكوادر المتخصصة التي يتم تشكيلها، وتهيئتها لمواجهة الأزمات وأوقات الطوارئ والحالات الناشئة في مكانٍ معين وظرف محدد.
- ب- طريقة الاحتياطي التعبوي للتعامل مع الأزمات، حيث يتم تحديد مواطن الضعف ومصادر الأزمات، فيتم تكوين احتياطي تعبوي وقائي يمكن استخدامه اذا حصلت الأزمة، وتستخدم هذه الطريقة غالبا في المنظمات الصناعية عند حدوث أزمة في المواد الخام او نقص في السيولة.

(١) جيمس سي كراج، روبرت أم جرانت. الادارة الاستراتيجية.- الرياض: مكتبة المريخ، ٢٠٠٧، ص٦٥.

ج- طريقة المشاركة التشاورية والتعاونية للتعامل مع الأزمات، وهي أكثر الطرق تأثيراً، وتستخدم عندما تتعلق الأزمة بالأفراد أو يكون محورها العنصر البشري. وتعني هذه الطريقة الإفصاح عن الأزمة وعن خطورتها، وكيفية التعامل معها بين الرئيس والمرووسين بشكل منطقي وعقلاني وواضح في التعاون المشترك والتعامل المسؤول والموازنة الصحيحة ما بين الواجبات أولاً ثم الحقوق في المنظمة.

د- طريقة الاحتواء، أي محاصرة الأزمة في نطاق ضيقٍ ومحدود، ومن الأمثلة على ذلك الأزمات الناشئة عن العمل والانتاج ومشكلات العاملين، حيث يتم استخدام طريقة الحوار والتفاهم مع قيادات تلك الأزمات.

هـ- طريقة تصعيد الأزمة، وتستخدم عندما تكون الأزمة غير واضحة المعالم، وعندما يكون هناك تكتلٌ عند مرحلة تكون الأزمة وبروز مؤشرات تفاقمها، فيعمد المتعامل مع الموقف، الى تصعيد الأزمة لفلك هذا التكتل وتقليل ضغط الأزمة وإضعاف عناصرها البشرية والمادية والمعنوية.

و- طريقة تفرغ الأزمة من مضمونها، وهي من أنجح الطرق المستخدمة، حيث يكون لكل أزمة مضمونٌ معين، قد يكون سياسياً أو اجتماعياً أو دينياً أو اقتصادياً أو ثقافياً أو ادارياً أو صحياً وغيرها من المضامين، ومهمة المدير وفريق العمل المكلف بإدارة الأزمة، هي إفقاد الأزمة لهويتها ومضمونها، وبالتالي فقدان قوة الضغط لدى القوى المشاركة.

ز- طريقة تفتيت الأزمة، وهي الأفضل اذا كانت الأزمات شديدة وخطرة، وتعتمد هذه الطريقة على دراسة جميع جوانب الأزمة لمعرفة القوى المشكّلة لتحالفات الأزمة نفسها، وتحديد اطار المصالح المتضاربة والمنافع المحتملة لأعضاء هذه التحالفات، ومن ثم ضربها وخلق توترات بين عناصرها، من خلال ايجاد زعامات مفتعلة، ويجاد مكاسب لهذه الاتجاهات متعارضة مع استمرار التحالفات داخل الأزمة. وهكذا تتحول الأزمة الكبرى الى أزمات صغيرة مفتتة.

ح- طريقة تدمير الأزمة ذاتياً وتفجيرها من الداخل، وهي من أصعب الطرق غير التقليدية للتعامل مع الأزمات، ويطلق عليها طريقة المواجهة العنيفة، أو الصدام المباشر، وغالبا ما تستخدم في حالة عدم توفر المعلومات، وهذا مكمّن خطورتها،

وتستخدم في حالة التيقن من عدم وجود البديل، ويتم التعامل مع هذه الأزمة على النحو التالي^(١):

- ضرب الأزمة بشدة من جوانبها الضعيفة.
- استقطاب بعض عناصر التحريك والدفع للأزمة.
- تصفية العناصر القائدة للأزمة.
- ايجاد قادة جدد اكثر تفهما.
- ط- طريقة الوفرة الوهمية، وهي تستخدم الاسلوب النفسي للتغطية على الأزمة، كما في حالات فقدان المواد التموينية، حيث يراعي صانع ومتخذ القرار توفر هذه المواد للسيطرة على الأزمة ولو مؤقتا.
- ي- احتواء وتحويل مسار الأزمة، وتستخدم مع الأزمات بالغة العنف والتي لا يمكن وقف تصاعدها، وهنا يتم تحويل الأزمة الى مسارات بديلة، ويتم احتواء الأزمة عن طريق استيعاب نتائجها والرضوخ لها والاعتراف بأسبابها، ثم التغلب عليها ومعالجة افرازاتها ونتائجها، بالشكل الذي يؤدي الى التقليل من أخطارها. أما اذا كانت الأزمة ناتجة عن مسبب خارجي، فيمكن عندئذ استخدام الأساليب التالية:
 - اسلوب الخيارات الضاغطة، مثل التشدد وعدم الإذعان والتهديد المباشر.
 - الخيارات التوفيقية، حيث يقوم أحد الاطراف بإبداء الرغبة في تخفيف الأزمة ومحاولة ايجاد تسوية عادلة للأطراف.
 - الخيارات التنسيقية، أي استخدام كلا الاسلوبين الاخيرين، أي التفاوض مع استخدام القوة.

ضمن هذا السياق، ينبغي أن نستفيد ونتعلم من تجارب الآخرين، في التعامل مع الأزمات بكل أشكالها وأنواعها، مستذكرين المبدأ القائل: "ليس عيباً قول الحقيقة، ولكن العيب في عدم قول الحقيقة". فالتجربة اليابانية غنية وجديرة بالمتابعة والدراسة في استراتيجيات التعامل مع الأزمات الادارية والتنظيمية، وفي النجاح والتغلب على أقسى أنواع الكوارث الطبيعية وهي الزلازل، هذه التجربة تثبت فعالية وأهمية إدارة الأزمات والكوارث. فاليابان تتغلب على الزلازل، ونحن نعاني من سيول خطورتها ليست أخطر من الزلازل، وبالتالي تعزيز الفجوة العلمية بيننا وبين الدول المتقدمة، فالواقع يؤشر الغياب النسبي للتخطيط العلمي لإدارة الأزمات

(١) د. كامل السيد غراب. الادارة الاستراتيجية/ اصول علمية وحالات عملية. مرجع سابق، ص ٨٢.

والكوارث في العالم العربي، وقد لا نبالغ في القول: إن الغياب ما زال يعترض المنهجيات العلمية والاجراءات المتوازنة ازاء مواجهة وادارة الأزمات.

ولكن، ورغم اشادتنا بالقدرات البشرية والمادية للدول المتقدمة، في مواجهة الأزمات الادارية والاقتصادية والطبيعية وسواها، بيد أن ما أفصحت عنه الأزمة العالمية (جائحة الفيروس كورونا) من تداعيات وسقوطٍ وانهيارٍ وتهاويٍ للأنظمة الصحية، والسياسات العامة والخاصة، في دول العالم، ومنها الدول المتقدمة العظمى والكبرى، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية... نقول: إن هذه الجائحة، كشفت عورات هذه الأنظمة وضعفها في القدرات الصحية ومستلزماتها البشرية والمادية، والتعامل الانساني والأخلاقي مع الناس، داخل هذه الدول وفي محيطها الخارجي. وهذا الحال الموصوف أكده إبراهيم قالن، متحدث الرئاسة التركية، من "أن أزمة جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد-١٩) كشفت عن مدى ضعف النظام العالمي، والجهاز المناعي"^(١). وهذا ما سنتناوله في صفحات المبحث الخامس من هذا البحث.

المبحث الثالث- المواجهة مع أزمة وباء كورونا (كوفيد- ١٩)

٣-١. مقارنات بين الحرب العالمية الثانية ووباء كورونا:

صدرت الكثير من الدراسات والبحوث والمقالات في الوقت الراهن، على امتداد مساحة الكرة الأرضية، تتناول الكثير من المقارنات بين الحرب العالمية الثانية ووباء كورونا الذي تواجهه دول وحكومات العالم حالياً. فحاكم ولاية نيويورك الأمريكية أندرو كومو، الذي يُشبهه البعض برؤساء الولايات المتحدة في أوقات الحروب، يُقحم مؤتمراته الصحفية اليومية للحديث عن أزمة الوباء، بمفردات ذات طابع حربي، إذ يصف ذروة منحنى الإصابة بالمرض بـ "المعركة التالية التي تنتظرنا على قمة الجبل"، ويعتبر أن "أجهزة التنفس الصناعي تشكل بالنسبة لهذه الحرب، ما كانت تمثله القنابل خلال الحرب العالمية الثانية". أما القادة الأوروبيون، فيستخدمون مصطلح "يوم الإنزال"- الذي يشير إلى اليوم الذي نزلت فيه قوات الحلفاء على شواطئ نورماندي الفرنسية خلال الحرب العالمية الثانية، ما مهّد بعد ذلك الطريق لتحقيقها النصر- وذلك للحديث عن مرحلة يعتبرون أنها آتية بشكلٍ حتمي، سيفوق فيها حجم الوباء ونطاقه

(١) إبراهيم قالن. جائحة كورونا كشفت الضعف الذي يعتري النظام العالمي.- انقرة: وكالة الأناضول للأنباء، ٢٠٢٠/٥/١٣.

قدرات القطاع الصحي. كما تتضمن تصريحاتهم إشارات إلى "حرب" تُخاض ضد عدو خفي^(١).

وفي سياق الحديث عن أزمة كورونا، يُوصَفُ عناصرُ الرعاية الصحية بأنهم يقفون على الخطوط الأمامية للمعركة، ويُعتبر العلماءُ بمثابة "الجنرالات الجدد"، فيما يُقال إن خبراء الاقتصاد يعكفون على وضع "خطط للمعركة"، ويُشار إلى أن السياسيين يدعون إلى "تعبئة" الموارد والجهود. فهذه ملكة بريطانيا إليزابيث الثانية، تحت الناس على التحلي بالانضباط والعزيمة، وهو المحتوى ذاته الذي أبداه المواطنون البريطانيون خلال الحرب العالمية الثانية، إذ قالت في كلمة متلفزة نادرة: "إن مخاطبتها للبريطانيين في هذه الأزمة تُذَكِّرُها بأول بثٍ إذاعي وجهته لمواطنيها عام ١٩٤٠ في غمار الحرب"^(٢).

ورغم وجود العديد من أوجه الاختلاف الجوهرية بين الحرب الفعلية وأزمة كورونا، فإن الأزمة الحالية تتطلب على ما يبدو اتخاذ الإجراءات والتدابير نفسها التي يتم اللجوء إليها في أوقات الطوارئ، فقد تُجبرُ المعركة التي يخوضها العالم ضد فيروس كورونا الآن، دولاً عظمى على العودة لتبني التدابير التي تطبقها عادة في أزمنة الحروب، بدءاً من تعزيز الإنتاج الصناعي، مروراً بالإسراع بإعادة توزيع الموارد، وزيادة إشراف الحكومات، ووضع خطط التحفيز، وصولاً إلى إمكانية التقنين المحتمل لتوزيع السلع الأساسية. وفي هذا المنحنى، يثارُ التساؤل، في ما إذا كانت هناك دروسٌ يمكن أن نستخلصها، مما شهدته سنوات الحرب العالمية الثانية، من هيمنة مشاعر القلق الجماعي، وتطبيق تدابير طارئة، وإطلاق دعوات للتماسك الوطني، وحدث تغييرات دراماتيكية في المجتمع، وصلة ذلك بمفهوم "التضحية المشتركة" التي يجري الحديث عنها في ظل الأزمة الحالية، وكيفية التعامل مع المستقبل في لحظة ما يجري في الوقت الراهن.

قبل كلِّ شيء نقول: إنه لا يزال من غير الواضح مدى التماثل بين الحالة النفسية لمواطني الدول التي تخوض حروباً، وما تشعرُ به حالياً شعوبُ الأرض كلها، إزاء وباء كورونا، خاصة أن ما نعرفه بشأن الوباء لا يزالُ غامضاً بدوره، ويتطور بسرعة، تماماً مثل مسار تفشي الفيروس نفسه. في الوقت ذاته، قد يؤدي عقدُ الساسة أو الصحفيين مقارنات، تبدو في الظاهر منطقية ومقتعة، بين الوباء والمعارك الحربية، إلى بلورتهم افتراضات خطيرة في هذا الصدد، خاصة

(١) فيروس كورونا: كيف نستفيد من دروس الحرب العالمية الثانية في مواجهة كوفيد-١٩؟
الرابط: <https://www.bbc.com/arabic/vert-fut-٥٢٥٤٩١١٦>
(٢) المرجع السابق نفسه.

إن كانت هذه المقارناتُ تتعلقُ بمسائل مثل "اللجوء إلى حلول ذات طابع عسكري" أو إمكانية حدوث "عنف منظم" جراء الأزمة. وفي هذا الشأن، يقولُ مارك آر. ويلسون، أستاذ التاريخ في جامعة نورث كارولينا: "لن يؤدي إقدامنا على شن حربٍ ضد وباء كورونا، إلى حل المشكلات الجوهرية التي يعاني منها قطاع الرعاية الصحية، على سبيل المثال. إذ أنّ تفكيرنا في تعبئة الموارد على المدى القصير، مثلما يحدث في الحروب، يؤدي إلى تقييد مخيّلتنا وقدرتنا على التفكير". ويعود ذلك إلى أنه لا يمكنُ من خلال "شن هجوم سريع" على فيروس (كوفيد-١٩)، الوصول إلى حلول شافية لمشكلاتٍ عالميةٍ خطيرة، مثل الفقر وعدم المساواة المجتمعية والشح في المعدات والتجهيزات والتفاوت في مستوى الرعاية الصحية بين دول العالم وبعضها البعض، حتى وإن كان استخدامُ مصطلح "المعركة ضد الفيروس"، يتسمُّ بطابعٍ مجازي في هذه الحالة، لكنّ ويلسون يشيرُ إلى أنّ بوسعنا، بل ويتوجبُ علينا السعيُّ للاستفادة مما شهده الماضي من تجارب، بالرغم من عدم وجود نمط ثابت لما يحدث عادة خلال أية أزمة أو بعدها^(١).

ومن بين أوجه الشبه بين ما تشهده أزمة وباء كورونا، وما دار خلال الحرب العالمية الثانية، الإقدام على تغيير طبيعة الإنتاج الصناعي، لمواكبة الاحتياجات المتغيرة المترتبة على هاتين الأزمتين. ففي فترة الحرب، أدت الحاجة الماسة للإسراع بالحصول على مزيدٍ من السفن والدبابات والمقاتلات، إلى "تعبئة" كل الموارد الاقتصادية، لخدمة ذلك الغرض. ففي الولايات المتحدة وبريطانيا، تحديداً، أمرت السلطاتُ المصانع التي كانت تتولّى إنتاج السلع والمنتجات المدنية، بتصنيع معدات عسكرية. وفي هذا الإطار، تحوّلت شركاتُ السيارات إلى تصنيع شاحنات عسكرية، وانخرطت شركاتُ الساعات والعاملون في مجال السباكة في تصميم وإنتاج خراطيش الذخيرة، بل وتمَّ الاستفادة من الجوارب الحريرية لتصنيع مظلات القفز من الطائرات.

٣-٢. لم يشهد التاريخ كارثة عالمية كذلك:

وللتوثيق التاريخي، فإن العالمَ برمته لم يتعرّض في أي وقتٍ من الأوقات، كما يتعرّضُ اليوم، لإغلاقٍ شبه كاملٍ للحياة. كما لم يشهد التاريخُ كارثة عالمية، كذلك التي وضعت البشرية كلها في سجنٍ كبير، إذ لم يعزلُ الناسُ سابقاً أنفسهم داخل منازلهم في مئات الدول وآلاف المدن ومئات آلاف التجمعات السكنية، ولم يبتعدوا عن الشوارع، وعن بعضهم البعض لهذه الدرجة، ولم يخافوا إلى هذا الحد، ولم ينتشر أيُّ وباء أو حرب أو خوف إلى هذه الدرجة في أي مكان

(١) المرجع السابق نفسه.

في العالم، من أصغر جزيرة في المحيط الهادئ إلى تجمعات قبائل غابات الأمازون، ومن أكبر المراكز الحضرية في العالم إلى مخيمات اللاجئين، ومن أغنى الدول إلى أفقرها، ومن أقواها إلى أضعفها^(١).

لقد شهدت مختلفُ الدول، وبالتحديد في أمريكا وأوروبا، هذا الوصفَ الدراماتيكي، على مدار أزمة فيروس كورونا، إذ نجدُ أنَّ المصانع غيرت من طبيعة إنتاجها، في محاولة لمواجهة تفشي الوباء. فخلال نحو (٧٢) ساعة لا أكثر، بدأت شركة "لوي فيتون" للأزياء والإكسسوارات الفاخرة، في إنتاج مُعقمات للأيدي من الكحول، الذي تستخدمه عادة في تطهير عطورها، ومن ثم توزيع هذه المنتجات على المستشفيات في جميع أنحاء فرنسا. أما شركة "جنرال موتورز" الأمريكية للسيارات، التي سبق لها أن صنّعت الدبابات بأعدادٍ كبيرةٍ خلال الحرب العالمية الثانية، فقد بدأت هذه المرة في إنتاج آلافٍ من أجهزة التنفس الصناعي. ولم يختلف الحال في المملكة المتحدة، إذ حوّلت شركات الأزياء التي تتعامل مع تجار التجزئة، اهتمامها من صناعة الموضة، إلى إنتاج أقنعة جراحية واقية من نوع (-N٩٥). وفي الوقت نفسه، بدأت شركات الطيران في شتى أنحاء العالم، في تسيير رحلات لإعادة المواطنين العالقين، ونقل عناصر فرق الرعاية الصحية والمستلزمات الطبية، إلى المناطق الأكثر تضرراً من الوباء. بجانب ذلك، تم استخدام سفن مخصصة لتقديم الرعاية الطبية، مثل "يو إس إن إس كومفورت" التي صُممت لعلاج ضحايا الحرب، لمّ يدّ العون للمستشفيات التقليدية، المثقلة بأعباء التعامل مع المصابين بفيروس كورونا. ولم تقتصر عملية إعادة توزيع الموارد هذه على السلع والخدمات فحسب، بل امتدت للعنصر البشري أيضاً، إذ تمّ الاستعانة الآن بخدمات جراحيّ الأعصاب وأطباء القلب وطلاب الطب، للعمل في غرف الطوارئ وعنابر العناية المركزة، أما موظفو الاستقبال، الذين كانت مهمتهم لا تتجاوز عادة تحصيل الفواتير من المرضى أو ذويهم، فباتوا يُكلفون بالمساعدة في فحص المصابين بالفيروس، من أجل تعويض النقص الحاد في عدد العاملين المؤهلين للقيام بذلك. فضلاً عن هذا وذاك، صارت الوجبات التي تُحضّر لها المطاعم، تُخصّص للممرضات المنهكات العاملات في أقسام الطوارئ. وأصبح الآباء والأمهات معلمين بدوامٍ كاملٍ لأبنائهم. وبلغ الأمرُ حدَّ تدريب المسؤولين في الفنادق، على بروتوكولات العمل في المستشفيات، بعدما فتحو أبواب منشآتهم الفندقية، أمام العاملين في مجال الرعاية الصحية^(٢).

(١) إبراهيم قراغول. لم يشهد التاريخ كارثة عالمية كذلك. - انقرة: جريدة بني شفق، ٢٤ أبريل ٢٠٢٠.

(٢) فيروس كورونا.. آخر المستجدات. - الجزيرة: الرابط: <https://www.aljazeera.net/news/politics> في ٢٠٢٠/٤/٢٩.

وفي وقتٍ تطلب فيه الأمرُ شهوياً لتطبيق التدابير الرامية لزيادة الإنتاج الصناعي خلال الحرب العالمية الثانية، تبدو الصورة الآن مختلفة، إذ لا تملكُ الدولُ رفاهية الانتظار لعدة شهور، بل إن كلَّ ما لديها أسابيع لا أكثر. وبينما تبدو الجهودُ الرامية لمحاربة الوباء خليطاً غير متجانس في أفضل الأحوال، فإن التعبئة غير المسبوقة التي حدثت في فترة الحرب العالمية الثانية، بما شهدته من ارتفاع هائلٍ في حجم الإنتاج وقدرةٍ على التحكم في الأرباح، تشكل نموذجاً يمكن احتداؤه خلال المرحلة التالية من تفشي فيروس كورونا، إذ لاحظنا أن بعض الدول والمسؤولين فيها اتجهوا إلى محاكاة ما حدث خلال الحرب، من توفير التمويل اللازم لإقامة مصانع جديدة وتجهيزها بالآلات والمعدات اللازمة لها، ولكن لتنتج هذه المرة أجهزة تنفسٍ صناعي ومعدات وملابس حماية شخصية وكمامات ومواد صحية وسواها.

في الوقت ذاته، نرى أن بوسع السلطات في دول العالم المختلفة، وضع قواعد خاصة بأولويات الرعاية الصحية في أوقات الأزمات، بما يسمح لها بتوفير العناية والعلاج لمرضى بعينهم، وتقنين توزيع المعدات الطبية، بل وحتى المواد الغذائية، كما اتضح في أثناء الحرب العالمية الثانية التي حفزت على حدوث تغييراتٍ مجتمعية هائلة، مثل تطوير نظام الرعاية الصحية الشامل في دول، مثل بريطانيا. وعلى الرغم من أن التكاليف المالية لهذه التدابير، ستكون هائلة على المدى القصير، وقد تتجاوز عشرات المليارات من الدولارات أو اليورو والليرة وغيرها من العملات، فإن مردودها الإيجابي سيكون هائلاً كذلك. وفي واقع الأمر، ثمة مؤشرات بدت بالفعل، على نجاح التدخل السريع، الذي أقدمت عليه حكومات العالم، خلال الشهور القليلة التي أعقبت بدء تفشي الوباء. ففي الصين، مثلاً، شيد آلاف العمال مستشفى ميدانياً بناءً على أوامر حكومية، ما يعني أن التعبئة سريعة الوتيرة من هذا القبيل، أتاحت الفرصة في غضون أيام قليلة لتوفير العلاج لآلاف المرضى، وكذلك الحال الموصوف بتركيا والذي سنتناوله في الصفحات اللاحقة. ومع ذلك، بوسعنا القول إن الأزمة الحالية أدت إلى حدوث تعبئة وحشد للموارد على الساحة العالمية، بشكلٍ لم نشهده منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية قبل (٨٠) عاماً. فالوباء تطلب وما زال يتطلبُ بذل جهودٍ سريعة ومركزة تتطوي على مخاطر عالية، من جهة، ومن جهة ثانية فالوباء أدى إلى توحيد صفوف الناس في مختلف أنحاء العالم، وبدا مؤشراً على قرب حدوث تغييراتٍ متسارعة ذات طابع زلزالي على الصعيد الدولي، يمكن أن تستمر لسنوات قادمة وعلى أكثر من مستوى وصعيد.

ولا شك في أن فيروس كورونا سيظل يعطي الدروس والعبر في كل جوانب الحياة، ففي ظل هذا الوباء القاسي نحتاج تطبيق المنهجية العلمية لإدارة الأزمات. وحيث أن هدف الإدارة بصفة

عامة هو الاستفادة من جميع الإمكانيات لتحقيق الهدف المطلوب من خلال التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة والمتابعة وصناعة واصدار القرارات وتخويل الصلاحيات وسواها، فإن إدارة الأزمات تسيّر على نفس النهج، ولكن بشكلٍ آخر للخروج من الأزمة، إذ إن النقطة الحرجة في إدارة الأزمات هي التوقيت المناسب في التنبؤ ببدء الأزمة ومراحلها، التوقيت المناسب في التنبؤ بنتائج الأزمة، التوقيت المناسب في صناعة واتخاذ القرارات المفصلية للحد من الأزمة، وهو ما يعبر عنه العالم الأمريكي "آمن ايو" بالإنداز المبكر وردّ الفعل الذكي. ومما يميّز إدارة الأزمات سرعة صناعة وإصدار القرارات، وسرعة التنفيذ، من خلال نظام اللامركزية، مع الأخذ بالتخويل المتوازن للصلاحيات وسرعة التنسيق.

ومن نافلة القول: إن من الأخطاء الشائعة في إدارة الأزمات، الهولة والتسرّع في تنفيذ الإجراءات ووسائل حلّ الأزمات بدون تخطيط مسبق، بدعوى أن الأزمة تحتاج إلى سرعة تنفيذ ولا يوجد وقتٌ للتخطيط، ولكن بالرجوع إلى التجارب الناجحة في إدارة أزمة (فيروس كورونا)، نجد أنّ هناك بعض الدول، التي تنبأت بظهور (الفيروس) وخطورة نتائجه المتوقعة، بدأت مرحلة التخطيط بناء على المعلومات التي وصلت من مراكز التحليل والدراسات، وورش العمل المتعددة التي استلمت تلك التنبؤات وحولتها إلى معلومات، ووضعت السيناريوهات المتوقعة. ومن هنا بدأت عملية ادارة الأزمة والتنظيم المتوازن لها، وهيكله فرق العمل المتخصصة والساندة، التي تعمل في ضوء استراتيجيات وسياساتٍ محددة^(١).

٣-٣. تركيا في مواجهة جائحة كورونا- نموذجاً:

حتى تكون في الميدان وتوثيق ادارة الأزمة في مواجهة جائحة كورونا، فقد تحوّلت تركيا إلى نموذجٍ يحتذى به للعديد من البلدان حول العالم، بعد النجاحات التي حققتها في مجال قطاع الصحة، والتطبيقات الفعّالة التي اتخذتها، مثل المساعدات الاجتماعية والتوزيع المجاني للكمامات، منذ ظهور فيروس كورونا في مدينة ووهان الصينية في ديسمبر/ كانون الأول ٢٠١٩. وعقب إعلان منظمة الصحة العالمية كورونا كـ "جائحة" (وهو اصطلاح عن الوباء الذي ينتشر ليضمّ كافة أرجاء العالم)، شددت تركيا الإجراءات الصارمة لمنع انتشار الوباء، فضلاً عن دعم قطاع الرعاية الصحية، وتقديم المساعدات الاجتماعية، كالتوزيع المجاني للكمامات (أقنعة الوجه الطبية). وكانت الكمامات الطبية، قد شكّلت في الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية، معضلة خلال الأزمة الأخيرة، بسبب فقدانها من الأسواق

(١) فيروس كورونا ومهارة إدارة الأزمة.- مرصد ومدونات عمران. الرابط: <https://omran.org/ar>.

والمستشفيات، ما دفع ببعض الممرضين إلى الاستغاثة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، بسبب عملهم مع مرضى الفيروس دون أي ملابس وقائية.

وعلى خلفية انتشار الجائحة، اشتعلت حروبٌ بين الدول، خاصة الدول الكبرى، للحصول على الكمادات (الأقنعة الواقية) ومعدات الحماية الطبية، وهو ما وصفه مسؤولٌ ألماني بـ"القرصنة المعاصرة"، إذ بدأت دولٌ بالاستيلاء على شحنات من تلك المواد كانت متجهةً إلى دول أخرى، في مشهد غير مسبوق. فيما صرَّحَ الرئيسُ التركي رجب طيب أردوغان في ٦ إبريل/ نيسان ٢٠٢٠، قائلاً: إن "الكمادات في المحال التجارية توزَّعَ مجاناً على المواطنين، ولدينا من الكمادات في خطوط الإنتاج والمخازن ما يكفي لجميع مواطنينا حتى نهاية الجائحة"، إذ تحولت تركيا عقب العديد من الإجراءات الصحية والاقتصادية والاجتماعية، إلى نموذجٍ يحتذى به حول العالم في سرعة الاستجابة لحالة الطوارئ الصحية. يضاف إلى ذلك كله، وبالتوازي مع الجهود التركية على الصعيد الداخلي ازاء مواجهة (كورونا)، قدمت أنقرة المساعدة لأكثر من ٣٠ بلداً، فضلاً عن التبادل المستمر للمعلومات مع العديد من البلدان من أجل السيطرة على انتشار الفيروس حول العالم^(١). من ناحية ثانية، أعلن وزيرُ الصحة التركي، فخر الدين قوجة، أن (٨٨) دولة طلبت من تركيا، تقديم الدعم لها متمثلاً بالمعدات الطبية، لمواجهة فيروس كورونا. جاء ذلك في تصريحات أدلى بها قوجة، خلال لقاء جمعه بالمدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية في أوروبا، هانس كلوغ، عبر "الفيديو كونفرانس". وأكد الوزيرُ التركي على قوة البنية التحتية للقطاع الصحي في بلاده، مبيناً أنَّ تركيا لديها مخزونٌ كافٍ من المعدات الطبية والوقائية، وهي في وضعٍ أفضل بكثير، مقارنة ببعض البلدان الأوروبية. وأضاف: "أن ألمانيا طلبت من تركيا مليوني كمادة طبية، وهناك طلبٌ آخر مماثل من بريطانيا". مع الإشارة إلى أن تركيا أرسلت عبر طائرات عسكرية تابعة للجيش، مساعدات طبية إلى كل من أمريكا وإسبانيا وإيطاليا وبلدان أوروبية أخرى، والصومال وليبيا وغيرها من البلدان، الأكثر تضرراً بالفيروس^(٢).

من جانب آخر، أكد إبراهيم قالن، متحدثُ الرئاسة التركية، "أن أزمة جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد-١٩) كشفت عن مدى ضعف النظام العالمي، والجهاز المناعي". كما تطرَّق إلى المساعدات التي قدمتها بلاده للدول المحتاجة حول العالم، في تلك الفترة التي مرت فيها المشاعرُ

(١) تركيا.. نموذج يُحتذى به عالمياً في مواجهة جائحة كورونا. - انقرة: وكالة الاناضول للأخبار، تقرير موسع في ٢٠٢٠/٤/٢٠.

(٢) ٨٨ دولة تنشُد دعماً طبياً تركيا. - انقرة: صحيفة الصباح، ٢٠٢٠/٤/٢.

الإنسانية والوجدانية باختبار كبير. وتابع قائلا "لقد قامت تركيا خلال هذه المرحلة بإرسال معدات ومستلزمات طبية إلى عدد من الدول حول العالم، إما على شكل مساعدات، وإما على شكل صفقات بمقابل، بداية من فلسطين وحتى الصومال، ومن إيطاليا لإسبانيا والولايات المتحدة. وشدد على أن "هذه الفترة تحتم علينا الإغلاء من إنسانيتنا، وتعميقها أكثر من أي وقت مضى"، مؤكداً أن "المبدأ الذي نسير عليه، هو ألا تموت الإنسانية حتى لا يموت البشر"^(١).

٣-٤. التدابير العملية لمنع انتشار الوباء:

إنّ الاطلاع على مهارات إدارة الأزمة لدولة، مثل تركيا، التي نجحت في إدارة جائحة كورونا، فإن ذلك مرده الإدارة العليا التي اطلعت على خطورة الأمر، من خلال مراكز الأبحاث العلمية والمعملية، والمعلومات الواردة لها من مراكز المعلومات وصناعة القرارات، فقامت بتشكيل فرق العمل والتي تعمل بروح الجماعة والتوازي، كل في مهمته وموقعه، وتتحمّل مسؤولية القضاء على الفيروس بهمة عالية وتحدي مستمر مرتبطين بالولاء للشعب والأمة، وليس للنظام وحكومته فحسب. فقد تنوعت الاجراءات والخطوات اللازمة والضرورية لإدارة الأزمة من خلال تشكيل فرق العمل المتخصصة، وعلى وفق الآتي:

١. فريق العمل الطبي لاستقبال المرضى واكتشاف الحالات والإسعافات اللازمة..
٢. فريق المسعفين بسيارات الإسعاف لنقل المرضى وعمل الإسعافات الأولية اللازمة.
٣. فريق البحث العلمي العاكف في معمله ومختبراته لمعرفة سلوك الفيروس وكيفية مواجهته بالوقاية والاحتياطات اللازمة، ومحاولات اكتشاف العلاج الذي يقضي عليه.
٤. فريق الإعلام الذي يخاطب الجمهور بالضوابط والتعليمات اللازمة التي تقرّها القيادة العليا للدولة والإدارة الصحية المعنية، وعرض جميع بيانات الحدث بكل شفافية، مع بث روح الأمل والطمأنينة.
٥. فريق عمال النظافة الذي لا يقل أهمية عن باقي الفرق، حيث العمل الدؤوب والنظافة المستمرة والتطهير اللازم لجميع أماكن التجمعات.
٦. فريق متخصص بتكنولوجيا الروبوتات والكاميرات، وما يتوصّل إليه من إرسال احتياجات المريض من دواء وطعام، عن طريق أجهزة الروبوت لمنع الاقتراب من المرضى، وغيرها من الأفكار والإجراءات التي تسهّل ضبط ومراقبة الطرق مثل تكنولوجيا الكاميرات.

(١) ابراهيم قالن. جائحة كورونا كشفت الضعف الذي يعتري النظام العالمي. مرجع سابق.

٧. فريق نظم المعلومات المسئول عن شبكات التواصل والبرامج التي تسهّل تقديم الخدمات للناس والعاملين بإدارة الأزمة.
 ٨. فريق الإنشاءات الذي يتولّى التشييد والتعمير والصيانة من مستشفيات ميدانية لاستقبال المرضى وعنابر للحجز الصحي وغيرها.
 ٩. فريق الإمداد من مشتريات وتخزين الأدوات والمستلزمات الوقائية، بل وضمان الإمداد لاحتياجات معيشة الناس من سلع وغيرها.
 ١٠. فريق المعلمين والقائمين على العملية التعليمية، الذين يحملون مهمة استمرار العملية التعليمية بكل الوسائل، حتى لا يسقط جيلٌ بعينه من الحصول على حصته التعليمية.
 ١١. فريق الدعم المعنوي الذي يحملُ مهمة بث التفاؤل بين الناس ويطمئن التجمعات.
 ١٢. فريق رجال دين المسؤولين عن توجيه الأفراد إلى مسبب الأسباب والتذكير بالله والجوء إليه.
 ١٣. فريق علماء الاقتصاد، الذي يتولّى دراسة الآثار السلبية الاقتصادية والمالية المترتبة على الأزمة.
 ١٤. فريق الضبط والحوكمة الذي يتولّى ضبط الشارع.
 ١٥. متابعة التنفيذ الحي لقرارات الإدارة العليا للدولة والجهات الصحية المعنية مباشرة بمواجهة الوباء والحد من انتشاره.
 ١٦. مساندة فرق أخرى، هذه الفرق قد تقل أو تزيد، أو تكون بأسماء مغايرة، وقد تتمثل في وزارات أو منظمات أو غيرها، في اطار التغطية العملية والمتوازنة بهدف انجاز مهام إدارة أزمة الفيروس، إذ بتحديد تلك الفرق يجري إعداد التوصيف لمهامها وتحديد العلاقات وطرق التواصل بين تلك الفرق.
- واتساقاً مع تلكم الفرق المتخصصة، في نطاق التدابير المتخذة لمنع انتشار فيروس كورونا، اعتمدت الحكومة التركية عدة اجراءاتٍ حاسمة لمواجهة هذه الأزمة، من بينها^(١):

١. أغلقت تركيا حدودها تدريجياً مع جميع الدول المجاورة، قبل أن تعلق الرحلات الجوية.
٢. نظمت الحكومة التركية عمليات إجلاء المواطنين الأتراك في الخارج، وتمكنت من إجلاء (٣٢) مواطناً تركياً و(٦) مواطنين أذربيجانيين وثلاثة مواطنين من جورجيا، إضافة إلى مواطن ألباني، من مدينة ووهان الصينية، على متن طائرة شحن جوي تابعة

(١) وكالة الانباء التركية (الأناضول)، وصحيفة الصباح التركية، وصحيفة بني شفق التركية- (متابعة لأخبار كورونا في تواريخ وأعداد مختلفة، منذ ظهور الوباء في تركيا).

١. للقوات المسلحة التركية في ١ فبراير/ شباط ٢٠٢٠. كما تمكنت الحكومة التركية من إجلاء مئات المواطنين الأتراك من الصين، وغيرها من بلدان العالم وخاصة البلدان الأوروبية .
٢. وعلى وفق التنسيق مع الجهات المعنية، فقد جرى توفيرُ محاجر صحية مناسبة للمواطنين الأتراك القادمين من الخارج، تتضمنُ الخدمات اللازمة لهم طوال فترة الحجر الصحي، لغاية التأكد من خلوّهم من عدوى الفيروس.
٣. أنشأت وزارة الصحة، مستشفيات ميدانية على بوابات الحدود البرية، لمنع دخول الحالات المصابة بالفيروس دون اتخاذ الإجراءات اللازمة. وجرى فحصُ المواطنين الأتراك القادمين عبر البوابات الحدودية في تلك المستشفيات الميدانية، وتحويل المصابين منهم إلى المستشفيات المتخصصة في الولايات .
٤. بعد اكتشاف أولى حالات الإصابة بكورونا في تركيا، في ١١ مارس/ آذار ٢٠٢٠، باشرت وزارة الصحة باتخاذ تدابير إضافية.
٥. قررت وزارة التعليم والتربية مواصلة الأنشطة التدريسية في المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية (عن بعد)، من خلال الاستفادة من شبكة الانترنت والقنوات التلفزيونية، اعتباراً من ١٦ مارس/ آذار ٢٠٢٠.
٦. إغلاق الأماكن التي تشهد ازدحاماً، بشكلٍ مؤقت، مثل المقاهي ومراكز الترفيه، وإلغاء الأنشطة المختلفة مثل المؤتمرات والمعارض والاجتماعات وورش العمل والملتقيات الطلابية في الجامعات.
٧. أصدرت وزارة البيئة تعليمات للجهات المعنية، بتطهير المناطق التي تشهد ازدحاماً متكرراً، بشكلٍ دوري، تماثياً مع توصيات المجلس العلمي الذي جرى تشكيله من قبل وزارة الصحة.
٨. وضع المعقّمات في الأماكن، بما في ذلك المباني الحكومية ووسائل النقل العام .
٩. قررت رئاسة الشؤون الدينية تعليق صلوات الجمعة والجماعة في المساجد.
١٠. إضافة إلى ما سبق، تمكن الأطباء الأتراك، من خلال الاختبارات اليومية التي تجاوز عددها ٣٠ ألف اختبار (في اليوم) في عموم البلاد، من تحديد أكبر عدد للحالات المصابة وعزل الفيروس.
١١. ومن أجل متابعة المرضى المعزولين بالمنزل، جرى إعداد نظام رقمي يتم استخدامه عبر تطبيق في الهواتف المحمولة، بهدف التواصل المستمر مع المرضى المحجورين منزلياً.

١٣. فرض الحجر الصحي على عدد من البلدات والقرى في الولايات التركية، إضافة إلى إغلاق ٢١١ ألفاً و ٦٧٠ محلاً تجارياً، ومنع التجوال في أيام العطل والمناسبات.
١٤. قيام الأجهزة الأمنية (الشرطة، الجندرية، الجيش) بمساندة وزارة الصحة في قراراتها واجراءاتها العملية في ادارة الأزمة.
١٥. إغلاق كافة أماكن التنزه والسواحل والغابات خلال أيام السبت والأحد، في إطار تدابير مكافحة فيروس كورونا.
١٦. عدم السماح لمن تبلغ أعمارهم (٦٥) سنة فما فوق بالخروج من منازلهم، وكذلك الشباب دون سن (٢٠) سنة، في خطوةٍ تندرجُ ضمن إجراءات الحد من فيروس كورونا المستجد.
١٧. اخضاع عدد من الولايات التركية، من بينها أنقرة وإسطنبول، لإجراءات إغلاق (منع التجوال) في عطلة نهاية الاسبوع (السبت والأحد).
١٨. وهناك اجراءاتٌ وخطواتٌ عديدة أخرى، اتخذتها الحكومة التركية وقيادتها، وما تزال الخطوات والقرارات في سجالٍ مع الزمن المتصل بإدارة الأزمة المتمثلة بالمواجهة الحازمة لهذا الوباء- كورونا (حتى اعداد دراستنا).

استنتاجات وتوصيات..

١. تعدّ الأزمة أحدَ التحديات المصيرية التي تواجه الإدارة، فهي تضع المؤسسة أمام مفترق طرق، وتضعها أمام احتمالين: إما الانطلاق بحيث لا تتوقف حركة التقدم الى أمام، وإما الانكسارُ حتى الفشل والسقوط المادي والاعتباري.
٢. إن الأشخاص القريبين للأزمة، هم الأقدرُ على حلّها أو توفير الحلّ المناسب لها.
٣. العملُ على تطوير وتغيير وتنمية القدرات البشرية القيادية داخل المؤسسات من أنٍ لآخر، باعتبار أن ذلك يعني الإتيانَ بفكرٍ جديدٍ للعمل داخل المؤسسة أو المنظمة، بما يخلقُ المزيدَ من القدرة على الإبداع والتفكير الإبداعي، وخصوصاً في مواجهة الأزمات التي يمكن أن تواجه المؤسسة والمنظمة في أية مرحلةٍ من مراحل عملها.
٤. ما يميّز إدارة الأزمات، هو سرعة صناعة واتخاذ القرارات، وسرعة التنفيذ، من خلال نظام اللامركزية، مع الأخذ بالتحويل المتوازن للصلاحيات وسرعة التنسيق.
٥. ما أفصحت عنه الأزمة العالمية (جائحة الفايروس كورونا) من تداعياتٍ وسقوطٍ وانهارٍ وتهاويٍ للأنظمة الصحية، والسياسات العامة والخاصة، في دول العالم، ومنها

- الدول المتقدمة العظمى والكبرى، كشفت عورات هذه الأنظمة وضعفها في القدرات الصحية ومستلزماتها البشرية والمادية، والتعامل الانساني والأخلاقي مع الناس.
٦. الاستمرار بالتدابير الطارئة، وإطلاق الدعوات العقلانية بشأن التماسك الوطني والانساني، وصلته بمفهوم "التضحية المشتركة" التي يجري الحديث عنها في ظل أزمة (كورونا) الحالية، وكيفية التعامل مع المستقبل في لحظة ما يجري في الوقت الراهن.
٧. إن الجهود الرامية لمحاربة الوباء خليط غير متجانس، وإن التعبئة غير المسبوقة التي حدثت في فترة الحرب العالمية الثانية، قد تشكل نموذجًا يمكن احتدائه خلال المرحلة التالية من تفشي فيروس (كورونا)، ولا شك أن هناك حكمة قد نعرفها وقد نجهلها.
٨. ويبقى التساؤل الذي يظل هاجسًا انسانيًا: هل فايروس (كورونا) صناعة أمريكية أم صناعة صينية، في اطار الصراع والانتحار وشبح الحرب بين الدولتين... أم أنه تديبرٌ رباني، والله أعلم؟.. ثم هل سنرى بعد (كورونا) نظامًا عالميًا جديدًا؟..

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- الكتب:

١. مأمون أحمد سليم دقاسمة. إدارة الأزمات: دراسة ميدانية لمدى توافر عناصر نظام إدارة الأزمات والمعوقات من وجهة نظر أصحاب الوظائف الإشرافية في أمانة عمان الكبرى.- عمان: الجامعة الاردنية، ١٩٩٥م.
٢. محمد فتحي. فن إدارة الأزمات.- القاهرة: بيمك، ٢٠٠١م.
٣. محسن الخضيرى. إدارة الأزمة.- القاهرة: مجموعة النيل العربية، ٢٠٠٣م.
٤. سلمان زيدان. القيادة الادارية واستراتيجية التعامل مع الأزمات.- صنعاء: دائرة التوجيه المعنوي، ٢٠٠٥م.
٥. عبدالله عبدالرحمن البريدي. الابداع يخنق الأزمات.- الرياض: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، ١٣١٩هـ/ ١٩٩٨م.

ثانياً- مواقع اعلامية:

١. ابراهيم قالن. جائحة كورونا كشفت الضعف الذي يعترى النظام العالمي.- انقرة: وكالة الأناضول للأنباء، ٢٠٢٠/٥/١٣.
٢. إبراهيم قراغول. لم يشهد التاريخ كارثة عالمية كذلك.- انقرة: جريدة يني شفق، ٢٤/٤/ ٢٠٢٠.

٣. وكالة الانباء التركية (الاناضول)، وصحيفة الصباح التركية، وصحيفة يني شفق التركية- (متابعة لأخبار كورونا في تواريخ وأعداد مختلفة، منذ ظهور الوباء في تركيا).
٤. صحيفة الوطن- الرياض: العدد (٢٠١٩)، ١٠ أبريل ٢٠٠٦م.
٥. تركيا.. نموذج يُحتذى به عالمياً في مواجهة جائحة كورونا- انقرة: وكالة الاناضول للأنباء، تقرير موسع في ٢٠/٤/٢٠٢٠.
٦. (٨٨) دولة تنشد دعماً طبياً تركيا- انقرة: صحيفة الصباح، ٢/٤/٢٠٢٠.

ثالثاً- مواقع الكترونية:

١. اكرم سالم. ادارة الأزمات وسبل التعامل معها ومواجهتها- الانترنت: الحوار المتمدن، موقع الكتروني. الرابط: <http://www.ahewar.org/debat/show.art>
٢. محمد بن علي شيبان العامري. قواعد في ادارة الأزمات- الانترنت: مهارات النجاح، موقع الكتروني. الرابط: <https://sst.com/Article>
٣. عبدالله إبراهيم زيد الكيلاني. بحث في الانترنت. الرابط: <https://scholar.google.com>
٤. علي أحمد فارس. إدارة الأزمات: الأسباب والطلول- مركز المستقبل للدراسات والبحوث، الانترنت. الرابط: <http://www.al-jazirah.com>
٥. على حسن السعدني. كيفية ادارة الازمات السياسية والاستراتيجية- الانترنت: الحوار المتمدن-العدد: ٤١٩٢ - ٢٠١٣م. الرابط: <http://www.islamtoday.net>
٦. فؤاد يوسف عبد الرحمن الجبوري، سمية عباس مجيد الربيعي، أمل محمود علي العبيدي- بغداد: الجامعة المستنصرية، كلية الادارة والاقتصاد، الانترنت، موقع شذرات الالكتروني.
٧. فيروس كورونا: كيف نستفيد من دروس الحرب العالمية الثانية في مواجهة كوفيد-١٩؟
٨. الرابط: <https://www.bbc.com/arabic/vert-fut-٢٥٤٩١١٦>
٩. فيروس كورونا.. آخر المستجدات- الجزيرة: الرابط: <https://www.aljazeera.net/news/politics> في ٢٩/٤/٢٠٢٠.
١٠. فيروس كورونا ومهارة إدارة الأزمة- مرصد ومدونات عمران. الرابط: <https://omran.org/ar>
١١. رؤية جديدة في إدارة الأزمات. الانترنت. الرابط: <http://sbr.com>

رابعاً: بحوث الاعلام

مخاطر عمل مراسلي الفضائيات الدولية في الدول الهشة: دراسة لحالة العراق

The risks of international satellite correspondents working in fragile states

” Iraq as a sample ”

الباحث

الدكتور فارس حسن المهداوي

الملخص .

يعتبر عمل المراسل الصحفي الميداني من أدق الأعمال الصحفية وأخطرها خلال الحروب والكوارث والصراعات الأهلية وفي الدول غير المستقرة أمنياً، واعتمدت المؤسسات الإعلامية منذ نشأة الصحافة الورقية فالمسموعة ثم التلفزيونية والفضائية، على مهارات مراسليها في نقل الأحداث بدقة وواقعية من خلال إدارة الحوارات ونقل الصورة من زواياها المعبرة وبشكل مهني من عين الحدث إلى الجمهور حتى باتت رسائل مراسليها سمة تفوق ومصدر معلومات موثوقة لكل مهتم بموضوعة رسائلهم.

العراق الذي تم إحتلاله عام ٢٠٠٣م من قبل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ، دخل في أجواء مشحونة من الإضطراب السياسي والأمني دفعت به إلى واجهة الأخبار بشكل كبير ، وبسبب تراكم المشكلات والأحداث الأمنية والعسكرية والطائفية منذ عام ٢٠٠٣م وحتى اليوم ؛ فقد عانى المراسلون الميدانيون فيه من عمليات القتل والإختطاف والتهديد بشكل مستمر بسبب تغطيتهم لهذه الأحداث بسبب ما يرضي أو يغضب هذا الطرف أو ذاك من عديد الأطراف المتنفذة في العراق، بما أثر على جودة التقارير المرسلة من قبل بعض المراسلين ودفع الكثير منهم إلى التحفظ في إختيار مفردات رسائلهم أو تجاهل بعض الحقائق الجوهرية في أحداث جرت وتجري هناك ترتبط بموازن القوى المتنفذة وكذلك بملفات الفساد المستشري في هذا البلد . وقد إختار الباحث الفترة الممتدة بين الأول من تشرين الأول ٢٠١٩م حتى الأول من كانون الأول ٢٠٢٠م كعينة زمانية بسبب التظاهرات التي أجتاحته العاصمة العراقية ومحافظات جنوب العراق والتي نجحت في شد إنتباه العالم من جديد لحقيقة الأوضاع الداخلية العراقية. وقد كانت من نتائج البحث توافق أكثر المبحوثين على تراجع مستمر في موضوعية التقارير الصحفية التي أرسلها

مراسلو الفضائيات الدولية العاملون في العراق نتيجة عمليات القتل أو الإختطاف والتهديد التي يتعرضون لها من جهات عدة هناك وقصور الحماية الحكومية لهم ولمقراتهم.

Summary.

The field reporter's work is considered one of the most accurate and dangerous press works during wars, disasters and civil conflicts, and in countries that are not stable in security. Media institutions, since the establishment of the paper press, have heard, then television and space, have relied on the skills of their reporters in reporting events accurately and realistically through managing dialogues and transferring the image from its expressive angles. Professionally, from the point of view of the event to the public, the messages of its correspondents became a feature of excellence and a reliable source of information for everyone interested in the subject of their messages.

Iraq, which was occupied in 2003 by the United States and the United Kingdom, has entered into a charged atmosphere of political and security turmoil that has pushed it to the forefront of news greatly, and due to the accumulation of security, military and sectarian problems and events since 2003 CE until today; Its field correspondents have suffered from killings, kidnappings and threats continuously because of their coverage of these events because of the satisfaction or anger of this or that party from many influential parties in Iraq, affecting the quality of the reports sent by some reporters and pushing many of them to reservations in selecting vocabulary Their messages or ignore some fundamental facts in the events that took place and are taking place there are linked to the balances of the powerful powers as well as the files of corruption rampant in this country. The researcher chose the period between October 1, 2019 to December 1, 2020 as a temporal sample due to the demonstrations that swept the Iraqi capital and the governorates of southern Iraq, which succeeded in drawing the world's attention again to the reality of the Iraqi internal situation. One of the results of the research was the agreement of most of the respondents to a continuous retreat in the objectivity of the press reports sent by international satellite correspondents working in Iraq as a result of the killings, kidnappings and threats they face from several sides there, and insufficient government protection for them and their headquarters.

الكلمات المفتاحية:

الدول الهشة - الفضائيات الدولية - مراسل الفضائيات الميداني - مخاطر العمل في العراق

key words:

Fragile Countrie - International Satellite TV- Field Reporter - The dangers of working in Iraq

تمهيد .

لقد تطور دور المراسل الميداني بشكل سريع وكبير مع إنتشار الفضائيات في كل أنحاء العالم ، ومع تحول هذا العالم إلى "قرية صغيرة" تماماً كما تنبأ البروفيسور الكندي مارشال ماكلوهن في عام ١٩٥٩ ، في كتابه " The Gutenberg Galaxy " الصادر عام ١٩٦٢ ، تنامت حاجة المؤسسات الإعلامية الكبرى لمراسلين متميزين بصفاتهم الشخصية وبمؤهلاتهم المهنية التي تمكنهم من أداء مهامهم الصحفية بحرفية كبيرة تجمع بين رسائل الواقع الذي ينقله من ميدان تواجده بحرفية وموضوعية ، وبين الجسور التي توصله إلى مراكز القوة والنفوذ في الدول والمواقع التي يعمل بها تسهياً للوصول إلى مصادر المعلومات والحصول عليها .

وبسبب ما تمثله الأخبار والتقارير الصحفية التي يرسلها المرسلون في الفضائيات الدولية من قيمة إخبارية مؤثرة في الرأي العام الدولي وعلى صنّاع القرار في العالم؛ أصبح بعض المرسلين الدوليين أهدافاً لمسلحين مجهولين أو مليشيات منفلة أو جماعات إرهابية أو حتى من أجهزة السلطات الحاكمة. والعراق الذي تم إحتلاله بالكامل من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا عام ٢٠٠٣م ، دخل عالماً من الانفلات الأمني وإنتشار الجريمة المنظمة وإنسحاق المنظمات الإرهابية والفساد وغياب دور السلطة المركزية في ضبط الحدود ومنع الدول الأخرى من التدخل في الشؤون العراقية ، وهي كلها من مغريات العمل الصحفي المتميز وبخاصة للفضائيات الكبرى لنقل ما يجري في هذا البلد من أحداث جسيمة في أخطارها وغريبة في تصنيفها مما عنى زيادة عدد ونوعية المرسلين الميدانيين لها هناك وإن كان ، وما زال ، ثم ذلك ، مقتل وإختطاف وملاحقة الكثير من الصحفيين مع إلغاء تراخيص عمل أو التغاضي عن إعتداءات جسيمة على مكاتب بعض الفضائيات الدولية ، مما جعل العراق واحداً من أسوأ البلدان الهشة في تأمين عمل الصحفيين بشكل مهني وموضوعي حسب التصنيف الدولي الذي وضع العراق في العام ٢٠١٩ بالمرتبة ١٥٦ ، ثم ١٦٢ في العام ٢٠٢٠ لمؤشر حرية الصحافة حول العالم والمتكونة من ١٨٠ بلداً والتي أصدرتها منظمة "مراسلون بلا حدود" .

المبحث الأول: الإطار المنهجي.

إشكالية البحث:

يمكن تعريف مشكلة البحث بأنها عبارة عن جملة اخبارية استفهامية تستفسر العلاقة بين متغيرين او أكثر وجواب هذه التساؤل هو الهدف من اجراء هذا البحث. وتحديد مشكلة البحث يعتبر الخطوة الجوهرية في البحث العلمي، والتي يسعى الباحث إلى دراستها، والتعرف على مدلولاتها وأبعادها بصورة دقيقة، كذلك تحديد الأحداث التي تظهر فيها المشكلة، سواء كانت تحديات أو صعوبات في المعلومات الموجودة، أو وجود تناقض واختلاف بينهما، ولابد من وجود تفسيرات علمية يذكرها الباحث لدراسة مشكلة البحث، وذلك لكي تتم إعادة الدراسة لها، مما ينتج عنها إضافة علمية جديدة في مجال موضوع البحث. (١)

تتمحور إشكالية الدراسة حول:

- المخاطر التي تعرض لها المراسلون الاجانب في تغطية الاخبار في الدول الموصوفة بالهشة وطبيعة هذه المخاطر؟

أهمية البحث:

تتجلى أهمية الموضوع في كون عمل المراسل الصحفي الميداني للفضائيات الإخبارية الدولية يمثل حجر الأساس في نقل الأخبار التي تعمل وسيلته الإعلامية لتكون صاحبة السبق الأول فيها أو في تقديمها بزوايا وتفاصيل أفضل من بقية الفضائيات. ولأن أخبار المراسلين من الدول الهشة ومناطق الصراعات أو الفساد الحكومي والفلتان الأمني تعتبر مصدراً مهماً في تشكيل الرأي العام سلباً أو إيجاباً تجاه ما يجري في البلد الذي يعملون فيه؛ فإن مهمة المراسلين تزداد صعوبة في الدول الهشة، حيث يفقدون الغطاء الحكومي اللازم لحمايتهم لا بل يتحولون بسبب خبر أو تقرير ما إلى هدف لأجهزة هذه الحكومات وكذلك مكاتب عملهم.

وضمن الأوضاع الأمنية في العراق ، ولكونه ، ومنذ عام ٢٠٠٥م وحتى الآن يصنف ضمن مجموعة الدول الأكثر هشاشة في العالم ، فإن عمل وأداء المراسلين الدوليين بات على المحك ، فقد قُتل الكثير منهم وهدد معظمهم كما أختطف آخرون ، بما جعل من أداء المراسل كالذي يمشي وسط حقل مليء بالألغام ؛ مما يعني المزيد من الحذر في اختيار المفردات والشخص وزوايا التقاط الصور بل حتى نوعية المواضيع الخيرية التي يتناولونها ، حتى لا تصنف أخبارهم أو تقاريرهم وكأنها مصوبة ضد فصيل دون آخر أو أنها بتوجيه من دول المؤسسة الإعلامية التي يعمل فيها لإثارة البلابل والفوضى في العراق.

وبحسب مؤهلات وكفاءة المرسلين وخبراتهم وكذلك تحصيلهم الدراسي وأوضاعهم الإجتماعية فإن درجة الموضوعية في نقل الأخبار تختلف بين مراسل وآخر وبنطاق محدود وإستثنائي، وهو ما جعل ترتيب اخبار العراق في الفضائيات الدولية يتراجع إلى حدود لا تتطابق وواقع الحال الذي يراه المرسلون ويعرفونه جيداً هناك.

منهجية البحث:

أعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي الذي يعرف بأنه " الخطوات العلمية المنظمة التي توصف المشكلة أو الظاهرة، ومن ثم تحليلها بطريقة علمية واستخلاص النتائج." ويعرفه آخرون على أنه: "محاولة التوصل للمعارف التفصيلية لجوانب المشكلة أو الظاهرة الموجودة على أرض الواقع، لمعالجتها في المستقبل". (٢)

ولتحقيق هدف البحث وتحليل الواقع الإعلامي من خلال الإعتماد على ملاحظة وتحليل النتائج المترتبة على حدوث المتغيرات المختلفة في مجتمع البحث والتي قد يكون منشأها أسباب داخلية أو خارجية أو كليهما معاً كالحروب أو الفتن الداخلية والأهلية ، فقد صمم الباحث استمارة استبانة تضمنت خمسة عشرة سؤالاً خصصت للتعرف على خصائص المرسلين العاملين في عينة قصدية من الفضائيات الدولية العاملة في العراق ، وكذلك لبيان حجم ونوع المخاطر التي يتعرضون لها وطريقة تأثيرها على المهنية في بناء التقارير الإخبارية ومعايير إختيار الأخبار وطريقة صياغتها وتفاصيلها ومعضلات الحصول عليها بشفافية . كما إستعان بالتقارير الدولية للمنظمات والمؤسسات الدولية والمحلية التي وصفت حالة المرسلين الدوليين ومكاتبهم وسقف الحرية الممنوحة لهم وحقهم في الحصول على المعلومات، وكذلك حجم وأعداد الخسائر التي قدمها الصحفيون بشكل عام ومراسلو الفضائيات الدولية بشكل خاص.

مجالات البحث المكانية والزمانية.

المجال المكاني للبحث هو، مراسلو القنوات الفضائية الدولية العاملة في العراق.

المجال الزمني، من تاريخ توزيع إستمارة الأستبيان على المبحوثين وجمع بياناتها، وهي الفترة

الممتدة من ١٠ / ٠٤ / ٢٠٢٠ - ١٠ / ٠٦ / ٢٠٢٠

عينة البحث:

تعرف عينة المجتمع بإنها "الجزء الذي يمثل مجتمع الأصل أو تعتبر النموذج الذي يجري عليه الباحث مجمل عمله" (٣)

يعتمد حجم العينة على طبيعة المجتمع ومتطلبات الدراسة وأهدافها التي يحددها الباحث. ولمعرفة الباحث بحكم طبيعة خبراته المهنية، بطبيعة عمل المراسلين في الفضائيات الدولية، وحجم الضغوط النفسية والجسدية، التي يتعرضون لها خلال عملهم في العراق، ولتشابه الظروف المحيطة بكل الفضائيات الدولية العاملة هناك تقريباً، فقد أختار الباحث بطريقة قصدية عينة البحث لتمثل وحدات المجتمع، فكانت العينة مراسلو ١٤ مراسلاً للفضائيات الدولية العاملة في العراق وكما ورد في الجدول رقم (١):

جدول رقم (١) يبين أسماء الفضائيات المشمولة في البحث

التسلسل	إسم الفضائية الدولية
١	قناة الحرة الأميركية - العراق
٢	قناة France24 الفرنسية العربي
٣	القناة الأوروبية - العربي
٤	قناة DW الألمانية - العربي
٥	قناة CNN الأميركية العربي
٦	قناة التلفزيون العربي
٧	قناة العربية الحدث
٨	قناة اليوم روسيا RT العربي
٩	قناة العالم الإيرانية العربي
١٠	قناة TRT التركية العربي
١١	قناة الجزيرة القطرية
١٢	قناة سكاي نيوز البريطانية العربي
١٣	قناة دبي الفضائية
١٤	قناة الميادين اللبنانية

إختبار الصدق والثبات.

أ - الصدق الظاهري. إعتد الباحث في قياس صدق إستمارة الأستبيان لمعرفة ما إذا كانت الأسئلة منسقة ومتازنة مع موضوع البحث وفروضة ، وقد تحقق صدق الإستبانة الظاهري بعد عرضه على مجموعة من الخبراء المحكمين ، وكانت نسبة الأتفاق على فقرات المقياس ٩٦% وهي نسبة مثالية .

ب - الثبات. وهو الأتساق في نتائج المقياس ، فيعطي ذات النتائج عند تطبيقه مرتين وبزمنين مختلفين على ذات العينة ، وقد تم إجراء الثبات بطريقة الإختبار وإعادة الإختبار (Test Retest) - حيث قام الباحث بإعادة إرسال إستمارات الأستبيان بذات الأسئلة لنفس العينة المبحوثة بعد ١٥ يوماً ، وتمت مقارنة الأجوبة في الإستمارات السابقة واللاحقة للوصول إلى ثبات النتائج فبلغت قيمة معامل الأرتباط في ٠,٩٢٨ ، بما يدل إلى قوة الأرتباط بين أجوبة المبحوثين في الإستمارتين . كما بلغت القيمة التائية المحسوبة لقيمة معامل الأرتباط ٠,٨٠% وهي قيمة ذات دالة عالية ايضاً.

المبحث الثاني: الإطار النظري.

الدولة الهشة:

الدولة الهشة، وهو مفهوم تحليلي؛ بمعنى دولة أشبه بالدولة الفاشلة، الضعيفة، أو المنهارة، إكتسب أهمية من منتصف عقد التسعينيات من القرن العشرين مع إنهيار الحكومة الصومالية عام ١٩٩٥م، وحاز المفهوم زخماً إضافياً بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول ٢٠٠١م الإرهابية في الولايات المتحدة، ظهر في أعقاب إنتهاء الحرب الباردة أوائل التسعينيات من القرن الماضي، وتم إطلاق مصطلح الدولة الفاشلة في البداية ثم تم إستبداله بمصطلح الدولة الهشة. والدولة الهشة أو الفاشلة هي الدولة التي تعاني من أزمات داخلية سياسية وامنية واقتصادية وإجتماعية وينخرها الفساد المالي والإداري، ولا تستطيع القيام بوظائفها الأساسية، وخاصة تحقيق الأمن والخدمات الأساسية للمواطنين ولا تمتلك حق إحتكار القوة المشروع، وتفقد جزءاً من أراضيها لصالح تنظيمات مسلحة أو حركات تمرد، وتعاني من تدخلات إقليمية ودولية مباشرة وغير مباشرة، وتفتقد الى الشرعية داخليا وخارجيا.

ووضعت مؤسسة (صندوق السلام) الامريكية بالتعاون مع مجلة السياسة الخارجية الأمريكية، المعايير والمؤشرات يتم على أساسها تصنيف درجة فشل الدولة، ويتضمن المؤشر أربعة مجموعات اجتماعية، واقتصادية، وسياسية، وأمنية وعسكرية، إذ تُعد قدرة الدولة على القيام بوظائفها الأساسية في المجالات الأربعة سابقة الذكر العامل الأساس لنجاحها أو فشلها. وتصدر المؤسسة تقريرا سنويا حول أوضاع دول العالم من حيث درجة الفشل والهشاشة، وتصدرت العديد من الدول العربية قائمة الدول الهشة أو الفاشلة (الصومال، والسودان، وسوريا، والعراق، واليمن، وليبيا)، خاصة بعد إندلاع أحداث الربيع العربي منذ أواخر العام (٢٠١٠) (٤)

يرتكز ذلك المفهوم على أساس اعتقاد الكثير من الساسة والأكاديميين على حد سواء، أن العوامل التي يمكن أن تؤدي إلى الصراع كامنة في داخل الدولة وليس بينها وبين غيرها من الدول ، و تبعًا لهذا المنطق؛ فإن الدول الهشة في حاجة إلى التنمية، لكي تتمكن من توفير الأمن والخدمات الأساسية لمواطنيها؛ مما يجعلها أقل عرضة للانهايار، وأكثر إترانًا ومرونةً في تعاملها مع الصدمات الداخلية والخارجية.

وتتميز الدولة الفاشلة بعدد من الخصائص منها:

- ١- إخفاقها بالقيام بوظائفها الأساسية بشكل جزئي أو كلي خاصة توفير الأمن وتقديم الخدمات الأساسية للمواطنين.
- ٢- فقدانها السيطرة الفعلية على جزء من أراضيها وعجزها عن تأمين حدودها.
- ٣- إفتقادها احتكار الاستخدام المشروع للقوة.
- ٤- إستبداد وفساد النظام السياسي وتراجع شرعيته داخليا وخارجيا.
- ٥- إنعدام تداول السلطة، وتفتشي الفساد الإداري في أجهزتها ومؤسساتها مع وجود صراع بين النخب الحاكمة.
- ٦- غياب النظم القانونية أو ضعفها وأعتبر الدولة نفسها فوق القانون.
- ٧- فقدان الثقة بالدولة ومؤسساتها مع تراجع وظيفة الدولة لجهة تقديم الخدمات العامة.
- ٨- إساءة استخدام السلطة وزيادة التدخل الخارجي في شؤون الدولة الداخلية.
- ٩- وجود تحديات داخلية حادة تهدد بقاء الدولة ذاتها أو نظامها السياسي، تقضي إلى حالة من العنف السياسي أو الصراع المسلح لا تتمكن الحكومة من احتوائه.
- ١٠- إستخدام مؤسسات الدولة الأمنية والعسكرية في قمع المواطنين وإرهابهم.

١١-إنهيار النظام الصحي والتعليمي. (٥)

ووضعت معايير ومؤشرات تصنيف الدول حسب درجة فشلها، مؤسسات دولية مثل مؤسسة ، صندوق السلام الأميركية (Fund For Peace) التي تقوم بإصدار تقرير سنوي بالتعاون مع ، مجلة السياسة الخارجية الأميركية (American Foreign Policy) ، ويرتب هذا التقرير الدول حسب درجة فشلها وفقاً للمؤشرات المذكورة آنفاً ، وفق آلية علمية تستخدم برامج معقدة ومتطورة تقوم بمسح عشرات الآلاف من المصادر الإخبارية لجمع المعلومات وتحليلها، ومن ثم تأطيرها ضمن (١٢) مؤشراً فرعياً، وهي: المؤشرات الاجتماعية (الضغوط السكانية، واللاجئون ونازحو الداخل، المظالم الجماعية، الهجرة الخارجية وهجرة الأدمغة)، المؤشرات السياسية والعسكرية (شرعية السلطة، الخدمات العامة، حقوق الانسان وحكم القانون، الأجهزة الأمنية، تصدع النخب، التدخل الخارجي)، المؤشرات الاقتصادية (التنمية الاقتصادية غير المتوازنة، الفقر والتدهور الإقتصادي)، وتتراوح قيمة كل من هذه المؤشرات بين (٠-١٠)، وكلما حازت الدولة علامات أعلى تصدرت قائمة تصنيف الدول الفاشلة التي تضم قائمة الدول ذات السيادة في الأمم المتحدة فقط .

وعرف المجلس الأوروبي (European Ouncil) الدولة الهشة ، بأنها ، الهياكل الضعيفة أو الفاشلة، والحالات التي يكون قد انهار فيها العقد الاجتماعي بسبب عدم قدرة أو رغبة الدولة في التعامل مع وظائفها الأساسية والوفاء بالتزاماتها ومسؤولياتها تجاه تعزيز سيادة القانون، وحماية حقوق الإنسان، والحريات الأساسية ، وتوفير الأمن والأمان لسكانها ، والحد من الفقر، وتقديم الخدمات والإدارة الشفافة والعدالة للموارد ، وإتاحة فرصة الوصول إلى السلطة . وحين تفقد السلطة كل تلك القيم التي تشكل خيوطاً مترابطة مع المجتمع بكل قواه وتنوعاته فأنها تذهب باتجاه التفكك والفشل أو القهر والعبودية. (٦)

وتبعاً لما تقدم فإن العراق الذي تعاني فيه الدولة من الضعف نتيجة هيمنة الأحزاب الطائفية والقومية وسيطرة الجماعات المسلحة غير المنضبطة، إضافة إلى تأثيرات الدول الخارجية الإقليمية منها والعالمية خلقت كلها أجواءً من التخلف والفساد والمحاصصة بما وضع هذا البلد على قمة الدول الهشة، وبالتالي كان للإعلام فيها دور بالغ الصعوبة بسبب فقدان الأمان وغياب حرية التعبير وإنتشار الجماعات المسلحة التي لا تخضع لسلطة القانون وتساهم بشكل رئيس في إسقاط سيادة الدولة وهيبته وتقوض شرعيتها. وزاد من الأمر صعوبة وتعقيداً ما حصل في عام

٢٠١٤م تحديداً وما بعدها؛ حيث سيطر تنظيم (داعش) الإرهابي على ثلاث محافظات مما زاد من هشاشة النظام السياسي والأمني في العراق وطغى توصيف (الإرهاب) على كل الإعتبارات الأخرى بما جعل من سقف الحريات العامة وحرية الإعلام يتدنى لإدنى مستوياته وبات موضوع نقل الأخبار وتصوير الأحداث والوقائع يقع بين فكي كمامة التنظيم الإرهابي من جهة وأجهزة الدولة الأمنية المرتبكة من جهة أخرى.

وبملاحظة الجدول رقم (٢) حيث يظهر العراق فيها بين الدول الأكثر هشاشة منذ عام ٢٠١٤م حتى العام ٢٠١٨م طبعاً هو موجود في قوائم الدول الفاشلة أو الغير مستقرة قبل هذا التاريخ وبعده أيضاً، ودلالات ذلك مردها إلى الأحتلال الأميركي البريطاني للعراق والنظام السياسي الجديد الذي أريد له أن ينشأ هشاً بدءاً من تشكيل مجلس الحكم على أسس طائفية وعرقية غريبة على الواقع الإجتماعي والسياسي العراقي وإنهاءً بتكريس الأحزاب ذات الطابع الديني أو القومي أيديولوجيات العمل السياسي لها على إعتبار أن هذه المحاصصة هي إستحقاق دائم لا مجال لتغييره إلى أيديولوجية وطنية بحتة ، وخلال ١٧ عاماً باتت كل مؤسسات الدولة وقواه الأمنية مرهونة بمنطق المحاصصة ثم باتت هذه التوصيفات جزءاً فاعلاً من الواقع الإجتماعي للجمهور وعناوين دالة للإعلاميين حين بناء قصصهم الخبرية أو تحقيقاتهم الصحفية .

جدول رقم (٢) يبين ترتيب العراق بين الدول الأكثر هشاشة منذ عام ٢٠١٤م - ٢٠١٨م

تسلسل	السنة	رصيد الدولة	السنة	رصيد الدولة	السنة	رصيد الدولة	السنة	رصيد الدولة	السنة	رصيد الدولة
١	جنوب السودان	١١٢,٩	جنوب السودان	١١٤	الصومال	١١٤,٥	جنوب السودان	١١٢,٩	جنوب السودان	١١٣,٤
٢	الصومال	١١٢,٦	الصومال	١١٣,٨	جنوب السودان	١١٤	الصومال	١١٢,٦	الصومال	١١٣,٢
٣	جمهورية أفريقيا الوسطى	١١٠,٦	جمهورية أفريقيا الوسطى	١١٢,١	جمهورية أفريقيا الوسطى	١١١,٩	جمهورية أفريقيا الوسطى	١١٠,٦	اليمن	١١٢,٧
٤	الكونغو	١١٠,٢	اليمن	١١١,٥	السودان	١١٠,٨	السودان	١١٠,٢	سوريا	١١١,٤
٥	السودان	١١٠,١	السودان	١١١,٥	اليمن	١٠٩,٧	الكونغو	١١٠,١	جمهورية أفريقيا الوسطى	١١١,١
٦	تشاد	١٠٨,٧	سوريا	١١٠,٨	سوريا	١٠٨,٤	تشاد	١٠٨,٧	الكونغو	١١٠,٧
٧	افغانستان	١٠٦,٥	الكونغو	١١٠,١	تشاد	١٠٨,٢	اليمن	١٠٦,٥	السودان	١٠٨,٧
٨	اليمن	١٠٥,٤	تشاد	١١٠	الكونغو	١٠٧,٩	أفغانستان	١٠٥,٤	تشاد	١٠٨,٣
٩	هايتي	١٠٤,٣	أفغانستان	١٠٧,٩	أفغانستان	١٠٧,٨	سوريا	١٠٤,٣	أفغانستان	١٠٦,٦

١٠	باكستان	١٠٣	غينيا	١٠٤,٩	هايتي	١٠٥,١	العراق	١٠٥,٤	زيمبابوي	١٠٢,٣
١١	زيمبابوي	١٠٢,٨	هايتي	١٠٤,٥	العراق	١٠٤,٧	هايتي	١٠٥,٣	العراق	١٠٢,٢
١٢	غينيا	١٠٢,٧	العراق	١٠٤,٤	غينيا	١٠٣,٨	غينيا	١٠٢,٤	هايتي	١٠٢
١٣	العراق	١٠٢,٢	باكستان	١٠٣	نيجيريا	١٠٣,٥	نيجيريا	١٠١,٦	غينيا	١٠١,٦
١٤	ساحل العاج	١٠١,٧	نيجيريا	١٠٢,٥	باكستان	١٠١,٧	زيمبابوي	١٠١,٦	نيجيريا	٩٩,٩
١٥	سوريا	١٠١,٦	ساحل العاج	١٠٠,١	بوروندي	١٠٠,٧	أثيوبيا	١٠١,١	أثيوبيا	٩٩,٦

for peace org.www.fund

لقد تعقدت مهمة الإعلاميين في العراق عاماً بعد آخر خاصة بعد ظهور العمليات الإرهابية في العراق بشكل جلي في عام ٢٠١٤م وما بعدها، لكن التعامل مع الفضائيات الدولية أخذ أنماطاً من التغيير لإعتبارات سياسية محلية وإقليمية ترتبط بمرجعيات هذه الفضائيات وعقدة الشكوك بإزدواجية عمل المراسلين العاملين لصالحها بين الحصول على الخبر الصحفي وبين الحصول على معلومات إستخبارية لصالح هذه الدول.

ومع عدم وجود تشريعات قانونية خاصة بحق الحصول على المعلومة وحرية نشرها زادت القيود المفروضة على المراسلين الدوليين في التماس مع مصادر المعلومات، ونتيجة الخلافات القائمة بين القوى السياسية المتحكمة بالسلطة فإن الفضاء المعلوماتي بقي قائماً على سياسة إخفاء الحقائق وإبراز الهوامش مما أفضى في النهاية إلى تقديم أخبار مجزأة تؤمن على حياة محرريها وتضمن سلامة مكاتبهم في العراق. كما أن الحكومة العراقية وفي سلوك يتنافى مع دستور العراق في مادته الـ ٣٨ والتي تكفل حرية الإعلام والصحافة والتعبير ، قررت في عام ٢٠١٧ إلغاء محكمة النشر والإعلام التي كانت تنظر في كل القضايا الخاصة بالإعلاميين ، وتحويل الدعاوى المقامة ضد الإعلاميين والمراسلين إلى دعاوى عادية وبات المراسل يواجه ضغوط عديدة ؛ فبالإضافة إلى مخاطر التغطيات الإخبارية التي يقوم بها في مناطق تصنف على أنها منغلقة أمنياً ، برزت أمامه مخاوف توجيه دعاوى عادية ضده تُنظر في محاكم غير متخصصة بالعمل الصحفي ، إضافة إلى ما يتبع أي خبر أو تقرير يبثه عن موضوعه فساد أو إعتداء على مواطنين متظاهرين أو قضايا التهجير القسري أو تتبعه لقضايا المغيبين قسراً ، وغيرها ، من تهديدات مصدرها (عشيرة) المسؤول التشريعي الحزبي أو التنفيذي ، يدفع المراسل الصحفي عن طريق مؤسسته مبالغ كبيرة للتخلي عن تهديدها بقتله ومهاجمة مكتب الفضائية التي يعمل بها أو منزله .

إن وجود الكثير من الفضائيات التلفزيونية المحلية والتي تتبع أغلبها إلى الأحزاب والشخصيات السياسية المتنفذة في إدارة الملفات في العراق أدى إلى حصر تقديم المعلومة وتفاصيلها ، كل إلى القناة التي تخصه ، فيما انحسرت المعلومات المقدمة إلى المراسل الدولي لسببين أولهما أن الشعور العام لدى المسؤولين في العراق أن الفضائيات الدولية لا تُقدم كل التفاصيل التي يدلي بها هذا المسؤول أو ذلك بل تنتقي منها ما يتناسب وسياساتها ، ثم لإعتبارات داخلية تخص البيت السياسي العراقي الذي يعتبر الحديث على طلاقته مع قنوات عراقية لا يؤثر على سير العملية السياسية ، بل هو إمتداد لمناوشات الكتل السياسية داخل قبة البرلمان العراقي ، بينما أي تصريحات لمراسلي القنوات الدولية يُعتبر تسريباً مقصوداً لمعلومات يفترض أن لا يطلع عليها الرأي العام الدولي عبر مؤسساته الإعلامية .

يشار أيضاً إلى تغول الفصائل العراقية المسلحة خصوصاً خلال وبعد الحرب على تنظيم (داعش) الإرهابي ، ومع إنتهاء هذه الحرب أصبحت الفصائل المسلحة قوة متحكمة في المشهد الأمني العراقي بشكل بارز ، ثم باتت أحد مصادر التهديد الرئيسة للمراسلين الدوليين من خلال سيطرتها على حركة الشارع العراقي ، كل فصيل بحسب تبعيته للأحزاب السياسية أو لذاتها ، ليس فقط لإسباب تتعلق بطبيعة الأخبار أو التقارير السياسية التي بثونها ، بل من خلال إدراج محتويات تلك التقارير ضمن ما يمس " الطائفة" أو الرموز العقائدية ؛ كما حدث في حادثة الهجوم على مقر، قناة mbc العراق ، في بغداد بتاريخ ٢٠٢٠/٠٥/١٨ على أثر حلقة من برنامج وثائقي وصف فيه رئيس هيئة الحشد الشعبي السابق، أبو مهدي المهندس، بـ"الإرهابي"، وأبرز دوره في التخطيط لتفجير استهداف السفارة العراقية في بيروت، عام ١٩٨١ .

إن فشل الحكومات العراقية المتعاقبة منذ إحتلال العراق وإسقاط النظام ومؤسسات الدولة فيه عام ٢٠٠٣م مرده بشكل دقيق إلى العملية السياسية الجديدة في العراق التي شكّلت على أسس طائفية ومحاصصة إثنية وعرقية أُريد لها أن لا تكون على مستوى الأحزاب والكتل المنضوية فيها ، وإنما أيضاً لتسري كُرهاً ، ورغبةً ، إلى عموم أبناء الشعب بشكل أيديولوجي وتربوي وبإجراءات المال والنفوذ والسلاح ، وهي ما تراهن القوى المتحكمة بالمشهد العراقي إلى جعلها واقعاً ملموساً في العراق ، بما يستدعي ترويض الإعلاميين وبخاصة المراسلين الدوليين من أجل التعامل من خلاله .

جدول رقم (٣) يبين مؤشر الدول العربية الهشة عام ٢٠١٩م

الدولة	المؤشر	الترتيب عربياً	الترتيب عالمياً	درجة التحذير
اليمن	١١٣,٥	١	١	قصوى
الصومال	١١٢,٣	٢	٢	قصوى
سوريا	١١١,٥	٣	٤	قصوى
السودان	١٠٨	٤	٨	قصوى
العراق	٩٩,١	٥	١٣	قصوى
ليبيا	٩٢,٢	٦	٢٨	قصوى
موريتانيا	٩٠,١	٧	٣١	قصوى
مصر	٨٨,٤	٨	٣٤	قصوى
جيبوتي	٨٥,١	٩	٤٣	قصوى
لبنان	٨٥	١٠	٤٤	قصوى
الأردن	٧٥,٩	١١	٦٩	متوسطة
المغرب	٧٣	١٢	٧٨	متوسطة
السعودية	٧٠,٤	١٣	٩٣	متوسطة
تونس	٧٠,١	١٤	٩٥	متوسطة
البحرين	٦٣,٨	١٥	١١٣	متوسطة
الكويت	٥٣,٢	١٦	١٣٠	متدنية
عُمان	٥٠	١٧	١٣٣	متدنية
قطر	٤٥,٤	١٨	١٤١	متدنية
الإمارات	٤٠,١	١٩	١٤٩	متدنية

Fragile states index 2019

الفضائيات الدولية:

هي أحد أشكال المنصات الإعلامية التي ظهرت خلال الفترة الأخيرة من القرن الماضي، والهدف منها تقديم محتوى ذي طبيعة إعلامية متنوّعة، ويُعرف هذا المصطلح أيضاً باسم المحطات التلفزيونية، ولقد سُميت بهذا الاسم؛ لأنها ترتبط بشكل مباشر مع الأقمار الفضائية، ومنها تصل إلى مختلف أجزاء العالم وفق منطقة البث الذي يغطيه القمر الصناعي الفضائي. تعمل هذه القنوات من المختصين وذوي الخبرة في هذا المجال، من مخرجين، ومصوّرين، وفنّي صوت، وصحفيين، وإعلاميين، ومنتجين، ومنسقين، وتتصف هذه القنوات بسمّة الشمولية، أي

تقديم محتوى إعلامي بجوانبه المختلفة التي يمكن من خلالها جذب أكبر عدد من المشاهدين، أو تتسم بصفة التخصيص، أي تناول جانب واحد من قطاعات الإعلام، مثل: السياسة، والاقتصاد، والرياضة، والسينما، والترفيه، والثقافة، والفن، والمنوعات، والشؤون المحلية والإقليمية والدولية. ويسعى جميع القائمين على أي قناة فضائية مواكبة جميع الأحداث التي يمكن من خلالها إنجاح، وتطوير القناة. (٧)

تاريخ القنوات الفضائية:

تعود أول إشارة تلفزيونية فضائية نُقلت من قارة أوروبا عبر قمر تلسنار إلى كافة أجزاء قارة أميركا الشمالية خلال عام ١٩٦٢م ، وأطلق أول قمر فضائي اتصالي تزامني خلال عام ١٩٦٣م أطلق عليه اسم (سينكوم ٢) ، وفي عام ١٩٦٥م أطلق أول قمر فضائي اتصالي ذو طبيعة تجارية ، وأطلق عليه اسم (انتلسات)، ولقب باسم جون بيرد. أطلقت أول شبكة وطنية تضم مجموعة من القنوات الفضائية في روسيا "الاتحاد السوفياتي قديماً" عام ١٩٦٧م، وعرفت باسم (أوربيتا)، واستخدم فيها القمر الفضائي مولنيا بغرض توصيل الإشارات التلفزيونية الفضائية إلى مجموعة القنوات الأرضية، وإعادة البث الإذاعي. وأطلق أول قمر فضائي محلي في القارة الأمريكية الشمالية عام ١٩٧٢م، وتحديداً في كندا، وعرف باسم (كندا أنيك ١). أطلق أول قمر فضائي لغرض تجربي، وتعليمي، وبث مباشر في عام ١٩٧٤م (باسم ATS-6). أطلق أول قمر فضائي سوفياتي ذي طبيعة ثابتة بالنسب لكوكب الأرض بغرض حمل التلفزيون عام ١٩٧٦م باسم اكران (Ekran) .

في العام ١٩٧٥م بدأ ظهور القنوات الفضائية باستخدام القمر الصناعي من خلال إنشاء شركة RCA (ساتكوم ١) وتضم ثلاث قنوات، وهي: سي بي اس، وان بي سي، وايه بي سي ، ثم انتشرت القنوات الفضائية الدولية على نطاق واسع من العالم خلال أواخر القرن الماضي. (٨)

هناك ثلاثة أنواع أساسية من استخدامات المحطات التلفزيونية الفضائية : الاستقبال المباشر من قبل المشاهد، والاستقبال عن طريق شركات التلفزيون التابعة المحلية، أو عن طريق استقبال (headend) لتوزيعها عبر أنظمة الكابلات الأرضية ؛ وتشمل فئة (مباشرة إلى المشاهد) استقبال البث الفضائي المباشر والاستقبال التلفزيوني فقط ، والاثنان يستخدموا في المنازل والأعمال التجارية بما فيها الفنادق، الخ. (٩)

مراسلو الفضائيات الميدانيين:

يصف حسن زيتوني ، مدير مكتب قناة روسيا اليوم " RT " في المملكة المتحدة في كتابه (المراسل الميداني : المهنية والحقيقة) الصادر في لندن من (E-Kutub Ltd) في نوفمبر - تشرين الثاني ٢٠١٧م ، خلاصة تجربته في العمل كمراسل ميداني دولي بين المراسل الميداني يجب أن يكون لديه " حس صحفي عال ، سريع البديهة والتعلم ، لديه شغف للتعرف على كل أنواع الأشخاص والأماكن ، وبالضرورة يجب أن يكون مهتماً بمجالات السياسة والإقتصاد والشؤون العالمية ، وأن تكون لديه ميزات شخصية تميزه عن غيره من المرسلين والصحفيين ، كفهم أعمق للموسيقى أو الرياضة أو المعمار أو غيرها من مجالات الثقافة والفنون . كما يجب أن يكون لديه قدر كبير من الثقة بالنفس ومهارة إدارة الحديث مهما كانت طبيعة الشخص الذي يحاوره أو الطرف المحيط به " ويضيف أيضاً " كن موضوعياً فستواجه أحداثاً وأشخاصاً تتعارض آرائهم مع آرائك الشخصية ، فوظيفتك أن تنقل اخبارهم مهما ظهروا بمظهرٍ أحمر أو بغيض ، كن مرناً بقدر كاف ، وعليك التكيف مع ما يطرأ من الأمور حتى تتمكن من تعديل خططك في العمل ، نمي قدراتك اللغوية وحاول أن تكون طليق اللسان على الأقل في لغة أجنبية واحدة ، وأخيراً تحلى بالشجاعة والصبر وفوق كل شيء تحلى بالنزاهة ، فالنزاهة هي أكثر الصفات التي ستخدم مستقبل المراسل الميداني الدولي ، وهي مزيج من الصراحة والإخلاص والإستعداد بين تطابق الكلمات الأحداث "

والمراسل الدولي الميداني يجب أن يكون ملماً بإنتاج تقارير إخبارية احترافية، بدءاً من اختيار الزاوية المناسبة، وعمليات البحث، والتحقق من المصادر، واختيار مواقع التصوير والمقابلات، وقيادة فريق العمل، ومهارات البحث، والكتابة للصورة، ومبادئ المونتاج، والإلقاء أمام الكاميرا. كما يجب أن يكون محافظاً على علاقات متوازنة مع أطراف الحراك السياسي أو الجهات المتقاتلة بالإضافة إلى المؤسسات والقوى التي تديرها وقادة قطاعات من أبناء الشعب على إختلاف مشاربهم مع التواصل المدروس مع زملاءه من بقية المرسلين. (١٠)

المبحث الثالث: مخاطر عمل المرسلين الميدانيين الدوليين في العراق

أعتمد الباحث في الحصول على المعلومات الخاصة بإوضاع المرسلين الدوليين العاملين في العراق على مصدرين رسميين وهما:

منظمة مراسلون بلا حدود Reporters Without Borders:

هي منظمة غير حكومية تنشد حرية الصحافة، تتخذ من باريس مقراً لها. وتدعو بشكل أساسي لحرية الصحافة وحرية تداول المعلومات. وللمنظمة صفة مستشار لدى الأمم المتحدة. أسسها روبرت مينارد في العام ١٩٨٥، وروني براومان رئيس منظمة أطباء بلا حدود، والصحفي جون كلود جويلبود جون فرانسوا جولار هو أمينها العام منذ ٢٠٠٨. وتحتفل المنظمة في يوم ٣ مايو بيوم حرية الصحافة العالمي، وتنتشر المنظمة في هذا اليوم تقريراً كاملاً عن حرية الصحافة في أكثر من ٥٠ دولة وهو مقياس حرية الصحافة حول العالم. حصلت منظمة "مراسلون بلا حدود" على جائزة سخاروف لحرية الفكر من البرلمان الأوروبي سنة ٢٠٠٥. (١١)

تستند منظمة مراسلون بلا حدود إلى المادة ١٩ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، التي تنص على أن كل إنسان يملك "الحق في حرية الرأي والتعبير" وأيضاً الحرية في "البحث، واستقبال، وتوزيع" المعلومات والأفكار "بغض النظر عن مدى اتساع الحدود التي يصل إليها". أعيد التأكيد على هذه الحقوق من خلال العديد من المواثيق والمعاهدات حول العالم. في أوروبا، هذا الحق متضمن في اتفاقية ١٩٥٠ المتعلقة بحماية حقوق الإنسان والحقوق الأساسية.

تقوم منظمة مراسلون بلا حدود بإصدار مقياس منتظم يُعنى بحرية الصحافة حول العالم كل عام، ويعتبر من أهم المؤشرات المعتمدة لتوثيق مدى الحرية والديمقراطية في مختلف دول العالم ويسمى المسح السنوي بمقياس حرية الصحافة حول العالم. تجمع المنظمة وتنتشر سنوياً ترتيب البلدان بناء على تقييم المنظمة لسجل حرية الصحافة في كل دولة.

التقرير مبني على استبيان يرسل إلى منظمات متشاركة مع منظمة مراسلون بلا حدود (١٤) "مجموعة حرية تعبير" في خمس قارات) و١٣٠ مراسل حول العالم، بالإضافة إلى صحفيين، وباحثين، وقانونيين، ونشطاء في حقوق الإنسان.

يتضمن الاستبيان أسئلة عن الاعتداءات التي طالت صحفيين وإعلاميين بالإضافة إلى المصادر التي سببت ضغوطاً على الصحافة الحرة. تحرص المنظمة على لفت الانتباه إلى أن المؤشر يتعامل فقط مع حرية الصحافة، ولا يقيس جودة الصحافة. (١٢)

ولا يزال العراق يحتفظ بموقعه المتقدم ضمن الدول الأكثر خطورة في مجال العمل الصحفي. ووفقاً لتصنيف منظمة "مراسلون بلا حدود"، فإن العراق خلال عام ٢٠٢٠، حافظ على بقاءه في

البقعة السوداء المخصصة للدول الأكثر خطورة في مجال الصحافة وحرية التعبير عن الرأي، محتلا المركز ١٦٢ من بين ١٨٠ دولة رصدتها المنظمة في العالم.

وبحسب تقرير المنظمة لعام ٢٠٢٠م، فإن الصحفيين العراقيين يخاطرون بحياتهم عندما يغطون الاحتجاجات أو عندما يحققون بشأن قضايا الفساد.

وزدادت حدة الضغوطات على المرسلين الدوليين منذ اندلاع التظاهرات في أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٩، حيث واجه المرسلون الذين ينقلون احتجاجات المتظاهرين خطر التعرض للمضايقات أو الاختطاف أو الاعتداء على أيدي مسلحين مجهولين أو منتسبين إلى إحدى الميليشيات، بل ويصل الأمر حد الاغتيال في بعض الحالات، بحسب تقرير المنظمة.

وبحسب منظمة مراسلون بلا حدود، فإنه في ظل تعنت الشخصيات السياسية والدينية التي تعتبر نفسها مقدسة وغير قابلة للانتقاد، يتعرض المرسلون والصحفيون للملاحقات ووسائل الإعلام لمنع النشر أو البث بتهمة "إهانة رموز وطنية أو دينية". وتضيف "هذا وتمر اغتالات الصحفيين دون أي عقاب، علماً بأن التحقيقات التي تُفتح بشأنها لا تؤدي إلى أية نتائج مجدية".

وترى المنظمة أن الوضع أكثر خطورة مما يبدو، لأن الدولة في "موقف ضعف إلى حد يجعل من المستحيل تحديد ما إذا كانت الميليشيات العديدة المتدخلة في الساحة العراقية تعمل لمصلحة الحكومة أم أن الوضع يخرج بالفعل عن سيطرة السلطات".

خارطة التصنيف العالمي لحرية الصحافة ٢٠٢٠م الصادرة عن منظمة مراسلون بلا

حدود



اللون الأبيض (جيد) ، اللون الأصفر (جيد إلى حد ما) ، اللون البرتقالي (وضع حساس) ، اللون الأحمر (وضع صعب) ، اللون الأسود (وضع خطير جداً)

* <https://rsf.org/ar/ranking>

مرصد الحريات الصحفية (Journalistic Freedoms Observatory):

وهي مجموعة عراقية من الصحفيين والاعلاميين تعمل بالتنسيق مع منظمة مراسلون بلا حدود الدولية وتقوم برصد الانتهاكات والخروقات التي تطل الصحفيين والاعلاميين في العراق بانواعها كافة وبمختلف اشكالها واسبابها، وتعمل ايضا على الوقوف بوجه اسباب ومسببات هذه الانتهاكات.

ويقوم المرصد بإتخاذ خطوات فعلية باتجاه إيقاف تلك الانتهاكات وذلك بالاعتماد على مستشارين قانونيين يتولى من خلالهم المرصد رفع دعاوى قضائية ضد مرتكبي تلك الانتهاكات مهما كانت صفتهم ومكانتهم دون استثناء حتى وإن اقتضى الامر اللجوء الى المحاكم الدولية، كما سيأخذ المرصد على عاتقه رصد الانتهاكات التي تمارس ضد الصحفيين والاعلاميين بهدف متابعتها كل حسب طبيعته، ومن خلال شبكة الرصد المنتشرة في جميع انحاء العراق. (١٣)

ويرى رئيس المرصد العراقي للحريات الصحفية هادي جلو مرعي، أن العراق ومنذ عام ٢٠٠٣ سيطرت فيه القوى الحزبية على الإعلام ووجهته لصالحها ولتمرير أجنداتها، ولكسب الجمهور في الانتخابات والترويج لشخصيات فيها وللمنافسة مع الآخرين وتسقيط الخصوم، لذلك كانت الصحافة في الغالب حزبية.

ويضيف خلال حديث صحفي أنه "حتى الصحافة المستقلة لا تتبعد عن الحزبية لأسباب مرتبطة بنوع الصراع السائد سواء على المستوى السياسي أو الطائفي أو الولاء والتدخلات الخارجية وأجندات القائمين على تلك الوسائل جهة التمويل لذلك نجد أن الصحافة المستقلة في العراق نادرة جدا لأسباب لا ترتبط بالأحزاب فقط، وإنما بسبب البحث عن التمويل ، فالعلاقة بين وسائل الإعلام ووزارات الدولة هي علاقة مصالح مشتركة ؛ تبحث وسائل الإعلام عن الربح المادي من خلال الإعلانات، وتبحث المؤسسات الحكومية عن جهة تروج لها، وتبث المعلومات التي تخدمها، وتخفي المعلومات المتعلقة بالفساد أو الفشل بتقديم الخدمات. " (١٤)

ومن هنا تأتي أهمية المراسلين الدوليين حيث تحاول معظم المؤسسات الإعلامية الدولية توجيه مراسليها للحصول على الأخبار بطريقة غير منحازة وهو ما عرض المئات منهم إلى الحوادث

وأشكال مختلفة من الضغوط الاقتصادية والسياسية والأمنية فقتل العشرات وترك آخرون العمل وبعضهم ترك البلاد.

إن اتساع ظاهرة عدم جدية الدولة في متابعة قضايا، قتل وإختطاف وتهديد وإبتزاز، الصحفيين العاملين في العراق، أدى إلى تراجع في مستوى الأداء الصحفي للمراسلين الدوليين الذين يمثل بعضهم النافذة الوحيدة للأخبار غير المنحازة.

ويؤكد مختصون في مجال الإعلام كعميد كلية الإعلام في جامعة بغداد الدكتور هاشم حسن أن " تدخل المال السياسي وانتشار الفساد حال دون تقدم العراق في مجال حرية الصحافة، كما أن هيمنة الأحزاب والجماعات المسلحة، والغياب المطلق لتطبيق القانون الذي يسمح وبسهولة للإفلات من العقاب بل يعاقب من لا ينصاع للهيمنة أو يغرد خارج عقائد الكبار، ضيق الخناق على الحريات في عمومها". (١٥)

وبحسب تقرير لمرصد الحريات الصحافية (JFO) فإن مجمل الإنتهاكات التي وثقها لعام ٢٠١٥م بلغت ٤٧٧ إنتهاكاً، منها ٨٧ حالة إحتجاز وإعتقال، ٩٨ حالة منع وتضييق، ٣٢ حالة إعتداء بالضرب، ٤ هجمات مسلحة و ٢٤٣ ملاحقة قضائية و ٤ حالات إغلاق ومصادرة، في حين سجل هذا العام مقتل ٩ صحافيين عراقيين يعملون لجهات دولية .

وتشير الإحصاءات التي أجراها المرصد، أنه منذ العام ٢٠٠٣ حتى ٢٠١٦م، قتل ٢٩٤ صحفياً عراقياً وأجنبياً من العاملين في المجال الإعلامي، بضمنهم ١٦٦ صحفياً و٧٣ فنياً ومساعداً إعلامياً وأن حالات القتل أظهرت شكلاً واضحاً لنوايا سياسية بازدياد العمل الصحافي، والتخطيط الواسع لعمليات تخويف الصحافيين، بهدف تشويه التغطية الإعلامية، كما وثق المرصد إعدام تنظيم (داعش) الإرهابي بعد سيطرته على مدينة الموصل، صحفيين ومصورين بطرق وحشية مختلفة بتهمة "الخيانة والتجسس".

إن ممارسات الأجهزة المعنية في الدولة العراقية تكشف عن رداءة البيئة المحيطة بعمل المراسلين والصحفيين بما يخلق المصاعب والعراقيل الجدية لإنجاز التغطيات الإستقصائية والمحايدة، كما ترفع الزعامات السياسية المتنفذة بإستمرار سقف القيود المفروضة على مصادر المعلومات، عبر إستغلال نفوذهم الأمني والسياسي في إبعاد المراسلين بالقوة عن مواقع النشاط الإعلامي الميداني.

ومنذ العام ٢٠٠٣ قتل العشرات من الصحفيين في العراق وصولاً إلى العام ٢٠١٩-٢٠٢٠م حيث مارست هيئة الإعلام والاتصالات، إغلاق عشرات المحطات الفضائية الدولية والمحلية وإنذار أخريات، بسبب تغطيتها للاحتجاجات الشعبية في مدن العراق كافة وخاصة بعد التظاهرات العارمة التي اجتاحت العاصمة العراقية ومدن وسط وجنوب البلاد منذ الأول من تشرين الأول (إكتوبر) ٢٠١٩ حتى الآن.

جدول رقم (٤) مؤشر الإعتداءات ضد المرسلين العاملين في العراق

العدد	السنة	العدد	السنة	الحالة
	٢٠١١-٢٠١٠		٢٠١٠-٢٠٠٩	
٩١	-----	٨٣	-----	إعتداءات بالضرب
٤٩	-----	٥٧	-----	منع
٦٩	-----	٣٧	-----	تضييق
٣٦	-----	١٤	-----	دعاوى قضائية ومحاكمات
١١	-----	٨	-----	مداهمات
٦٧	-----	٤٩	-----	إعتقال وإحتجاز
١٢	-----	٤	-----	قتل وإختطاف
٨	-----	١٠	-----	إستهداف مسلح
٩	-----	٨	-----	إغلاق مؤسسات

(JFO) مرصد الحريات الصحفية*

ويحتل العراق المرتبة الاولى بين الدول التي لم يتم التحقيق فيها بجرائم قتل الصحفيين والتي لم يتم حل أي منها، بحسب تقرير اللجنة الدولية لحماية الصحفيين الصادر في الثالث من مايو عام ٢٠١٢ بمناسبة اليوم العالمي للصحافة الذي يوافق الثالث من مايو، أن، وأضافت أن العراق " يتسم بأسوأ سجل في العالم في مجال الإفلات من العقاب حيث قُتل منذ عام ٢٠٠٣ حتى ٢٠١٢ ، ٩٣ صحفياً دون أي إجراء حكومي فاعل " (١٦) ، وفي كل عام تصدر المنظمات الدولية والمحلية تقاريرها عن الانتهاكات بحق الصحفيين العاملين في العراق وتصف تلك الانتهاكات بأنها " الأسوأ في العراق منذ عام ٢٠٠٣ ". ووثقت الجمعية العراقية للدفاع عن حقوق الصحفيين، من خلال رصدها المستمر لحالات العنف ضد الصحفيين في العراق عام ٢٠١٦م،

تعرض ١٧٩ صحفياً إلى اعتداءات، ومقتل ١٣ آخرين راحوا ضحية بحثهم وتغطيتهم للمعلومة والحقيقة والصور الحية في مختلف مدن العراق. (١٧)

وأعلن المرصد العراقي للحريات الصحفية، أن عدد الصحفيين الذين قتلوا في العراق أثناء ممارستهم عملهم خلال عام ٢٠١٧م، بلغ ٢١ صحفياً، مشيراً إلى أن العراق ما يزال "البيئة الأخطر على العمل الصحفي" وبحسب بيان للمرصد نشر على موقعه الإلكتروني فقد سُجل حدوث ٢٧ حالة اعتقال أو احتجاز، و ٦٤ حالة انتهاك، تراوحت بين التهديدات والإهانات اللفظية والاعتداء الجسدي ، وتصدر إقليم كردستان، حسب التقرير حالات المنع من التغطية التي وصل عددها ٤٩ في عموم العراق، كما أغلقت سبع مؤسسات صحفية، فيما اندلعت حرائق في ثلاث مؤسسات أخرى.

وشهد العام ٢٠١٨، ١٣ حالة إعتداء مسلح عشائري وأمني، و ١٣ حالة إحتجاز من القوات الأمنية، ٢٩ حالة إعتداء وإهانات لفظية وجسدية ومنع تغطيات من قبل حمايات مسؤولين وقوات أمنية، وبحسب تصريح نقيب الصحفيين العراقيين، مؤيد اللامي، فإن ٤٦٠ صحفياً قُتل في العراق منذ عام ٢٠٠٣-٢٠١٨م. وفي ذات العام ذكر مرصد الحريات الصحفية في العراق أن العشرات من الصحفيين الأجانب غالبيتهم من الأميركيين والبريطانيين غادروا العراق ، باستثناء المتواجدين في إقليم كردستان ، كما أغلقت عدة وسائل إعلام دولية في مقدمتها وكالة "رويترز" مكاتبها في العراق بعد تلقيهم تهديدات من جماعات مسلحة وجهات سياسية لم يسمها .

وفي عام ٢٠١٩م سجل المرصد ، ٣٧٣ حالة اعتداء ضد صحفيين، شملت اغتيال وتهديد بالقتل والتصفية الجسدية، واختطاف، واعتقال، واحتجاز، واعتداء بالضرب، ومنع وعرقلة التغطية، ومصادرة معدات التصوير، وهجمات مسلحة طالت صحفيين ومؤسسات إعلامية، وإصابات للصحفيين، فضلاً عن إغلاق مؤسسات صحفية، في مختلف المدن العراقية ، " وأشارت إلى أن "معظم الحالات سُجلت ما بعد الأول من تشرين الأول ٢٠١٩م ، ومع لحظة اندلاع التظاهرات الاحتجاجية، شهد الفصل الأخير من العام ٢٠١٩، في محاولة لإسقاط السلطة الرابعة في البلد." (١٨). ومع بداية عام ٢٠٢٠ قُتل ستة صحفيين بطريقة مباشرة من قبل مسلحين دون أن تكشف الأجهزة الرسمية في العراق عن الجهات التي قامت بقتلهم. (١٩)

المبحث الرابع: تحليل نتائج الدراسة الميدانية

أولاً: الخصائص الديموغرافية للمبوحثين:

جدول رقم (٥) يبين الخصائص الديموغرافية للمبحوثين

الحالة الاجتماعية	ذكور	أقل من ٣٠	من ٣١-٤٠	من ٤١-٥٠	٥١ فأكثر
ذكور	١٤	-	-	-	-
إناث	-	-	-	-	-
العمر		١	٧	٤	٢

يشير الجدول رقم (٥) إلى أن جميع المرسلين ضمن عينة البحث هم من الذكور، كما حوالي ٧٨,٥ % من المرسلين الميدانيين في العراق هم من الفئة العمرية المحددة بين الـ ٣١ - ٥٠ عاماً، وهي تعني أنها ضمن الفئة العمرية القادرة على تحمل أعباء العمل الميداني الصعب ضمن ظروف العراق الأمنية المعقدة هناك ولكنه يدل أيضاً على محدودية روح المغامرة في ولوج ميادين الصراع والإحتكاك مع وبين الأطراف المتعددة الاتجاهات والقدرات في العراق وهي احتياجات ليست بحسبان المرسلين فقط بل حتى توصيات المؤسسات التي ينتسبون إليها.

جدول رقم (٦) يبين المؤهل العلمي وسنوات الخبرة للمبحوثين

المؤهل العلمي	الإختيار	النسبة	سنوات الخبرة	الإختيار	النسبة
بكالوريوس	١١	٧٨,٥%	من ١-٣	١	٧,١٤
دبلوم عال	١	٧,١٤	أكثر من ٣-٥	٣	٢١,٤٢
شهادات عليا	٢	١٤,٢٨	أكثر من ٥-١٠	٧	٥٠%

يشير الجدول رقم (٦) إلى أن النسبة الأكبر من المبحوثين (٧٨,٥%) تحمل شهادة البكالوريوس، كما أحتوت مؤهلات ٢١,٤٢% من المبحوثين حصولهم على شهادات عليا كالدبلوم والماجستير، بما يدل على إمتلاكهم قدرات علمية ومعرفية للتعامل مع الأحداث والشخوص بشكل يضمن حُسن الأداء المهني مع تجنب المخاطر المحيطة بهم أثناء أداء مهامهم قدر الإمكان. كما يشير الجدول بوضوح إلى أن جميع المبحوثين يمتلكون الخبرة في مجال عملهم كمرسلين وأن ٥٠% منهم يمتلكون خبرة لإكثر من ٥-١٠ سنوات فيما أمتلك

معظم بقية العينة خبرات بإزمان متساوية بلغ حدها الأدنى ٣ سنوات وحدودها الوسطى والعليا أكثر ١٠ سنوات وبنسبة ٢١,٤٢% لكل منها.

ثانياً: تقليل المخاطر بين خبرة المرسلين وإعداد المؤسسات الإعلامية لهم

جدول رقم (٧) يبين خبرة المرسلين للتعامل مع المخاطر الميدانية في العراق

سنوات الخبرة	إسم القناة
١٥	قناة الحرة الأميركية - العراق
٤	قناة France24 الفرنسية العربي
٤	قناة DW الألمانية العربي
٥	قناة CNN الأميركية العربي
١٤	قناة التلفزيون العربي
٩	قناة العربية الحدث
٨	قناة روسيا اليوم RT العربي
٤	قناة العالم الإيرانية العربي
٧	قناة TRT التركية العربي
٨	قناة الجزيرة القطرية
٦	قناة سكاي نيوز البريطانية العربي
٣	قناة دبي الفضائية
٧	قناة الميادين اللبنانية
٣	القناة الأوروبية العربي

يوضح الجدول رقم (٧) خبرة المرسلين مع المخاطر الميدانية للعمل الصحفي في العراق تحديداً ؛ حيث أكسبت الأوضاع الأمنية القلقة في هذا البلد ، إضافة إلى ما أوجدته حالة تمكن التنظيم الإرهابي (داعش) من معارك ضارية سواء أثناء إحتلاله للمدن العراقية (الموصل ، صلاح الدين ، الأنبار وغيرها) عام ٢٠١٤ ، أو خلال عمليات التحرير التي أنجزت عام ٢٠١٧ ، وهو ما يعني قدرة المرسل الميداني قدر المستطاع ، تجاوز ولوج ساحات المعارك دون إستعداد مسبق وتنسيق مع الجهات الأمنية وتجنب المخاطر الشديدة التي تكون كنتاج عرضي أو عمدي لإطراف الحرب أو الصراع هناك ، ومن خلال ملاحظة الجدول رقم (٧) فإن مراسلي القنوات

الدولية الكبرى كقناة "الحرّة - عراق" و"التلفزيون العربي" و العربية "الحدث" و قناة "روسيا اليوم" لديهم سنوات خبرة كثيرة تجاه التعامل مع المخاطر المشار إليها وأنهم تمكنوا من التعامل مع الأحداث بما جنبهم الأخطار الحقيقية للحالة الأمنية الصعبة في العراق.

جدول رقم(٨) يبين ما تقوم به المؤسسات الإعلامية لإعداد وحماية مراسليها

وسيلة الإعداد والحماية	الإختيار	النسبة المئوية
التدريب داخل المؤسسات الأم	٩	٦٤,٢٨%
التدريب في مراكز تدريبية خارجية	٦	٤٢,٨٥%
الإكتفاء بدليل السلامة المهنية	٤	٢٨,٥٧%
التنسيق مع وزارة الداخلية العراقية	٧	٥٠%
الإعتماد على شركات حماية خاصة	-	

يشير الجدول رقم (٨) إلى مسألة مهمة في موضوع يتعلق بدور المؤسسات الإعلامية التي لديها مراسلون ميدانيون في العراق، وهذا الدور يؤثر بشكل بارز على نسبة تعرض مراسليها للمخاطر التي تهدد حياتهم وطبيعة عملهم في هذا البلد، وأشار ٦٤,٢٨% من المراسلين المبحوثين بحصولهم على تدريب مهني داخل مقرات مؤسساتهم الصحفية التي تقع خارج العراق، كما تلقى ٤٢,٨٥% من المراسلين تدريبات تتعلق بسبل الحماية الشخصية والتصرف عند مناطق الإشتباك وعند الحروب الأهلية في مراكز تدريب خارج العراق. اللافت أن ٢٨,٥٧% لم يحصلوا إلا على دليل السلامة المهنية؛ وهو على أهميته لكنه لا يمكن إعتباره كافياً لإكساب المراسل مهارة التعامل مع الأحداث ومجرياتهما في العراق وإن قراءة الدليل لا تغني عن التدريب العملي، الذي يعتبر حقاً وواجباً على جميع الصحفيين الذين يقومون بتغطية النزاعات.

ورغم الإنتقادات التي توجهها بعض الجهات الصحفية لإداء وزارة الداخلية العراقية فيما يخص مسؤوليتها في حماية الصحفيين ومكاتب الفضائيات العاملة في العراق إلا أن ٥٠% من الفضائيات الدولية المبحوثة تؤكد من خلال مراسليها تنسيقها مع هذه الوزارة لتدارك أية عقبات تعترض عمل مراسليهم أو معالجة التجاوزات التي تحصل عليهم شخصياً.

إن الوعي بمخاطر العمل الميداني والسلامة المهنية هو الذي يصنع الفارق بين الحياة والموت، ومن المؤكد أنه كان من الممكن تجنب الكثير من الضحايا لو أنهم تلقوا تدريباً ملائماً وتوعية مهنية كافية.

ثالثاً: الموضوعية والتوازن الإخباري:

بالرغم من معرفة الباحث بعدم إمكانية تحديد الموضوعية والتوازن الإخباري لدى مراسلي القنوات الفضائية الدولية، إلا من خلال تحليل مضمون المواد المرسلة من قبلهم، إلا أنه أراد أن يمنح الباحثين فرصة تقدير نسبة الموضوعية التي تحتويها رسائله الإعلامية، وذلك من خلال بيان تأثير عدم توافر البيئة المريحة والمناسبة لترسيخ هذه الموضوعية، ولذلك فإن الجدول رقم (٩) يبين أن غالبية الباحثين إختاروا النسبة الأكثر من النصف بالمائة إلى الأقل من الموضوعية المطلقة.

جدول رقم (٩) يبين نسبة موضوعية ما ينقله المراسل الصحفي من قضايا الأمن والإرهاب والمليشيات والفساد في العراق

النسبة	الأختيار	النسبة
-	-	٠ - ٢٥%
١٤,٢٨%	٢	٢٦ - ٥١%
٧٨,٥٧%	١١	٥٢ - ٧٥%
٧,١٤%	١	٧٦ - ١٠٠%

وعلى الرغم من أهمية قضايا الأمن والإرهاب وسلوك المليشيات والقوى المسلحة والفساد المستشري في العراق ، فإن الجدول رقم (٩) يشير إلى أن ٧٨,٥٧% من الباحثين يرون أن الأخبار والتقارير المذاعة عبر فضائياتهم تمثل درجة موضوعيتها بين ٥٢ - ٧٥% ، وهو ما يشير إلى أن احتمالات التحسب لدى المراسلين من جعل أخبارهم وتقاريرهم موضوعية بدرجة أكبر وهو من المحظورات في الأجواء الأمنية والسياسية العراقية ، كما قد يذهب بعضهم لمجارة توجهات القناة التي يعمل بها والتي تحده بنمط إخباري مؤيد أو منتقد للممارسات القائمة هناك ، كما أن القنوات الفضائية التي يعمل المراسلون لحسابها قد تتغاضى عن نشر بعض الاخبار

لتجنيبهم الوقوع في ازمات أمنية ، وقد تقرر عدم ارسالهم الى خط مناطق المعارك المحتمة لنفس السبب .

رابعاً: مخاطر العمل للمراسلين الصحفيين في العراق:

قد يكون هذا العنوان هو الحصيلة النهائية لكل ما يجول في خاطر أي مراسل ميداني في العراق وكذلك في حسابات المؤسسة والقناة الفضائية الدولية التي يعمل لها، ويشير الجدول رقم (١٠) بوضوح إلى ما تلك المخاطر بحسب علم أو تحسب المرسلين ذاتهم العاملين ميدانياً في العراق .

جدول رقم (٩) يبين مخاطر العمل للمراسل الصحفي في العراق

نوع المخاطر المتوقعة	الإختيار	النسبة
الإختطاف	١٢	%٨٥,٧١
التهديد	١٢	%٨٥,٧١
الضرب والإعتداء الجسدي	١٠	%٧١,٤٢
مصادرة المعدات الصحفية	٨	%٥٧,١٤
الإبتزاز	٧	%٥٠
التهجير	١٠	٧١,٤٢
القتل	١٣	%٩٢,٨٥

من خلال ملاحظة النسب الواردة إزاء كل نوع من أنواع المخاطر المحدقة بالمراسلين الدوليين الميدانيين في الساحة العراقية، نجد أن جميع المرسلين تقريباً، على الرغم من إختلاف توجهات مؤسساتهم تجاه العملية السياسية في العراق، متفقون على أن الخطر الأكبر الذي يتوجسونه خلال عملهم اليومي في العراق هو (القتل)، وقد جاءت نسبته (%٩٢,٨٥) من إختيارات المرسلين، وهي نسبة تقضي في حقيقة الأمر إلى تحجيم عمل المرسلين بالحدود التي تضمن أمنهم على حساب موضوعية أخبارهم وتقاريرهم المرسلة إلى قنواتهم. وحلت مخاطر (الإختطاف) و (التهديد) في الترتيب الثاني وبنسبة (%٨٥,٧١) لكل منهما، وهو أيضاً ذو دلالات تقضي إلى ذات التحليل الخاصة بخطورة (القتل)، وبحسب أكثر المرسلين فإن هذين الخطرين (الإختطاف والتهديد) يجعلان العمل الميداني محفوف بالمفاجآت والخطر الدائم بما يشنت تركيز المرسل وجودة المرسل.

(الضرب) و(التهجير) خطورتان مهينتان لإي إنسان ومركتان لخط عمله وسيره؛ وهي كذلك بشكل أكثر تركيزاً بالنسبة للمراسل الميداني وليس غريباً أن تأتي بنسبة (٧١,٤٢%)، بما يدفع الكثير منهم إلى مد جسور من المجاملات مع بعض الجماعات المسلحة وكذلك بعض القوى الأمنية وكذلك حمايات المسؤولين لتجنب التعرض للضرب أو التهجير خارج حدود المحافظة التي يعمل منها أو حتى خارج حدود العراق.

إن عمليات مصادرة المعدات الميدانية لعمل المراسل شكلت إحدى مخاطر العمل في العراق وبنسبة بلغت (٥٧,١٤%)، وقد إشتكى مراسلون من مصادرة كاميرات النقل التلفزيوني ومعدات أخرى من قبل جهات عديدة بعضها رسمي وآخر غير محدد الإنتماء، ومصادرة أدوات العمل تعني إصابة المراسل بالشلل المهني وإلغاء دوره تماماً في نقل ما يجري هناك بالفعل، وهو أيضاً ما يدفع إلى خطر آخر ورد بنسبة (٥٠%) وهو (إبتزاز) بعض المسلحين على إختلاف إنتمائاتهم للمراسلين الميدانيين من أجل منع مصادرة معداتهم الصحفية أو من أجل إعادتها إليهم.

الإستنتاجات:

١- إن العراق الذي شهد تغيراً كاملاً في نظامه السياسي والأمني بعد إحتلاله عام ٢٠٠٣م أوجد قوى سياسية متعددة قامت ، ومازالت بنشر أيدلوجياتها على المجتمع العراقي بما أمتلك من أدوات التأثير ، وبالمقابل فإن دولاً عديدة وبوسائلها المتعددة وبخاصة منها وسائل الإعلام ، ساندت أو دعمت هذه الإيدلوجيات أو تلك ، مما كرس الإنقسام المجتمعي والإصطفافات الطائفية والعرقية ، الذي ما لبث أن تحول وفي ظل محاصصة مؤسسات الدولة وضعفها وفساد أجهزتها ، إلى إنتشار الفصائل المسلحة الخارجة عن القانون ، بإسماء وأيدلوجيات متعددة ،وفي عموم مناطق العراق .

٢- إن فشل القائمين على إدارة شؤون الدولة العراقية ، وغياب الإرادة السياسية الواضحة والمؤيدة من قبل الشعب ، ظهور التنظيمات المسلحة المنفلتة ، تسبب في تراجع مستويات الإعلام المحلي وإصطفافاته مع الكتل والأحزاب والمليشيات المتحكمة بالمشهد العراقي ، ومع تداخل الأجنداث الدولية في الشأن العراقي فإن بعض الفضائيات الدولية ، وخاصة الإقليمية منها ، باتت أيضاً تروج لهذا الطرف أو ذاك ، مما وضع الجمهور

- العراقي بحالة من الضبابية بين الثقة بهذه القنوات كمصادر لإخبار بلاده أو ثقته بها ، أو وسمها بصفات سيئة عديدة تماشياً مع مصدر إيدلوجيته وثقافته .
- ٣- إن عدم تفعيل الحكومات العراقية المتعاقبة منذ عام ٢٠٠٤م حتى الآن التشريعات القانونية اللازمة للعمل الإعلامي، كالحق في الحصول على المعلومات، والحق في التظاهر والحق في التعبير عن الرأي كما ورد في المادة (٣٨) من الدستور، وكذلك تحديد المحاكم الخاصة في النظر بقضايا الإعلام وأسلوب وضوابط وعقوبات الإعلاميين أو المؤسسات الإعلامية، خلق حالة من الفوضى الإعلامية من جهة، وكذلك الشعبية فيما يخص حق التظاهر والتجمعات وسواها.
- ٤- يفترض بالحكومة العراقية ومجلس النواب العراقي السعي الحقيقي لإخراج العراق من قائمة الدول "الهشة" وذلك من خلال الأهتمام بمكافحة الفساد، الأمية، المخدرات، الجماعات المسلحة خارج إطار الدولة، الجريمة المنظمة والتهجير وسواها من المؤشرات التي تعاني منها مؤشرات الدولة العراقية.
- ٥- ضرورة توحيد صفوف الشعب العراقي من خلال إصدار القوانين الموحدة للشمل، كقانون (تجريم) الطائفية والخطابات أو الممارسات التي تعمل على تكريسها، وإلغاء منهج (المحاصصة) وتوزيع الثروات العادل من خلال إنعاش قطاع الخدمات والأمن والصحة والتعليم والإعلام.
- ٦- إن حصيلة ١٧ عاماً من الإضطراب السياسي والأمني في العراق ألفت بظلالها على عمل المراسلين الدوليين فيه من خلال نسب تحسبهم من المخاطر التي ترافق عملهم هناك وأهمها القتل والإختطاف والتهديد وهو ما أفضى إلى تراجع ترتيب خبر العراق وموضوعيته في التقارير الإخبارية الدولية.

التوصيات:

- ١- تطبيق المادة (٣٨) من الدستور العراقي بشكل كامل وحازم لضمان حرية الإعلام والتعبير والتظاهر بما يعزز من توجهات حقيقية للعراق نحو الديمقراطية ومساعدة الحكومات العراقية على كشف عمليات الفساد أو المظالم في وقتها وبشخصها.
- ٢- التعامل مع مراسلي القنوات الفضائية بإحترام لإنهم في نهاية المطاف سينقلون صورة العراق من خلال كاميراتهم إلى دول مؤسساتهم عبر شاشات الفضائيات التي يعملون بها ومنها إلى شرائح مختلفة من المجتمعات الدولية.

- ٣- تشكيل مجالس خاصة بمتابعة قضايا المرسلين والصحفيين المغيبيين أو الذين تمت عمليات تصفية جسدية بحقهم للوصول إلى الجناة الحقيقيين وتقديمهم إلى المحاكم، بما يعزز ثقة المرسلين الدوليين بالعمل بحرفية وموضوعية في العراق.
- ٤- منع المحاكم الجنائية من النظر في قضايا الإعلام والمرسلين الصحفيين وإعادة العمل بمحاكم الإعلام والنشر التي ألغيت بقرار حكومي، بما يعني إحترام مهنة الإعلام والعاملين بها وعدم المساس بكرامتهم الشخصية والمهنية.
- ٥- منح المرسلين الدوليين العاملين في العراق روح الثقة والأمان من قبل الحكومة العراقية من خلال تأمين ميادين عملهم بقوات أمنية رسمية تحميهم، وتزويدهم بالمعلومات التي يطلبونها وفق القانون، وتشجيعهم على إطلاع العالم عبر شاشات فضائياتهم على حجم التغيير الحاصل في العراق مهما كان بطيئاً أو قليلاً (وهو أمر يعتمد على توافر حكومة عراقية نزيهة وعابرة للطوائف والمحاصصة وقادرة على بسط الأمن بإدواتها وليس بإدوات الجماعات المسلحة غير النظامية).
- ٦- على المؤسسات الإعلامية التي لديها مراسلين ميدانيين في العراق مراعاة تقديم دورات تدريبية مهنية كاملة خاصة بظروف العمل في الدول الهشة والمناطق النزاع والإنفلات الأمني لتقليل حجم ونوع المخاطر التي يتعرضون لها، كما تمنحهم القدرة على حسن التصرف جراء هذه المخاطر.

المراجع:

- ١- درويش محمود أحمد، **مناهج البحث في العلوم لإنسانية**، مؤسسة الأمة العربية للتوزيع والنشر، القاهرة، ط ١، (٢٠١٨)، ص ٧١ .
- ٢- بدوي، عبد الرحمن ، **مناهج البحث العلمي** ، (وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٧)، ص ٤٩ .
- ٣- المصدر السابق ص ٥٣
- ٤- بني حمد، عارف ، **الدولة الهشة وإشكالية إعادة بنائها** ، (دار زمزم ناشرون وموزعون ، عمّان ، ٢٠١٩) ص ٢١
- ٥- **الموقع الرسمي لمنظمة صندوق السلام . www.fund for peace org**
- ٦- شاتينييه ، جان مارك وآخرون، **الدول والمجتمعات الهشة** ، دار كارتالا ، باريس ، ٢٠٠٧ ص ٥٧ .

- ٧- مفهوم القنوات الفضائية <https://mawdoo3.com/>
- ٨- المصدر السابق
- ٩- الوزان ، عبدالله ، دراسات إعلامية حول دور القنوات الفضائية ومصداقيتها واستخدامات الشباب لوسائل التواصل الاجتماعي : الفيس بوك - تويتر - يوتيوب ، (دار المكتب العربي للمعارف ، القاهرة ، ٢٠١٧) ، ص ٣٩ .
- ١٠- راندال ، ديفيد ، الصحفي العالمي ، (شركة العبيكان للنشر ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠١٧) ، ص ٦٧ ،
- ١١ - <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- ١٢ - <https://rsf.org/ar/news/3865>
- ١٣ - <https://arab.org/ar>
- ١٤ - قيس ، علي ، "في يوم الصحافة العالمي صحافة العراق معاناة وأرقام ضحايا" ، إرفع صوتك ، ٠١ مايو ٢٠٢٠ ، (١٧ مايو ٢٠٢٠) ، <https://www.irfaasawtak.com/iraq>
- ١٥ - فاخر ، عادل ، لهذه الأسباب تراجعت الحريات الصحفية في العراق ، (الجزيرة .نت) ، ٣٠ سبتمبر ٢٠١٩ ، (٢٨/٠٤/٢٠٢٠) ،
- <https://www.aljazeera.net/news/humanright>
- ١٦ - <http://www.jfoiraq.org/en>
- ١٧ - المصدر السابق
- ١٨ - فريق التحرير ، ٢٠١٩ عام الانتكاسات والاعتقالات للصحفيين في العراق ، عراق **ULTRA** ، ٠١ يناير ٢٠٢٠ ، (٢٩/٠٤/٢٠٢٠) ،
- <https://ultrairaq.ultrasawt.com/2019>
- ١٩ - كركوك ناو ، مقتل ستة صحفيين منذ بداية هذا العام العراق يسلك منحى خاطئاً بخصوص حماية الصحفيين ، **KIRKUKNOW** ، ٣١ مارس ٢٠١٠ ،
- <http://kirkuknow.com/ar/news/6184> ، (١٠/٠٦/٢٠٢٠) ،

خامساً: بحوث الفلسفة

شرح مواقف مارون عبود في تحليل ونقد (العقول الأخرى)

Explain the positions of Maroun Abboud in the analysis and criticism
other minds

د. وائل أحمد خليل الكردى

Wail Ahmed Khalil AlKordi

أستاذ جامعي وباحث في الفلسفة

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

والأكاديمية العربية في الدنمارك

السودان Sudan

wailahkhkordi@gmail.com

ملخص.

هذا البحث يهدف إلى الكشف عن منهج لقراءة وفهم (العقول الأخرى) في الحيز النقدي التطبيقي، وعلى اعتبار أن أهمية فهم العقول الأخرى تكمن في فهم طرائق حياة الشعوب ودافعية الناس فيها وبالتالي فهم سُنّة التطور الحضاري لها. والمشكلة أن أكثر البحوث في هذا الصدد هي على إما على مستوى التفسيرات الفلسفية النظرية للمفهوم في ذاته، وإما على مستوى التفسير السيكولوجي، ولهذا كان هذا البحث إنزال منهج قراءة العقول الأخرى إلى الحيز التطبيقي النظري من خلال نموذج عملي في ميدان النقد الأدبي وهو مؤلفات (مارون عبود) وكيف أنه عمد إلى إيضاح الأحوال العقلية وطرق الحياة من خلال النقد الشعري والأدبي والذي يعد بدوره تطبيقاً لمنهج التحليل الفلسفي كما هي عند المعاصرين. والنتيجة المستفادة من هذا هي أن معالجات (مارون عبود) النقدية وأعماله الروائية ليست فقط تكشف عن كيفية لفهم العقول الأخرى على وجه العموم، وإنما أيضاً قدمت نوع العقل الذي ينتمي إليه هو - وهو العقل العربي اللبناني (بلدة عين كفاع) إلى عقول الآخرين لأجل فهمها لديهم .

وعلى ذلك يكون المنهج المستخدم في معالجة هذا الموضوع هو المنهج التحليلي.

كلمات مفتاحية: العقول الأخرى - الفلسفة التحليلية - الرؤوس - البحث - النقد.

Astract

This research aims at revealing a method for reading and understanding (other minds) in the applied critical space, and considering that the importance of understanding other minds lies in understanding the ways of life of peoples and the motivation of people and therefore understand the development of their civilization. The problem is that the most research in this regard is either at the level of theoretical philosophical interpretations of the concept itself, or at the level of psychological interpretation, and this research was to bring down the method of reading other minds to the theoretical applied space through a practical model in the field of literary criticism, the writings (Maron Abboud) and how he sought to clarify mental conditions and ways of life through poetic and literary criticism, which in turn is an application of the methods of philosophical analysis as it is when contemporaries. The final result of this is that Maroun Abboud's critical treatments and his Novels not only reveal how to understand other minds in general, but also presented the kind of mind that he belongs to (the Arab-Lebanese mind (Ain Kefaa)) to the minds of others for understanding they have.

Thus, the method of research used to address this issue is the method of content analysis.

Key terms: other minds – analytic philosophy – heads – resurrection - criticism.

مدخل: (العقل الآخر، هو وجودية الشعب، ويكون به ما هو عليه دون غيره).

(مارون عبود) ليس لديه مذهباً فلسفياً ونقدياً محدداً ملتزم به. وإنما لديه مواقف نقدية تنبع من خلفيته الثقافية المتأثرة ببيئته وطريقة حياة أهله في قريته (عين كفاع) بالريف اللبناني، وربما يلمس بمواقفه النقدية هذه عدداً من المدارس النقدية، ولذلك يمكن للباحث في آثار (مارون عبود) أن يحلل مواقفه هذه بالنسبة إلى عدد من الزوايا النقدية. ولقد تجلت خصائص مواقف (مارون

عبود) على نحو بارز فيما ضمنه من مواقف نقدية من واقع الشعر العربي قديمه وجديده مثلما جاء في كتب (الرؤوس) (جدد وقدماء) وغيرها، من مبادئ كثيرة وأحكام نقدية وفلسفية، كانت في مجملها كاشفة بصورة أساسية كقصد لديه عن حالة العقل الجمعي ونوعه من وراء هذه الأشعار وأيضاً السرديات القصصية التي شكلت مجمل الآداب العربية .. وهنا مكن اهتمامنا في بحث وشرح مواقف (مارون عبود) النقدية.

الموقف الفلسفي.

(وكذلك النابغة يزجج معاصريه لأنه لا يساير الجماعة) (جدد وقدماء) .

هنالك ربما اشتراك جلي بنحو أقرب إلى توارد الخواطر بين نظرية الفيلسوف الانجليزي نمساوي الأصل (لديش فيتجنشتاين) Ludwig Wittgenstein التحليلية اللغوية في الشق المتأخر من فلسفته المدون في كتابه (بحوث فلسفية) philosophical investigations وبين مواقف (مارون عبود) في الناحية التطبيقية، سواء كان ذلك بقصد واطلاع واعتناق مباشر أو كان بصورة تلقائية بغير سابق علم بها. وعلى كل الأحوال، فإن الدلالة في هذا أن قراءة أقوال (مارون عبود) في ضوء منهج (فيتجنشتاين) قد يفيد فائدة كبيرة في إيضاح مقصد هذه الأقوال في فهم العقول الأخرى ونقدتها.

قدم (فيتجنشتاين) عدداً من الأدوات أو القوالب المفاهيمية التي يصب فيها تحليل الخطاب الانساني وفهمه. فوفقاً لمقولة (الالعاب - اللغوية) language - games، التي تحدد كيفيات الاستخدام اللغوي بحسب المقاصد الاجتماعية المتعددة وتعيين أن (المعنى) meaning ليس هو نفسه (الدلالة) reference وتعيين تعدد المعاني والدلالات بحسب أساليب وطرق الاستخدام للعلامة اللغوية . وقد وافق هذا ما ذهب إليه (مارون عبود) في دلالة التعبير اللغوي على الخلفية الفطرية المميزة أو المتفردة لدى مستخدمه وإقامة نقده عليه على هذا الأساس، فكانت اشارته في هذا إلى فن البلاغة حيث قال في كتابه (جدد وقدماء) وهو من أهم كتب النقد لديه "وعلى ذلك فحقيقة البلاغة ليست في قواميس اللغة وكتب الأدب ليذهب الطلاب ويفتشوا عنها ... فمن لا يملكها في نفسه فعبتاً يطلبها في الكتب، فإنها حسناء ذات دلال لا تسبي إلا مرة واحدة وذلك حين نزول الانسان من جوف امه. فالبلاغة حسن فطري باطني اي نفسي كما ان جمال الوجه حسن خارجي" ^١، فكان هذا انسب الى حالة الالعاب اللغوية في كيفيات المعنى كاستخدام. فمقولة (المعنى كاستخدام) meaning as use تدل على ما هو مستمد من طرق وأنماط الحياة لمختلف

^١ عبود، مارون - جدد وقدماء - بيروت، دار الثقافة العربية، ١٩٦٣م، ص ٧٩.

الشعوب والفئات الاجتماعية وتحليلها من أجل فهم (العقول الأخرى)، فعندما قدم (نظير مارون عبود) لرواية والده (الأمير الأحمر) كتب "ويردف (الشراوي) قائلاً: "تمكن (مارون عبود) من أن يكون بمثابة المنجم من خلال غزارة المادة الدرامية في قصصه وقوة الشخصية لديه وكأني بها مرسومة بالحبر الصيني لشدة وضوحها وكذلك لغته العجيبة التي تمتاز أنها مكتوبة في الفصحى إلا أنها تقرأ في العامية الدارجة بكل سهولة ودونما تعقد أو تكلف"^١، فكذا كان توظيف (مارون عبود) للغة وفق كيفية معينة في الاستخدام بحسب العقل العربي اللبناني بحيث تأتي الفصحى معجونة بالدارجة على نحو مثمر دلاليًا تمامًا لما أراد التعبير به عن هذا العقل فصارت هذه الكيفية علامة ابداعية بارزة على المستوى الفني بجانب المقصد الأدبي الدرامي في تجسيد الواقع الحي والمباشر . ومن هنا تثبت موافاة (مارون عبود) لمبدأ أساسي آخر في منهج التحليل اللغوي/ النقدي وهو (المشابهات العائلية) family resemblances التي تحدد السقف الدلالي المرن لحدود استخدام العلامة اللغوية ومدى صلاحيتها السياقية، وفي هذا عاب (مارون عبود) في (جدد وقدماء) على (المنفلوطي) تجريده دلالات (المعري) في (رسالة الغفران) عن سياقاتها في تلخيصه إياها بأن فرض عليها سياقاته هو فقال فيه "لقد مسح المنفلوطي رسالة الغفران مسخاً لا يغتفر لصبية الكتاب، فكان كالقصاص، بل من أين للمنفلوطي براعة ذلك. فالقصاص لا يهمل الخطوط التي تريك ملامح ابطاله، أما المنفلوطي ففاته هذا. اقرأ تركيب غاب عنه ما فيها من جمال فبدل التعابير الأثرية بكلام مزيف مصقول"^٢.

لقد وسم (مارون عبود) مشاهير الشعر العربي بالرؤوس، ولعل المقصود لديه من هذه التسمية ليس أن الرأس أعلى الجسد وأنها أبرز ما فيه وليس حتى أن الرؤوس هي المدير المتحكم للجسد الانساني في تبعيته لها وحسب، وإنما دلالة التسمية تكمن في كونه قصد تعبيراً رمزياً، فالرأس - بحسب طريقة (مارون عبود) في مواقفه وطريقته النقدية - هو مناط الاختلاف بين عقول البشر بحسب انتماءاتهم لطرق الحياة المتعدد والمتباينة شعوباً وقبائل وطوائف اجتماعية وفئات مهنية . ولذلك فالإشارة لأعلام الشعر العرب منذ عصر ما قبل الاسلام وحتى الان بأنهم (الرؤوس) المقصد فيها أنهم من تجلى في تعبيرهم الشعري ما يجعلهم ممثلين لطرق الحياة التي ينتمون إليها وللمقاصد الاجتماعية التي تربط بين أفراد وعناصر كل طريقة في الحياة وبعضها بما يمنحها خصوصية مميزة عن غيرها من طرق الحياة الأخرى. وبالتالي، فمعرفة هؤلاء (الرؤوس) هو معرفة (للعقول الأخرى) والتي أفصحت عن نفسها في أغراض أشعارهم وفي النقد عليها. واختلاف المقاصد الاجتماعية للشعراء بحسب اختلاف طرق حياتهم هو ما اتاح لدى (مارون

^١ عبود، مارون - الأمير الأحمر - بيروت، دار مارون عبود، ١٩٨٤م، ص ٨.

^٢ عبود، مارون - جدد وقدماء - ص ٢٤٥.

عبود) أن يعيد تصنيفهم وفق الأغراض والمضامين الشعرية التي تحقق رابطاً سياقياً مشتركاً في عموم قصائد كل شاعر منهم بتميز وانفصال عن الشعراء الآخرين، فكان ذلك هو الخط النقدي الذي اعتمده في جعل وتصوير الشعر ناطقاً بلسان عقل جمعي ومعبراً عنه وكاشفاً لما له من خصوصية عن غيره من العقول الأخرى.. لذلك كان هذا عملاً تطبيقياً بإبداع من لدن (مارون عبود) على ما سبق وقدمه (فيتجنشتاين) من منهج فلسفي مجرد.

وعلى هذا السياق ، كتب (ري مونك) Ray Monk مقالة مهمة بعنوان (فيتجنشتاين بين ثقافتين) تكلم فيها عن الأثر الإلهامي العريض الذي وقعه (فيتجنشتاين) بفلسفته على مختلف اوساط المجتمع ، فقال "لقد الهمت شخصيته الكارزمية الفنانين وكتاب المسرح والشعراء والادباء والموسيقيين وحتى منتجي السينما مما جعل شهرته تتجاوز إلى مدى بعيد حدود الحياة الاكاديمية"^١، وما ذلك إلا لأن (فيتجنشتاين) كان قد رفض أن تكون هناك (لغة خاصة) private language في عالمنا لا يفهمها ولا يمنحها معانيها إلا صاحبها ، أو أن هنالك من كوامن النفس الانسانية ما تستعصي على النفاذ عبر اللغات العادية المحكية إلا أن تطلب لغة مخصوصة بها خارج وسطها الاجتماعي. وقد ألمح (مارون عبود) إلى اتفاهه في رفض فكرة اللغة الخاصة هذه بقوله في (الرؤوس) "كان الشعر لسان حال الشعوب، وأصدق دليل على مقدار رقيهم"^٢، وأيضاً عندما قال "فالشعر العاطفي لا يخرج إلا الكبت والضغط"^٣ فقصده بذلك أن أقصى ما يمكنه الانسان من أحوال العاطفة يمكن لها أن تخرج شعراً يفهمه الناس ويتذوقونه ، فيكون الشعر بذلك هو الشاهد أو الدال الحقيقي على نفي إمكان اللغة الخاصة . فكان الشاعر على قوله "بالفاظ قصيرة يخرج صورة تامة"^٤ فغالباً ما تكون هذه الصورة صورة شعرية. والفائدة من هذا الاثبات هي أن اللغة كما الكائنات لا حقيقة لها ولا نمو إلا بالتداول الحي بها ، وهو ما يستلزم اطرفاً مشتركة تدور بينهم اللغة وإلا فما هو حي منها سيموت إن لم يتحرك ، وشاهد ذلك هو الموت التاريخي للغات بنحو السريانية واللاتينية واليونانية القديمة حيث قبرت في مؤلفات وكتب زمانها ولم تستمر لعصرنا جراء توقف التداول الحي بها وأنت عوضاً عنها لغات جديدة فعلى سبيل المثال بالنسبة للاتينية ظهرت عنها لغات جديدة ذات شخصيات مستقلة سميت بعائلة اللغات اللاتينية كالفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية ، في حين بقيت لغات كالعربية والعبرية

١ . Monk, Ray – Wittgenstein and the two cultures – Prospect , July 1999 .

٢ عبود، مارون – الرؤوس – بيروت، دار الثقافة العربية، ١٩٧٣م، ص ٢٣.

٣ عبود، مارون – الرؤوس – ص ٢٢.

٤ عبود، مارون – الرؤوس – ص ٣٠.

على حالها ولم تتحول نسبة لاستمرار التداول بها اجتماعياً منذ القديم ، وأيضاً لاستنادها على مراجع دعمت ثباتها واستقرارها (القران الكريم والتوراة) .

وهكذا يبدو أن الفيلسوف (فيتجنشتاين) قد لمس أوتار الحق ولمستها من بعده أصابع (مارون عبود) في ميدان النقد الادبي، وربما دون فضل للفيلسوف في هذا على الناقد.

أنماط النقد الثلاثة.

(أليس الكاتب الحقيقي من يخلق الأجساد ولا يستعيرها؟ فهو كالإسكاف وغيره ممن لا غنى لهم عن القالب..) (جدد وقدماء).

كشفت (مارون عبود) في كتاب (الرؤوس) عن ثلاثة أنماط للنقد "إما بعث، وإما نشر وتحنيط، وإما قبر"^١. وهو يتبع في منهجه للكشف عن العقول الأخرى النمط الأول والذي أسماه (البعث)، حيث أن النمط الثاني وهو (النشر والتحنيط) يدل على سلوك الناقد في جعل مادته حبيسة ظرفها التاريخي وراهنها الحضاري بنوع من التاريخانية الظاهرة ، فالناقد وفق هذا النمط يحنط العمل الابداعي ليبقى في زمانه ومكانه ولا يحاسب إلا به فيجعل الظرف الحضاري التاريخي هو الشاهد على العمل الابداعي وليس أن العمل الابداعي هو الكاشف عن ذلك الظرف الحضاري التاريخي بموجب حالة العقل وطريقة حياة الناس فيه ، وعلى هذا النحو لن يمكن تكيف العمل الابداعي القديم في أزياء وأثواب جديدة بحسب عصرنا الراهن أو استدعائه بشكل حديث في واقعنا أو واقع مناطق أخرى كل بحسب طريقة حياته ونمط عقله باعتبار أن طريقة الحياة لشعب ما في ماضيها البعيد والقريب وحاضرها هي سياق واحد متماسك يعبر عن حالة عقل واحدة فقط خضع للتطور على مراحل التقدم التاريخي، وأيضاً من غير أن يفقد العمل الابداعي هذا هويته ومضمونه مع التجديد المستمر ، ولذلك فهذا المنهج مستبعد من مقصد فهم العقول الأخرى وفق (مارون عبود) . والنمط الثالث (القبر) فربما لم يلجأ إليه (مارون عبود) أصلاً لأنه يعني الاقتصار فقط على مناطق الضعف لأجل اسقاط العمل الابداعي وحذفه، فالناقد هنا يبحث عن مفاتيح موت العمل وأسباب قتله، ورغم أن هذا النوع من النقد معتمد عند كثير من النقاد بكونه يعمل على تمييز العمل الابداعي القوي الباقي والمستحق للحياة لأنه قد صمد في وجه تعيين العيوب والثغرات عن ذلك الذي اطاحت به عيوبه فعجلت بموته تحت مباحض النقد، إلا أن هذا أيضاً لا دور له في مقصد الكشف عن العقول الأخرى. وعلى هذا، يكون نوع (البعث) هو القائم بالمقصد المطلوب بما يحوي تحته من مستويات ومراتب متدرجة.

^١ عبود، مارون - الرؤوس - ص ٢٨٥.

فالمستوى الأول هو توجيه العمل نحو تصحيح وتصويب النص وسد ما فيه من ثغرات ينفذ منها النقد بصدد تعيين جودة العمل. والمستوى الثاني الأعلى، هو فتح آفاق التطوير والاضافة والبناء على العمل من أفكار ودلالات متأولة عليه بشكل ايجابي منتج وتكشف عن امكانات فكرية داخل النص في مجمل سياقه التام. والمستوى الثالث الأكثر علواً، هو المستوى التداولي للعمل في اتجاهات مختلفة من الاستخدام للنص، وهو ما يسمح باستحضار النص خارج اطاره وظرفه التاريخي المحدود والاستدلال به على شواهد حضارية متنوعة ومتعددة، ولعل هذا على وجه التخصيص ما قصده (مارون عبود) بالبعث. ولهذا فقد عمل من خلاله على الكشف عن العقول القائمة وراء النصوص الشعرية التي علم شعرائها بالرؤوس، وكيف أن هذه العقول وأنماط الحياة ليست أمراً منتهياً بزمان حضاري معين، فأى شعب إنما تمتد طريقة حياته منذ بداية رصدها قبل قرون سحيقة وحتى راهننا المعاصر كوحدة سياقية واحدة، تتطور ولكنها تظل هي هي، وهذا السياق الواحد هو المقصود بأنه العقل وفهم العقول الأخرى.

لقد تكلم (مارون عبود) في كتابه (الرؤوس) عن الأصل الأول للعقل العربي على نحو ما تمثل في الحياة العربية البدوية منذ عصور ما قبل الاسلام من خلال تحليل أشعارهم وأغراضها ، فأظهر منها كيف أن العربي كان لا بد أن يتصف بالشجاعة وحضور البديهة والجنان واليد بسكنته بيوت الوبر ، وأن اسلوب عيشه في الصحاري دعاه إلى الإباء، ثم أنه كريم بسوقه ثروته أمامه رغم تعرضها للهلاك ولهذا لا يدخرها، وبالتالي فهو لا يتوقف كثيراً عن أعماق التفكير الذي يقتضيه الاستقرار الدائم في مكان ، فهو لذلك وجيز في كل شيء يحط على المسائل كما تحط النحلة على الزهرة "تأخذ حاجتها وتظل الزهرة زهرة"^١. والعربي أيضاً – على قوله – "تياه فخور"^٢، شدد في المصاهرة بالمغلاة في فحص الأصل والفصل إلى أبعد مدى لأن الأصل والنسب هو رأس المال الإنساني الحقيقي لديه الأمر الذي أورثه شدة الحماسة حد التهور "فقلت الأحلام في شعره"^٣، وكان هذا بفعل جفاف وبيوسة البيئة "فإن قلة الماء تجفف حتى أخلاق الرجال"^٤ فلم يوجد ذلك لديه مرونة الجدل المصبوب على الحجة والبرهان فجاءت أحكامه انفعالية قاطعة بلا دليل. وهذا أيضاً سر أنه "لا يؤمن إلا بذاته وهذه الذات فنيت في القبيلة"^٥ فأورثته قوة في الدفاع عن عرضه وشهامة النجدة.

^١ عبود، مارون – الرؤوس – ص ١٣.

^٢ عبود، مارون – الرؤوس – ص ١٤.

^٣ عبود، مارون – الرؤوس – ص ١٧.

^٤ عبود، مارون – الرؤوس – ص ١٩.

^٥ عبود، مارون – الرؤوس – ص ١٩.

ثم مضى (مارون عبود) على ديدنه هذا في الكشف عن العقل العربي منذ مطالعه الأولى التي أثبتتها التدوين للتأريخ، ثم بين مراحل نموه نحو الحضارة الراهنة والتي تمثلت كلها في سياق الأدب الذي هو الشاهد الأعظم على خصائص هذا العقل. فكان القول منه في (الرؤوس) "فالأدب خلاصة عقل الأمة يدل الأواخر على السبل التي اختطتها أوائلهم ... أن الأدب كائن حي فهو أبداً في تفاعل كعناصر الحياة الأخرى ... يتأثر الأدب بالحياة لأنه وليدها. ويصعب الاختراع فيه لأنه صورة عنها وهي لا تتغير إلا بمقدار ... ويظل قديمه متصلاً بحديثه، يتمشى تمشي السلالات والانواع، وينمو نمواً حسابياً لا هندسياً"^١ ومن هذا الباب تفاعل أصحاب هذا العقل مع العقول الأخرى بما أبان عن ذاته ووسمه وحيث الضد يظهر حسنه الضد. ولذلك قال (مارون عبود) في نفس الكتاب "فحيث تلقي بذور آداب أمة ينبت النفوذ والسيطرة. فما تأثر بعض الأمم ببعضها عقلياً بأقل منه تجارياً وصناعياً"^٢. كما أن "الأدب الرفيع ... هو آخر صفحة تمحوها العوادي من تواريخ الأمم والشعوب، وهي أشد آثارها الأخرى صبراً عليها"^٣. ولهذا ظل (مارون عبود) يعدد المزية الشعرية لدى كل رأس من الرؤوس لقيم النقد في الأساس على ما سماه هو "الحس البديعي"^٤ كمفتاح لكشف نوع العقل من خلال الشعر، فبحصيلة هذه المزايا يتشكل سياق العقل الواحد عبر تاريخه في ماضي حياة الأمة الواحدة وحاضرها ونحو مستقبلها، ففي (جدد وقدماء) أن "الأدب خلاصة عقل الأمة يدل على السبيل التي اختطتها أوائلهم"^٥، وفي هذا الطريق يسوقنا كتاب (الرؤوس) و(جدد وقدماء) و(دمقس وارجوان) وغيرها. وعلى هذا الأساس يمكن أن نقول بأن تقنية (مارون عبود) النقدية لم تستهدف في المقام الأول بحسب اتجاه طبيعة هذه التقنية قياس ومحاكمة الأعمال الأدبية إلى معيار محدد للصواب والخطأ في الفن، بل بالأحرى استهدفت فهم العقول وانماط التفكير بحسب أنماط الحياة، وأن النقد المقدم على النصوص هو في الأساس نقد مسدد إلى العقول، فالأمر على ما قال في (جدد وقدماء) "وينقضي نواح ابي فراس فيتلوه غناء الاندلسيين فنتشجينا انغام موشحاتهم، فنرى صور حياتهم تتحرك أمامنا"^٦. وربما يغضب الناس على شاعر لأنه يكشف عنهم بصدق ما لا يريدون كشفه بنحو ما فعل (جبران خليل جبران) الذي وصفه (مارون عبود) في نفس الكتاب "فإذا فتشنا عن الألوان المحلية المستمدة من المحيط اللبناني وجدناها صارخة في ما كتب جبران بالعربية والإنكليزية"^٧، فيما ذكر عن (المنفلوطي)

^١ عبود، مارون - الرؤوس - ص ٨٥.

^٢ عبود، مارون - الرؤوس - ص ٨٥.

^٣ عبود، مارون - الرؤوس - ص ٨٦.

^٤ عبود، مارون - الرؤوس - ص ٨٧.

^٥ عبود، مارون - جدد وقدماء - ص ١٠٢.

^٦ عبود، مارون - جدد وقدماء - ص ١١٢.

^٧ عبود، مارون - جدد وقدماء - ص ١١٦.

ايضا في نفس الكتاب "إن عمل المنفلوطي لم يفق عمل من يجلووا الصداً عن حواج البيت المعدنية" لذلك رضي الناس عنه.

عرض الذات.

(تقع عين كفاع على رابية كأنها عقب البيضة) (فارس أغا)

إن تقنية (مارون عبود) النقدية على هذا النحو قد تضمنت بجانب فهم العقول الأخرى أيضاً إيفهام تلك العقول الأخرى عقل الذات أي عقل المتكلم أو الناقد بمضامين طريقة الحياة المنتمي إليها والمتمثلة في التعبيرات اللغوية والحركية والانفعالية. وقد فعل (مارون عبود) ذلك خصوصاً في رواياته (فارس أغا) و(الأمير الأحمر) اللتين عبر بهما عن بيئته كمواطن لبناني تقليدي ابن مقاطعة (جبيل) واسقاط الدبوس في موقعه الدقيق حيث ولد وتربى في قريته المحببة (عين كفاع) وعنها وإليها كتب. لقد اسهمت الروايتان في نقل عقل (لبنان) من خلال عقل بلدته الصغيرة التي لم يكن ليدري عنها أكثر الناس في العالم شيئاً بل وربما لم يدري اللبنانيون أنفسهم عنها الشيء الكثير ما لم يكن (مارون عبود) قد اظهرها إليهم بأسلوبه الروائي الخاص الذي جمع فيه بين فصحة مجرة وعامية قح وعامية فصيحة. فرواية مثل (فارس أغا) قد تميزت بكون المؤلف حاضراً فيها بشخصه كأحد عناصرها فخرجت كنوع من الاستبطان الاجتماعي التحليلي الذي يكشف عن عمق أصالة وتراث وأخلاقيات شعب (عين كفاع) في قلب شعب (لبنان) الكبير. ولعل أيضاً من أبرز ما قدّمه في هذا الصدد هو مجموعة الأفاصيص القصيرة النقدية في كتابه (أحاديث القرية) حيث جاءت كإشارات نقدية على مواقف الحياة الاجتماعية في قريته وشارحة لها في أن معاً. ولقد ألف (مارون عبود) في ختام كتابه (جدد وقدماء) مقالة عنوانها (الخيال اللبناني) حاول فيها عرض (فيها) الخيال كحالة من أخص أحوال العقل الجمعي الخاص بشعب ما في التحامه مع خواص بيئته الطبيعية تطبيقاً على (لبنان).

نتيجة أخيرة.

(الشاعر (الياس طعمه).. (قد) نشأ مارونياً لبنانياً وتخرج في مدارس نصرانية كهنوتية فكان معلموه قسيسين ورهباناً.. فمن يصدق أن من هذه تربيته يشعر ويفكر بما لا يدور في خلد عربي مسلم في مكة.. (جدد وقدماء).

^١ عبود، مارون - جدد وقدماء - ص ١٠٢.

أليس من دلائل كشف (مارون عبود) عن أحوال العقول، أنه ضرب أمثلة كثيرة لكيف أن الثقافة العربية المتأخرة معجونة بالتأثير القرآني، فلا فكاك لمن أخذ بهذه الثقافة أن يأخذ حتماً بما عجن معها ولو كان نصرانياً أو يهودياً. ولربما أراد (مارون عبود) ان يؤكد لنا أنه لا عقل عربي هناك بلا أثر قرآني صميم ولا فهم لهذا العقل العربي إلا بمراعاة ما حفظت به لغة العرب طوال القرون السالفة وحتى عصرنا وهو (القرآن الكريم). وبالرغم من أن (مارون عبود) نفسه مسيحي ماروني متدين إلا أنه كثيراً وبشكل تلقائي ملفت للنظر ما يكون جريان الكلام على قلمه معبراً في نقده على الشعر والنثر بلغة محملة بالتعبيرات القرآنية، ليمثل هو بذاته نموذجاً للمفكر والناقد والأديب العربي الذي يدل على أن المفردة القرآنية والعبارة القرآنية هي من صميم مكون حالة العقل التلقائي لدي أي ناطق بالعربية أياً كانت ديانته ولا فكاك له منها.. وما ذاك إلا - على الأرجح - لأن العبارة القرآنية هي عربية بالأصالة وليست ترجمة، فكان منطقياً قبول عقول الناطقين بالعربية لها باعتبار لغتهم الأم دون تكلف، وذلك بخلاف ما عليه الأصول اللغوية للديانات الأخرى حيث (التوراة) بالعبرية و(الإنجيل) باليونانية القديمة فيحتاج الأمر لدى العربي منهم إلى ترجمة متكلفة إلى اللغة العربية، فيأتي تقبل العقل العربي لها وتعبيره بها في الأداب تكلفاً ظاهراً وليس نسجاً تلقائياً.

المراجع.

- [١] عبود، مارون - جدد وقدماء - بيروت، دار الثقافة العربية، ١٩٦٣م.
- [٢] عبود، مارون - الرؤوس - بيروت، دار الثقافة العربية، ١٩٧٣م.
- [٣] عبود، مارون - الأمير الأحمر - بيروت، دار مارون عبود، ١٩٨٤م.
- [٤] Monk, Ray – Wittgenstein and the two cultures – Prospect , July 1999

سادساً: بحوث العلوم الاجتماعية

دور المرأة في التنمية الاجتماعية-الاقتصادية ما بعد النزاعات المسلحة مع التركيز

على العراق

الأستاذ الدكتور سناء عبد القادر مصطفى

الأكاديمية العربية في الدنمارك

The role of women in socio-economic development after the armed conflicts with a focus on Iraq

المقدمة.

تلعب المرأة دوراً أساسياً في عملية إعادة البناء الاجتماعي-الاقتصادي في أغلب أماكن النزاعات المسلحة في الشرق الأوسط. وقد تم التأكيد على هذا الدور في قرار مجلس الأمن رقم ١٣٢٥ الذي اتخذته في جلسته المعقودة في تشرين الأول ٢٠٠٠. والذي يؤكد فيه على الدور الهام للمرأة في بناء السلام، والجهود الرامية إلى حفظ السلام والأمن وتعزيزهما. وكذلك الإعلان الصادر من لجنة بناء السلام بخصوص التمكين الاقتصادي للمرأة بتاريخ ٢٦ أيلول ٢٠١٣. فقد نص القرار على أهمية دور المرأة في إحلال السلام وأكد على أهمية التمكين الاقتصادي في سياسات الانتعاش الاقتصادي "نعترف بأن التمكين الاقتصادي للمرأة يسهم إسهاماً كبيراً في فعالية الأنشطة الاقتصادية والنمو الاقتصادي في مرحلة ما بعد انتهاء النزاع، ويؤدي إلى تحسين نوعية تدابير وسياسات الانتعاش الاقتصادي ونتائجها الاجتماعية وإلى تحقيق التنمية المستدامة، ونؤكد أهمية مراعاة المنظور الإنساني، حسب الاقتضاء، عند الاضطلاع بالأنشطة الاقتصادية بعد انتهاء النزاع" و كذلك شدد القرار على ضرورة إدخال التمكين الاقتصادي في مبادرات و برامج الامم المتحدة للانتعاش الاقتصادي بعد انتهاء النزاعات.

وتعتبر قضية دور المرأة في تحقيق السلام من القضايا المهمة التي تشغل بال السياسيين وعلماء الاجتماع والاقتصاديين وحتى المثقفين على حد سواء أو بدرجات متفاوتة. كما يرجع الإهتمام بهذه القضية الحيوية الى بداية القرن العشرين، حيث شهدت هذه الفترة الزمنية تطوراً ملفتاً للنظر في مناقشة قضايا المرأة وإعطائها صبغة تقدمية من خلال ربطها بمسائل مهمة على الصعيد الدولي مثل حقوق الإنسان والتنمية الاجتماعية-الاقتصادية ومكافحة الإرهاب والنزاعات المسلحة والعنف والإصلاح الاقتصادي والسياسي الذي يصب بدوره في مسألة تحقيق السلام العالمي الذي يعتبر الهدف الأسمى لدى الأمم المتقدمة.

Abstract

Women play a key role in the socio-economic reconstruction process in most places of armed conflict in the Middle East. This role was confirmed in Security Council Resolution 1325, which it adopted at its October 2000 meeting. It emphasizes the important role of women in peace-building and efforts to maintain and strengthen peace and security. The declaration issued by the Peace building Commission on women's economic empowerment on September 26, 2013. The resolution stated the importance of women's role in bringing about peace and emphasized the importance of economic empowerment in economic recovery policies" we recognize that women's economic empowerment contributes significantly to the effectiveness of economic activities and post-conflict economic growth, and improves the quality of Measures and policies for economic recovery and social outcomes and sustainable development, we emphasize the importance of taking into account the humanitarian perspective, as appropriate, when carrying out economic activities after the conflict and United Nations for post-conflict economic recovery".

Key words: Women role in the socio-economic reconstruction process, Resolution no.1325, Peace building Commission, the role of women in sustainable development, United Nations programs for economic .recovery after armed conflicts.

مشكلة البحث.

إيجاد حلول عملية مبنية على منهج علمي لمعالجة مشكلة تمكين المرأة من المساهمة بشكل فعال في التنمية الإجتماعية-الإقتصادية في مجتمعات الشرق الأوسط بعد انتهاء النزاعات المسلحة التي كانت سبب أساسي في دمار الإقتصاديات الوطنية من منشآت إقتصادية مهمة وبنى تحتية تعتمد عليها.

فرضيات البحث.

الفرضية الأولى: الاعتماد على التخطيط الاستراتيجي الطويل الأمد (خطط لمدة ١٠ سنوات) وخطط اقتصادية خمسية تلائم الشرق الأوسط وتناسب بيئته الاجتماعية من أجل تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية-الاجتماعية المنشودة.

الفرضية الثانية: إن نظم المعلومات في المؤسسات والمشاريع الإنتاجية التي لها علاقة مباشرة بالإقتصاد الوطني هي من الدعائم الأساسية المساهمة في حل معظم مشاكل الإقتصاديات الوطنية من خلال اتخاذ القرارات الرشيدة والقضاء على البيروقراطية الإدارية المستشرية في الشرق الأوسط وخصوصا في العراق وكذلك التداخل في المهام الإدارية بين الوحدات التنظيمية المختلفة.

هدف البحث.

يهدف البحث الى لقاء الضوء على دور المرأة في التنمية الإجتماعية - الإقتصادية ما بعد النزاعات المسلحة مع التركيز على العراق من حيث:

١- بيان وتحديد الأسباب الحقيقية التي تقف حجرة عثرة أمام تنمية وتطور دور المرأة في التنمية الإجتماعية - الإقتصادية ما بعد النزاعات المسلحة وخصوصا في العراق، اعتمادا على التحليل العلمي الذي تحدده منهجية هذا البحث.

٢- طرح الحلول العملية من خلال الخطط الاقتصادية الطويلة والمتوسطة الأمد لضمان تحقيق تنمية وتطوير شاملين مستمرين ومتواصلين في جميع مشاريع التنمية الإجتماعية - الإقتصادية ما بعد النزاعات المسلحة حسب التصورات المرسومة لها.

منهجية البحث.

من أجل تحقيق الأهداف المنشودة من هذه الدراسة والوصول الى اثبات فرضيات البحث أو نفيها اعتمدت في هذا البحث استخدام المنهج الاستنباطي الوصفي الذي يستند الى أساليب الاحصاء الاقتصادي ومحاولة معرفة العلاقة الكمية التي تربط هذه المتغيرات بعضها ببعض وكذلك آراء وتصريحات جميع المسؤولين في مختلف دوائر الدولة وعلى اختلاف درجاتهم الوظيفية ومواقعهم في السلم الوظيفي والإداري. وقسم البحث إلى ثلاث مباحث، الأول، وجود المرأة في خضم النزاعات المسلحة وضرورة السلام العالمي، المبحث الثاني، العلاقة بين التنمية الاجتماعية للمرأة وتحقيق السلام، والمبحث الثالث، التمكين الاقتصادي للمرأة العراقية وعلاقته بالسلام.

الكلمات المفتاحية:

دور المرأة في التنمية الاجتماعية-الاقتصادية، عملية إعادة البناء، التمكين الاقتصادي للمرأة، دور المرأة في إحلال السلام، النمو الاقتصادي في مرحلة ما بعد انتهاء النزاعات المسلحة.

المبحث الأول: وجود المرأة في خضم النزاعات المسلحة وضرورة السلام العالمي.

لا يزال العالم ومنذ انعقاد المؤتمر العالمي الرابع للمرأة في بكين بجمهورية الصين الشعبية في الفترة الزمنية ٤-١٥ من شهر أيلول العام ١٩٩٥ وتحت شعار: العمل من أجل المساواة والتنمية والسلام (مؤتمر بكين) يعاني من النزاعات المسلحة المنتشرة في أماكن متعددة من المعمورة. وقد شكّل إعلان ومنهاج عمل المؤتمر تنويجاً عملياً لاتخاذ خطوات إيجابية للاعتراف بحقوق المرأة كإنسانة وتشكل نصف المجتمع في ثمانينات وبداية تسعينات القرن الماضي من جانب المدافعين عن حقوق الإنسان وجمعيات المرأة في العالم. ويظل الاعلان الصادر عن المؤتمر يمثل الاتفاق الأكثر شمولاً حتى الآن بين الحكومات حول ما ينبغي القيام به لتمكين المرأة من العمل وإظهار مكانتها في المجتمع وكذلك الاعتراف بحقوقها من حيث المساواة بينها وبين الرجل.

وعلى الرغم من أن عدد النزاعات الكبرى يبدو صغيراً فإن الحرب في سوريا واليمن وليبيا منذ العام ٢٠١١ لا زالت مستمرة وحتى في جنوب السودان بعد استقلاله عن الشمال في العام ٢٠١١.

تعد قضية دور المرأة في تحقيق السلام من القضايا المهمة التي تشغل بال السياسيين وعلماء الاجتماع والاقتصاديين وحتى المثقفين. ويرجع الإهتمام بهذه القضية الحيوية الى بداية القرن العشرين، حيث شهدت هذه الفترة الزمنية تطوراً ملفتاً للنظر في مناقشة قضايا المرأة وإعطائها صبغة تقدمية من خلال ربطها بمسائل مهمة على الصعيد الدولي مثل حقوق الإنسان والتنمية الاجتماعية-الاقتصادية ومكافحة الإرهاب والنزاعات المسلحة والعنف والإصلاح الاقتصادي والسياسي الذي يصب بدوره في مسألة تحقيق السلام العالمي (١) الذي هو المطلب الأول والأهم للبشرية جمعاء، حيث تم النظر للمرأة على أنها شريك أساسي في تدعيم قيم السلام في المجتمع. في ضوء ذلك واستناداً إلى حقيقة حيوية دور المرأة في عملية التربية بفرعها الاجتماعي والسياسي، فإن الموضوع يتعلق بدور المرأة في تدعيم قيم السلام في الشرق الأوسط، وذلك من

(١) دور المرأة في بناء السلام، Jusoor، ٢٠١٢، لندن، ص ٢٥.

خلال توعيتها بهذه القيم وإرشادها لكيفية استخدامها في توجيه أبنائها، من خلال المنظمات الحكومية ومنظمات المجتمع المدني، وعلى هذا الأساس نطرح الأسئلة التالية:

١. ما هي أهمية التربية في غرس قيم السلام؟
 ٢. ما هو الدور المطلوب من المرأة لتعزيز ثقافة السلام وما هي شروطه ومعوقاته؟
 ٣. ما هي القيم والمبادئ المساندة للسلام وما هي معوقاته؟
 ٤. ما هو دور منظمات المجتمع المدني في تدعيم وإرشاد دور المرأة في نشر ثقافة السلام؟
- لقد طرحت الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها سنة ١٩٩٨ باعتبار العشرية الأولى من القرن الواحد والعشرين ٢٠٠١-٢٠١٠ عشرية دولية لدعم ثقافة اللاعنف والسلام لفائدة أطفال العالم الذي يستند على: "مجموعة من القيم والتصرفات والسلوكيات، التي تعكس وتشجع قيام تفاعل اجتماعي، وبناء عقلية تقاسمية يقومان كليهما على مبادئ الحرية والعدالة والديمقراطية وعلى جميع حقوق الإنسان وعلى التسامح والتضامن ونبذ العنف، ويعملان على رده النزاعات بالتعرض لأسبابها العميقة، وحل المشاكل بالحوار والتفاوض، ويضمنان ممارسة كاملة لجميع الحقوق والإمكانيات لتحقيق مساهمة كاملة في عملية تنمية المجتمع"^١. ولهذا فإن الثقافة حسب تعريف منظمة اليونسكو "هي كل السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمع بعينه أو فئة اجتماعية بعينها وتشمل الفنون والآداب وطرق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان والنظم والقيم والتقاليد والمعتقدات"^٢.

أما العلاقة بين التربية والثقافة فهي علاقة وثيقة الصلة لأن الثقافة بيئة مناسبة للتربية لتحقيق أهدافها وطموحاتها، كذلك التربية تستخدم الثقافة في بناء الأجيال كما يريد المجتمع.

إن تطور مفهوم السلام وسبل تحقيقه. كان السلام ولا يزال حلاً للبشرية منذ عصور عديدة فقد عانت البشرية كثيراً من ويلات الحروب والصراعات والعنف والإرهاب لدرجة أن السلام يكاد يشكل استثناء في مواجهة قاعدة الصراع والحرب، وخاصة في الوقت الحالي ونحن في الألفية الثالثة إذ نشهد تزايداً ملحوظاً في معدلات الصراع والعنف بجميع أشكاله على الرغم من تطور الوعي بوحدة المصير الإنساني وبأهمية السلم كفرص من فروض التنمية والرخاء.

أن الحرب تنشط التقدم والتطور بمعدل أسرع من وقت السلم إذ أن الصراعات المسلحة تدفع الإنسان إلى الاختراع أو الهلاك. وهذا يدفعنا إلى الجزم بأن السلام أبداً لم يكن حاله دائمة في أي مكان أو زمان، فالصراع هو جوهر الحياة ولا يمكن تصورها بدونها، فهو سمة من سمات الحياة الإنسانية، ووسيلة من وسائل تعديل النظام الاجتماعي كما أنه أداة لتحقيق توازن القوى بين ما

(١) بكين: احقاق حقوق المرأة، "منظمة العفو الدولية" - تاريخ النشر فبراير ٢٠١٠
(٢) نفس المصدر السابق

نريد وما يمكن أن نحصل عليه. حتى أن هناك من يرى بأن تعريفنا للسلام بأنه غياب الحرب والعنف والصراع، فيه تناقض مع حقيقة أن الصراع أمر أساسي في الحياة، فإذا كان السلام عدم وجود صراع ففي هذه الحالة فإن السلام يعني الموت. وحديثنا هذا لا يعني اليأس في تحقيق السلام أو ابتعدنا عن طلبه فإذا كان الصراع سمة الحياة فالسلام هو الذي يعطينا الحياة، إذ ما هو السلام وما الذي نعنيه بهذا المفهوم، وهل هو مطلب واقعي يمكن تحقيقه أم أنه شيء غير واقعي. لقد اختلفت الآراء والتوجهات في تعريف هذا المفهوم، كما اختلفت في توضيح ورصد أسباب إحلاله وكذلك انهياره، وهو كأى مفهوم آخر تعددت تعريفاته تبعاً لتعدد استخداماته وأغراضه، هذا فضلاً عن أن المفهوم عادة ما يرتبط بإطار فكري وثقافي معين يكون له أثر كبير في تعريفه وتحديد طبيعته، ففي اللغة السلام من سلم، وهو يستعمل اسماً بمعنى الأمان والعافية والتسليم والتحية، ومن جهة نظرة سياسية وعسكرية فالسلام في أبسط معانيه يعني (عدم الحرب. وحالياً لم يعد موضوع السلام هو فقط عدم الحرب، بل أصبح للسلام أبعاد عديدة ترتبط بها إشكاليات كثيرة، فالعدل، احترام حقوق الإنسان، الأمن، الحفاظ على البيئة، عدم العنف، الاستقرار، التسامح، التعاون، فهم الآخر، الديمقراطية، حرية التعبير والمشاركة السياسية، وعدم التمييز، الهوية، كلها تدخل ضمن أبعاد مفهوم السلام المختلفة والتي لم تعد تقتصر على المدلول السياسي فقط، فهناك المدلول الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والأمني والبيئي إلى الجانب السياسي هذا من جانب، ومن جانب آخر هناك إشكالية تتعلق بالعلاقة بين ثلاثة أبعاد تتصل بمفهوم السلام وهي المفهوم نفسه أي "السلام"، تعريفه، والعمل على تحقيقه. فإذا ما عرفنا السلام بأنه عدم الحرب فإن كل جهودنا تكون مركزه على الحرب كيف نمنع قيامها، كيف نتحكم في مسارها، كيف السبيل إلى إيقافها وما إلى ذلك، فهذه استراتيجيات ارتبطت بتعرفنا للسلام بأنه عدم الحرب، وبالتالي إذا ما توصلنا إلى منع الحرب أو إيقافها فإننا في هذه الحالة حققنا السلام المنشود.

أ - السلام العالمي: بعد الحرب العالمية الثانية وتشكيل الأمم المتحدة ساد مفهوم العالمية على كل وصف وتصنيف للظواهر السياسية خاصة في مجال العلاقات الدولية، وانبرت المنظمات الدولية والإقليمية تتسابق في تحقيق العالمية لأهدافها ومبادئها فقد استشعرت الأمم المتحدة كمنظمة دولية أهمية تكاثف الجهود الدولية لتحقيق الازدهار والرخاء والسلام العالمي لفترة ما بعد الحرب، والذي بينته خبرة الحرب، فنبهت بأن مطلب حفظ السلم والأمن الدوليين والذي جعلته أولى مقاصد المنظمة، هو مطلب عالمي يجب على كل الدول أن تتكاتف لتحقيقه. فبينت بأن السلام العالمي لا يتحقق فقط من منع استخدام القوة في العلاقات الدولية، أو مشروعية إعلان الحرب، وإنما في الإيمان بالحقوق الأساسية للإنسان وتحقيق العدالة واحترام الالتزامات وبالاعتراف بكرامة الفرد والحقوق المتساوية للرجال والنساء، والتسامح وحسن الجوار. ومع تطور الثورة

العلمية والتكنولوجية في نهاية القرن العشرين دخلت مضامين حديثة على السلام العالمين فصار هناك أمن مائي وأمن بيئي وأمن غذائي وارتبط ذلك بالسلام العالمي، فأزمة الغذاء الحالية تهديد للسلام العالمي والصراع على المياه يحمل معه بذور صراعات دولية مستقبلية جديدة. هذا إلى جانب تغير وتطور أشكال الصراعات الدولية وزيادة حدتها فلم تعد صراعات حدود وزعامة ومناطق نفوذ فقط. بل أصبحت صراعات أفكار أيديولوجية ومعتقدات دينية. كما حملت الصراعات المحلية بذور تهديد للاستقرار الإقليمي وتطلبت تدخلاً دولياً لإنهائها كصراع البوسنة أو أزمة البلقان، حتى أن صراع الإقليم داخل الدولة الواحد غدى ينظر إليه على أنه تهديد للسلام العالمي كصراع (دارفور) مثلاً وتعددت مجلس الأمن الدولي بخصوص قضايا محلية، وإقليمية نوقشت على أساس تهديدها للسلام العالمي.

ب - السلام الإقليمي : وهو ما يرتبط بتحقيق الاستقرار والأمن في منطقة إقليمية معينة، في الماضي انصرف هذا المفهوم إلى تدعيم قيم حسن الجوار، وعدم التدخل في شؤون الداخلية للدول الأخرى، واحترام الدول الكبيرة للدول الصغيرة، والتعاون الاقتصادي بين الدول المتجاورة، وتنشيط وتفعيل الاتصال الثقافي والمصالح المشتركة بين الدول المتجاورة، وحالياً مع تزايد حدة الصراعات الطائفية لوجود الأقليات المنتشرة في الأقاليم المتجاورة، تضمن مفهوم السلام الإقليمي مضامين محلية كانت تقتصر مناقشتها على الدولة القومية، الأمر الذي استدعى تطوير آليات جديدة لتحقيق هذا المفهوم واستنفار وتكاتف الجهود الإقليمية مجتمعة لإعادة الاستقرار في المنطقة.

ج - السلام المحلي: هو السلام داخل الدولة الواحدة، وهنا تختلف المفاهيم والرؤى فما تعتبره الدولة شأن داخلي قد لا تعتبره الدول الأخرى كذلك. فأحداث كصراع الفئات الاجتماعية على السلطة، والعجز الاقتصادي، والتهديد الخارجي، وشغب الأقليات الطائفية، الدينية، والضعف السياسي كلها مسببات للصراع الداخلي العنيف الذي يمكن تصديره للخارج عن طريق الأقليات المتجاورة عند الحدود المشتركة وبالتالي تحمل بذور تهديد إقليمي يستلزم التدخل في الشؤون الداخلية للوحدة السياسية وأحداث العراق خير مثال على ذلك.

وهناك من يرى أن الإشكالية في السلام التي نواجهها هي اختلال في التوازن والانسجام بين القيم، فهناك خلل في الأفكار والمواقف والسلوكيات التي نتعامل بها ومعها وهذا من شأنه أن يشكل عائقاً أمام تحقيق السلام وقبوله كقيمة أو رفضه وبالتالي فإن عوائق السلام ليست عوائق سياسية فحسب، بل هي عوائق اقتصادية واجتماعية وثقافية تتصل بالإرث الثقافي والتاريخي للمجتمعات، ومن هنا كانت أهمية بناء ثقافة للسلام تعمل على جعل السلام جزءاً من البناء

الإدراكي والقيمي للفرد أو محدداً من محددات سلوكه. وما يلاحظ على مفهوم السلام في الوقت الحاضر:

أولاً : هو تغير النظرة والفكرة للسلام، ففي الماضي كان السلام يعني مجموعة من الاستراتيجيات والآليات اللاحقة للصراع أو الحرب"، أي تهدئة الأوضاع وحل الصراعات ووقف الحروب ومعالجة أثارها لمنع قيامها من جديد، أما في نهاية القرن العشرين فإن التفكير في السلام والنظر إليه أصبح- معنى استباقي - إذ أن الجهود بدأت مركزة على كيفية فاعلية منعنا لقيام صراعات مستقبلية كتلك القائمة حالياً، هذا بالإضافة إلى جهود حل الصراعات القائمة.

ثانياً : وبدت النظرة على فكرة السلام بأنها جزئية أكثر منها كلية إذ نلاحظ تركيز أكبر على الفرد مقابل المجتمع وعلى الدولة مقابل دول وعلى العوامل والروابط التي تربط إقليم بعينه مقابل العالم ككل. فكثرت الدراسات التي تناولت الفرد وتنشئته الاجتماعية وانتماءاته الدينية والطائفية والسياسية، كذلك الدراسات التي تركزت على بناء الهوية والانتماء والولاء في المجتمع، والروابط الفكرية والثقافية التاريخية بين المجتمعات المختلفة والتي من شأنها أن تدعم السلام أو تفوضه، فهذه الدراسات اتخذت منحنى داخلي أو محلي خلافاً لدراسات السلام ذات المنحنى الدولي.

ثالثاً: تطور الوعي الفكري من قبل الساسة والمفكرين والمتقنين على حد سواء بأن مسؤولية إحلال السلام لا تقع على الجيل الحاضر فقط وإنما المسؤولية الأكبر هي في حماية الأجيال القادمة من ويل صراعات وحروب وترسبات ماضية تهدد مستقبلهم ومعيشتهم.

رابعاً: هو اتساع مفهوم السلام وشموليته واتصاله بكل مجال من مجالات الحياة لدرجة يتطلب فيها جهود جميع الجهات لتحقيقه. حكومية وغير حكومية محلية وإقليمية ودولية. وهذا راجع لتعدد طبيعة الصراعات الحالية وتشابكها وعجز الجهات المحلية عن حلها.

معوقات تحقيق السلام.

بما أن عوامل تدعيم السلام عديدة فإن معوقاته عديدة كذلك، ويمكن أن نقول بأن عوامل تدعيمه يمكنها أن تكون عائقاً لإحلاله إذا ما استخدمت لغرض الصراع والعنف، فالعنصرية والاعتقاد بتفوق جنس معين عن بقية الأجناس أو حضارة عن الأخرى، يمثل عائقاً للسلام، والاختلافات الثقافية يمكنها أن تكون عائقاً لسلام إذا ما كانت سبباً في سوء الفهم والشك كذلك القومية أو التعصب القومي وارتباطه بالسيادة، هذا إلى جانب الظروف الاقتصادية والاعتقاد بأن الحروب وسيلة لحل المشاكل، والاختلافات الطائفية والدينية تعد من أقوى أسباب الصراعات الأهلية

والدولية إذا وجدت الظروف الموضوعية المساندة. وأخيراً فإن التفكير المحدود لأفكار السلام يعد سبباً لإعاقة. وهذه الأفكار هي ما يتناولها "مفهوم ثقافة السلام" فهي تحمل معنى الاستباقية الذي تحدثنا عنها من حيث تركيزها على جوانب ثقافية، فردية، اجتماعية، اقتصادية، سياسية، دينية، تربوية، قانونية، معنوية أكثر منها إجرائية أو مادية وكذلك تتضمن في محتواها معنى – المقاومة – أي المقاومة – أي مقاومة كل ما شأنه أن يعوق السلام ويمنع تحقيقه، وربما ذلك راجع للاعتراف بأهمية التكوين النفسي والفكري للفرد كمتراجم لسلوكه وارتباطه ذلك بطبيعة المجتمع وتركيبته الثقافية وتأثير ذلك كله على طبيعة الصراعات وتطورها. لقد ظهر مفهوم ثقافة السلام في بدايته بعد الحرب العالمية الثانية تحت عنوان "بحوث السلام" ومن بعد تبنته منظمة الأمم المتحدة، غير أن هذا المفهوم قد تطور أخيراً في نهاية القرن الماضي وظهر ذلك في عدد من المؤتمرات والندوات والإعلانات ذات الصلة التي تناولت تحليل أبعاد هذا المفهوم ومرتكزاته وطرق تحقيقه، على اعتبار أن ثقافة السلام هي "ثقافة للتعايش والتشارك المبنية على مبادئ الحرية والعدالة والديمقراطية والتسامح والتضامن، هي ثقافة ترفض العنف وتدعو لحل المشاكل عن طريق الحوار والتفاوض" **هل يوجد مصدر لهذه الفقيه؟** كما حدد بيان موسكو بشأن السلام أهم مرتكزات ثقافة السلام فقد اعتمدت الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) برنامج ثقافة السلام (عام ١٩٩٢) كإستراتيجية لبناء السلام والمصالحة في مرحلة ما بعد النزاعات. وفي عام ١٩٩٦ أطلقت اليونسكو مفهوم ثقافة السلام وبالنسبة للمنظمة فإن هذا المفهوم يعني المكونات التالية:

١. إحلال اللاعنف محل القوة والعنف كأداب لإحداث التغيير.
٢. تعبئة الناس لتشجيع التفاهم والاحترام، والتضامن.
٣. إحلال نظم الديمقراطية الفعالة محل الأنظمة التراتبية أو الاقتصادية في الحكم.
٤. وجود تدفق حر للمعلومات متوفر للجميع يحل محل احتكار بعض المجموعات للمعلومات.
٥. إحلال ثقافة مبنية على التقاسم المتساوي للسلطة بين الرجال والنساء محل ثقافة السيطرة الذكورية.

المبحث الثاني، العلاقة بين التنمية الاجتماعية للمرأة وتحقيق السلام

للمرأة دور أساسي ورئيسي في عملية نشر ثقافة السلام، غير أن هذا يتطلب القبول بإعطائها هذا الدور، وأن تحرير المرأة والقبول بمشاركتها في الحياة العملية قد مر بمراحل عديدة خاصة في دولنا العربية حتى أنه بقي بعض الدول مازال تطور المرأة وتحريرها في مراحلها الأولى، ذلك إن مشاركة المرأة على الصعيد الاقتصادي والسياسي تعترضه عوائق عدة وتختلف هذه

العوائق من حيث التكوين الثقافي والتطور الاجتماعي في المجتمعات المختلفة، وحالياً ونحن نعلق آمال عريضة على دور المرأة في تعزيز ثقافة السلام علينا الانتباه إلى عدة أمور:
أولاً: علينا أن نحدد ما هو المطلوب من المرأة تحديداً أو بمعنى آخر ما هو الدور الذي نريد للمرأة أن تلعبه في هذه القضية.

ثانياً: يجب الاهتمام بمعوقات دور المرأة بشكل عام فالمناخ الفكري والثقافي السائد في المجتمع ودرجة التعليم عوامل من شأنها أن تخبرنا بمدى قبول أو رفض المجتمع لهذا الدور.

ثالثاً: يجب التركيز على حملات التوعية على مستويين مستوى خاص يكون مركز على المرأة ذاتها لتوعيتها بما هو مطلوب منها، وبمستوى عام يكون موجه إلى المجتمع ككل بجميع فئاته ليستوعب أهمية وفائدة ما تقوم عليه ثقافة السلام، وهنا يجب أن ننوه بأهمية الجهة المسؤولة عن القيام بهذه الحملة، ما إذا كانت حكومية أو غير حكومية، ففي هذه الحالة قد لا يتم الالتفاف إلى الجهات الخاصة كثيراً، ولا تعطي أهمية كبيرة خاصة إذا كانت هذه الجهات نسائية، أما إذا كانت الجهة حكومية واتخذت في نشاطها طابع قومي، عندها تكتسب ثقل أكبر، كما أن الإمكانيات في هذه الحالة تكون أوسع وأشمل بشكل يخدم حملة التوعية وأهدافها، هذا لا يعني عدم أهمية المنظمات المحلية غير الحكومية، فهذه إن وجدت الدعم والإمكانية تكون عنصر فعال في هذه المسألة.

أن من أهم القيود التي تعترض دور المرأة هو النظرة الدونية المتخلفة لها، فما زالت بلادنا العربية أسيرة النظرة الموروثة للمرأة على أنها مخلوق في مستوى أدنى من الرجل فغلبة الذكورية داخل الأسرة والمجتمع أدت إلى إقصاء المرأة عن ميادين الخدمة العامة، الاجتماعية والسياسية بسبب هذه النظرة.

١. **العنف والفقر:** هذه الثنائية المأساوية التي تهدم طاقات المرأة فالعنف المنزلي وسوء المعاملة، فالعنف قد يكون نتيجة للفقر أو سيادة النظر الدونية للمرأة وفي الحالتين يمثل قيداً على عمل المرأة وحريتها في ممارسة دورها. والحاجة قيد بإمكانها أن تهبط أي عزيمة، فهناك رابط بين العنف والفقر وهذا لا يعني عدم وجود العنف ضد النساء في الدول الغنية ولكن الفقر يعد سبباً قوياً من أسباب العنف فالظروف الاجتماعية القاسية التي تعيشها الأسرة الفقيرة تمثل شكلاً أساسياً من أشكال العنف الاجتماعي الذي يعاد إنتاجه مرة أخرى داخل الأسرة بناءً على توزيع القوى الداخلية والخارجية فقد ذكر في تقرير الرابطة الديمقراطية لحقوق المرأة في المغرب إن ما يزيد على ٩٦% من أعمال العنف ضد النساء ترتكب من طرف الزوج. وفي دراسة لعادل مجاهد الشرجي، عن العنف العائلي ضد المرأة في اليمن أن أسباب العنف العائلي هو النظرة التمييزية القائمة على أساس الجنس، ويقدم تحليله للعلاقة بينهما من خلال منظورين رئيسيين هما:

التوجهات الثقافية، وبناء السلطة العائلية. حيث يشرح فيهما علاقات النوع الاجتماعي والمستوى الاجتماعي والثقافي وتأثيرها على العنف ضد المرأة. أما الفقر والذي تركز المؤشرات العالمية المتاحة حول الفقر بأنه يشكل أحد أخطر التحديات التي نواجهها في الألفية الثالثة خاصة ذلك الواقع على المرأة والذي عبرت عنه وثائق عالمية وعربية ومصطلح "تأنيث الفقر" فإنه يمثل أهم القيود على دور المرأة^(١).

٢. **التعليم:** فهناك تفاوت بين الجنسين في كل مراحل التعليم. فالتعليم أمر مهم وأساسي لتحقيق استفادة قصوى من المرأة فكيف نتوقع أن تربي الأم الجاهلة علماء؟ وكيف تربي الأم المضطهدة أحراراً؟ وكيف تربي الأم عديمة الشخصية أبناء ذوي شخصية قوية. فالتعليم والمعرفة هما السبيل لأي تنمية حقيقية وحرمان المرأة من التعليم يعني حرمان المجتمع من التنمية، لذا يجب الاهتمام بتعليم المرأة ومحو الأمية فقد جاء في تقرير التنمية البشرية للأمم المتحدة عام ٢٠٠٤ أن نسبة الأمية في صفوف المرأة في العالم العربي تصل إلى ٥٠%. وفي الألفية الثالثة ومع التطورات المذهلة في مجالات التكنولوجيا الحديثة وخاصة ثورة الاتصال والمعلومات فإن المرأة تواجه خطر الإقصاء بسبب انخراطها المحدود في العلوم، وفي التكوين التقني. وفي ظل ذلك لن يكون بإمكان المرأة أن تكون شريكة فاعلة في نشر ثقافة السلام.

٣. **انتشار الحركات الأصولية الدينية والفكرية:** قد اتسم الخطاب الديني المعاصر برفض مظاهر التغيير التي أدت إلى تحول نوعي في وضعية المرأة. كما طرح تصورات قمعية، تنادي بعودة المرأة إلى بيتها.

٤. **عدم تطبيق التشريعات الدولية التي تكفل حقوق المرأة السياسية والاجتماعية والإنسانية،** فمازالت التشريعات قاصرة في معظم البلاد العربية عن حماية المرأة ويقل مساحة الممكن لديها.

٥. **ضعف دور مؤسسات المجتمع المدني** في دول كثيرة سواء تلك الخاصة بالمرأة أو التي تهتم بالمجتمع بشكل عام عن القيام بدورها في توجيه وإرشاد وتنقيف المرأة بحقوقها وحل مشاكلها ورعايتها بنشر ثقافة السلام وهذا يحتاج إلى توعية مكثفة للمرأة في كل مكان. إن تجاوز تلك المعلومات يتطلب القيام بالإجراءات الآتية: -

أ. إصلاح وضع المرأة من خلال التشريعات الخاصة بها وهذا يتطلب وعي المرأة بحقوقها والدفاع عن قضاياها وهذا لا يتحقق إلا بشرط آخر وهو المعرفة والمشاركة الفعلية المتكافئة للمرأة في الواقع النظري والفكري وإزالة جميع أشكال التمييز التشريعي ضدها.

(١) مركز جسور للدراسات والتنمية، طريق المرأة الليبية نحو السلام، ٢٠١٨، لندن، ص٧.

ب. تحسين أوضاع البيئة الاجتماعية في بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا حتى يمكن الحديث عن دور للمرأة في بناء ثقافة. فهناك تعارض بين الأفكار النهضوية والتنويرية بخصوص المرأة مع الإطار الثقافي والاجتماعي فجاح هذه الأفكار يشترط أن تتحول إلى ركن أساسي في الوعي الاجتماعي. إذ كيف نطلب من المرأة أن تنشر ثقافة وهي ضحية ثقافة في كثير من المشاكل التي تعانيها، وهذا يتطلب أن نبدأ من البداية أي عن طريق التربية الاجتماعية للأجيال التي تراعي الفوارق بين الجنسين والتدريب من أجل اللاعنف والمساواة والشراكة، مع التركيز بصفة خاصة على الفتيان والشبان. ويمكن عمل ذلك من خلال تخليص الكتب والمناهج الدراسية من الصور والنماذج النمطية التي تكرر التمييز ضد المرأة وتظهرها في أدوار معينة، فقد تضمن إعلان منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) في العام ١٩٩٥ هذا المعنى في إطار العمل المتكامل بشأن التربية من أجل السلام وحقوق الإنسان والديمقراطية. وذلك بتشجيع إعادة النظر في المناهج التعليمية.

ج. تحقيق التقدم على صعيد تعليم المرأة ومحو الأمية ورفع الوعي والمعرفة في تعزيز قيم السلام وتقدير قيمة التنوع والتعاون في عالم اليوم المتداخل.

هـ. يجب توعية المرأة ذاتها بحقوقها من خلال نشر مفاهيم ومبادئ حقوق الإنسان للمرأة من خلال مجالات توعية شاملة ولفئات عمرية مختلفة بين الرجال والنساء وتقديم برامج توعية تعد لهذا الغرض.

و. ضرورة إشراك المجتمع المدني على الصعيد المحلي والإقليمي والوطني وتوسيع أنشطته المتعلقة بثقافة السلام خاصة تلك التي تتناول المرأة في برامجها. اثناء برامج الأحزاب السياسية ودعمها من خلال دور منظمات المجتمع المدني في نشر ثقافة السلام على الصعيدين المحلي والدولي.

ز. الحماية القانونية للمرأة وذلك من خلال مواصلة الإصلاحات القانونية وملائمتها للمعايير الدولية لحماية حقوق المرأة من كل أشكال التمييز والإقصاء والعنف.

المبحث الثالث - التمكين الإقتصادي للمرأة العراقية وعلاقته بالسلام

أولاً، مفهوم التمكين الاقتصادي .

يرتبط تاريخ مصطلح التمكين بتاريخ حركات التحرر الوطني وحركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة الأمريكية . حيث يركز على تمكين أفراد المجتمع اقتصاديا وسياسيا من خلال تغيير البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تولد الاضطهاد والتمييز العنصري ليس ضد النساء فقط ولكن ضد الغالبية من الفقراء والمعدمين والمهمشين اجتماعيا واقتصاديا.

تختلف الآراء حول جوهر مفهوم التمكين إذ يتم التركيز في الإقتصاد الرأسمالي على توسيع خيارات الأفراد وتمكينهم لاتخاذ القرارات المتعلقة بمستوى معيشتهم والذي يساعد المرأة من السيطرة على حياتها والوصول إلى المصادر المعيشية المتوفرة كالمشاركة في سوق العمل والاستفادة من الخدمات الرأسمالية الموجودة. ينتقد هذا المفهوم بكونه لايربط تمكين الأفراد بالجماعة ولا يتطرق للأسباب التي أدت إلى التهميش أو عدم التمكين وهو ما يستدعي فحص المفاهيم ونقاط التقارب التي تتبعها المؤسسات الرسمية والغير الرسمية في تشكيل الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للنساء والرجال والتي تشكل صميم العلاقات الاجتماعية .

يتم الربط في هذا الإطار بين التمكين الفردي والجماعي من جهة وبين توسيع الخيارات من جهة أخرى بحيث تتضمن القدرة على تحدي وتغيير التمييز وعدم المساواة بين الطبقات الاجتماعية. وتؤدي الدولة في هذا التوجه وليس الأفراد فقط أو الجماعات دورا أساسيا في تغيير بنى التمييز وعدم المساواة سواء عبر التشريعات او السياسات المتبعة .

ويستلزم تمكين المرأة تحقيق مايلي:

١. المساواة في فرص اكتساب القدرات والمؤهلات البشرية وتوظيفها من قبل الرجال والنساء.

٢. ضمان حقوق المواطنة لجميع النساء على قدم المساواة مع الرجال.

٣. الإقرار بوجود الاختلاف بين الجنسين واحترام هذا الاختلاف ولا يمكن استخدام هذا الاختلاف في تبرير الدعوات للتمييز بين الجنسين (١).

ثانياً، الواقع الاقتصادي للمرأة العراقية

يؤثر الإقتصاد العراقي تأثيرا كبيرا على درجة التمكين الاقتصادي للمرأة في العراق، حيث يتميز نمط الإنتاج وطبيعة الأداء الاقتصادي في العراق بسيادة الربيع وضعف النمو الاقتصادي. تشير بعض الأدبيات الى ان العائدات النفطية قد خولت البعض إلى أن يعيلوا عددا كبيرا من الأشخاص غير العاملين التابعين لهم خاصة النساء فضلا عن انتشار قيم ثقافية محافظة مثل إعلاء دور العائلة التي تركز على ادوار تكاملية بين الرجل والمرأة وليس على المساواة. الافتراض بأن الرجل هو المعيل الرئيس للأسرة فضلا عن مفهوم شرف العائلة الذي يربط بين شرف وكرامة العائلة بصيت نساؤها أو ما يطلق عليه إجمالا مؤشر العادات والتقاليد او (القيم الاجتماعية) من الأسباب المهمة التي تؤدي إلى ضعف مشاركة المرأة في سوق العمل وفي تدني نسبة مشاركة النساء في النشاط الاقتصادي في العراق.

(١) نبيل جعفر عبد الرضا، آليات التمكين الاقتصادي للمرأة العراقية، ٢٠١١، ص٣، موقع الحوار المتمدن.

وتترتب على الصفة الريعية للإقتصاد الوطني العراقي وانخفاض معدلات النمو الاقتصادي وهشاشة البنى الانتاجية وضعف وتائر التطور في الإقتصاد العراقي مما أدى إلى انتشار الفقر والبطالة وانعدام العدالة الإجتماعية في توزيع الدخل والموارد مما اثر سلبيا على التمكين الاقتصادي للشعب عموما والنساء بالذات. ونتيجة لضيق سوق العمل في العراق وانتشار التعليم بين الإناث والتحيز المجتمعي غير الرشيد ضد تشغيل النساء لإعطاء الأولوية للرجال في الحصول على فرص العمل مما أدى إلى ارتفاع معدلات البطالة بين النساء وخاصة المتعلمات . فقد شهد العراق في الآونة الأخيرة انسحاب الدولة من بعض المفاصل الاقتصادية والخدمية والحد من التشغيل في الإدارة الحكومية وهو قطاع التشغيل المفضل والحامي لحقوق النساء مما أدى إلى تبلور ظاهرة خطيرة تتمثل في توافر رأس مال بشري مؤهل بين النساء يعاني من معدلات بطالة أعلى من المتوسط (بالمقابل تشكل النساء نسبة ١٣,٩ ٪ فقط من القوى العاملة (١).

واسهم عامل آخر في إضعاف المرأة من الناحية الإقتصادية ، فقد ادى التمييز بينها وبين الرجل في الأجور حينما تعمل في القطاع الخاص الى انخفاض نسبي في دخل المرأة من العمل . تواجه المرأة العراقية مجموعة من العقبات التي تؤثر سلبيا على دورها الاقتصادي والتنموي مما يقوض من فرص تحقيق تنمية مستدامة تؤدي فيها المرأة دور الشريك الحقيقي في التنمية والبناء من خلال مساواتها مع الرجل في الفرص الاقتصادية المتاحة وتسهيل وصولها إليها وتذليل العقبات التي تواجهها سواء كانت تشريعية أم قانونية أم اجتماعية أو غيرها من العقبات . وحسب احصائيات وزارة التخطيط العراقية لعام ٢٠١٨ تشكل المرأة نحو ٤٩ ٪ مقابل ٥١ ٪ للرجال ، أي ان النساء يشكلن نصف المجتمع تقريبا، إلا أن النسبة بحد ذاتها لا تشكل قيمة إن لم يكن لها وزناً اجتماعياً وإقتصادياً وحتى سياسياً. وبالرغم من أن المرأة العراقية أحرزت تقدماً هاماً في مجالات عديدة لعل في مقدمتها التعليم والعمل الاجتماعي وغيرها، إلا أن معدل نشاطها الاقتصادي ما يزال متدنياً.

تشكل النساء نسبة ٥٤ و٦ ٪ من إجمالي الفئة المنتجة في العراق والذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ إلى ٦٤ سنة وهو مايفرض تحدياً جديداً للسياسة الاقتصادية تتمثل بضرورة توفير فرص عمل كافية للنساء ممن هم في سن العمل وتوفير البيئة الاقتصادية المناسبة لعمل المرأة بما في ذلك حصولها على استحقاقاتها من التقاعد والضمان الاجتماعي.(٢)

(١) نبيل جعفر عبد الرضا و مروة عبد الرحيم، الخسائر الناجمة عن ضعف مشاركة المرأة العراقية في النشاط ص٣

(٢) نفس المصدر السابق ص ٦.

ونحاول هنا تحديد المساهمة الكمية المحتملة للمرأة العراقية في الاقتصاد الوطني العراقي، إذا ارتفعت نسبة مشاركة المرأة في القوى العاملة من ١٣,٩ % في العام ٢٠١٨ (السنة الأساس) إلى ٤٠ %. فعلى الرغم من أن النساء يشكل ٤٩ % من السكان في سن العمل، إلا أن معدل مشاركة المرأة في القوى العاملة العراقية بنسبة ١٣,٩ % تعتبر مساهمة ضعيفة لا تتعدى ٨,١٢ % في الناتج المحلي الإجمالي غير النفطي^(١). وهذا يعادل ٨,٥٢ مليار دولار أمريكي. وعلى أساس بقاء جميع العناصر الأخرى ثابتة، وتمكنا من رفع معدل المشاركة إلى ٤٠ %، فستكون مساهمة المرأة في الناتج المحلي الإجمالي ٢٤,٧٢ مليار \$، أو ٢٣,٥٨ % من الناتج المحلي الإجمالي غير النفطي، أي ما يقرب ثلاثة أضعاف القيمة الحقيقية (٨,٥٢ مليار \$)^(٢) مصدر لهذه الفقرة. ومع ذلك، فإن مثل هذه الزيادة سوف تتطلب زيادة في القدرة الاستيعابية للاقتصاد، أي زيادة في الاستثمار في البنية التحتية الاجتماعية والمادية وكذلك في قطاعي الإنتاج والخدمات، وعندها من المرجح أن تكون الزيادة في الناتج المحلي الإجمالي أعلى بكثير خلال المدى المتوسط إلى المدى الطويل. ولكي يتحقق هذا، يجب وضع خطط اقتصادية مدروسة بشكل جيد.

ثالثاً، الوضع الاقتصادي للمرأة الريفية في العراق

يشير التقسيم النوعي للعمل بين الجنسين في الزراعة الى مساهمة المرأة الواضحة في جميع مراحلها ولكن يتركز دورها في الأعمال اليدوية والتي تحتاج الى كثير من الصبر والتحمل مثل السقي و غرلة المحاصيل الزراعية وتحضين النباتات اذ تبلغ مساهمتها في هذه العمليات اكثر من الرجل.

ولا تحظى نسبة مشاركة المرأة الريفية في العمل المأجور إلا بنسبة قليلة ٥,٤ % من مجموع النساء الريفيات و ١٠,١ % من مجموع النساء اما مشاركة النساء في الحضر فهي اكثر من ثلاثة اضعاف مشاركة النساء في الريف وان معدل النشاط الاقتصادي للنساء يبلغ ١٣,٢ % في الريف و ١٣,٦ % في الحضر اما معدلات البطالة في الريف اقل من الحضر حسب نتائج المسح الاجتماعي والاقتصادي للأسرة في العراق لسنة ٢٠١٢.^(٣)

والملاحظ ان القطاع الخاص هو القطاع السائد لأغلب المشتغلين حيث ترتفع نسبة مساهمة الرجال المشتغلين عن النساء المشتغلات لهذا القطاع. اما القطاع الحكومي فيأتي في المرتبة

(١) نبيل جعفر عبد الرضا و مروة عبد الرحيم، الخسائر الناجمة عن ضعف مشاركة المرأة العراقية في النشاط الاقتصادي، ٢٠١٥، موقع الحوار المتمدن، ص ٧

(٢) وزارة التخطيط العراقية، الجهاز المركزي للإحصاء، احصاء سنة ٢٠١٨

(٣) نفس المصدر السابق.

الثانية حيث بلغت نسبة النساء المشتغلات بالقطاع الحكومي ٨٧,٨% وبلغت نسبة الرجال المشتغلين في نفس القطاع ٤٥,٣% ويرجع ذلك الى تفضيل النساء العمل بالقطاع الحكومي لتوفر اجازات الأمومة لرعاية الاطفال حيث يعتبر القطاع الخاص غير مرغوب لدى النساء لذلك تعمل به نسبة ضئيلة من النساء قياساً الى الرجال (١) . فقد لوحظ ان نسبة العاملات لدى الاسرة بدون اجر ترتفع نسبتهن في الريف ونظراً لكون هذا العمل ليس له عائد نقدي فان عمل المرأة بهذه النسبة المرتفعة في اعمال خاصة بالأسرة وبدون اجر نقدي يقلل من مردود ذلك العمل.

وتشير بيانات مسح شبكة معرفة العراق (IKN) لسنة ٢٠١١ إن توزيع الأفراد العاملين بعمر ١٥ سنة فأكثر يتوزعون على الأنشطة الاقتصادية بنسب متفاوتة بين ذكور وإناث إذ إن معدلات العاملين في الزراعة والصيد والغابات وصيد الأسماك ترتفع في الريف أكثر من الحضر حيث تصل نسبة الإناث العاملات في هذا القطاع إلى حوالي ٨١% مقابل ٢٧% للرجال في الريف وتقل بمستويات عالية في الحضر حيث إن نسبة العاملين في هذا القطاع من الإناث هي ٤% مقابل ٢% للذكور وبشكل عام يمكن القول إن الإناث تشكل القسم الأكبر من العاملين في هذا القطاع اذ تصل نسبة العمل فيها للإناث إلى ٣٠% مقابل ١٠% للذكور. (٢).

وتعتبر مشاركة المرأة العراقية في النشاط الاقتصادي متدنية إذ لم تتجاوز ٢٢% العام ٢٠١٨ مقابل ٧٨% للذكور، وهو مؤشر يدل على ارتفاع معدلات البطالة بين النساء في سن العمل وعلى ان فرص العمل تميل لصالح الرجال على حساب النساء ولهذا السبب ارتفعت البطالة بين النساء إلى ٢٥% عام ٢٠١٨ . إن الحقيقة التي لا ينبغي إغفالها هنا هي إن المرأة تعمل بمستويات عالية في الريف لكن عملها غير منظور بالحسابات المهنية والإنسانية والاقتصادية، لذا فإن مساهمتها لا تدرج ضمن النشاط الاقتصادي الرسمي وقد انعكس هذا الغبن التاريخي في بخس مساهمة المرأة في النشاط الاقتصادي أما في الحضر فان الصورة مختلفة إلى حد كبير، فالحياة الحضرية، مع استمرار تأثير الثقافة التقليدية، تمثل بيئة أكثر انفتاحاً وأقوى اعترافاً بحقوق المرأة. كما إن فرص العمل المتاحة لها تتنوع فتصبح المرأة أكثر قدرة على الاختيار.

على الرغم من تزايد حضور النساء في مجالات النشاط البشري خارج نطاق الأسرة ولكن لازال يعانين من درجة الحرمان النسبي في توظيف قدراتهن في مجالات النشاط التقليدية التي مال الرجال للاحتفاظ بالدور الغالب فيها مثل النشاط الاقتصادي الرسمي والمؤسسات السياسية. اذ تمتلك النساء بحدود ٢,٣% من الشركات الصغيرة والمتوسطة الحجم في العراق، وهو

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) شبكة معرفة العراق (IKN) لسنة ٢٠١١، بغداد، ٢٠١١.

ماينعكس سلبا على مشاركة النساء العاملات في العراق. أما في الاتحادات والجمعيات المهنية فلاتزيد مساهمة النساء العاملات في غرف التجارة واتحاد الصناعات واتحاد رجال الاعمال عن ٣.٠%.

تعاني النساء العاملات من انخفاض نسبي في عوائد العمل مقارنة بنظرائهن من الرجال ويزداد التفاوت في القطاع الخاص حيث يتسم التوظيف في الدوائر الحكومية والقطاع العام بدرجة أعلى من احترام القيد القانوني على المساواة في عوائد العمل .

تشكل نسبة النساء العاملات في الاجهزة والدوائر الحكومية في العراق نحو ٤٩,١% مقابل ٢٦,٩% للرجال في العام ٢٠٠٧. في حين كانت نسبة النساء العاملات في القطاع الخاص ٤٤% مقابل ٦٦,٢% للرجال. وهو يعكس ميل النساء للعمل في القطاع الحكومي لضمان دخل ثابت ومستقر والحصول على الرواتب التقاعدية على خلاف العمل في القطاع الخاص الذي يخلو من هاتين الميزتين وهو ما يشكل تحدي جديد للحكومة العراقية والذي يتمثل بكيفية توفير فرص العمل بالكم والنوع الذي يناسب النساء مع الإشارة إلى أن النساء في بعض القطاعات الاقتصادية كالتعليم والصحة يحظين بالنصيب الوافر من فرص العمل المتاحة فيهما. وهذا ما يؤكد ارتفاع نسبة النساء العاملات في قطاع الخدمات وبالذات التعليم الى ٢٣% مقابل ٥٤% للرجال.(١)

وفي نفس السياق كشف أحدث تقرير صادر عن الجهاز المركزي للإحصاء، أن ٨,٣% من شريحة الشباب في العراق "أميون"؛ لا يجيدون القراءة ولا الكتابة.وأضاف تقرير الجهاز الإحصائي التابع لوزارة التخطيط العراقية أن "نسبة الأمية بين الشباب للفئة العمرية ١٥ إلى ٢٩ سنة بلغت ٨,٣%"، مشيراً إلى أن "نسبة الذكور منها بلغت ٦,٥%"، في حين شكّلت نسبة الإناث منها ١٠,٢%". وبيّن أن "نسبة ٣٢,٥% من شباب الفئة العمرية ١٥ إلى ٢٩ سنة ملتحقون بالتعليم حالياً، وشكّلت نسبة الالتحاق من الذكور ٣٥,٩%، مقابل ٢٨,٨% إناث". حسب موقع الخليج اون لاين. في حين أعلنت منظمة "هيومن رايتس ووتش" في شهر أيلول العام ٢٠١٨ أن ٦ ملايين لا يجيدون القراءة والكتابة، من أصل ٣٨ مليون عراقي أي ٢١,٠٥% من الشعب العراقي أميون(٢).

وبحسب تقارير سابقة لوزارة التربية، فإن نسب الأمية في القرى والأرياف هي أعلى منها في المدن والمناطق الحضرية، ويعود ذلك لجملة أسباب اجتماعية وأخرى تتعلق بضعف الجانب التوعوي.

(١) نبيل جعفر عبد الرضا ومروة عبد الرحيم، موقع الحوار المتمدن، ٢٠١٥، ص ٧.

(٢) وزارة التخطيط العراقية، الجهاز المركزي للإحصاء، ٢٠١٢

ان هذه النسب تعتبر مخيفة خاصة وان الامية في العراق كانت شبة معدومة في السنوات الماضية. ومن جهة اخرى كان العراق في العام ١٩٧٦ يتصدّر بلدان المنطقة لجهة جودة التعليم، إذ إنّه كان قد فرض إلزامية التعليم وأنزل عقوبات صارمة في حقّ من لا يلتحق بالدراسة، فضلاً عن تنظيم حملة شاملة لمحو الأمية انتهت بعد أربعة سنوات (سنة ١٩٨٠) بإعلان منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (يونسكو) نجاح العراق في مكافحة الأمية.

واوضحت مسؤولة ملف المرأة في مجلس المفوضين ان "التقرير الحكومي الاخير الصادر من الجهاز المركزي للإحصاء، والذي اشار فيه الى تفشي نسبة الامية بين الفتيات بنسبة ١٠,٢% خلال عام ٢٠١٧ فما دون والذي يعتبر رقما كبيرا قياسا بأعداد الاناث في ظل هذه الظروف المواتمة لتفشي الامية بين اوساط النازحين والمشردين وفاقدى المعيل بفعل الحروب والاهمال الحكومي الذي تسبب بدمار الكثير من المؤسسات التعليمية والثقافية. هذا وترتفع نسبة الأمية بين النساء في العراق الى ١٩,٥% مقابل ١٥% للرجال في العام ٢٠٠٨ وترتفع نسبة الأمية بين النساء العاملات إلى ٣٠%. إن الأمية تبقي المرأة في وضع مهمش وتشكل أكبر عقبة تحول دون تغلب النساء على الفقر المدقع في عالم قائم على التكنولوجيا وزادت فيه الأهمية القصوى لمهارات القراءة والكتابة. علما أن النساء يمثلن ثلثي إجمالي عدد الأشخاص الأميين الراشدين في العالم المقدر عددهم بنحو ثمانمائة مليون شخص (١)

هذا وقد أعلن البنك الدولي والحكومة العراقية والحكومة الكندية في ٧ تشرين الأول ٢٠١٨ عن تقديم منحة قدرها ١,٩٥ مليون \$ لدعم جهود العراق الرامية إلى تعزيز وتنفيذ برامج تمكين المرأة اقتصاديا سياسياً(٢).

يتألف برنامج "المرأة والحماية الاجتماعية في العراق: نحو التمكين الاقتصادي" من قسمين متكاملين، أولهما سيسهم في إنشاء قدرة تشريعية ومؤسسية طويلة الأجل لتعميم منظور المساواة بين الجنسين، في حين يطبق القسم الثاني برامج ستدعم التمكين الاقتصادي والسياسي للمرأة في العراق، بما في ذلك برامج ريادة الأعمال للمرأة الفقيرة.

وتعقبها على هذه المنحة، قال ساروج كومار جها، مدير دائرة المشرق بالبنك الدولي: "نحن متحمسون لإقامة شراكة مع حكومة كندا لدعم تمكين المرأة في العراق. ونحن ملتزمون بدعم المرأة في العراق وسنعمل بلا كلل لضمان حصول المرأة العراقية على فرصة المشاركة الكاملة في جميع جوانب الحياة والإسهام في التنمية الاجتماعية والاقتصادية للعراق" (٣).

(١) UNDP، التمكين الاقتصادي للمرأة ودمج المرأة في الاقتصاد العراقي 2012.

(٢) وزارة التخطيط العراقية. الجهاز المركزي للإحصاء، ٢٠١٢.

(٣) www.worldbank.org/iq وكذلك:

<https://www.facebook.com/CanadaetIraq/>

رابعاً، علاقة التنمية الاقتصادية-الإجتماعية بالسلام

يعتبر تعريف التنمية من التعريفات الصعبة لتشابك عناصره و اختلاط مفاهيمه فمفهوم التنمية يتجه دائماً للتنمية الاقتصادية أو الاجتماعية، ورغم هذه الاختلافات فإن الهدف العام لأي عملية تنمية هو استقرار و تطور للدولة. وعرفت هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٥٦ على التنمية بأنها "العمليات التي بمقتضاها توجه الجهود لكل من الأهالي والحكومة بتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات المحلية لمساعدتها على الاندماج في حياة الأمم والإسهام في تقدمها بأفضل ما يمكن"^(١).

إن العلاقة بين مفهومي السلام والتنمية الاقتصادية-الإجتماعية علاقة تكاملية و ضرورية لاستقرار الدول وتحسين أدائها على مختلف الأصعدة. في حين يختلف البعض في ترتيبها أي من يأتي في المقدمة التنمية أم السلام، أم انهما عمليتان تحدثان بالتوازي ولا تخضعان لترتيب معين. و قد شارك هذا الرأي العديد ممكن شاركوا في الاستبيان الذي قام مركز جسور للدراسات و التنمية بإجرائه في بداية العام ٢٠١٧^(٢). وقد اتفق أغلبية المشاركين بانه توجد علاقة وطيدة بين المفهومين. في حين علّق أحد المشاركين بأن (السلام أساساً ناتج عن التنمية، فكلما ارتفع معدل التنمية كان الشعب أكثر تحضراً وقدرة على التعايش وتثبيت الأمن أو الابتعاد عن ارتكاب الجرائم) و رأى مشارك آخر بأن (العلاقة بينهما طردية فكلما تحققت التنمية كلما تحققت السلام و ترسخ في المجتمع و ابتعدت اسباب التنافر و الاختلاف). والجدير بالذكر بأن أكثر من مشارك ربط بين التنمية الاقتصادية تحديداً وعملية السلام فكانت وجهة نظر أحد المشاركين بأنه (كلما عم السلام في المجتمع زادت فرص التنمية على جميع الاصعدة وخاصة الصعيد الاقتصادي)^(٣).

خامساً، علاقة المرأة العراقية ببناء السلام والتنمية الاقتصادية-

الاجتماعية

تلعب المرأة في أغلب أماكن النزاع دوراً أساسياً في عملية إعادة البناء و قد تم التأكيد على هذا الدور في الإعلان الصادر من لجنة بناء السلام التابعة للأمم المتحدة بخصوص التمكين

(١) نفس المصدر السابق

(٢) <http://irshadlear.blogspot.com/2017>، وكذلك العراق، أحداث العام ٢٠١٧، أريس مسينيس /غيتي ايمجز ٢٠١٧.

Human Rights Wach.

(٣) نفس المصدر السابق

الاقتصادي للمرأة بتاريخ (١) ٢٦ سبتمبر ٢٠١٣ ونص القرار على أهمية دور المرأة في إحلال السلام و قد شدد على أهمية التمكين الاقتصادي في سياسات الانتعاش الاقتصادي ” نعترف بأن التمكين الاقتصادي للمرأة يسهم إسهاما كبيرا في فعالية الأنشطة الاقتصادية والنمو الاقتصادي في مرحلة ما بعد انتهاء النزاع، ويؤدي إلى تحسين نوعية تدابير وسياسات الانتعاش الاقتصادي ونتائجها الاجتماعية وإلى تحقيق التنمية المستدامة؛ ونؤكد أهمية مراعاة المنظور الجنساني (أمرأة أو رجل)، حسب الاقتضاء، عند الاضطلاع بالأنشطة الاقتصادية بعد انتهاء النزاع” و كذلك أكد القرار على ضرورة تضمين التمكين الاقتصادي في مبادرات و برامج الامم المتحدة للانتعاش الاقتصادي بعد انتهاء النزاعات^(٢). و اتفق غالبية المشاركين في الاستبيان على أهمية دور المرأة في عملية بناء السلام، حيث يتخطى دورها المشاركة في جهود منع النزاعات و توفير الدعم لمساندة مبادرات بناء السلام و المشاركة في الحوارات إلى دور هام و اساسي في عمليات التعمير و تحقيق الانتعاش الاقتصادي اثناء وبعد انتهاء الصراع.

قام مجلس الوزراء العراقي بإقرار الخطة الوطنية لقرار مجلس الأمن ١٣٢٥، الذي اتخذه مجلس الأمن في جلسته المعقودة في تشرين الأول العام ٢٠٠٠ . والذي يؤكد فيه على الدور الهام للمرأة في بناء السلام، والجهود الرامية إلى حفظ السلام والأمن وتعزيزهما. وليكون بذلك العراق أول بلد في الشرق الاوسط وشمال افريقيا يتبنى خطة وطنية لتفعيل هذا القرار.

وقد وُضعت الخطة على ثلاث محاور جوهرية وهي المشاركة والوقاية والحماية. وفي شق المشاركة، دعت الخطة إلى “إشراك المرأة في مراحل صنع واتخاذ القرارات المتعلقة بمفاوضات وحل النزاعات” و “تشكيل تحالفات نسائية لرصد الانتهاكات ضد المرأة في المدن التي تعاني من عمليات إرهابية ومواجهات عسكرية” و تضمن محور الحماية ” تطوير استراتيجيات وسياسات وخطط عمل وطنية لمناهضة العنف داخل الاسرة عامة وضد المرأة خاصة وترسيخ ثقافة نبذ العنف بكل اشكاله” و ” العمل على نشر ثقافة السلام من خلال اقامة برامج تثقيفية للبنات والبنين في المدارس والجامعات ووسائل الاعلام” و كذلك أوردت نقطة مهمة وهي ”العمل على دمج مبادئ الحقوق الانسانية وقيم المساواة والعدالة ومقاربة النوع الاجتماعي في السياسات والبرامج والمشاريع”. وقد أكد محور الوقاية على أهمية ” تحسين الظروف المعيشية للمرأة وضمان حقوقها و وصول الخدمات إليها” و كذلك على ضرورة ” توفير كوادر بشرية مؤهلة للتعامل مع حالات النساء المعنفات (اللاتي تعرضن للعنف) على كل المستويات الصحية والاجتماعية والتربوية والقانونية”^(٣).

(٢١) www.un.org، لجنة بناء السلام التابعة للأمم المتحدة

(٢) www.worldbank.org/iq/ وكذلك لجنة بناء السلام التابعة للأمم المتحدة

(٣) <https://www.facebook.com/CanadaetIraq/>، وكذلك: irshadlearn.blogspot.com/2016.

وعلى الرغم من اعتماد الخطة من البرلمان العراقي و توفير الغطاء القانوني و الالزامي لها و تحديد ميزانية خاصة لتطبيق بنودها الا ان الرياح أتت بما لا تشتهي السفن و جاء تطبيق هذه الخطة مخيب للآمال العريضة التي صاحبت هذه المبادرة الرائدة وفي مقال نشره موقع ارفع صوتك حول نساء العراق وتحقيق السلام: خطة ممتازة ولكن “ حبر على ورق”؟! في حين رأت الأكاديمية والباحثة النسوية العراقية نهلة النداوي في تعليق لها على الخطة ” إن الأنشطة التي وضعتها الخطة لتحقيق أهدافها غير متلائمة مع الهدف. فقد جاءت عامة غير محددة بسقف زمني ولم تُحدّد الآليات الضرورية. وعلى سبيل المثال، بينما ركزت الأهداف على أهمية وجود المرأة في مواقع صنع القرار، لم تشر الخطة لا من قريب ولا من بعيد إلى أهمية زيادة مشاركة المرأة في اللجان التفاوضية على المستوى المحلي والدولي وأهمية وجود النساء في اللجان العليا للأحزاب”^(١).

الخاتمة.

وبتطبيق الفرضية الأولى على ماورد أعلاه نجد أنه لا توجد خطط اقتصادية استراتيجية موضوعة لمدة عشرة سنوات ولا حتى خطط اقتصادية خمسية تلائم وضع المرأة العراقية وتناسب بيئتها الاجتماعية من أجل صنع وبناء السلام ومن أجل تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية-الاجتماعية المنشودة.

أما الفرضية الثانية فإن المؤسسات الاجتماعية - الاقتصادية في العراق لا توجد لديها أنظمة معلوماتية متطورة يعتمد عليها في حل المشاكل التي تواجه المرأة اثناء وبعد النزاعات المسلحة والتي لها علاقة مباشرة بالتنمية وتطوير الدعائم الأساسية المساهمة في حل معظم مشاكل الإقتصاديات الوطنية من خلال اتخاذ القرارات الرشيدة التي تخص وضع المرأة العراقية والقضاء على البيروقراطية الإدارية والفساد الإداري المستشريان في العراق وكذلك التداخل في المهام الإدارية بين الوحدات التنظيمية المختلفة التي لها علاقة باتخاذ القرارات الصائبة.

الاستنتاجات والتوصيات الاستنتاجات

١. محاور بناء السلام

(١) UNDP، ٢٠١٢. التمكين الاقتصادي للمرأة ودمج المرأة في الاقتصاد العراقي، ص ٢.

نرى من التجربة العراقية إن ادماج المرأة يتعدى كونها أحد الضحايا من هذه النزاعات و لكن كطرف فعال و مؤثر على محيطها. ولهذا فإن أي عملية صناعة سلام يجب ان تتضمن مشاركة المرأة و حمايتها و وقايتها.

٢. صنع و بناء السلام

تركز أغلب الخطط والبرامج على المدى القصير وتقتصر في تخطيطها على صنع السلام دون التركيز على فترة ما بعد النزاع.

٣. ثقافة السلام

إن أي حركة حقيقية لصنع السلام لابد من أن توضح معاني هذا المفهوم وارتباطه بتحقيق الرخاء والاستقرار.

٤. إشراك المجتمع المدني

ومن التجربة العراقية نرى مدى أهمية دور منظمات المجتمع المدني في تنفيذ الخطة المرتقبة وذلك كسلطة ضاغطة و مستقلة عن اهواء و مصالح السياسيين.

التوصيات:

١. نقترح أن يضاف محور التمكين لمحاور بناء المرأة للسلام في ليبيا لتكون على الشكل التالي (التمكين الاجتماعي - الإقتصادي والحماية والوقاية). وبذلك يشتمل محور التمكين بالإضافة لإشراك النساء في صنع القرار و القضاء والأمن بند خاص بالتعليم و بناء القدرات و التأهيل للانخراط في عملية بناء السلام و كذلك في عملية التنمية و إعادة البناء.
٢. و بناء على ما ورد في الاستنتاج الثاني أعلاه نوصي بأنه لضمان فاعلية أي خطة أو مبادرة يجب أن تكون متضمنة لجدول زمني إلزامي لتنفيذها و أن تكون طويلة المدى وأن تشتمل على عملية الإنعاش و الاعمار بعد انتهاء النزاع و الحفاظ على السلام.
٣. لابد من تأسيس مشروع لترسيخ ثقافة السلام كمشروع متعدد الجوانب مرتبط بالعديد من جوانب التنمية. وبالأخص التركيز على التوعية بأهمية التنمية الاقتصادية و فتح الباب للحوار الاقتصادي و كذلك الاهتمام بتمكين المرأة اقتصادياً على ضوء ما جاء في قرار لجنة السلام العالمية لأنها من أكثر الاطراف تضرراً في الحروب و النزاعات و هي من يعول عليها في عملية إعادة الاعمار و الانعاش.
٤. و لابد أن تتعهد منظمات المجتمع المدني ليس فقط بتنفيذ بعض هذه الالتزامات بل بعملية رصد المخالفات و الانتهاكات لعملية صنع السلام و الضغط على صناعات القرار لتحقيق بنود هذه الخطة. أن تحقيق هذا الهدف الانساني يحتاج لتوحيد الجهود و التغاضي عن

المصالح و الانتماءات و هذه مسؤولية كبيرة تستطيع نساء العراق وليبيا تكبدها في سبيل صنع مستقبل آمن و مستقر للأجيال القادمة.

المصادر:

- ١- بكين: احقاق حقوق المرأة، "منظمة العفو الدولية" - تاريخ النشر فبراير ٢٠١٠.
- ٢- دور المرأة في بناء السلام، ٢٠١٢/١٢/٢١ . UNDP ، لجنة بناء السلام التابعة للأمم المتحدة
- ٣- [http://3 bp.blogspot.com](http://3.bp.blogspot.com)
- ٤- دور المرأة في عمليات بناء السلام . رمز الوثيقة: :
E/ESCWA/ECW/2017/TECHNICAL PAPER.5. 2017.
- ٥- طريق المرأة الليبية نحو السلام ص٧. Jusoor Center for Studies and Development، لندن
- ٦- التمكين الاقتصادي للمرأة وبناء السلام. ص٥. لجنة بناء السلام التابعة للأمم المتحدة.
- ٧- إعلان منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) في العام ١٩٩٥ .
- ٨- https://irshadlearn.blogspot.com/2016/10/blog-post_87.html .)
- ٩- نبيل جعفر عبد الرضا، آليات التمكين الاقتصادي للمرأة العراقية الحوار المتمدن-العدد: ٣٥٨٤ - ٢٠١١ / ١٢ / ٢٢ ، المحور: حقوق المرأة ومساواتها الكاملة في كافة المجالات.
- ١٠- نبيل جعفر عبد الرضا و مروة عبد الرحيم، الخسائر الناجمة عن ضعف مشاركة المرأة العراقية في النشاط الاقتصادي، الحوار المتمدن-العدد: ٤٧٧٣ - ٢٠١٥ / ٤ / ١٠ ..
- ١١- وزارة التخطيط العراقية، الجهاز المركزي للإحصاء، (٢٠١٢)
- ١٢- زينب شاكر السماك ، الأمية في العراق: ناقوس خطر يطرق ابواب الشباب، (0-2018).
- ١٣- www.worldbank.org/iq
- ١٤- و/ <https://www.facebook.com/CanadaetIraq/>
- ١٥- مركز جسور للدراسات و التنمية ٢٠١٧، لندن.
- ١٦- صندوق النقد الدولي، إدارة الاستراتيجيات والسياسات والمراجعة وإدارة شؤون المالية العامة المرأة والعمل والاقتصاد: مكاسب الاقتصاد الكلي من المساواة بين الجنسين. إعداد مجموعة من الباحثين، أيلول ٢٠١٣ . SDN /13 /10.
- ١٧- مالك عبد الحسين أحمد، تمكين المرأة العراقية في مجالات التنمية. مجلة الإقتصادي الخليجي، العدد ٢٣ لسنة ٢٠١٢ .

١٨- المساواة بين الجنسين – كفاح من أجل العدالة في عالم غير متساو. معهد الأمم المتحدة
لبحوث التنمية الإجتماعية (UNRISD) ومركز معلومات قراء الشرق الأوسط MERIC .
٢٠٠٦.

١٩- العراق، أحداث العام ٢٠١٧، أريس مسينيس / غيتي ايمجز ٢٠١٧.

Human Rights Wach.

٢٠- IKNOWPOLITICS، القرار ١٣٢٥ ودور المرأة العراقية في السلام والأمان، أعداد:
فريال الكعبي.

٢١- مركز اليمن لدراسات حقوق الإنسان، ورشة عمل حول دور المرأة ببناء السلام، رام الله-
دنيا الوطن، ٢٠١٨/٩/٣.

سابعاً: بحوث الصحة والبيئة

انتشار الأمراض السرطانية وعلاقتها الارتباطية بالتلوث الإشعاعي لذخائر اليورانيوم المنضب المستخدمة في الحرب على العراق

أ.د. كاظم المقدادي

برفسور- قسم إدارة البيئة بالأكاديمية العربية في الدنمارك

أ.د. نظير الأنصاري

برفسور- قسم الهندسة المدنية والبيئية والموارد الطبيعية بالجامعة التكنولوجية/

السويد

أ.د. كريم حسين خويدم

برفسور- كلية العلوم بجامعة ديالى، العراق

أ.د. علي فهد الطائي

برفسور- كلية مدينة العلم الجامعة- بغداد، العراق

ملخص الدراسة.

استخدمت القوات العسكرية الأمريكية وحليقاتها في حربين مدمرتين على العراق (عامي ١٩٩١ و ٢٠٠٣) اكثر من ٣٢٠٠ طنا مترياً من ذخائر اليورانيوم المنضب (Depleted Uranium Munitions)، المصنعة من نفايات نووية خطيرة، فخلفت تلوثاً إشعاعياً واسعاً، سبب كارثة بيئية وصحية وخيمة، من أبرز مؤشرات انتشار الأمراض والوفيات السرطانية في العراق تأكيداً لنتائج الدراسات السابقة، العراقية والأجنبية، التي ربطت انتشار الأمراض السرطانية في العراق بالتلوث الإشعاعي لذخائر اليورانيوم المنضب المستخدمة في الحرب، اجرينا الدراسة الحالية، معتمدين المنهجية التالية:

أولاً- استبيان عن الأسر المتضررة لمعرفة الإصابات والوفيات السرطانية عقب الحرب. شمل الاستبيان اسر من ١٤ مدينة عراقية، لها مريض أو متوفي واحد أو أكثر بالسرطان. وقد تم التركيز على الأسر التي لها عسكريون شاركوا في العمليات الحربية، وتلك التي تقطن قريباً من ساحة العمليات العسكرية أو من مخلفاتها الحربية.

ثانياً-استبيان لأطباء اختصاصيين ساهموا بتشخيص ومعالجة ومتابعة حالة المرضى، وكانوا شهود عيان أحياء على ما حدث خلال الحرب على العراق. الأطباء يعملون في المستشفيات الحكومية والأهلية. شمل الاستبيان ٩٤ طبيباً وطبيبة، من ١٥ مدينة عراقية.

ثالثاً-أجراء تفرغ اجابات الأسر والأطباء المتخصصين على فقرات الاستبيان وتحليل للنتائج احصائياً..

وقد توصلنا الى ما يلي:

بلغ عدد الأسر المشمولة بالدراسة ١١١٢ أسرة، تضم ٥٥٦٠ فرداً، بمعدل ٥ أفراد للأسرة الواحدة.

ومن مجموع أفراد الأسر ثمة ١٦٨٧، أو ٣٠,٣٤ % مرضى ومتوفين بالسرطان. منهم ٤٩,٣ % رجال، و ٣٥,١ % أطفال، و ١٥,٥ % نساء.شكل المرضى ١٤٧٤، أو ٢٦,٥ %، والمتوفين ٢١٣، أو ١٤,٤٥ % من مجموع المرضى بالسرطان.

لمعرفة رأي الأطباء الاختصاصيين، أفلحنا باستطلاع ٩٤ طبيباً وطبيبة من مختلف الاختصاصات ، ممن ساهموا بتشخيص ومعالجة ومتابعة حالة مرضى السرطان، وكانوا شهوداً أحياء على ما حصل أثناء وعقب الحرب على العراق. من ١٥ مدينة عراقية، باستثناء مدن كردستان العراق.

أفادوا بان أبرز الأمراض السرطانية التي انتشرت عقب الحرب هي سرطانات: الدم، الثدي، الرئة، الغدد اللمفاوية، العظام، المعدة، الكلى، الدماغ والكبد. ولاحظوا زيادة كبيرة في الأمراض والوفيات السرطانية عقب الحرب. واعتبروا معدل الإصابات السرطانية في العراق غير طبيعي. وان الزيادة في المعدلات بلغت عدة أضعاف. وان لاستخدام أسلحة اليورانيوم المشعة في الحرب على العراق دور كبير في إنتشار الأمراض السرطانية فيه.

وتبين ان للمناطق السكنية المقصوفة أثناء الحرب، دور مهم، حيث أكدت الأسر المشمولة بالدراسة تعرض الحي أو المحلة أو المنطقة، التي تسكن فيها، للقصف بصواريخ وقنابل التحالف الدولي ضد العراق أثناء الحرب، وقسم منها تعرضت **مناطقها** للقصف مرتين- أثناء حربي ١٩٩١ و ٢٠٠٣.. وكانت / أو ما تزال / المخلفات الحربية المقصوفة موجودة في مناطقها السكنية. وأن أحداً لم يخبرها، في يوم ما، عن وجود تلوث إشعاعي في منطقتها السكنية. ولم ينبهها الى مخاطر الاقتراب من المخلفات الحربية.

وتبين أيضاً أن للخدمة العسكرية دور كبير، فمن مجموع الرجال المرضى والمتوفين كان ٤٢,٦ % في الخدمة العسكرية أثناء الحرب، وقد أصيب أو توفي بالسرطان ٨٧ % عقب حرب عام ١٩٩١، و ١٣ % - عقب حرب ٢٠٠٣.. وان الأمراض التي أصيبوا بها وتوفي بعضهم بسببها على التوالي: سرطان الرئة، سرطان الغدد اللمفاوية، سرطان الدم، سرطان الدماغ، سرطان العظام، سرطان المعدة، وأورام أخرى.

وأكد غالبية الأطباء الاختصاصيين بأنهم يعرفون بان قسم من مرضاهم كانوا يخدمون في العسكرية أثناء الحرب، وكان قسم منهم يعيشون في مناطق تعرضت للقصف بأسلحة الحرب. وقسم من مرضاهم كانوا يعيشون في مناطق توجد فيها مخلفات حربية لفترة طويلة. وقسم تعاملوا مع مخلفات حربية، وتحديداً الحديد السكراب/ الخردة. وقسم آخر تعامل مع حاويات (براميل وغيرها) ملوثة بالإشعاع تم نهبها من مركز الطاقة النووية العراقية في التويثة.. النتائج التي توصلت لها دراستنا أكدت نتائج الدراسات السابقة التي أثبتت وجود علاقة متينة بين انتشار الأمراض السرطانية واستخدام ذخائر اليورانيوم.

Summary:

The Coalition forces with American military had used more than 3,200 metric tons of depleted uranium munitions in two devastating wars on Iraq (1991 and 2003). They are manufactured from dangerous nuclear waste, therefore, it has caused extensive radioactive contamination and severe environmental and health catastrophe, which can be consider as indicator for prevalence of different type of cancers and their deaths in Iraq. The results of previous studies (local and international) had linked the spread of cancers in Iraq to the radioactive contamination of depleted uranium munitions used in the wars.

The present work adopting the following methodology:

First: a questionnaire on the affected families to know cancers injuries and deaths after the war. The questionnaire included samples of 14 Iraqi cities, with one or more patients who died of cancer. Especially the families which have soldier who had participated in the war operations, and those who live close to the field of military operations or their war remnants.

Second: a questionnaire for specialist doctors who contributed to the diagnosis, treatment and follow-up of the patient's condition, these doctors were work in government and private hospitals and

contemporary what happened during the war on Iraq. The questionnaire included 94 doctors, from 15 Iraqi cities.

Third: conducting a statistical analysis for the answer of families and specialized doctors on the questionnaire paragraphs. Statistic study of the answer reveals that the number of families studied is 1112, which includes 5560 persons, with an average of 5 members per family.

It can be found that (30.34%) of patients who died as a result of cancer, 49.3% are men, 35.1% are children, and 15.5% are women. Patients constitute (26.5%), the dead people (14.45%) of all cancer patients. To find out what the doctors think, the authors polled for 94 doctors who specialized in cancer diseases, and they were lived the events during and after the war, excluding the cities of Iraqi Kurdistan. They reported that the most prominent cancers diseases that they observed after the war are cancers of blood, breast, lung, lymph nodes, bones, stomach, kidneys, brain, and liver. They observed a significant increase in cancers diseases and deaths after the war and they considered the rate of cancers in Iraq as abnormal. The use of radioactive uranium weapons in the war on Iraq plays a major role in the spread of cancers diseases.

It was found that the residential areas bombed during the war had an important role, as the families surveyed confirmed that the neighborhood or area in which they lived was exposed to bomb by missiles of the coalition forces against Iraq, and a part of them were bombed twice - during the wars of 1991 and 2003. The military remnants are still present in their residential areas, and no one told them about the presence of radioactive contamination in their residential area. They did not warn about the dangers of approaching from that remnants.

It was also found that the military service plays a major role of the total affected men, (42.6%) served in the military during the war, 87% were

injured or died of cancer after the 1991 war, and 13% after the 2003 war, the diseases they were affected with were respectively: Lung cancer, lymphoma, leukemia, brain cancer, bone cancer, stomach cancer, and other tumors. Most of the physicians confirmed that they knew that some of their patients were serving in the Iraqi army during the war, and other patients were lived in areas that were bombed with weapons of war, some of patients were lived in areas where there is a military remnants, whereas some of patients dealt with military waste, specifically iron scraps and containers (barrels, etc.) contaminated with radiation were looted from the Iraqi nuclear energy center in Tuwaitha (southern Baghdad City).

The results of our study confirmed the results of previous studies that established a solid relationship between the spread of cancer diseases and the use of uranium munitions.

أولاً- الإطار العام للدراسة.

حدود الدراسة تشمل الحرب الامريكية على العراق سنة ١٩٩١ وغزوه وإخلاله في سنة ٢٠٠٣ ونتائجها الكارثية على الصحة العامة في العراق.

المقدمة.

منذ ربع قرن ونيف يعاني العراق من كارثة صحية وخيمة تتحمل مسؤوليتها الأساسية الإدارة الأمريكية وحليفاتها التي شاركتها في شن حربين مدمرتين عليه، عامي ١٩٩١ و ٢٠٠٣، إستُخدمت خلالهما أكثر من ٣٢٠٠ طناً مترياً من ذخائر اليورانيوم المنضب (Depleted Uranium Munitions) المصنعة من نفايات نووية خطيرة، أثبتت قدرتها الفائقة تدميراً وفتكاً، وخلفت تلوثاً إشعاعياً واسعاً سبب كارثة بيئية وصحية لا مثيل لها، أبرز مؤشراتهما، الى جانب القتل والخراب والدمار، انتشار الأمراض السرطانية في محافظات وسط وجنوب العراق. حصل تلوث كبير في عناصر البيئة العراقية جراء انتشار وتشتت غبار اليورانيوم من خلال زيادة النشاط الإشعاعي في عينات من الهواء والتربة والمياه في مناطق العمليات العسكرية والمناطق المحيطة بها. وأشارت العديد من الدراسات الطبية المتعلقة بالإصابة بالسرطانات في المحافظات العراقية وخاصة البصرة وميسان وذي قار وكربلاء والنجف وبابل، والفلوجة، الى

تزايد واضح في نسب الأصابة عقب حربي ١٩٩١ و ٢٠٠٣، والذي يعكس وجود ارتباط مع التلوث الأشعاعي الموجود بذخائر اليورانيوم المنضب. وهذا الارتباط تؤكد الأحداث والوقائع والحقائق المتزايدة.

مشكلة الدراسة.

بالضد من الأدلة العلمية المتزايدة غير القابلة للدحض، المؤكدة للصلة الوثيقة بين المواد المشعة المصنعة منها القذائف التي استخدمت في الحرب وانتشار الإصابات السرطانية والحالات المرضية الغريبة وغير القابلة للعلاج، يواصل البنتاغون وحلفاؤه وخبرائهم منذ ربع قرن عملية نفي وإنكار وتضليل وجدل عقيم الهدف منه عدم الاعتراف بالأضرار البيولوجية لاستخدام الأسلحة المذكورة، التي طالت العراقيين وذلك تنصلاً من المسؤولية الجنائية، لكون إستهداف المدنيين المباشر وغير المباشر في الحرب يعتبر جريمة حرب وجريمة ضد الإنسانية، لأن أضرار ومخاطر الأسلحة التي استخدمت لم تقتصر على العمليات العسكرية في ميادين القتال، وإنما تسببت بأضرار ومعاناة كبيرة للمدنيين في جميع المناطق الملوثة. ويترتب على هذه الجريمة الكبرى إدانة دولية وتعويضات مالية بمئات المليارات لتنظيف البيئة التي لوثتها، ولضحايا أسلحتها من عسكريين ومدنيين، قتلى وجرحى ومعوقين جسدياً.

وشكلت الكميات التي استخدمت على العراق أثناء الحرب، ومخلفاتها الحربية، سبباً مهماً لأمراض كثيرة، ومنها السرطان. وما تزال المخلفات في التربة وتشكل مصدراً مستمراً للتلوث. وأكدت التقارير الموثوقة حصول إصابات وأعراض مرضية مشابهة عند العسكريين الأمريكيين والبريطانيين والكنديين، وغيرهم، ممن شاركوا في العمليات العسكرية في العراق والبلقان..

رداً على موقف البنتاغون وحلفائه، واصل العلماء المستقلون، رغم عدم تكافؤ الفرص بين إمكانات الطرفين، إجراء المزيد من الدراسات الميدانية لتأكيد حقائق تلوث البيئة العراقية بالإشعاع، وتزايد معدلات الأصابة بالأمراض السرطانية، وإرتباطها باستخدام أسلحة اليورانيوم.

أهمية الدراسة.

تكمن أهمية الدراسة في تسليطها الضوء على طبيعة نخائر اليورانيوم المنضب وأضرارها البيولوجية. ومع وجود عدد كبير من الأبحاث والدراسات العلمية الرصينة، تنفرد دراستنا، نسبياً، باعتمادها على نتائج استطلاع طرفين هامين: الأسر المتضررة والأطباء المشخصين

والمعالجين للأمراض السرطانية. وتشكل نتائجا دعماً للجهود العلمية الباحثة عن الحقيقة والمفندة للتضليل والتشويهات.

أهداف الدراسة:

- ١- إيجاد علاقة ترابطية بين انتشار الأمراض السرطانية عقب حربي ١٩٩١ و ٢٠٠٣، والأسلحة التي استخدمت فيها لدى الأسر المتضررة التي كانت قاطنة بالقرب من ميادين الحرب، أو في مناطق موجودة فيها مخلفات حربية مقصوفة بتلك الأسلحة. وكذلك الأسر التي لديها أفراد يخدمون في العسكرية أثناء الحرب وأصيبوا بالسرطان.
- ٢- تسليط الضوء على المستجدات العلمية المؤكدة لهذه العلاقة.

ثانياً - الاطار النظري

يتضمن هذا الباب ٤ مباحث، تتناول طبيعة اليورانيوم المنضب وقذائفه، والسمية الكيميائية والإشعاعية له، والتلوث الشعاعي ووبائية السرطانات عقب الحرب في العراق. المبحث الأول- طبيعة اليورانيوم المنضب وقذائفه.

اليورانيوم المنضب (DU) معدن ثقيل سام. أنه نفايات نووية، ناتج ثانوي لصناعة الوقود والأسلحة النووية. أنه اليورانيوم الطبيعي الذي ينخفض فيه محتوى النظير ٢٣٥ من ٠,٧ % الى ٠,٢ % أثناء عملية التخصيب [١]. ويحتوي على حوالي ٣٠ % من انبعاثات النظير شديد الشعاع U-٢٣٥. وعند تحلل اليورانيوم المنضب ونواتج تحلله تنبعث إشعاعات (ألفا) و(بيتا) و(غاما)، التي تشكل بدورها تعرضاً إشعاعياً داخلياً وخارجياً للذين يتعاملون مع القذائف الحربية أو المعدات القتالية المصنعة من اليورانيوم المنضب [٢].

تحتوي ذخائر اليورانيوم المنضب على نظائر اليورانيوم الطبيعي بالإضافة الى عناصر أخرى أكثر خطورة، مثل النظير U-٢٣٦ والتيتانيوم والموليبدنوم والزرنيوم والنيوبيوم والبلوتونيوم. من هنا تأتي فاعليتها الفائقة في التدمير والفتك [٣]. وتبين ان ذخيره سريعه الاشتعال (Pyrophoric)، بسبب اليورانيوم المنضب، حيث تسبب الحرارة الناتجة عن

^١ - Durakovic, A; Medical Effects of Internal Contamination with Uranium, Croatian Medical Journal, Vol.40, No1, March 1999

^٢ - عبد الرحمن فؤاد عبد الفتاح، اليورانيوم المنضب: تطبيقاته ومخاطره، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٣، ص ١٥٣

^٣ - Al-Muqdadi, K, and N. Al-Ansari; Nature, Size and Contaminated Areas of the Waste of War in Iraq, Journal of Earth Sciences and Geotechnical Engineering, vol. 3, no. 3, 2013, 93-107 ISSN: 1792-9040 (print), 1792-9660 (online) Scienpress Ltd, 2013

أرتطامها بالهدف احتراق الدروع مهما كانت سميكة ومتينة. الى جانب سهولة إختراقها. هذه الميزة وصفها العالم الألماني الراحل سيغفرت هورست غونتر أشبهه بقص قطعة زبد بسكين حادة-

ويتحول حوالي ٧٠% من اليورانيوم المنضب الموجود في المقذوف عند انفجاره الي سحابة غبار من أكسيد اليورانيوم بحجم أقل من ٥ ميكرون [١]. وتحتوي ٤٤ % من أكاسيد اليورانيوم المتحررة أثناء انفجار الذخيرة على دقائق بأحجام تقل عن ١ مايكرون [٢].

وأعلن البرفسور روجر كوجهيل في مؤتمر دولي في لندن: نعرف انه تم اطلاق نحو مليون رصاصة من اليورانيوم المنضب في حرب الخليج، ولايزال الكثير منها موجوداً في الصحراء، ويمكن للأدخنة والأتربة الناجمة عن القذائف ان تنقل جزيئات مشعة الى مسافة مئات الامتار في الهواء، فضلا عن ان الرياح التي يمكن ان تنقلها مئات الكيلومترات [٣]. ويبقى هذا الغبار محمولاً في الهواء لفترات زمنية طويلة [٤]. ويستطيع ان ينتقل الي مسافة عشرات الأميال [٥]، وأثبت العالم البريطاني كريس باسيي بأن الغبار المشع الصادر عن اسلحة اليورانيوم المنضب يبقى في الجو بمستويات قد تكون خطيرة لمدة تصل الي ١٠ سنوات.

وتبعث ذخيرته الخارقة للدروع أو أجزاء منها أشعة بمقدار ٣٠٠ ملي ريم/ الساعة [٦]، والتي لا يسمح بلمسها أو إتقاطها بدون قفازات واقية [٧]. وحسب البرفسور اساف دوراكوفيتش، فإن ١ ملليغرام من اليورانيوم يطلق خلال سنة ٣٩٠ مليون من أشعة (الفا)، و٧٨٠ مليون من أشعة (بيتا)، بالإضافة الي اشعة (غاما)، وهذه قادرة، بطاقتها الاشعاعية والتأينية العالية، ان تسبب تدميراً كبيراً ضمن البناء الحيوي لجسم الانسان، مهاجمة الرئتين،

1 - Bertell, R; "Depleted Uranium: All the questions about DU and Gulf War Syndrome are not yet answered". International Journal of Health Service 36(3), 503-520, 2006.

٢ - محمد الشبخلي، غبار اليورانيوم المشع يهدد العراق والخليج

بكارثة بيئية، " البيئة والتنمية"، العدد 69، ديسمبر 2003

٣ - اليورانيوم المستنفذ يشوه الأجنة، "البيان"

الأماراتية، 1/8/1999

4 - BERTELL R; "DEPLETED URANIUM: ALL THE QUESTIONS ABOUT DU AND GWS -IBID.

5 - HINDIN, R, D. BRUGGE, AND B. PANIKKAR, "TERATOGENICITY OF DEPLETED URANIUM AEROSOLS: A REVIEW FROM AN EPIDEMIOLOGICAL PERSPECTIVE " ENVIRONMENTAL HEALTH: A GLOBAL ACCESS SCIENCE SOURCE 2005. [HTTP://WWW.EHJOURNAL.NET/INFO/INSTRUCTIONS/](http://www.ehjjournal.net/info/instructions/)

6 - 1 MILLIREM = 10 MSV

٧ - عبد الرحمن فؤاد عبد الفتاح ، اليورانيوم المنضب: تطبيقاته

ومخاطره، دار النفايس، بيروت-الرياض، 2003، ص 139

والعقد للمفاوية، والكلية، والدم، والعظام، والدماغ، والمعدة، والمبايض، وحتى الاجنة بأكملها]]

وأظهرت الدراسات التي اجريت بعد انتهاء حرب الخليج الثانية بان نسبة النشاط الاشعاعي في المناطق التي جرى فيها استخدام هذا النوع من الاعتدة تبلغ ٢٧٠ ميلليراد في الساعة [١]، أي ما يزيد عن ٣٠ ضعفاً لاقصى ما يمكن ان يتعرض اليه العاملون في الصناعة النووية [٢]. في ضوء ما مر ذكره، فان التسمية (اليورانيوم " المنضب ") تسمية ليست دقيقة، ولا علمية، بل ومخادعة، أريد منها تبرير المزاعم القائلة بأن استخدام القذائف المصنعة منه " لا يشكل" أضراراً.

المبحث الثاني: السمية الكيميائية والإشعاعية لليورانيوم المنضب.

قبيل حرب الخليج في عام ١٩٩١ بشهور وفي ضوء تحرياتها العلمية، حذرت مؤسسة التطبيقات العلمية الدولية Science Applications International Corporation ((SAIC)) ، التي كانت مكلفة من قبل البنتاغون بإعداد تقرير حول استخدام اليورانيوم المنضب، من " إمكانية ان تؤدي الآثار قريبة الأجل للجرعات العالية لليورانيوم المنضب الى الوفاة، في حين من المحتمل أن تؤدي الآثار طويلة الأجل للجرعات الصغيرة الى الإصابة بالسرطان "، غير ان الادارة الامريكية لم تعمم التقرير في حينه، واستمرت هي والحكومة البريطانية برفض اجراء اي تحقيق مستقل وذلك دفعا لتحمل المسؤولية وما ينتج عن ذلك من وجوب تنظيف البيئة (تتجاوز التكلفة مليارات الدولارات) ودفع التعويضات للمرضى والمشوهين والقَتلى [٤]، فضلا عن اعتبارها جريمة حرب وجريمة ضد الإنسانية لأن استهداف المدنيين المباشر وغير المباشر في الحروب وفقاً للقوانين الدولية. فهذه الأسلحة لا تقتصر مخاطرها على مناطق العمليات العسكرية، وإنما تسبب أضراراً ومعاناة للسكان المدنيين في جميع المناطق الملوثة [٥].

1 - Durakovic, A; Medical Effects of Internal Contamination with Uranium- Ibid.

2 - 1 rad = 10 milligray = 1 centigray = 100 rads = 1 gray (Gy)

٣ - هيثم الزبيدي، اليورانيوم الناضب: في الخليج، نعم، في اوربا...؟ ، "العرب"، في 30/4/1999

٤ - هيفاء زكنة، أساليب ابادة الشعوب المشاغبة، "القدس العربي"، 20/3/2010

٥ - سعاد العزازي، تلوث بيئة العراق باليورانيوم المنضب، مجلة "المجلة العربية للبحث العلمي"، العدد الأول، أبريل 2020، منظمة المجتمع العلمي العربي.

وقد شهد العقدان المنصرمان توفر كم كبير من الحقائق والأدلة العلمية الرصينة، التي تفند مزاعم خبراء البنتاغون وحلفاءه بشأن طبيعة ذخائر اليورانيوم المنضب وأضرارها بالإنسان. فقد تبين بما لا يقبل الشك ان لليورانيوم المنضب خاصيتان تجعلان منه أكثر سمية من أي عنصر آخر. الأولى- كونه عنصر مشع، والثانية- أنه عنصر ثقيل. وعدا هذا، يمتلك أطول عمر نصف ¹ [Half-Life] نحو ٤,٥ مليار سنة. وكشف العلماء تآزر فعل Synergic effect سميته الكيميائية والأشعاعية، أي أنهما تفاعلان فعلمهما معاً وفي أن واحد. ولعل الأخطر، ان لأشعة (ألفا) المنبعثة منه خاصية أخرى فريدة غير معروفة علمياً من قبل، سميت Bystander effect (أي "التأثير بالجيرة")، أثبتت مكتشفتها عالمة الكساندرا ميللر بان هذا الأشعاع لا يتلف الخلية المتأثرة به مباشرة، فحسب، بل ويؤثر على الخلية السليمة المجاورة لها، فتتلف هي الأخرى، وهذه تؤثر على جاريتها، وجارتها تؤثر على جاريتها، وهكذا دواليك ²]. ويصف مصطلح الإشعاع الحاث للتأثيرات بالجيرة الحالة التي تكون فيها الخلايا التي لم تتعرض مباشرة للإشعاع المؤين وتتصرف كما لو أنها تعرضت له: فتموت أو أنها تظهر عدم الاستقرار الكروموسومي وتشوهات أخرى ³]. والخطر يهدد الجسم بكامله إرتباطاً بعمر النصف لليورانيوم المنضب الذي يتجاوز الـ ٤ مليارات سنة.

ويؤثر اليورانيوم المنضب بيولوجياً عبر سميته الكيميائية والشعاعية. فلأشعة (ألفا) المنبعثة منه قدرة ان تسبب، بطاقتها الاشعاعية والتأينية العالية، تدميراً خلويًا Cellular damage جسيماً للبناء الحيوي لجسم الانسان، مهاجمة الرئتين والعقد اللمفاوية والكلية والدم والعظام والدماع والمعدة والمبايض وحتى الاجنة بأكملها. بالإضافة الى ما تبعته نواتج التفاعل من جزيئات أشعة (بيتا) و(غاما)، والتي تسبب تلفاً إشعاعياً إضافياً. وبالرغم من أن اليورانيوم المنضب لا يشكل ضرراً خارجياً ملحوظاً، إلا أنه يشكل ضرراً داخلياً جسيماً عن طريق التنفس والبلع أو الجروح الملوثة ⁴].

¹ - عمر النصف Half-Life هو المدة الزمنية اللازمة للنظير المشع كي يفقد فيها 50 في المئة من نشاطه الأشعاعي.

² - **DEPLETED URANIUM CASTS SHADOW OVER PEACE IN IRAQ ,BY DUNCAN GRAHAM-ROWE, WITH ADDI-TIONAL REPORTING BY ROB EDWARDS, THE NEW SCIENTIST MAGAZINE, ISSUE 2391, 15 APRIL 2003**

³ - Colin B. Seymour & Carmel Mothersill, OPINION Radiation-induced bystander effects - implications for cancer, Abstract: Perspectives: Nature Reviews Cancer 4, 158-164 (Feb 2004)

⁴ - Durakovic, A; (1999), Medical effects of Internal contamination with Uranium-Ibid.

وقد بينت العديد من دراسات تقييم اليورانيوم المنضب ان المشكلة الأساسية تتجسد في الآثار العديدة لإشعاع (ألفا) على بنية الخلية ، وبضمنها بروتينات الحمض النووي منقوص الأوكسجين DNA، التي تفرز إشارات كيميائية حيوية biochemical وإنزيمات أيضية Metabolic في الخلية، ويعتقد الكثير من الأطباء المهنيين بأن مُشكل البروتينات المذكورة هو المسؤول عن مختلف أمراض التنكس العصبي Neurodegenerative التي أصابت المحاربين القدماء المشاركين في حرب الخليج ١٩٩١. فتلك الجزيئات تستطيع شق طريقها الى عمق الرئة. وهي الى حد كبير غير قابلة للذوبان. علاوة على ذلك يسبب تولد الهباء الجوي لليورانيوم المنضب تصلباً Sublimation لجميع المعادن القريبة (الشبيهة بالفولاذ) والمواد داخل الجزيئات ذات الأحجام النانوية.

وأكدت عالمة الأمريكية/الكندية الراحلة روزالي برتل بان صغر حجم هذه الجزيئات يسهل تمثلها uptake داخل الخلايا، وانتقالها عبر الخلايا الظهارية Epithelial والخلايا ظهارية البطانة cells Endothelial داخل الدورة الدموية والليمفاوية. ويعني ذلك ضمناً الأهداف الحساسة، التي تضم: الغدد للمقاوية، الطحال، القلب. ويمكن ان تصل الجزيئات المذكورة الى الجهاز العصبي في الدماغ [١].

وكانت دراسة أمريكية في عام ١٩٩٠، مدعومة من الجيش الأمريكي، قد حذرت بان انكشاف الجنود في ميادين القتال للهباء الجوي لليورانيوم المنضب قد يكون له تأثيرات مهمة إشعاعية وسامة محتملة. وربطت الدراسة السرطان بال-DU ، مؤكدة ليس هناك جرعة من الشعاع آمنة ويكون تأثيرها صفرأ مهما كانت منخفضة. وقد لاحظ القادة العسكريون آثار اليورانيوم المنضب خلال حرب الخليج عام ١٩٩١ [٢].

1- Bertell, R; Depleted Uranium: All the questions about DU and Gulf War Syndrome are not yet answered, International Journal of Health Services 36 (3), 2006, pp. 512- 513.

2 - Fahey,D; Case Narratives- Depleted Uranium, 3 rd A ed, 20 Septembre 1998, Interim. Report by the Swords to Plowshares, Inc.NationalGulf War Resource Center, and Military Toxics Project, Inc.

وأكد العالم الأمريكي (من أصل كرواتي) اساف دوراكوفيتش، أنه حتى أصغر جرعة (ألفا) داخلية لليورانيوم المنضب تمثل خطر إشعاع ناشط عال^١].
وحذر تقرير لهيئة الطاقة الذرية البريطانية (UKAE) عشية حرب عام ١٩٩١ بأن اليورانيوم المنضب إذا دخل في سلسلة الغذاء أو الماء سيخلق مشاكل صحية محتملة^٢].
وعقب ٨ سنوات من التعرض لليورانيوم المنضب في ميادين المعارك، فحص العالم الكندي هاري شارما محاربين قدامى شاركوا في حرب ١٩٩١، من ٤ دول، ووجد ان معدل التخلص من اليورانيوم المنضب ((The clearance rate of DU) في بولهم بلغ ١- ٥ ميكروغرام من اليورانيوم المنضب في اليوم الواحد، وهو معدل أعلى بكثير مما وجد في بول المدنيين العراقيين، واحتوي بول قدامى المحاربين المتواجدين في الوحدة الطبية، المتمركزة بالقرب من الحدود العراقية مع المملكة العربية السعودية، على معدل تخلص بلغ عدة ميكروغرامات من اليورانيوم المنضب في اليوم^٣].

وبذلك تأكد بان التماس القريب من اليورانيوم المنضب يسبب اثارا صحية خطيرة. وارتباطا بهذا، أصرت نتائج البحوث التي قام بها العالم دوراكوفيتش على ان الامراض التي لاحظ وجودها بين المشاركين في حرب الخليج ذات صلة باستخدام ذخائر اليورانيوم الناضب. ولا تقتصر مخاطر إشعاعاته على العسكريين في ميادين القتال فقط، وإنما تهدد كافة عناصر البيئة ، وذلك لانتقال غبار أكسيد اليورانيوم عبر الرياح عشرات الكيلومترات من مكان الاستخدام، أولاً، وللعمر النصفى، ثانياً، الذي هو أطول عمر نصفى لمادة مشعة. وبهذا فهو كمادة مشعة خطيرة تهدد الأحياء الى مدى الحياة..

وقد تبين ان لغبار أكسيد اليورانيوم تأثيران:-

الأول: مباشر- لحظة انفجار الهدف. وهو القتل مباشرة لمن هو داخل الهدف، او قريب جداً منه، حيث تصل درجة التأثير حد التفحم لطاغم الدبابة المضروبة، وانصهار معدنها، أو الموت بأعراض التسمم الإشعاعي الحاد Acute radiation poisoning، حيث ينجم عن

1 - Peterson, Sc; DU's Global Spread Spurs Debate over Effect on Humans, The Christian Science Monitor, April 29, 1999.

2 - Simons, G; The Scourging of Iraq:Sanctions, Law and Natural Justice, New York: St. Marin's Press, 1996.

3 - Sharma, H.D; Investigations of Environmental Impacts from the Deployment of Depleted Uranium-Based Munitions. Part I Report and Tables,Table VI, following pp.iii,20,lv .December 2003. Available from the MTP (Ref 13.).

التأثيرات البيولوجية، الناجمة عن التعرض لجرعة إشعاعية كبيرة، دماراً مبكراً/ حاداً/ يصيب أنسجة الجسم وخلاياه.

والثاني: غير مباشر- يحصل على بعد مئات الأمتار من انفجار الهدف، أو فيما بعد، في الأيام التالية من المعارك، عبر تنفس أو بلع جزيئات الغبار المذكور. وهذا التأثير عبارة عن تسمم إشعاعي وكيميائي في آن واحد. تعتمد شدته أو درجته على كمية الجزيئات التي تم تنفسها أو ابتلاعها، يسبب دماراً متأخراً/ لاحقاً/ في الجسم .

وأوضح الباحث دان فاهي بأن خطورة اليورانيوم المنضب على صحة الإنسان تصل الى أقصى مداها عند الاستنشاق أو البلع، حيث يتم استنشاق جزيئات أكسيد اليورانيوم من السحابة المتكونة في ميدان المعركة وتطايرها في الجو وانتقالها الى أماكن أخرى عبر الرياح. كما يتم انتقال تلك الجزيئات من اليدين الى الفم كنتيجة لتلوث اليدين باللمس لأسطح الدبابات والمصفحات الملوثة به، أو عقب تناول طعام أو شرب ماء ملوث بتلك الجزيئات، أو بسبب تلوث الجروح الناجمة عن شظايا اليورانيوم المنضب [١] [٢] [٣] [٤]

وتبين ان استنشاق جسيمات أكسيد اليورانيوم غير الذائبة يؤدي الى استقرارها في الرئتين، وتبعث إشعاعاتها في الجسم لفترات طويلة اعتمادا على عمر النصف البيولوجي. في هذه الحالة، ويبدأ اليورانيوم ونواتج الانحلال بالإشعاع، مؤدياً الى قتل أو تدمير الخلايا المجاورة، وتعمل فعلها في أعضاء الجسم وأنسجتها وخلاياها، خاصة أجهزة التكاثر والعظام، مدمرة جهاز

1 - Fahey, D. Depleted Uranium, The Stone Unurned, Report on Exposures of Persian Gulf War Veterans and Others to depleted Uranium Contamination, Swords to Plowshares, 1997.

2 Morris, K. J; Barker. C. L.; Batchelor. A. L. & Khanna P. (1992). Domestic implication of pulmonary macrophage clusters observed with in lungs of rats that have inhaled enriched UO2 particales. Environ .Health perspect; 97: 201-208.

3 -Fulco, C.E; Liverman. C.T & Sox. HC. (2000).Gulf War and Health. Vole 1. Depleted uranium.pyridostigmine bromide, Siren vaccines. Committee on Health effects Associated with Exposures during the Gulf War. Division of Health promotional and disease prevention .Institute of Medicine. National Academy press. Washington, D.C.ISBNO-309-07-178-X

4 -Elena , S .C; Abu-Qar .A. W; Melissa. M. M. & Carofolo. C; Depleted uranium: and natural uranium: Chemistry and toxicological effect. J. Toxicol Environml Health, part; 7:297-317, 2004

المناعة، محدثة تكوينات خبيثة، وطفرات جينية، وتشوهات خلقية، وغيرها من الحالات المرضية غير القابلة للعلاج [١].

وهكذا، فإن التسمم الكيميائي والشعاعي Chemical & Radiological toxicity يُعد من النتائج المتوقعة عند التعرض لليورانيوم ومركباته ، حيث يكون التسمم الشعاعي هو الأكثر تأثيراً [٢]. وقد أكد العالم البريطاني روجر كوجهيل، وهو من علماء البيولوجيا التجريبية، العلاقة بين اليورانيوم المنضب وأنواع السرطان في العراق، بأن جزيئا واحدا من اليورانيوم المنضب يستقر في العقدة الليمفاوية كفيل بتدمير جهاز المناعة بالكامل، وينجم عنه أنواع خطيرة من السرطان وتشوهات الاجنة. والعلاقة بين الاثنين قائمة ظاهريا من الوجهة البيولوجية [٣].

وتأكيداً لما ورد أعلاه، عرّضت عالمة السموم ساندرنا وايز وزملاؤها في جامعة ساوثرن ماين في بورتلاند، سليفات خلايا ليفية fibroblasts مأخوذة من قصبات هوائية بشرية مستنبتة، الى جسيمات اوكسيد اليورانيوم، كالموجودة في غبار اليورانيوم المنضب، ووجدوا بأنها سببت طفرات في كروموسومات الخلايا، وأفنت الخلايا نفسها، وزاد خطر إصابة الإنسان بسرطان الرئة مع زيادة تركيز الجسيمات التي تعرضت لها الخلايا البشرية، والتي أدت الى زيادة أثر السمية الجينية Genotoxic. وأوضح الباحثون بأن جسيمات اليورانيوم المنضب تسبب تأثيراتها السمية وتقوم بتكسير كروموسومات خلايا الرئة البشرية، وتستحث induce بتأثيرها ومن حيث الوقت والتركيز، إعتقاداً على التأثير السمي الخلوي Cytotoxic (إنتاج أثر سام على الخلايا) والكلاستوجيني Clastogenic (المسبب في تعطيل أو تكسير الكروموسومات) في الخلايا الرئوية للإنسان [٤].

المبحث الثالث: التلوث الإشعاعي عقب الحرب على العراق.

١ - علي فهد الطائي وكاظم المقدادي، استخدام اليورانيوم المنضب في العراق: تأثيراته في البيئة وصحة السكان، المجلة العلمية للأكاديمية العربية في الدنمارك، العدد المزدوج 6/7 ، 2009

2 MORRIS, K. J; BARKER. C. L.; BATCHELOR. A. L. & KHANNA P. (1992)-IBID.

٣ - اليورانيوم المستنفذ يشوه الأجنة، "البيان" الإماراتية، 1/8/1999

4 - WISE, S. S; W. D. THOMPSON, ABOU EL-MAKARIM A, D. MICHAEL, D. MASON, AND J. P. WISE ; PARTICULATE DEPLETED URANIUM IS CYTOTOXIC AND CLASTOGENIC TO HUMAN LUNG CELLS, CHEM. RES. TOXICOL., 2007, 20 (5), PP 815-820

أنجزت منذ عام ١٩٩٣ في العراق العديد من الدراسات الميدانية، عراقية وأجنبية، للمواقع التي قصفت بالصواريخ، أو دارت فيها معارك بالدبابات، للكشف عن التلوث الإشعاعي الناجم عن استخدام ذخائر اليورانيوم في الحرب على العراق، ووجدته منتشراً، خاصة في المناطق الجنوبية، حيث كشفت عن تراكيز عالية جدا من النويدات المشعة التابعة لسلسلة اليورانيوم - ٢٣٨ التي تنبعث منها أشعة غاما، وعلى الأخص الثوريوم - ٢٣٤، البروتكتونيوم - ٢٣٤، والراديوم - ٢٢٦، إضافة الى وجود تراكيز عالية من اليورانيوم.

من الدراسات: اللجنة الطاقة الذرية العراقية وكلية العلوم بجامعة بغداد(قدمت نتائجها للأمم

المتحدة)

ولقسم الهندسة البيئية في جامعة بغداد [١] و لبهاء الدين حسين معروف وفريقه [٢] ولمقدم صالح وأحمد مغوار [٣]، وللعزاوي والساجي [٤]، وللعزاوي ومعروف وعارف [٥].

ولللحلي [٦] ولمغوار [٧] وللساجي [٨] ولبطرس ووارتان وبترس [٩] وللغرابي [١٠] ولمؤسسة [CPIAB] [١١] ولخاجك وارتانيان [١٢]، وغيرها..

¹ -Al-Azzawi, S and others, Damage resulted from the use of DU Weaponary against Iraq, Technical report published in Arabic, Environmental Engineering Dept. College of Engineering University of Baghdad, Iraq, 157 pp.

^٢ - بهاء الدين معروف حسين، التلوث باليورانيوم المنضب في العراق، "الشعب" المصرية، 23/1/2004.

³ - Mikdam S, and A. Meqwar, The Effects of Using DU by the Allied Forces on Men and the Bioshre in Selected Regions of the Southern Area of Iraq, Paper presented at: International Conference on the Health and Environmental Consequences of Depleted Uranium Use by the United States and British Forces in the 1991 Gulf War, Baghdad-Iraq, 2-3 December 1998

⁴ - Al-Azzawi, S., and M. Al-Saji. Effects of radioactive on surface and ground water in selected regions in southern Iraq. J. Arabic Universities Association, Vol. 6, No.1, Baghdad, 1999.

⁵ - Al-Azzawi, S., Maarouf, B. Arif.A, Environmental consequences resulted from the use of DU weapons on water and selected areas in Al-Basrah governorate. J. Engin., College of Engineering, 2002, Vol. 7, No. 1, University of Baghdad, Baghdad, Iraq.

⁶ - Al-Hilli, W., 1998. "Effects of radioactive weapons on soil and air quality in Iraq", M. Sc. Thesis in environmental engineering. College of Engineering. University of Baghdad. Baghdad, Iraq, 1998.

⁷ - Maguar, A., 1998. "Effects of radiological pollution on human and living

ومن الدراسات الأجنبية: ففي عام ١٩٩٦، زار البصرة العالم الكندي هاري شارما ، وأجرى قياسات اشعاعية ميدانية أثبتت وجود التلوث الإشعاعي منتشراً، ووجد جزيئات اليورانيوم المنضب في بول قدامى المحاربين الأمريكيين بكميات تتراوح بين ٢٥٢ و ٩٢٤ نانوغرام. ولدى قدامى المحاربين العراقيين: ١٤٧ و ٤٢٦ نانوغرام. كما ووجد جزيئات اليورانيوم المنضب في بول مدنيين عراقيين يقيمون في بغداد عام ١٩٩١-١٩٩٤ مع ان بغداد لم تتعرض للقصف الأمريكي في ذلك الوقت، مفسراً ذلك بانتقال الجزيئات المذكورة الى هناك عبر الرياح. وتوقع شارما ان يموت بالسرطان ما بين ٥ - ١٢٪ من الذين تعرضوا لتلك الأسلحة. موضعاً: قد يستغرق ذلك ٢٠ عاماً، أو أقل، وقد تصبح نسبة المتوفين اكبر او اصغر. ولكن، في كل الأحوال، ثمة خطر واضح وكبير [٦].

وفي مؤتمر دولي بلندن عام ١٩٩٩ أعلن العالم البريطاني روجر كوجهيل: نعرف أنه تم إطلاق نحو مليون رصاصة من اليورانيوم المنضب في حرب الخليج، ولا يزال الكثير منها موجوداً في الصحراء، الأمر الذي ينجم عنه أنواع خطيرة من السرطان وتشوهات الأجنة، مؤكداً ان

environment in southern Iraq". MSc. thesis, environmental engineering. College of engineering. University of Baghdad, Baghdad, Iraq.

¹ - Al-Saji, M., 1998, "Effects of radiological weapons on surface and groundwater quality in selected areas southern Iraq". M. Sc. thesis in environmental engineering. College of Engineering, University of Baghdad, Baghdad, Iraq.

² - Butrus, S., Wartan, K., and Butrus, L., 2002, "Assessing radioactive contamination levels in Basrah governorate". Proceedings of the conference on the effects of the use of DU weaponry on human and environment in Iraq, March 26-27, 2002, Baghdad, Iraq, published in Arabic.

³ - Al Ghurabi, S. et. al., 2002, "DU pollution in southern Iraq after ten years". Proceedings of the Conference on the effects of the use of DU weaponry on human and environment in Iraq. published in Arabic. Vol. 1, March 26-27, 2002, Baghdad, Iraq

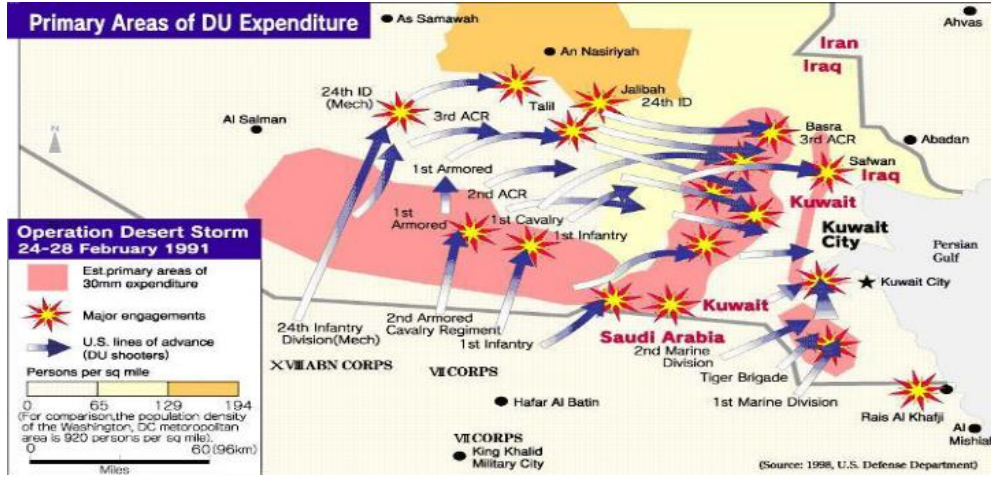
^٤ - منى خماس، الحرب القذرة ضد العراق، " الجزيرة نت"، 16/7/2003

⁵ - Al-Azzawi, S., and M. Al-Saji. Effects of radioactive on surface and ground water in selected regions in southern Iraq. J. Arabic Universities Association, Vol. 6, No.1, Baghdad, 1999.

⁶ - Sharma ,H.D; Investigations of Environmental Impacts from the Deployment of Depleted Uranium-Based Munitions. Part I Report and Tables, December 2003. Available from the MTP (Ref 13.).

جزئياً واحداً من اليورانيوم المنضب يستقر في العقدة الليمفاوية كفيل بتدمير جهاز المناعة بالكامل [١]

وفي عام ٢٠٠٠، زار البصرة العالم البريطاني كريس بسبي، وهو السكرتير العلمي للجنة الأوروبية لدراسة مخاطر الإشعاع، وأجرى بنفسه قياسات إشعاعية، بأجهزة حساسة متطورة جداً، جلبها معه، وأثبت تلوثاً إشعاعياً خطيراً، وتغيرات كيميائية سامة غريبة، رغم مرور ١٠ أعوام على الحرب [٢]-



شكل (١): المناطق التي تم إستهدافها في حرب عام ١٩٩١

وفي أيلول- تشرين الأول ٢٠٠٣، أي عقب توقف الحرب بنحو ٤ أشهر، أجرى مركز أبحاث طب اليورانيوم (Uranium Medical Research Center (UMRC) وهو مركز بحثي دولي مستقل متخصص بالأبحاث الطبية لليورانيوم، مركزه الرئيس في نيويورك، وله فروع في كندا وبريطانيا وإيطاليا وفرنسا وألمانيا، وغيرها)، دراسة ميدانية ومسحاً إشعاعياً واسعاً، شمل مدينة بغداد وضواحيها وكافة مدن وسط وجنوب العراق لحد أبي الخصيب. وكان الفريق العلمي برئاسة العالم الكندي تيد ويمان، وضم العديد من العلماء، ومنهم: العالم الألماني غونتر، والعالم العراقي محمد الشخلي، والبروفسور الدكتور ألبيرست شوط، والباحث الدكتور إكس كاردايس، وجميعهم متخصصون بالإشعاع والطب الذري. وقد أخذ الفريق عينات من الهواء والماء والتربة، من الركام والحطام، وأنقاض البنائات، ومن الجثث، ومن مرضى، ومن أحياء تعرضوا للتلوث الإشعاعي، أرسلت العينات لمختبرات دولية في الخارج. وقد أثبتت

١ - علماء يبحثون في لندن علاقة اليورانيوم الناضب بالوفيات في العراق، "الشرق الاوسط"، 1999 /2/8.

٢ - عاصفة اليورانيوم، الجزء الأول، برنامج: "سري للغاية" إعداد وتقديم: يسري فوده، فضائية "الجزيرة" 2000 /02/11.

الدراسة انتشار التلوث الإشعاعي في كافة أرجاء العراق التي تم مسحها، وتجاوزت نسب التلوث في بعض المناطق ١٠ - ٣٠ ألف مرة الحدود المسموح بها دولياً [١]..وأكدت المختبرات الألمانية المتخصصة التلوث الإشعاعي وبدرجة خطيرة في العينات التي جلبها العلماء من العراق [٢]. وما تزال المخلفات الحربية المشعة منتشرة في العديد من مناطق العراق [٣].

في السياق ذاته، كشفت عالمة الهولندية ريان تولي Rianne Teule الخبيرة بالإشعاع، التي تفقدت موقع التوثية وما حولها، ضمن فريق جماعة السلام الأخضر «غرينبيس»، وأجرت قياسات إشعاعية ميدانية بجهاز حديث وحساس، جلبته معها، بأن الناس في الاماكن القريبة من التوثية يستقبلون في نصف ساعة إشعاعاً يعادل الحد الاقصى الذي يستقبله الشخص خلال عام كامل بالمعايير الغربية، مما يعرضهم لمخاطر كبيرة للإصابة بالسرطان وغيره من امراض الاشعاع. وقد وجدت تولي في أحد المنازل أن هناك تلوثاً إشعاعياً بلغ أكثر من ١٠ آلاف مرة الحد المسموح به [١]. وأكد فريقها العلمي بالإستناد الى القياسات الإشعاعية التي أجراها في منطقة التوثية، وجود تلوث إشعاعي خطير على بعد كيلومترات من الموقع النووي، في الحقول والبيوت المجاورة. وقد بينت القياسات الإشعاعية، التي أجريت للعشرات من البيوت المحيطة بمقر هيئة الطاقة الذرية، فيما بعد، تسرب التلوث الإشعاعي الى كل مكان، حتى في مقتنيات البيوت [٢].

من جهته، أكد د. خالد عباس رشيد- مدير قسم تقنيات المياه في منظمة الطاقة الذرية العراقية، أن عمليات نبش المدافن النووية واستخراج بعض محتوياتها سبب ارتفاع نسب التلوث الإشعاعي إلى معدلات عالية جداً، تجاوزت في بعض المناطق الحدود المسموح بها دولياً للسلامة الإشعاعية، حيث بلغت درجة الإشعاع نحو ١١ ألف وحدة قياسية [٣].

وأزاء المخاطر الكبيرة، كسرت الوكالة الدولية للطاقة الذرية (IAEA) طوق الضغوطات والتدخلات الأمريكية، المباشرة وغير المباشرة، المفروضة عليها، وأقرت بوجود تلوث

¹ - Weyman, T; 2003. Abu Khasib to Al Ah'qaf: Iraq Gulf War II Field Investiga-tions report, Uranium Medical Research Centre. http://www.umrc.net/os/downloads/Iraq_report_1.doc

^٢ -الفيلم الوثائقي: "ضحايا الأشعاعات"، برنامج: "مشاهد وآراء"، تقديم: ميسون عزام، قناة " العربية" الفضائية، مساء الخميس، 24/8/2006

³ - AL-MUQDADI, K; THE RADIOACTIVE MILITARY WASTES IN IRAQ:THEIR NATURE, SIZE, CONTAMINATED AREAS AND THE REQUIRED PROCEDURES.THIS PAPER WAS PRESENTED AT: THE CONFERENCE ON : "ENVIRONMENTAL POLLUTION IN IRAQ: CAUSES, EFFECTS & SOLUTIONS, 2016; THE CRUCIFORM LT1 THEATRE; UNIVERSITY COLLEGE LONDON (UCL); GOWER STREET, LON-DON WC1E 6BT.

إشعاعي خطير في منطقة التويثة، معلنة بأن أكثر من ألف مواطن عراقي يعيشون في قرية واحدة بالقرب من المجمع السابق للبرنامج النووي العراقي، بضمنهم أطفال ونساء، يهددهم الخطر نتيجة للتلوث بالإشعاعات الذرية، حيث مستوى الإشعاع أعلى بكثير من الطبيعي، وإن بقاءهم عرضة للإشعاع لفترة أطول يعرضهم لخطر أكبر. وأعتبر دنيس ريسينوفير- خبير الأمان لدى الوكالة الدولية للطاقة الذرية والمسؤول عن التنظيف- ان المهمة ضخمة، ويمكن ان تستغرق سنين عديدة. وأضاف ان الأولوية هي فحص وتحديد وتطوير المناطق الأكثر خطورة بالتلوث الأشعاعي [٤].

وأظهرت النتائج تلوثاً عالياً جداً في التربة، وقد وصل متوسط الخلفية فيها ٢,٨ بكريل/كغم (متوسط عالمي) [٥]. وأكدت دراسة علمية أعدتها وزارة العلوم والتكنولوجيا العراقية بأن ٨٤ ألف طن من القنابل ألقيت على مساحة ٤٠٠٠ ميل مربع من جنوبي العراق، وأضافت أن ٧ مليارات غالون من الوقود العسكري استخدمت في حرب عام ١٩٩١ و ٩٠٠ مليون غالون للطائرات وحدها في تلك الحرب ناهيك عن حرب عام ٢٠٠٣. وأدى احتراق هذه الكميات من الوقود حسب الدراسة في حرب عام ١٩٩١ إلى إنتاج ٦٥ مليون طن من ثاني أكسيد الكربون، وستة آلاف و ٣٧٠ طناً من جسيمات المواد المعدنية و ٣٨ ألفاً و ٥٩٧ طناً من أكسيد الكربون، و ٩٨ ألفاً و ٣٦ طناً من أكسيد النتروجين، و ٢٥٤ طناً من ثاني أكسيد الكبريت [٦]. ونشر موقع Natural News الأمريكي تقريراً هاماً أكد فيه بأن منطقة الخليج أصبحت مليئة بالإشعاعات الخطرة بسبب الحروب الأمريكية في المنطقة. حيث استخدمت ذخائر من اليورانيوم المنضب مما يؤدي إلى زيادة عدد المصابين والوفيات بالأورام السرطانية. وأوضح

١ - كاظم المقدادي، التلوث الإشعاعي وضحاياه في العراق، مجلة " البيئة والتنمية"، العدد 79، تشرين الأول 2004

2 - Radiation expert backs call for full inspection of contaminated areas in Iraq

<http://www.greenpeace.org.uk/nuclear/radiation-expert-backs-call-for-full-inspection-of-contaminated-areas-in-iraq>

٣ - كاظم المقدادي، وزارة البيئة أمام مهمات أنية عاجلة، مجلة "الثقافة الجديدة"، العدد 311، كانون الثاني 2004.

4 - 1000 IRAQIS AT RISK OF NUCLEAR CONTAMINATION, SAYS IAEA, BY: IAN TRAYNOR, THE GUARDIAN, 25 APRIL 2006.

٥ - علي فهد الطائي وكاظم المقدادي، استخدام اليورانيوم المنضب في العراق، المجلة العلمية للأكاديمية العربية في الدنمارك، العدد: 6 / 7، 2009.

٦ - وكالة "النخيل" للأنباء، 29/7/2010

التقرير أن الإشعاعات التي أطلقتها الحروب الأمريكية في العراق تفوق الإشعاعات التي ترتبت على إلقاء القنابل النووية على هيروشيما وناجازاكي في نهاية الحرب العالمية الثانية [١]. وفي عام ٢٠٠٩، أوضحت دراسة عراقية بان كمية اليورانيوم في تربة البصرة إرتفعت من ٦٠-٧٠ بيكريل للكيلوغرام الواحد من التربة قبل عام ١٩٩١ إلى ١٠,٠٠٠ بيكريل للكيلوغرام الواحد في عام ٢٠٠٩. وتم تسجيل ٣٦,٢٠٥ بيكريل للكيلوغرام في المناطق التي تركت بها مخلفات الحرب [٢].

وفي نفس العام، نجح مركز الوقاية من الإشعاع التابع لوزارة البيئة دراسة خاصة بقياس الخلفية الإشعاعية لمناطق تعرضت لقذائف اليورانيوم المنضب في جنوب العراق، وتناولت الدراسة، التي أعدها الخبير الفيزيائي محمد عبد الحلیم- من المركز المذكور- إجراء عدد من القياسات الإشعاعية، شملت المناطق الصحراوية جنوب البصرة، ومنطقة حفر الباطن، حيث تم قياس الإشعاعات على الآليات العسكرية بمحطة متعرضة لقذائف اليورانيوم المنضب، ومحطة ضخ خرنج، الواقعى قرب الحدود السعودية، والمتعرضة للقصف من قبل قوات التحالف. وتوصل الى وجود زيادة في الخلفية الإشعاعية في منطقة حفر الباطن بمقدار ١٠ أضعاف مدينة بغداد. كما تم التوصل الى وجود علاقة بين التعرض للإشعاع المؤين والأصابة بمرض السرطان، وخاصة بين الأطفال الذين هم بعمر ١١ عام، حيث كانوا أجنة عام ١٩٩١، وذلك لكون الإشعاع يؤثر بشكل كبير على الخلايا الحديثة التكوين [٣].

وتزايد القلق أكثر فأكثر بشأن مواقع الخردة، التي تكثر في بغداد ومدن اخرى تقع بين العاصمة والبصرة [٤]. وكان برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP) قد أعلن بان المواقع

1 - Depleted Uranium Shells Used by U.S. Military Worse Than Nuclear Weapons ,by: David Gutierrez, staff writer, Natural News, Tuesday, May 20, 2008

٢ - العراق: هل تقف مخلفات الحرب والتلوث وراء الزيادة في الوفيات

بالسرطان؟، بغداد- شبكة الأنباء الإنسانية (IRIN)، 18 اكتوبر/2009

- مركز الوقاية من الإشعاع ينجز دراسة خاصة بقياس الخلفية الإشعاعية للمناطق التي تعرضت لقذائف اليورانيوم المنضب جنوبي العراق، عامر زكي، "البيئة والحياة"، السنة الثانية، العدد 29، 2009.

4 - Iraq littered with high levels of nuclear and dioxin

contamination, study finds, By Martin Chulov- Baghdad, The Guardian, UK, 22 January 2010

الملوثة في العراق هي بالآف^[١]، وحدد في عام ٢٠٠٥ نحو ٣١٥ موقعاً ملوثاً باليورانيوم المنضب في العراق، مشيراً الى إن تطهيرها سيتطلب سنوات عدة^[٢].

وكشف مسح جوي، أجراه فريق علمي أجنبي، في أواسط عام ٢٠١٠، وجود أكثر من ١٤٣ موقعاً ملوثاً باليورانيوم في ٧ محافظات، منها: ١٦ موقعاً ملوثاً باليورانيوم في محافظة ديالى، وأكثر من ٢٠ موقعاً في بابل، و ١١ موقعاً ملوثاً في واسط، منتشرة على عموم المحافظة، القسم الأكبر منها في شمال المحافظة وغربها، و ١٤ موقعاً ملوثاً في ميسان، و ٢٢ موقعاً ملوثاً في البصرة، و ٢٠ موقعاً ملوثاً في الناصرية، وأكثر من ٤٠ موقعاً ملوثاً في بغداد^[٣].

وكان الباحث كاظم المقدادي قد نبه في عام ٢٠٠٠ الى إن مهمة الكشف عن تأثيرات استخدام ذخيرة اليورانيوم المنضب ومعالجتها بقدر ما هي مهمة وطنية ملحة، إلا انه لا يمكن لبلد واحد، مهما امتلك من امكانيات، ولا حتى للوكالة الدولية للطاقة الذرية IAEA ولا للوكالة الدولية لأبحاث السرطان IARC التابعة لمنظمة الصحة العالمية WHO، ولا غيرها، إنجازها لوحدها. كما ضاعف التأخر في معالجتها طيلة عقد كامل من تعقيد إنجاز المهمة. لذا فان كل يوم يمر يزيد من التعقيدات، ويفاقم التلوث وما ينجم عنه، ويصعب على الاطباء معالجة المصابين. وإذا ما بوشر بالمهمة فان العمل سيجري في مواقع ملوثة، تلوثاً إشعاعياً وسمياً واسعاً وخطيراً. وهذا بحد ذاته يخلق مشاكل وصعوبات وعراقيل جمة إضافية أمام إنجاز المهمة، وبخاصة أمام القائمين بها^[٤].

المبحث الرابع: وبائية السرطانات وأبرز التغيرات الحاصلة عليها.

نتيجة لاستخدام لقذائف اليورانيوم في الحرب على العراق في عامي ١٩٩١ و ٢٠٠٣ تفاقمت تداعيات التلوث الإشعاعي على السكان في العراق. ونتيجة لذلك أصيب مئات الآلاف من المواطنين العراقيين بأمراض عضال، في مقدمتها الأمراض السرطانية الخطيرة، أثبت العديد من العلماء والخبراء المختصين الأجانب والعراقيين علاقتها الارتباطية بالتعرض لإشعاعات دخائر اليورانيوم ومخلفاتها الحربية.

^١ - UNEP, Assessment of Environmental " Hot Spots " in Iraq, Switzerland, 2005:

^٢ - "السومرية نيوز"، 19/6/2010،

^٣ - ضياء ثابت السراي، المواقع الملوثة باليورانيوم في العراق، "الحوار

المتمدن"، العدد: 3106، 26/8/2010

^٤ - كاظم المقدادي، الكشف عن تأثيرات اليورانيوم المنضب مهمة إنسانية أنية ملحة!، مجلة "الثقافة الجديدة"، العدد 296، أيلول-تشرين الاول 2000.

اتخذ انتشار السرطان في العراق طابعاً وبائياً. وتعريف الوباء هو إزدياد عدد الإصابات الناتجة عن مرض محدد في منطقة محددة وخلال فترة زمنية محددة، تترافق الأوبئة مع نسبة وفيات عالية وشروط حياتية سيئة [١].

هذا المرض الخبيث حصد ويحصد منذ نحو عقدين بلا هوادة و لا رحمة حياة الآلاف من العراقيين. ليست هناك أرقام معتمدة عن الأصابات السرطانية. لكن مصادر تقول أنها تجاوزت المليون إصابة، وبلغت الوفيات بالسرطان عشرات الآلاف [٢]. ومع أن الجهات الحكومية لا تسمح بالاطلاع على الإحصائيات الحقيقية، بل وتشوهها، إلا ان الواقع كشف الحقائق للقاصي والداني. فقد أعلنت الدكتورة لقاء الياسين -رئيسة لجنة الصحة والبيئة في مجلس النواب العراقي- خلال ندوة عقدت لمناقشة الواقع البيئي في محافظة النجف، في أيار/مايس ٢٠١١، ارتفاع عدد المصابين بالأمراض السرطانية في العراق إلى ٦٤٠ ألف [٣]. وفي نيسان / أبريل ٢٠١٤ كشف محافظة بغداد علي محسن التميمي ان المحافظة تملك إحصاءات رسمية تشير الى تسجيل ٦٠٠ الف مواطن مصاب بالسرطان في بغداد وحدها نتيجة للتلوث البيئي [٤].

وتقف الجهات الصحية العراقية عاجزة تماماً عن عمل أي شيء، لأسباب متعددة. ولم يعد سراً بان اغلب الإصابات والوفيات السرطانية جاءت نتيجة لتعرض العراق الى الهجمات بالأسلحة التي تحتوي على اليورانيوم المنضب [٥].

لضيق المجال، سنركز هنا على البصرة باعتبارها من أكثر المدن العراقية تضرراً من الحروب التي خاضها العراق منذ ١٩٨٠ حتى ٢٠٠٣، إلا أن حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ كانت أكثر تأثيراً من غيرها، إذ تعرضت عشرات الأهداف العسكرية والمنشآت الحكومية إلى ضربات جوية عنيفة من قبل قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة. وقد برنامج الأمم المتحدة

١ - غنوة خليل الدقوقي، أمراض الحروب، "مقهى العلوم"، 24/4/2008،

http://www.science-cafe.net/files/War_Illnesses.pps.

٢ - كاظم المقدادي، ا لتلوث الإشعاعي في العراق وإستخدام الذخائر المشعة. مستجدات علمية، في كتاب: التلوث الأشعاعي والمضاعفات الصحية لحروب الخليج، إضاءات، منظمة المجتمع العلمي العربي، 2015.

٣ - 640 ألف مصاب بالامراض السرطانية في العراق ، قاسم الكعبي- "المواطن"، 7/5/2011

٤ - 600 ألف مصاب بالسرطان في بغداد ،وفاء عامر -

"الصباح"، 10/4/2014

٥ - كاظم المقدادي، التلوث الأشعاعي في العراق بين الحقائق والتضليل، دار نشر " فيثيون ميدي" بالسويد، ط 1، 2014.

للبيئة (UNEP) بانه خلال حرب ٢٠٠٣ أطلقت على العراق قذائف تحتوي على ١٧٠٠ طن من المواد [١].

وأكدت تقارير لمنظمات عالمية استخدام أسلحة غير تقليدية تحتوي على نسب متفاوتة من اليورانيوم المنضب، الأمر الذي تسبب بأحداث تغيرات بيئية أدت إلى ارتفاع معدلات الإصابة بأمراض السرطان وحالات التشوهات الخلقية لدى الأطفال حديثي الولادة.

من الدراسات المحلية الأولى: أكدت دراسة للباحث الدكتور جواد العلي ارتفاع الإصابات السرطانية في البصرة من ١١ حالة لكل ١٠٠ ألف نسمة في عام ١٩٨٨ الى ٧٥ حالة في عام ١٩٩٨، والى ١١٦ حالة في عام ٢٠٠١، والى ١٢٣ حالة لكل ١٠٠ ألف نسمة في عام ٢٠٠٢ [٢]، أي بزيادة أكثر من ١١ مرة. وارتفعت حالات الوفيات الناجمة عن السرطان من ٣٤ ٣٤ حالة وفاة في عام ١٩٨٨ الى ٦٤٤ حالة في عام ٢٠٠٢، أي بزيادة ١٩ مرة. ولاحظ العلي أن أغلب الأطفال المصابين هم لأباء شاركوا في حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، وقسم من أمهاتهم أنجبن أكثر من طفل مصاب. وكشف بأن ٥٧ إصابة سرطانية تعود لـ ٢١ أسرة تقطن مركز مدينة البصرة، و ١٧ إصابة لـ ٧ أسر من القرنة والمدينة، و ٦ إصابات لدى ٣ أسر من الزبير وأبو الخصيب وشط العرب - لكل أسرة مريضان [٣].

وأطلعَ الدكتور العلي الصحفي البريطاني المتخصص بالشرق الأوسط روبرت فيسك، في آذار ١٩٩٨، على خرائط لمناطق الإصابة بالسرطان حول مدينة البصرة الجنوبية وأراضيها الزراعية، التي كانت ساحات للقتال في الأيام الأخيرة من حرب الخليج في عام ١٩٩١ والتي تشبعت بغبار اليورانيوم المنضب. وأظهرت الخرائط زيادة بمقدار ٤ أضعاف في حالات الإصابة بالسرطان في تلك المناطق [٤].

1 - Oliver, T; How war debris could cause cancer, The New Scientist magazine, issue 2672 , September 03, 2008, page 8-9.

2 - Al-Ali,J; The effects of wars and the use of depleted uranium on Iraqi Southern District (Basrah),.International Conference on Environmental Effects of War, The examples of Agent Orange and Depleted Uranium, ABF , Stockholm , 23-24 April 2004

3 - Al-Ali,J; 1- Leukemia and Congenital malformations in the Basra area following the Gulf War, Seminar on Health Effects of Uranium Exposure, Karolinska Institutet, 22 April, 2004.

4 - Fisk,Robert; Allies blamed for Iraq's cancer torment, The Independent, London,4 March 1998.

ووجد البرفسور عمران حبيب وفريقه المكون من اختصاصيين في التلوث الإشعاعي من كلية الطب ودائرة صحة البصرة أثناء رصدهم للسرطان والزيادة الحاصلة فيه، ان الإصابات المسجلة بالبصرة هي ٧٠ إصابة لكل ١٠٠ ألف نسمة في السنة، وهذا الرقم اقل من الرقم الحقيقي. ومع هذا فان نسبة الإصابة الحالية اكبر من النسب السابقة قبل عشر سنوات بمعيار الإصابات و الوفيات، إذ كانت ٤٠ إصابة لكل ١٠٠ ألف إصابة، إرتفعت من ٨٠٠ إصابة في عام ١٩٩٥، الى أكثر من ١٦٠٠ إصابة في عام ٢٠٠٥، بما يدل بأن نسبة الزيادة بلغت ١٠٠%، وبضمنها سرطان الدم، وسرطان الثدي، وسرطان الغدد اللمفاوية. وقارنت الدراسة بين نسبة التغير الحاصلة في أنواع السرطانات خلال عامي ١٩٩٥ و ٢٠٠٥- ووجدت بان سرطان الثدي لدى الأناث سجل تغيراً كبيراً (٢٢٧,٥)، جاء بعده سرطان المعدة (١٣٣,٣)، وسرطان البلعوم (١٢١,٤)، والليمفوما (١١٨,٢)، وسرطان المثانة (١٠٠,٠) وسرطان الرئة والقصبات (٩٥,٢) وسرطان القولون- الشرج (٨٨,٢) وسرطان الجلد (٧٠,٨) [١]

وبعد ٣ سنوات من التلوث الإشعاعي الذي حصل في سنة ٢٠٠٣، وجد العلي و ٢٥ طبيباً مختصاً من زملائه في محافظة البصرة، زيادة في نسبة السرطان، حيث بلغت في النساء ٨٠ حالة لكل مئة الف نسمة، اما في الرجال فقد بلغت ٦٨ لكل مئة الف نسمة. وهذا يعطي معدل كلي بحدود ٧٤,٣ لكل مئة الف نسمة، مؤكدين ان هذا المعدل هو ضعف تقريباً ما تحدده منظمة الصحة العالمية لهذه المنطقة. والسبب الوحيد الذي اضيف لتأكيد ازدياد نسبة الامراض السرطانية في المنطقة هو العامل الإشعاعي، الذي لاهم الباحثون منذ عام ١٩٩١.

وأكد الباحثون ثمة عوامل لديها اكثر من حالة سرطانية وهناك ازواج وزوجات تعرضوا لنفس المرض، وكل ذلك دليل على التلوث البيئي في المنطقة [٢].

وشملت دراسة للبرفسور عمران حبيب وزملائه نحو ٣٠٤٧ حالة سرطانية من صنف الأورام الصلبة المسجلة في شعبة السجل السرطاني في محافظة البصرة، ووجدت ارتفاع أعداد الحالات السرطانية من ٤٨٨ حالة في عام ١٩٩٠، الى ٥٤٤ حالة في عام ١٩٩٧، والى ٦٨٨

1 - Omran S. H, J. K. Al-Ali, M. K. Al-Wiswasi, N. A.H. Ajeel ,The Burden of Cancer in Basrah, The State of the Art-First Report, Basrah, October 2006

<http://www.basmhgvf.sihjedcol.com/THE%20BURDEN%20OF%20CANCER%20IN%20BASRAH.pdfhgldfg>

- آقناة "العالم" الفضائية، مختارات برامج العالم، "العراق اليوم"، مقدم البرنامج: حسن مراد، عنوان الحلقة: الجنوب العراقي سلاح الاحتلال وامراض السرطان، 4/12/2007 .

حالة في عام ١٩٩٩، والى ١٣٢٧ حالة في عام ٢٠٠٥. وسجلت معدلاتها تغيراً ملموساً: من ٤٤,٧ في عام ١٩٩٠ الى ٦١,٥ لكل ١٠٠ ألف نسمة في عام ٢٠٠٥ [١].

تأكيداً لما ورد أعلاه، وجدت دراسة للباحثين عمران حبيب وجواد العلي ومحمد الوسواس ونرجس عجيل، شملت ١٦٠٤ حالة سرطانية مسجلة في المناطق المختلفة من البصرة في عام ٢٠٠٥، ان معدل الأصابات السرطانية بلغ ٧٤,٣ / ١٠٠ ألف. وتطابقت نتائج الدراسة مع نتائج دراسة العلي بشأن نصيب مناطق البصرة من الإصابات السرطانية، حيث سجلت المنطقة الغربية/ الزبير أعلى معدل - ١٠٠/٨٠,٠ ألف، جاء بعدها مركز البصرة (١٠٠/٧٨,٤ ألف) والمنطقة الشرقية/ شط العرب (١٠٠/٧٦,٣ ألف) والمنطقة الجنوبية/أبو الخصيب (٧٢,٣ / ١٠٠ ألف) والمنطقة الشمالية/ الهارثة، القرنة، والمدينة (٦٥,٣ / ١٠٠ ألف).

وعلى صعيد عدد ونسب أنواع الحالات السرطانية وجد الباحثون ان الحالات السرطانية الـ ١٦٠٤ التي سجلها عام ٢٠٠٥، منها ٢٨٢ إصابة بسرطان الثدي (١٧,٦%)، أتى بعده سرطان المثانة: ١٠٧ إصابة (٦,٧%) والليمفوما: ١٠٣ إصابة (٦,٤%) وسرطان الجلد: ٩٨ إصابة (٦,١%) وسرطان الرئة: ٨٨ إصابة (٥,٥%) وسرطان الدم: ٦٨ إصابة (٤,٢%) الخ.].

ومن حيث المعدلات، وجد الباحثون أن السرطانات العشرة الأولى سجلت المعدلات التالية: احتل سرطان الثدي المرتبة الأولى، حيث كان معدله ٣١,١ / ١٠٠ ألف نسمة. جاء بعده سرطان المثانة: ٥ / ١٠٠ ألف، والليمفوما: ٤,٨ / ١٠٠ ألف. وجاء ترتيب بقية السرطانات التالي: سرطان الجلد: ٤,٥ / ١٠٠ ألف. وسرطان الرئة والقصابات: ٤,١ / ١٠٠ ألف. وسرطان الدم: ٣,٢ / ١٠٠ ألف. وسرطان القولون-الشرج: ٣,٢ / ١٠٠ ألف. وسرطان الحنجرة: ٣,١ / ١٠٠ ألف. وسرطان المعدة: ٢,٨ / ١٠٠ ألف. وسرطان الأنسجة الرخوة: ٢,٧ / ١٠٠ ألف [٢] [٣]

وهناك دراسات مماثلة كثيرة عن وبائية السرطانات عقب الحرب في بغداد وذو قار وميسان وبابل والنجف وكربلاء ونيوى، والفلوجه، وكلها أكدت تصاعد نسب الإصابات والوفيات عقب الحرب، وكذلك بسبب نبش مواقع طمر النفايات النووية في عداية وغيرها، إضافة الى نهب محتويات مركز الطاقة النووية في التويثة.

1 - Omran S. H and others,2006- Ibid.

2 - Omran S. H, and others,2006-Ibid.

٣ - السرطان في البصرة: تحليل نمط الإصابات والوفيات، من منشورات فريق

أبحاث السرطان في البصرة Basrah Cancer Research Group

المحرر: البرفسور عمران سكر حبيب، الطبعة الثانية، البصرة، 2011

وقد توصل الباحثون المختصون الى وجود علاقة بين التعرض للإشعاع المؤين والأصابة بالسرطان. ولاحظ الأطباء الاختصاصيون حصول تغيرات كبيرة طرأت على وبائية الأمراض السرطانية في المناطق التي استخدمت فيها تلك الأسلحة، خاصة عقب حرب الخليج ١٩٩١، ومنها الكثير من الحالات الغربية لدى أبناء وبنات المناطق التي تعرضت للقصف، خصوصاً في محافظات العراق الجنوبية، ومن هذه التغيرات:

- كثرة حالات الإجهاض المتكرر والولادات الميتة.
- ظهور حالات من التشوهات الولادية ليست فقط رهيبة، بل وغير معروفاً من قبل.
- انتشار العقم لدى رجال ونساء، وبينهم من خلف أو أنجب من قبل.
- كثرة الإصابات السرطانية في المناطق التي قصفت بالأسلحة الغربية.
- انتشار الحالات السرطانية وسط عوائل لم يصب أحد منها من قبل، أي لا تحمل العامل الوراثي، وإنما تقطن في مناطق قصفت بأسلحة اليورانيوم في جنوب العراق عام ١٩٩١. واحياناً أكثر من فرد في العائلة الواحدة. ولاحظ الباحث الدكتور جواد العلي إصابة المريض الواحد بأكثر من حالة سرطانية (٢ و ٣ وحتى ٤ حالات) في آن واحد.
- انتشار أمراض سرطانية وسط أعمار غير الأعمار المعروفة طبياً، مثل سرطان الثدي لدى فتيات بعمر ١٠ و ١٢ سنة، وسرطانات أخرى نادراً ما تصيب شريحة الأطفال.
- ارتفاع الإصابات السرطانية والوفيات بالسرطان بنسب عالية جداً، بلغت أضعاف ما كانت عليه قبل عام [١][٢] 1989.

ثالثاً: الإطار العملي.

يشتمل على ٤ مباحث تتناول منهجية البحث، وعرض وتحليل لنتائج إستبيان الأسر المتضررة وللأطباء الاختصاصيين، وعوامل هامة في الإصابات والوفيات السرطانية.

المبحث الأول: منهجية البحث وحدوده - الزمنية وأدواته.

^١ - Al-Ali, J; Congenital Malformations and Leukemia in the Basrah area following the Gulf War, International Conference on Environmental Effects of War, 2004- Ibid.

^٢ - منى خماس، الحرب الفدرة ضد العراق، " الجزيرة نت"، 16/7/2003

لغرض التعرف على العلاقة الارتباطية بين التلوث الإشعاعي الناجم عن استخدام ذخائر اليورانيوم المنضب وتفشي أمراض السرطان في المحافظات العراقية، لتي تعرضت لتلك الأسلحة، وتأكيد المعطيات العلمية التي ربطت انتشار الأمراض السرطانية باستخدام تلك الذخيرة، اعتمدنا:

١ - المنهج التاريخي. وذلك بسرد أبرز الأحداث والوقائع والحقائق التي تتعلق بموضوع الدراسة.

٢- المنهج التحليلي.

من خلال عرض وتحليل النتائج التي توصلنا إليها، ومناقشتها مع الأبحاث والتقارير العلمية السابقة.

أدوات الدراسة:

1- استبيان عن الأسر المتضررة تم خلال المدة ٢٠-٢-٢٠٠٨ وحتى ٢٠-٦-٢٠١٠ لمعرفة ما لديها من معلومات ذات صلة بإصابات ووفيات أفرادها بالسرطان، وفيما إذا لها علاقة بالحرب وأسلحتها ومخلفاتها الحربية.

اعتمدنا مصطلح (الأسر المتضررة) ونعني به الأسر التي لديها مريض أو متوفي واحد أو أكثر بالسرطان. وشمل الاستبيان عينة كبيرة من الأسر المتضررة، ممن لديها مريض أو متوفي واحد أو أكثر بالسرطان، من غالبية المدن العراقية التي تعرضت للقصف.

استدلينا عليها بمساعدة أفراد منها أو أقرباء أو أصدقاء لها أخذوا موافقتها بتزويدنا بعناوينها وأرقام تلفوناتها، و بالتحرك عليها. وقسم منها هي بادرت بالاتصال بنا تلفونيا، أو طلبت تزودها بصحيفة الاستبيان عبر البريد الإلكتروني وأرسلتها لنا بعد إملائها..

احتوت صحيفة الاستبيان والحديث بالتلفون والمقابلات على أكثر من ٦٠ سؤالاً عن موقع السكن، وعدد أفراد الأسرة، وعن الأطفال، والرجال، والنساء، والعمر، والحالة الاجتماعية للذين اصابوا بالأمراض السرطانية، ونوعية السرطانات، وتأريخ المرض وسيرته، وتشخيصه، ومكان وزمان التشخيص، وعلاقة الأصابة أو الوفاة بالحرب وقذائفها ومخلفاتها الحربية، مركزين على الخدمة العسكرية أثناء الحرب، وعلى المناطق السكنية التي تعرضت للقصف أو فيها مخلفات حربية.

وقد تم التركيز على الأسر التي لها عسكريون شاركوا في العمليات الحربية، وتلك التي تقطن قريباً من ساحة العمليات العسكرية أو من مخلفاتها الحربية. وفي هذا الإطار أجرينا حديث بالتلفون، إضافة الى مقابلات مع عدد من الأسر المتضررة (أنظر: ملحق رقم ١)..

٢-إستبيان لأطباء اختصاصيين ساهموا بتشخيص ومعالجة ومتابعة حالة المرضى، وكانوا شهود عيان أحياء على ما حدث خلال الحرب على العراق، من خلال عملهم في المستشفيات الحكومية والأهلية وفي عياداتهم الخاصة، لتقييم العلاقة من وجهة نظرهم بين الإصابة بالأمراض السرطانية والتلوث الذي حصل باليورانيوم المنضب.

شمل الاستبيان أكثر من ٢٠٠ طبيباً وطبيبة، وتم خلال الفترة ٣٠-٩-٢٠١٠ ولغاية ٣٠-٦-٢٠١٢ (أنظر: ملحق رقم ٢) ..

٣-أجراء تفرغ لإجابات الأسر وللأطباء المختصين على فقرات الاستبيان وتحليل للنتائج احصائياً..

المبحث الثاني: عرض وتحليل نتائج إستبيان الأسر المتضررة

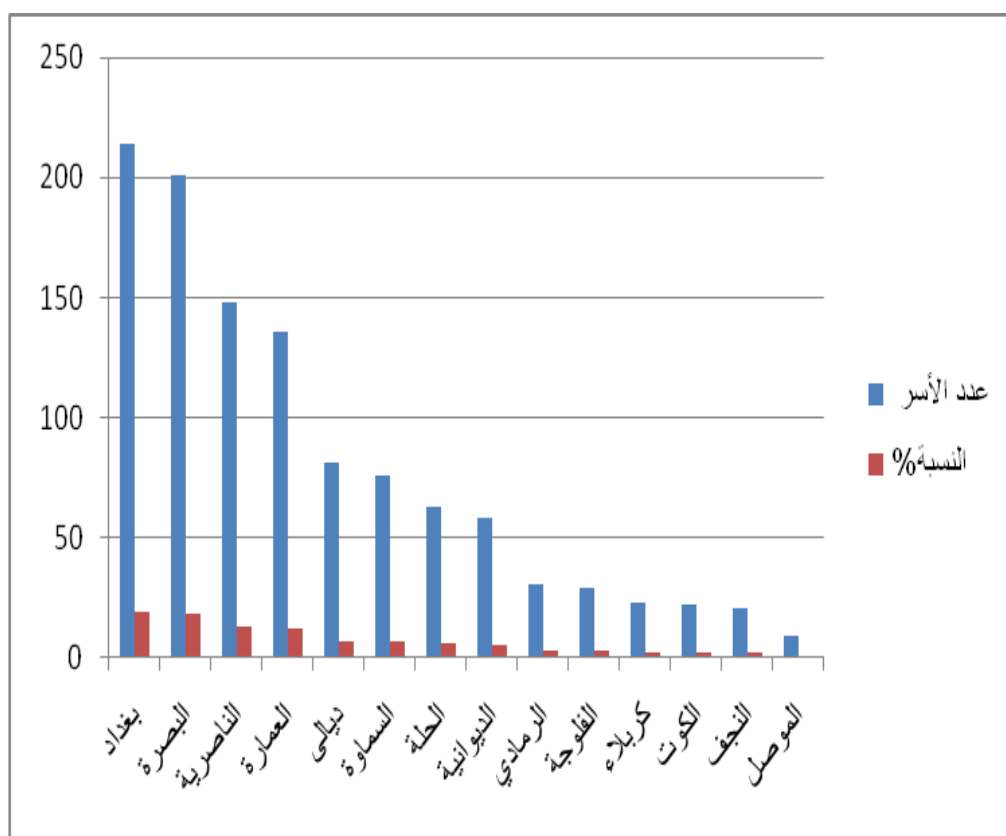
بين تفرغ الإجابات ما يلي:

١ -شمل الاستبيان أكر من ١٣٠٠ أسرة، إلا ان الصالح منها وشمل بالدراسة هو 1112 أسرة تضررت أي لديها مريض أو متوفي بالسرطان واحد أو أكثر. تم ملء صحيفة الاستبيان إياها أما بنفسها أو بمساعدة آخرين. من مجموع الأسر استقينا المعلومات من ٩٢٦ أسرة أو ٨٣,٣ % عبر صحيفة استبيان خاصة بها. وثمة ١٨٦ أسرة، أو ١٦,٧ % منها أجرينا معها مكالمات تلفونية ومقابلات مباشرة.

جميع الأسر المشمولة بالدراسة اصبحت متضررة عقب حرب الخليج الثانية (١٩٩١) وغزو العراق في عام ٢٠٠٣ . وتشمل الأعوام ١٩٩٢ الى عام ٢٠١٠ .

٢- الأسر المشمولة بالدراسة هي من 14 مدينة عراقية، باستثناء مدن كردستان العراق، وذلك لعدم استخدام الأسلحة المذكورة ضدها رسمياً. توزع الأسر على المدن يبينه الشكل رقم (٢).

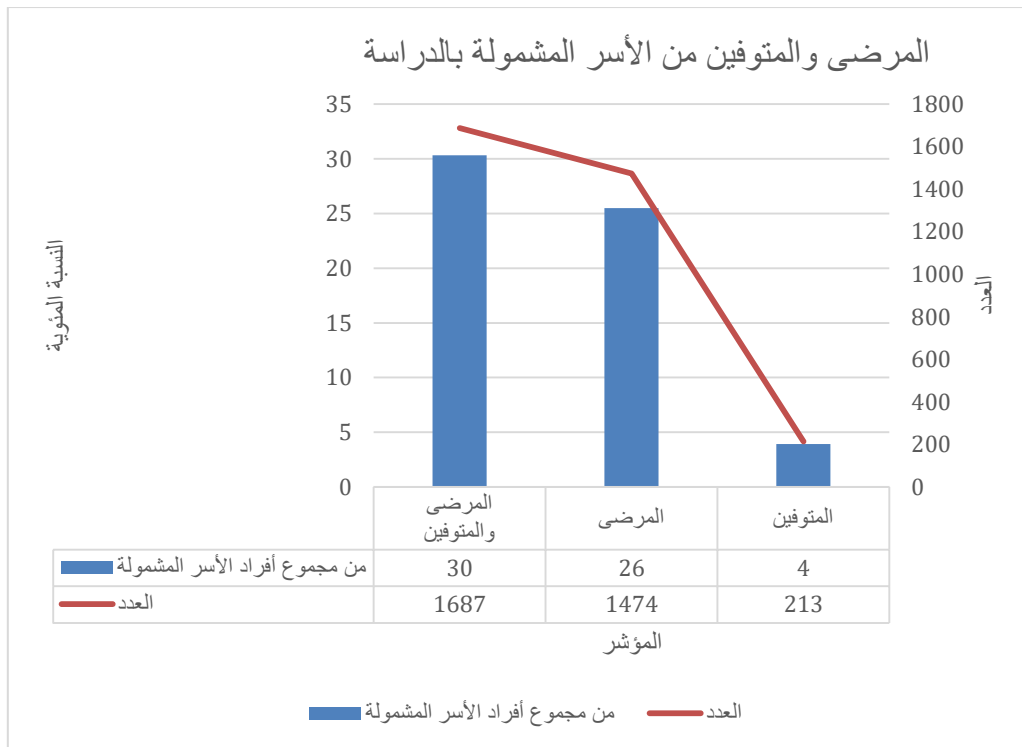
يبين الشكل إن بغداد احتلت الموقع الأول بعدد الأسر المشمولة بالدراسة، حيث بلغت 214 أسرة، جاءت بعدها البصرة: ٢٠١ أسرة، والناصرية: ١٤٨ أسرة، والعمارة 136 أسرة، الخ. وجاءت الموصل بالمرتبة الأخيرة: ٩ أسر...



شكل رقم (2): الأسر المشمولة بالدراسة موزعة على المدن العراقية

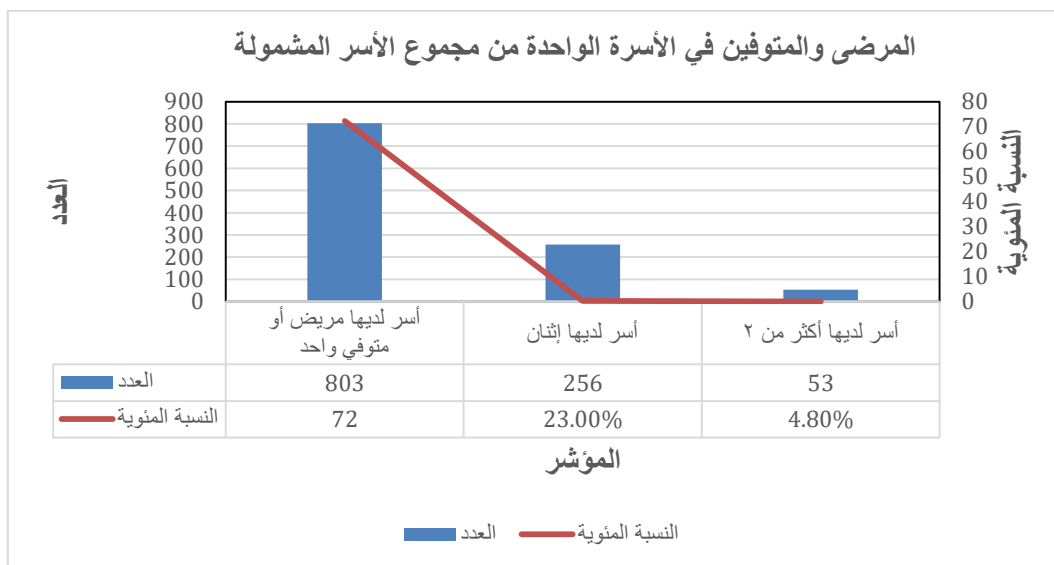
3-- تبين ان معدل عدد أفراد الأسرة الواحدة هو ٥ أفراد. وبذلك فان العدد الأجمالي لأفراد الأسر المشمولة بالدراسة بلغ ٥٥٦٠ فرداً.

٤- وجدنا ان عدد المرضى والمتوفين لدى الأسر المتضررة هو ١٦٨٧ أو ٣٠,٣٤ % من مجموع افراد الاسر المشمولة بالدراسة. أنظر الشكل رقم(٣). وهذه نسبة عالية، تؤكد أن معدلات الأصابة والوفيات بالسرطان عقب الحرب على العراق عالية جداً، وتفند البيانات والإدعاءات الرسمية القائلة بأنها ضمن "المعدلات الطبيعية" المحددة للمنطقة..



شكل رقم (٣)

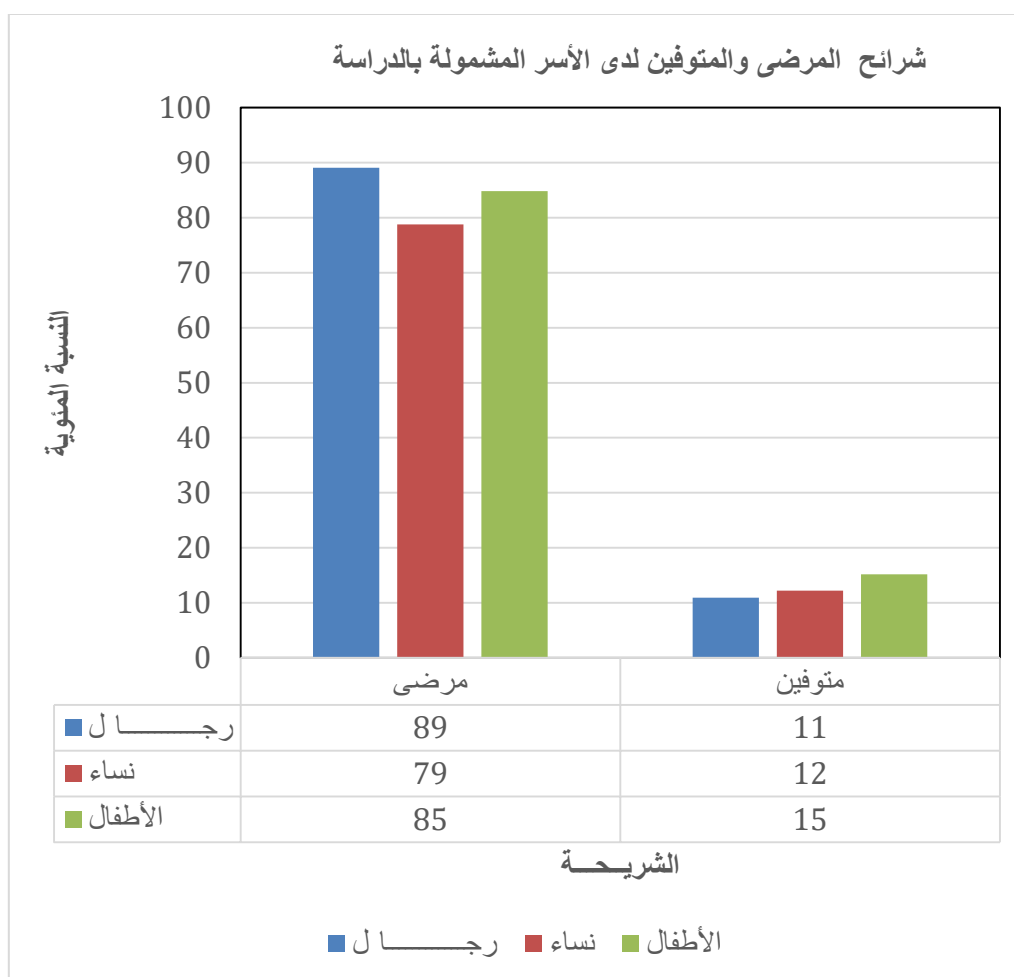
5- بلغ عدد الأسر التي لديها مريض أو متوفي واحد ٨٠٣ أسرة، والتي لديها إثنان ٢٥٦ أسرة، والتي لديها ثلاثة ٥٣ أسرة، من مجموع الأسر المتضررة. الشكل (٤) يوضح توزيع نسبها، إذ بلغت نسبة ٧٢,٢ % من لديها مريض أو متوفي واحد، و ٢٣ % من لديها إثنان، و - 4.6 % ثلاثة.



شكل رقم (٤)

هذه النتيجة تؤكد ما كشف النقاب عنه في البصرة قبل عقدين ونيف الباحث الدكتور جواد العلي من وجود أكثر من مصاب بالسرطان في الأسرة الواحدة وسط عوائل لم يصب أحد منها من قبل بالسرطان، أي لا تحمل العامل الوراثي، وإنما تقطن في مناطق قصفت بأسلحة اليورانيوم في جنوب العراق عام ١٩٩١، إضافة الى إصابة المريض الواحد بأكثر من حالة سرطانية (٢ و ٣ وحتى ٤ حالات) في آن واحد^١].

6- توزع المرضى والمتوفين حسب الشريحة: بلغ عدد الرجال ٨٣٢، أو 49.3% والأطفال ٥٩٣، أو 35.1%، والنساء ٢٦٢ أو 15.5% من مجموع المرضى والمتوفين- الشكل رقم ٥:



شكل رقم (٥)

^١ - Al-Ali, J; The effects of wars and the use of depleted uranium on Iraqi Southern District (Basrah), International Conference on Environmental Effects of War, The examples of Agent Orange and Depleted Uranium, ABF, Stockholm, 23-24 April 2004

يبين الشكل احتلال شريحة الرجال للموقع الأول بالأصابات والوفيات يعود الى أسباب عديدة، ومنها الخدمة العسكرية أثناء الحرب-سنأتي عليها. وأما الأطفال، فيعود احتلالهم للموقع الثاني في الأصابات والوفيات السرطانية لبنية أجسادهم الضعيفة، وهشاشة مقاومتها للسمية الكيميائية والإشعاعية (سنأتي عليها لاحقاً)، التي تعرضت لها أثناء حركتهم ولعبهم فوق وحول المخلفات الحربية الملوثة بالإشعاع.

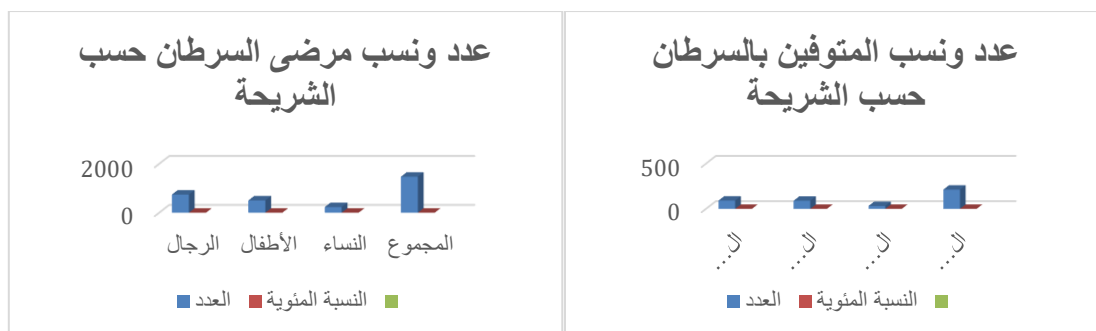
فيما يتعلق بالنساء فيعود الى عوامل اجتماعية بالأساس، وفي مقدمتها ضعف الوعي الصحي وتأثير العادات والتقاليد البالية التي لا تسمح بفحص المرأة المريضة من قبل طبيب رجل، وبالتالي مراجعة المريضات للمستشفيات في حال متقدمة من تطور المرض.

7- النسبة للمرضى: بلغ مجموعهم 1474 مريضاً ومريضة، أو % 87.4 من مجموع المرضى والمتوفين. وهذا العدد يمثل % 26.5 من مجموع أفراد الأسر المشمولة بالدراسة. وهذه النسبة تؤكد ان معدل الأصابات والوفيات السرطانية في العراق عالياً، وفي كل الأحوال ليس طبيعياً إطلاقاً ويفند مزاعم من يدعي ذلك.

8- توزع المرضى حسب الشريحة يبين ان الرجال شكلوا 832، أو 49,3 %، والأطفال 593، أو 35,1 %، والنساء 262 أو 15,5 % - الشكل (٦). وهنا نجد شريحة الرجال في الموقع الأول وشريحة الأطفال في الموقع الثاني، والنساء في الموقع الثالث-أنظر الشكل رقم ٥.

9- وجدنا ان عدد المتوفين بالسرطان بلغ 213 مريضاً، أو 14,45 % من مجموع المرضى. هذه النسبة لوفيات المرضى بالسرطان تشكل نسبة كبيرة، وتدلل على ضعف الخدمات الطبية، إذ يموت أكثر من 14 % من المرضى.

10-توزع المتوفين حسب الشريحة: شكل الرجال 42,7 % والأطفال 42,3 % والنساء 15 % من مجموع المرضى والمتوفين- أنظر الشكل رقم (٧). بيد ان نسب هذه الشرائح من مجموع المرضى بالسرطان لكل شريحة تختلف جذرياً. بالنسبة للرجال هم الضحية المباشرة للحرب، حيث



شكل رقم (٧)

شكل رقم (٦)

ان اغلب المشتركين في الحربين هم من الذكور-سنأتي على التفاصيل في مبحث قادم. وأما الأطفال فقد مات من المرضى منهم (١٧,٩ %)، وماتت من النساء المرضيات (١٣,٩ %)، ومات من الرجال المرضى (١٢,٣ %). وهو ما يؤكد ضعف الخدمات الطبية، إضافة الى العوامل البيولوجية بالنسبة لوفيات الأطفال، باعتبارهم الشريحة الأكثر ضعفاً وهشاشة في مقاومة أجسادهم للأمراض وبخاصة الناجمة عن سمية كيميائية وإشعاعية، لاسيما وان الذكور منهم هم أكثر حرية وحركة من الإناث، وهم أكثر من لعب فوق وحوالي المخلفات الحربية المضروبة بأسلحة اليورانيوم، وأصبحوا أولى ضحاياها. وقد تناول الباحث كاظم المقادي هذه الإشكالية بتفاصيل وافية، الى جانب أعداد ونسب أصاباتهم ووفياتهم بالسرطان في عامي ٢٠٠٦ [١] و ٢٠٠٨ [٢] وتؤكد نتائج بحثنا هذا..

أما وفيات النساء، فهي تعود بالإضافة الى ضعف الخدمات الطبية الى عوامل اجتماعية قبل غيرها، وفي مقدمتها العادات والتقاليد البالية، التي لا تسمح لفحص المريضة من قبل طبيب رجل، وفي المناطق التي لا تتوفر فيها طبيبة تبقى المرأة المريضة بدون فحص ولا علاج. وتشير التقارير الطبية الى ان غالبية النساء المصابات بسرطان الثدي يراجعن المستشفيات في حالات متقدمة جداً-المرحلة الثالثة والرابعة من تطور السرطان[٣]. وفعلاً وجدنا ان نسبة ٦٥ % من النساء المرضيات والمتوفيات تم تشخيص حالتهن بعد سنة وأكثر. ويرتبط بهذا أيضاً أن نسبة كبيرة من المرضيات هن من الأسر الفقيرة التي تعيش على ما يكسبه رب الأسرة من أجور

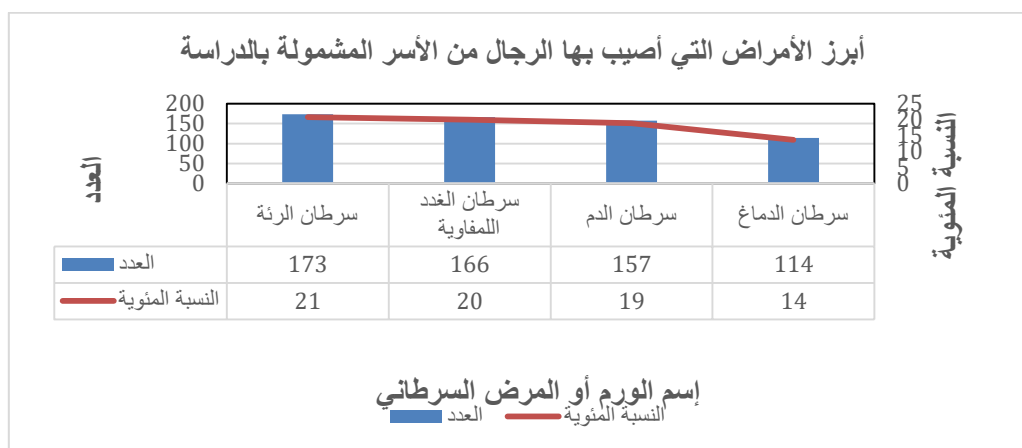
١ -كاظم المقادي، بعض أمراض وأسباب وفيات الأطفال العراقيين في المهجر، مجلة " الثقافة الجديدة"، العدد ٣١٨، أيار/ مايو ٢٠٠٦.

٢ -Al-Muqdad, K; Illnesses and causes of death among Iraqi expatriates children. The Scientific Journal of Arab Academy in Denmark, 3 . 2008.

٣ - الاكتشاف المتأخر للسرطان في العراق يسبب خسائر بشرية وإقتصادية، "إيلاف"، ٢٠١٣/٦/٢٩.

يومية لا تكفي لقمة العيش، ولذا لا تستطيع الأسرة مراجعة الأطباء الاختصاصيين. وهذا ينطبق على كافة مرضى هذه الأسرة.

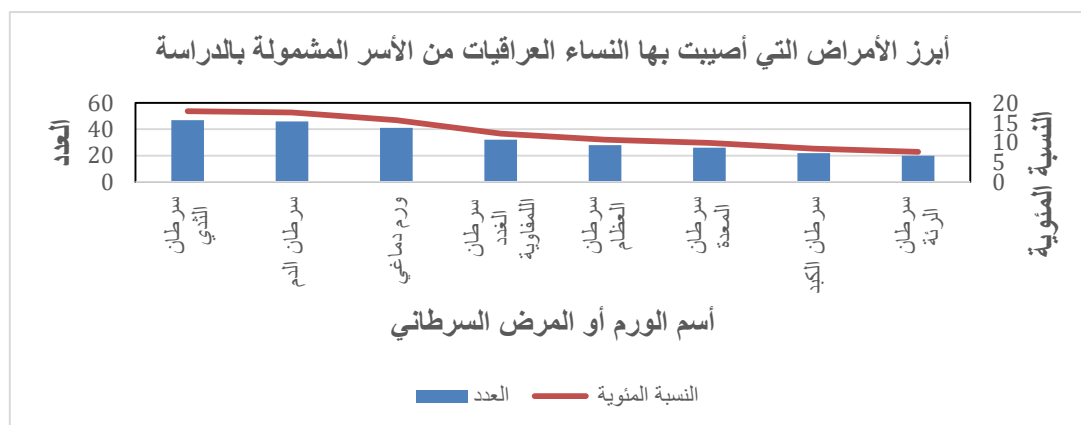
11- أبرز الأمراض والأورام السرطانية التي أصابت الرجال والنساء يبينها الشكلان التاليان:



شكل رقم (٨)

يبين الشكل رقم (٨) ان أبرز الأمراض السرطانية التي أصابت الرجال هي على التوالي: سرطان الرئة، ورم الغدد اللمفاوية (الليمفوما) ، سرطان الدم، ورم دماغي، سرطان العظام، سرطان المعدة، سرطان الكبد، سرطان المسالك البولية.

ويبين الشكل رقم(٩) ان أبرز الأمراض السرطانية التي أصابت النساء هي على التوالي: سرطان الثدي، سرطان الدم، ورم دماغي، سرطان الغدد اللمفاوية، سرطان العظام، سرطان المعدة، سرطان الكبد وسرطان الرئة.



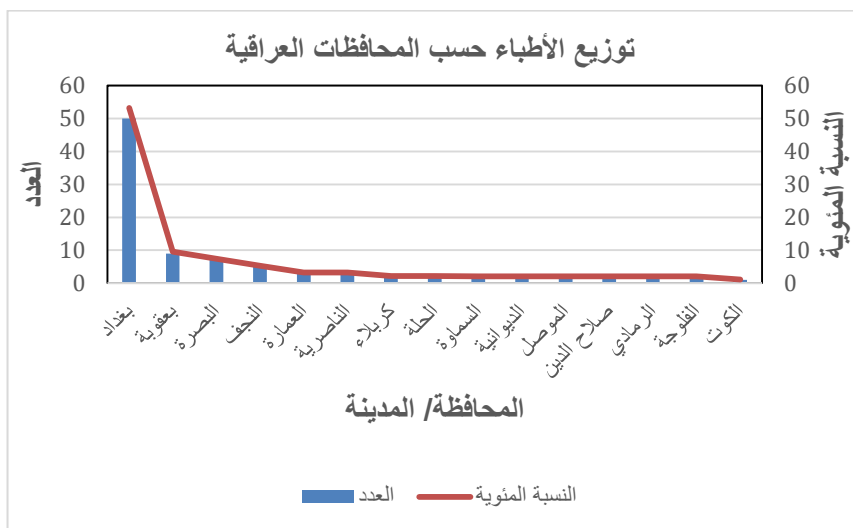
شكل رقم (٩)

12-تشخيص الحالة المرضية: تبين ان تشخيص حالات أغلب المرضى والمتوفين بالسرطان تم بعد سنة وأكثر من إصابته. من مجموع المرضى والمتوفين من الرجال والنساء ثمة 866 أو 51.3 % لدى أسرهم تقارير طبية، نسبة الرجال نحو 71 %، ونسبة النساء نحو. 63 % أما البقية، وهي تتعلق بمرضى فقط، فلم تملك أسرهم تقريراً، وإنما الأطباء أخبروهم بالتشخيص دون تزويدهم بتقرير. ويعود ذلك الى ان هم الغالبية العظمى من المرضى هو العلاج والشفاء، ولا يهتمهم التقرير، باستثناء من يطلب تحويله الى بغداد أو عند السفر للخارج للتشخيص والعلاج.

المبحث الثالث: عرض وتحليل نتائج استبيان الأطباء

الاختصاصيين

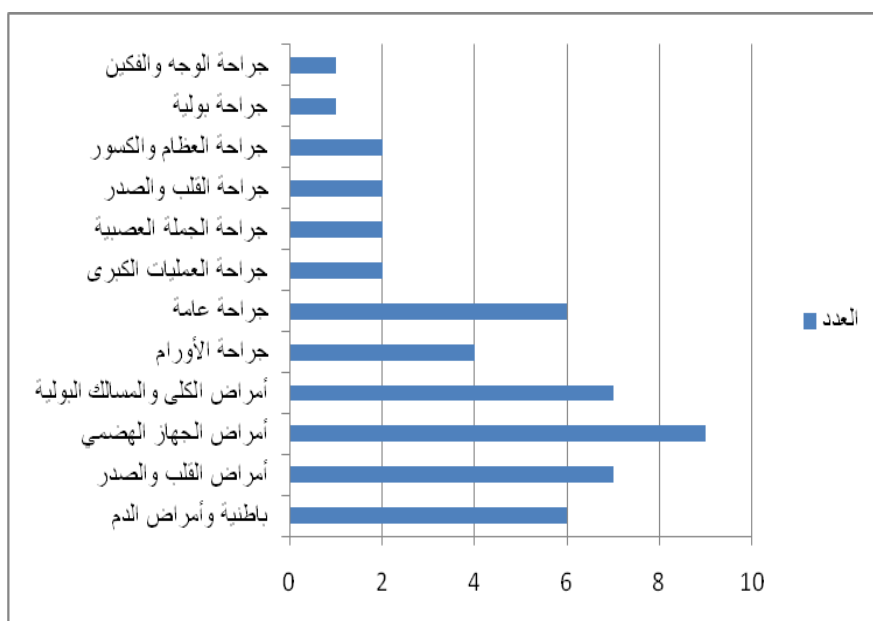
1-أفلحنا باستطلاع 94 طبيباً اختصاصياً ساهم بتشخيص ومعالجة ومتابعة حالة مرضى السرطان، وكان شاهداً حياً على ما حصل أثناء وعقب الحرب على العراق. وقد بين تفريغ اجاباتهم ما يلي:
-الأطباء هم من 15 مدينة عراقية، باستثناء مدن كردستان العراق.
الشكل رقم 10 يوضح توزيعهم



شكل رقم (10)

جاءت بغداد بالمرتبة الأولى: ١٥ طبيباً أو ٥٣,٢ (%، ويعود ذلك لتواجد أكبر عدد من المستشفيات الحكومية والأهلية فيها، ووجود مركز ومستشفى الشعاع والطب الذري، وبالتالي وجود أكبر عدد من المستشفيات والعيادات والأطباء الاختصاصيين المعنيين بموضوع الدراسة.

٢- اختصاصات الأطباء المشمولين بالدراسة يوضحها الشكل رقم ١١، وشملت: الطب الباطني وتفرعاته والطب الجراحي وتفرعاته، ومنها طب وجراحة الأورام، طب الأطفال، النسائية والتوليد، التخدير والعناية المركزة، الأشعة والسونار، المفاصل والتأهيل الطبي، الباثولوجي، وغيرها



شكل رقم (11):توزع إختصاصت الأطباء

٣-- رأي الأطباء:

بحثاً عن أسباب الأصابات والوفيات بالسرطان بين تفريغ إجابات الأطباء الاختصاصيين ما يلي:

* أبرز الأمراض السرطانية التي لاحظها الأطباء عقب الحرب هي على التوالي: سرطان الدم، سرطان الثدي، سرطان الرئة، أورام الغدد اللمفاوية، سرطان المعدة، الخ.. وهو ما يؤكد صحة ما أفادت به الأسر المتضررة بشأن أنواع السرطان التي أصابت أفراد أسرها.

* جنس المرضى: لاحظوا ان الذكور شكلوا ٤٨,٩ % وشكلت الإناث نسبة ٢٨,٧ % والبقية (٢٢,٤ % يعتقدون ان النسب كانت متساوية تقريباً بين الذكور والإناث.

* الفئات العمرية للمرضى: لاحظوا على التوالي: فئة الشباب والشابات بعمر ٢٠-٣٠ سنة، أنت بعدها فئة ٤٦-٦٠ سنة. بعدها جاءت شريحة الأطفال بعمر ٦-١٧ سنة.

* رأى ٩٣,٦ % من الأطباء الاختصاصيين ان معدل الأصابات السرطانية في العراق غير طبيعي. وأعتبره طبيعي فقط ٣,٢ % . وأجاب نحو ٣ % بأنهم لا يعرفون..

* قدر نصف عدد الأطباء الاختصاصيين المشمولين بالدراسة ان الزيادة في الأصابات السرطانية بلغت ٣-٤ أضعاف ما كانت عليه قبل الحرب. وأكد نحو ٦٥ % من الأطباء بأنهم لاحظوا الزيادة في الأصابات السرطانية عقب حربي ١٩٩١ و ٢٠٠٣.

* يعتقد ٦٢ % من الأطباء الاختصاصيين ان لاستخدام أسلحة اليورانيوم المشعة دور كبير في انتشار الأمراض السرطانية في العراق. وأعتبر ١٥ % ان هذا الدور متوسط. ب ينما أعتبره ضعيف ٣ % فقط، ومثلهم - لا دور لها.

* أكد ٥٩ طبيياً أو ٦٢,٨ % ان المعلومات التي أفادوا بها مبنية على الواقع المعاش في المستشفيات التي يعملون فيها وفي عياداتهم الخاصة. وثمة ٣٢ طبيياً أو ٣٤ % أفادوا بأن ملاحظتهم مبنية على إطلاع على احصائيات موثقة، وعلى نتائج دراسات علمية، عراقية وأجنبية، إضافة الى تبادل المعلومات مع زملاء لهم.

المبحث الرابع: عوامل هامة في الإصابات والوفيات السرطانية.

ركزنا -كما أشرنا- على المناطق السكنية الملوثة بالإشعاعات وعلى الخدمة العسكرية، باحثين عن دورها في الأصابات والوفيات السرطانية للأسر المتضررة. فبين تفريغ اجابات الأسر المشمولة بالدراسة ما يلي:

-1-- دور الحي أو المحلة أو المنطقة، التي تسكن فيها الأسرة المتضررة: تبين بان ٦٢٣ أسرة، أو ٥٦ % من مجموع الأسر المشمولة بالدراسة تعرضت للقصف بصواريخ وقنابل التحالف ضد العراق أثناء حرب عام ١٩٩١، و ٤٠٩ أسر ، أو ٣٦,٨ % في المئة- أثناء حرب عام

٢٠٠٣. وثمة ٢١٦ أسرة، أو ١٩,٤%، تعرضت مناطقها للقصف مرتين- أثناء حربي ١٩٩١ و ٢٠٠٣.

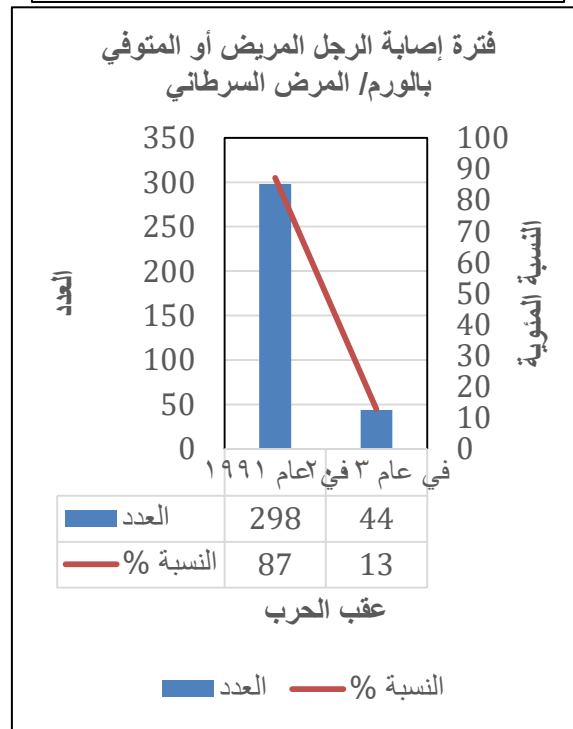
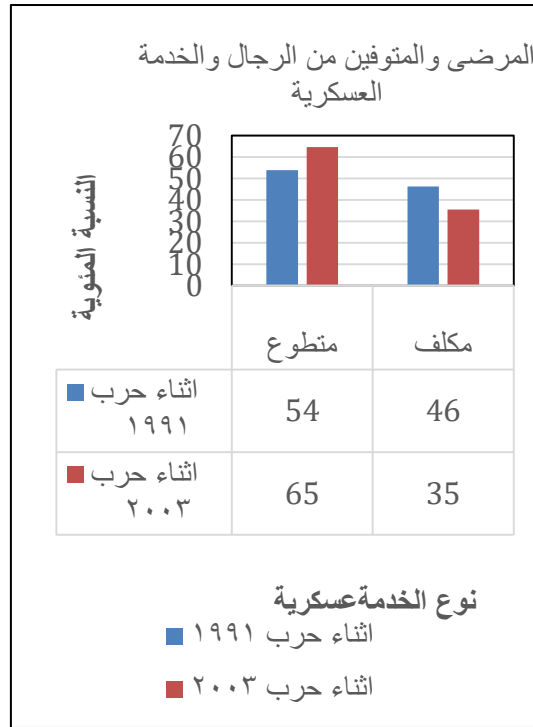
وأجابت ٧٧٢ أسرة، أو ٦٩,٤% من الأسر، بأنه كان / أو ما يزال / يوجد في مناطقها السكنية ركام/ مخلفات حربية !

وأكدت ١٠٣٢ أسرة، أو قرابة ٩٣% من الأسر، بأن أحداً لم يخبرها، في يوم ما، عن وجود تلوث إشعاعي في منطقتها السكنية. ولم ينبهها الى مخاطر المخلفات الحربية، مع العديد من القاطنين هناك أصيبوا وبعضهم توفي بالسرطان. وكان المسؤولون المعنيون يشاهدون لسنين عديدة الأطفال يلعبون فوق وحول المخلفات الحربية المضروبة بالصواريخ، ويمر الكبار والصغار والحوامل بالقرب منها، ويقفون عندها، ولم يحركوا ساكناً !

2- دور الخدمة العسكرية: تبين أن من مجموع الرجال المرضى والمتوفين كان 342 أو 42.6% يخدمون في العسكرية أثناء الحرب، منهم 211 أو 61.7% كانوا متطوعين، و 131 أو 38.3% مكلفين.. وتبين أيضاً انه قد أصيب أو توفي بالسرطان عقب حرب عام 1991 نحو 298 أو 87%، وعقب حرب 2003 نحو 44 رجلاً أو 12%-أنظر الشكل رقم 11.

وكانت الأمراض التي أصيبوا بها وتوفي بعضهم بسببها التالية: سرطان الرئة 20.8%، سرطان الغدد اللمفاوية 19.9%، سرطان الدم 18.9%، سرطان الدماغ 13.7%، سرطان العظام 13.3% سرطان المعدة 11.9%، أورام أخرى 1.4%.(الشكل رقم 12). وهذا يتطابق مع تشخيصات الأطباء الاختصاصيين- كما سنرى بعد قليل.

وتبين أيضاً ثمة 22 أرملة من المريضات والمتوفيات ان لوفاة الزوج علاقة بالحرب- إما لكونه عسكرياً فتوفي في المعارك، أو نتيجة للقصف.



الشكل رقم (١٣)

الشكل رقم (١٢)

وأكد ٣٧ طبيباً إختصاصياً، أو ٣٩,٧ % بأنهم يعرفون بأن قسم من مرضاهم كانوا يخدمون في العسكرية أثناء الحرب. و ٤٥ طبيباً أو ٤٨ % يعرفون بأن قسم منهم كانوا يعيشون في مناطق تعرضت للقصف بأسلحة الحرب. و ٢٤ طبيباً أو ٢٥,٥ % يعرفون بأن قسم منهم كانوا يعيشون

في مناطق توجد فيها مخلفات حربية و١٥ طبيباً أو ١٥,٦ % يعرفون بان قسم من مرضاهم تعاملوا مع مخلفات حربية، وتحديداً الحديد السكراب/ الخردة و١٤ طبيباً أو ١٤,٩ % يعرفون بان قسم منهم تعامل مع حاويات (براميل وغيرها) ملوثة بالإشعاع تم نهبها من مركز الطاقة النووية العراقية في التويثة.

علماً بان علماء منظمة السلام الأخضر (Green peace) الذين زاروا المنطقة وفحصوا الموقع ميدانياً ووجدوا تلوثاً إشعاعياً خطيراً حذروا من تداعيات صحية وخيمة على من تعامل معها. وكان الباحث الدكتور كاظم المقدادي قد كتب ونشر مراراً في وسائل الاعلام العراقية والعربية عن التلوث الشعاعي وضحاياه في التويثة والمدائن]. [٢][١]

رابعاً: الاستنتاجات والتوصيات.

1- استخدمت القوات الأمريكية وحليفاتها خلال ١٢-عاماً، في حربين مدمرتين على العراق، كميات هائلة من ذخائر اليورانيوم المنضب، وخلفت آلاف الأطنان من المخلفات الحربية المشعة في أرجاء وسط وجنوب العراق.

2-تسليطنا الضوء على طبيعة ذخائر اليورانيوم المنضب، التي استخدمت على العراق مرتين، وعلى محتوياتها من مواد مشعة وعناصر ثقيلة خطيرة، وعلى سميتها الكيميائية والإشعاعية، بين بوضوح الصلة الارتباطية المتينة لهذه الذخائر الحربية بحصول كارثة صحية وخيمة من أبرز مؤثراتها انتشار الأمراض السرطانية، التي طالت أكثر من مليون عراقي وعراقية، وقتلت الآلاف منهم.

3-بينت نتائج دراستنا، بالاستناد الى رأي أطباء مختصين ساهموا بتشخيص ومعالجة ومتابعة حالة المرضى، ان معدل الأمراض السرطانية في العراق عقب الحرب لم يكن بمستوى طبيعي. وقد ارتفعت معدلاته أضعاف ما كانت عليه قبل حرب عام ١٩٩١.

4- لعب قصف المدن بالصواريخ والقنابل والمخلفات الحربية المقصوفة المتروكة في المناطق والأحياء السكنية، وعدم التخلص منها في وقتها، وعدم التنبيه الى مخاطر إشعاعاتها من قبل الجهات الرسمية المعنية، دوراً كبيراً في الإصابات السرطانية بين المدنيين.

1 - Radiation expert backs call for full inspection of contaminated areas in Iraq

<http://www.greenpeace.org.uk/nuclear/radiation-expert-backs-call-for-full-inspection-of-contaminated-areas-in-iraq>

٢ - كاظم المقدادي، التلوث الإشعاعي وضحاياه في العراق، مجلة " البيئة والتنمية"، العدد 79، تشرين الأول/ أكتوبر 2004

5- ذات الدور لعبته المعدات والبراميل الملوثة بالإشعاع التي تم نهبها من مركز الطاقة النووية في التويته.

6- لعبت الخدمة العسكرية دوراً كبيراً في الأمراض والوفيات السرطانية وسط الرجال المتطوعين والمكلفين بالخدمة أثناء الحرب.

7- ضعف الوعي الصحي، والجهل، والفقر، والتقاليد الاجتماعية البالية، إضافة الى سوء الخدمات الطبية في ظل تدهور الوضع الصحي، لعبت دورها في تأخر الكشف عن الأصابات السرطانية، وفي مراحل متقدمة جداً، خاصة وسط شريحة النساء، وفي تزايد حالات الوفيات السرطانية.

8- الكارثة الصحية التي سببها التلوث الشعاعي عقب الحرب لم تحض باهتمام الحكومات العراقية المتعاقبة. تتطلب جسامه المشكله إجراء المزيد من الدراسات العلمية، وصولاً لمعالجات جديّة شاملة.

9- نقترح ان تجرى دراسة ميدانية أوسع وأشمل للأسر المتضررة، ودراسة أخرى للمقارنة بين الأسر المتضررة والأسر غير المتضررة من الحرب في المناطق التي لم يتم قصفها ولا توجد فيها مخلفات حربية.

١٠- إعادة التقييم الميداني للمناطق الملوثة بالإشعاع، للتخلص من الملوثات وللكشف عن الأصابات السرطانية، الى جانب تفعيل الإجراءات الوقائية لحماية الصحة العامة.

11- الاهتمام الجدي بنشر الوعي الصحي والثقافة الطبية، وبذات الوقت مكافحة التقاليد الاجتماعية البالية التي تتجاهل مخاطر الأمراض وتستهين بها، وضحيته المرأة التي تشكل نصف المجتمع..

خامساً-المصادر والمراجع

باللغة الأجنبية

1- Morris, K. J; Barker. C. L.; Batchelor. A. L. & Khanna P; Domestic implication of pulmonary macrophage clusters observed with in lungs of rats that have inhaled enriched UO2 particales.Environ .Health perspect; 97: 201-208.1992

2-Simons, Geoff; The Scourging of Iraq:Sanctions, Law and Natural Justice, New York: St. Marin's Press, 1996.

- 3-Fahey, D. Depleted Uranium, The Stone Unurned, Report on Exposures of Persian Gulf War Veterans and Others to depleted Uranium Contamination, Swords to Plowshares, 1997.
- 4-Fisk,Robert; Allies blamed for Iraq's cancer torment, The Independent, London,4 March 1998.
- 5- Fahey, Dan; Case Narratives- Depleted Uranium, 3 rd A ed, 20 Septembre 1998, Interim. Report by the Swords to Plowshares, Inc.NationalGulf War Resource Center, and Military Toxics Project, Inc.
- 6-Mikdam Saleh and Ahmed Meqwar, The Effects of Using DU by the Allied Forces on Men and the Bioshre in Selected Regions of the Southern Area of Iraq, Paper presented at: International Conference on the Health and Environmental Consequences of Depleted Uranium Use by the United States and British Forces in the 1991 Gulf War, Baghdad-Iraq, 2-3 December 1998
- 7-Radiation expert backs call for full inspection of contaminated areas in Iraq <http://www.greenpeace.org.uk/nuclear/radiation-expert-backs-call-for-full-inspection-of-contaminated-areas-in-iraq>
- 8-Durakovic, Asaf; Medical Effects of Internal Contamination with Uranium, Croatian Medical Journal, Vol.40, No1, March 1999
- 9-Peterson, Scott; DU's Global Spread Spurs Debate over Effect on Humans, The Christian Science Monitor, April 29, 1999.
- 10- Al-Azzawi, S., and M. Al-Saji. Effects of radioactive on surface and ground water in selected regions in southern Iraq. J. Arabic Universities Association, Vol. 6, No.1, Baghdad, 1999.
- 11-Fulco, C.E; Liverman. C.T & Sox. HC. (2000).Gulf War and Health. Vole 1. Depleted uranium.pyridostigmine bromide, Siren vaccines. Committee on Health effects Associated with Exposures during the Gulf War. Division of Health promotional and disease prevention .Institute of Medicine. National Academy press. Washington, D.C.ISBNO-309-07-178-X
- 12-Al-Azzawi, S., Maarouf, B. Arif.A, Environmental consequences resulted from the use of DU weapons on water and selected areas in Al-Basrah governorate. J. Engin., College of Engineering, 2002, Vol. 7, No. 1, University of Baghdad, Baghdad, Iraq.

- 13-Hari D. Sharma , Investigations of Environmental Impacts from the Deployment of Depleted Uranium-Based Munitions. Part I Report and Tables, December 2003. Available from the MTP (Ref 13).
- 14-Depleted uranium casts shadow over peace in Iraq ,by Duncan Graham-Rowe, with additional reporting by Rob Edwards, The New Scientist Magazine, issue 2391, 15 April 2003
- 15- Weyman, Tedd , 2003. Abu Khasib to Al Ah'qaf: Iraq Gulf War II Field Investigations report, Uranium Medical Research Centre.
http://www.umrc.net/os/downloads/Iraq_report_1.doc
- 16-Colin B. Seymour & Carmel Mothersill, OPINION Radiation-induced bystander effects - implications for cancer, Abstract: Perspectives: Nature Reviews Cancer 4, 158-164 (Feb 2004)
- 17-Al-Ali, Jawad ;The effects of wars and the use of depleted uranium on Iraqi Southern District (Basrah),.International Conference on Environmental Effects of War, The examples of Agent Orange and Depleted Uranium, ABF , Stockholm , 23-24 April 2004
- 18-Al-Ali, Jawad ; Leukemia and Congenital malformations in the Basra area following the Gulf War, Seminar on Health Effects of Uranium Exposure, Karolinska Institutet, 22 April, 2004.
- 19-Elena , S .C; Abu-Qar .A. W.; Melissa. M. M. & Carofolo. C. Depleted uranium: and natural uranium: Chemistry and toxicological effect. J. Toxicol Environml Health, part; 7:297-317, 2004
- 20-UNEP,Assessment of Environmental " Hot Spots" in Iraq,Switzerland, 2005:
- 21-Hindin, Rita, Doug Brugge, and Bindu Panikkar, "Teratogenicity of Depleted Uranium aerosols: A review from an epidemiological perspective " Environmental Health: A Global Access Science Source 2005.
<http://www.ehjournal.net/info/instructions/>
- 22-- Bertell Rosalie "Depleted Uranium: All the questions about DU and Gulf War Syndrome are not yet answered". International Journal of Health Service 36(3), 503-520, 2006.
- 23 Omran S. Habib, Jawad K Al-Ali, Mohammed K. Al-Wiswasi, Narjis AH Ajeel ,The Burden of Cancer in Basrah, The State of the Art-First Report, Basrah, October 2006

<http://www.basmhgvf.sjhjedcol.com/THE%20BURDEN%20OF%20CANCER%20IN%20BASRAH.pdfhgldq>

- 24-Al-Muqdadi,K;Illnesses and causes of death among Iraqi expatriates children. The Scientific Journal of Arab Academy in Denmark, 3 . 2008.
- 25-Depleted Uranium Shells Used by U.S. Military Worse Than Nuclear Weapons ,by: David Gutierrez, staff writer,Natural News, Tuesday, May 20, 2008
- 26- Oliver,Tickell; How war debris could cause cancer, The New Scientist magazine, issue 2672 , September 03, 2008, page 8- 9.
- 27--Busby, Chris; Malak Hamdan and Entesar Ariabi ,Cancer, Infant Mortality and Birth Sex-Ratio in Fallujah, Iraq 2005–2009,The International Journal of Environmental Research and Public Health (IJERPH), 2010, 7(7), 2828-2837.
- 28-Iraq littered with high levels of nuclear and dioxin contamination, study finds, By Martin Chulov- Baghdad, The Guardian, UK, 22 January 2010
- 29-Manduca ,Paola; Increase of birth defects and miscarriages in Fallujah, Laboratory of Genetics, DIBIO, University of Genoa, Italy ,New Weapons research group, March 25, 2011.
- 30 Samira Alaani, Mozghan Savabieasfahani, Mohammad Tafash and Paola Manduca, Case report: Four Polygamous Families with Congenital Birth Defects from Fallujah, Iraq, J. Environ. Res. Public Health, 2011, 8 (1), 89-96
- 31-Al-Muqdadi1, K, and N. Al-Ansari2; Nature, Size and Contaminated Areas of the Waste of War in Iraq, Journal of Earth Sciences and Geotechnical Engineering, vol. 3, no. 3, 2013, 93-107 ISSN: 1792-9040 (print), 1792-9660 (online) Scienpress Ltd, 2013
- 32-Sharma,H. “Investigations of Environmental Impacts...” Part I, Table VI, following pp.iii,20,Iv .
- 33- Al-Muqdadi;K;The radioactive military wastes in Iraq:Their nature, size, contaminated areas and the required procedures.This paper was presented at: The Conference on :''Environmental Pollution in Iraq: Causes, Effects & Solutions, 2016; The Cruciform LT1 Theatre; University College London (UCL); Gower Street, Lon-don WC1E 6BT.

باللغة العربية

- ١- عبد الرحمن فؤاد عبد الفتاح، اليورانيوم المنضب: تطبيقاته ومخاطره، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٣.
- ٢- محمد الشبخلي، غبار اليورانيوم المشع يهدد العراق والخليج بكارثة بيئية، " البيئة والتنمية"، العدد ٦٩، ديسمبر ٢٠٠٣.
- ٣- متى خماس، الحرب القذرة ضد العراق، " الجزيرة. نت"، المعرفة-ملفات خاصة، العراق، ٣/١٠/٢٠٠٤.
- ٤- كاظم المقدادي، التلوث الإشعاعي وضحاياه في العراق، مجلة " البيئة والتنمية"، العدد ٧٩، تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٤.
- ٥- الأضرار البيئية والصحية للحرب في مؤتمر علمي دولي في السويد، " البيئة والتنمية"، العدد ٧٥، حزيران/يونيو ٢٠٠٤.
- ٦- كاظم المقدادي، بعض أمراض وأسباب وفيات الأطفال العراقيين في المهجر، مجلة " الثقافة الجديدة"، العدد ٣١٨، أيار/مايو ٢٠٠٦.
- ٧- علي فهد الطائي وكاظم المقدادي، استخدام اليورانيوم المنضب في العراق: تأثيراته في البيئة وصحة السكان، المجلة العلمية للأكاديمية العربية في الدنمارك، العدد المزدوج ٧/٦، ٢٠٠٩.
- ٨- مركز الوقاية من الإشعاع ينجز دراسة خاصة لقياس الخلفية الإشعاعية للمناطق التي تعرضت لقذائف اليورانيوم المنضب جنوبي العراق، عامر زكي، " البيئة والحياة"، السنة الثانية، العدد ٢٩، ٢٠٠٩.
- ٩- ضياء ثابت السراي، المواقع الملوثة باليورانيوم في العراق، " الحوار المتمدن"، العدد: ٣١٠٦، ٢٠١٠/٨/٢٦.
- ١٠- السرطان في البصرة: تحليل نمط الإصابات والوفيات، من منشورات فريق أبحاث السرطان في البصرة (Basrah Cancer Research Group (BCRG))، المحرر: البرفسور عمران سكر حبيب، الطبعة الثانية، البصرة، ٢٠١١.
- ١١- كاظم المقدادي، التلوث الإشعاعي في العراق بين الحقائق والتضليل، دار نشر "فيشيون ميديا"، السويد، ٢٠١٤.
- ١٢- سعاد العزازي، تلوث بيئة العراق باليورانيوم المنضب، المجلة العربية للبحث العلمي، منظمة المجتمع العلمي العربي العدد الأول، أبريل ٢٠٢٠.

ثامناً: بحوث التربية والتعليم

**درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس الثانوية في
مديرية تربية قسبة المفرق من وجهة نظر المعلمين**

**The Availability Degree of the Entrepreneurship Requirements for
High school students in Mafraq Education Directorate from
Teachers' Point of View**

لميس تيسير خوالدة

قسم الادارة التربوية والاصول

جامعة آل البيت

ريم محمد الزعبي

استاذ مساعد قسم الادارة التربوية والاصول

جامعة آل البيت \ الاردن

المخلص:

هدفت الدراسة الى تعرف درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات ريادة الأعمال لطلبة المدارس الثانوية بمديرية تربية قسبة المفرق من وجهة نظر المعلمين انفسهم، في ضوء عدد من المتغيرات كالجنس والمؤهل العلمي والخبرة. وقد استخدمت الباحثتان المنهج الوصفي نظراً لملائمته لطبيعة الدراسة. تكونت عينة الدراسة من (١٧٥) معلماً ومعلمة للمرحلة الثانوية، للعام الدراسي ٢٠١٩/٢٠٢٠. اعدت الباحثتان إستبانة تكونت من (٣٧) فقرة، وزعت على اربعة مجالات لقياس درجة توفير المدير لمتطلبات ريادة الأعمال لطلبة المدارس، وتم التأكد من صدق الاداة وثباتها. وأظهرت النتائج أن درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات ريادة الأعمال لطلبة المدارس الثانوية كانت متوسطة. وحصلت جميع مجالات الدراسة على درجة متوسطة، وأظهرت النتائج عدم وجود فروق دالة احصائياً تعزى لمتغير المؤهل العلمي والجنس والخبرة. وفي ضوء النتائج قدمت الباحثتان عدداً من التوصيات كان أبرزها اكساب الطلبة مهارات (ريادة الأعمال) من خلال عقد دورات توعوية بريادة الأعمال، لتجذير ثقافتها في المدرسة.

الكلمات المفتاحية: متطلبات ريادة الأعمال، طلبة المدارس الثانوية، مديرية تربية قصبة المفرق، الاردن.

Abstract:

This study investigates the degree of availability of the entrepreneurship requirements for High school students in Mafraq education directorate from the teachers' point of view, as well as its relationship with the gender, academic degree and experience variables. A sample of (175) male and female teachers were chosen from the secondary schools in Mafraq during the academic year 2019/2020. The researchers designed a 37-item questionnaire distributed into four domains to measure the availability degree of the entrepreneurship requirements for high school students. Both of the validity and reliability of the study instrument were verified. The results revealed that the availability degree of the entrepreneurship requirements for high school students in Mafraq education directorate from teachers' point of view was medium. Furthermore, all the domains came with medium degree, respectively. The results also show insignificant differences credited to the variables of gender, academic degree and experience. The researchers put forth few recommendations highlighting the importance of holding awareness rising sessions of entrepreneurship at schools.

Keywords:

entrepreneurship requirements, high school students, Mafraq education directorate, Jordan.

المقدمة:

أصبح التوجه نحو التربية الريادية ضرورة ملحة وسمّة من سمات الإقتصاد المعاصر فريادة الأعمال تمثل مطلبًا رئيسًا للنهوض الإقتصادي للبلدان وتحقيق التنمية الإقتصادية في بلدان العالم. فالعالم اليوم يعيش ثورة هائلة في التطور المعرفي والتكنولوجي على المستويات كافة، وهذا التطور يؤدي إلى خلق فرص نمو هائلة في السوق، يستغلها رواد أعمال مبدعون من خلال المشاركة بإنجاز مشاريع طموحة ورفدها بالإبداع. حيث يعد موضوع (ريادة الأعمال) من المواضيع المهمة في القرن الحادي والعشرين وذلك لارتباطه بالتطور والنمو الإقتصادي محليا وعالميا.

وقد لجأت العديد من دول العالم إلى (ريادة الأعمال) بوصفه منبعًا كبيرًا لتكوين الأعمال الناشئة، وترسيخ ثقافة العمل الحر باعتبارها احد الحلول لظاهرة البطالة في معظم دول العالم، مما دفع صنّاع القرار إلى تشجيع دمج برامج (ريادة الأعمال) في المؤسسات التعليمية لما لها من تأثير على انخفاض مستوى البطالة وزيادة الإبتكار (Sultan, 201٥). وكان الاستخدام الاول لمفهوم الريادة في اللغة الفرنسية في بدايات القرن السادس عشر، حيث كان يستخدم للدلالة على الخطورة والتحديات التي ترافق الحملات الإستكشافية، بعدها تطور مفهوم الريادة تدريجيا ليشمل ابعادا إقتصادية وإجتماعية (أحمد وجاد، ٢٠١٥). وفي عام (١٩٣٤) اضاف شومبيتر (Schumpeter) بعدًا جديدًا لمفهوم الريادة حيث عرف الريادة بأنها نموذج إبتكاري من "الهدم الخلاق" يخلق حالة من الإضطراب والتغيير للأفضل في السوق لجني أرباح كبيرة فهو يرى أن هؤلاء الرجال يحتكرون الأسواق لفترة من الزمن، فرائد الأعمال عند شومبيتر هو شخص مبتكر مبدع ومجدد (أبو الشعر، ٢٠١٦). والريادة في اللغة هي القيادة والرئاسة وهي مشتقة من الفعل راد، أي البحث عن الشيء وطلبه (Ibn-Manthoor, 178). واصبح المعنى المعاصر للريادة أنها عدد من السمات التي تجعل من صاحبها الريادي مستعدًا لإنشاء وتطوير مشروع معين لحسابه، يضع فيه شيئًا بارزًا من الإبداع والإبتكار التكنولوجي أو الإداري أو المالي كل ذلك من خلال المثابرة والإصرار والإستعداد لتحمل مخاطرة الخسارة بالدرجة نفسها للتمتع ببهجة الربح وإرضاء الذات (Badran & Sheikh, 2013). وقد حددت المفوضية الأوروبية مفهوم الريادة حسب ما ورد في المنتدى الإقتصادي العالمي (2009) الوارد في اليماني (AI-

(Yamani, 2016) ، بأنه قدرة الفرد على تحويل افكاره إلى أفعال على ارض الواقع، وهذا يتأتى من خلال توعية الافراد العاملين اكثر بادوارهم في العمل وتحفيزهم ليكونوا اكثر ابداعية ونتاجية مما يؤسس لريادة الاعمال لاحقا.

ويعتبر التعليم ركيزة في عملية (ريادة الأعمال) وتطوير مهاراتها، ويمكن ان يساهم التعليم في هذا الدور بدءاً مرحلة التعليم الثانوي، وصولاً الى مراحل متقدمة من التعليم العالي (Al-Hammad, 2019; Sultan, 2015). ولم يقترن التعليم بالريادة إلا مؤخراً فبإمكان التعليم التحفيز على (ريادة الأعمال) من خلال قنوات متعددة، لانه قادر على إيصال صورة صحيحة عنها وعن قيمة الأنشطة الريادية للمجتمع (Basly, 2018). والنظام التربوي معني بتطوير (ريادة الأعمال) لدى الطلاب للمساهمة في النماء الإقتصادي وإتاحة الفرصة لإنشاء مشروعات ريادية جديدة، تعمل على إيجاد فرص عمل تحد من البطالة، وعدم الإعتماد على الوظائف الحكومية (Zidan, 2007). كما أصبح هناك اهتمام كبير من المؤسسات التعليمية لتخريج طلبة يتمتعون بمواصفات عالمية بحيث يستطيعوا التعامل مع التطور التكنولوجي واستيعاب المتغيرات الكبيرة في جميع المجالات. فنجاح الإقتصاد في القرن الحالي يحتاج إلى امتلاك المهارات الريادية للعمل، الأمر الذي يتطلب إعداد الطلبة لمتطلبات العصر، ومن جملة هذه المتطلبات (ريادة الأعمال) التي تؤهلهم إلى مهنة المستقبل، وخاصة في ظل التكنولوجيا الجديدة والعولمة وتأثيراتهم على النظم التعليمية، حتى يتمكن الطلبة من تحويل الأفكار إلى أفعال (Al-Hamidiyyin, 2019).

وتلعب الإدارة المدرسية أهمية كبرى في التعليم العام خاصة في ظل التحديات المعاصرة التي تواجهها والمتمثلة في الثورة المعرفية والتقدم المضطرد في تكنولوجيا المعلومات والاتصال وتوظيفها في مجالات الإدارة المدرسية، مسايرة في ذلك الحصول على مخرجات تعليمية يتطلبها سوق العمل المحلي والعالمي، بالإضافة إلى التنافس الشديد بين مؤسسات التعليم العام والتي فرضت على تلك المؤسسات تطوير أدائها لوظائفها المختلفة لتحقيق معايير الجودة في العملية التعليمية (Al-Qudah, 2008). وهذا يلقي ادوارا اضافية على مدير المدرسة لمواكبة تغييرات العصر ومتطلباته وتحفيز العاملين معه على الابداع والابتكار لتكون سمة اساسية تميز ادارته المدرسية (Shaqur, 2002). وبما أن المدرسة الحاضنة الثانية للطلبة بعد الأسرة، فمطلوب

منها نشر ثقافة (ريادة الأعمال) والعمل الحر، والتخلص من ثقافة العيب، من خلال تعريف الطلبة (بريادة الأعمال)، وتربية (ريادة الأعمال) لدى الطلبة، وثقافة (ريادة الأعمال)، ومهارات (ريادة الأعمال) في المدرسة (Al-Yamani, 2016). لذا على المدرسة الثانوية ان تكون اهم اولوياتها تخريج الطالب الريادي، الذي يمتلك المقدرة على تمييز الفرص الريادية واستثمارها، وتحمل المخاطرة المرتبطة بها وتحويل أفكاره المبتكرة إلى أعمال ومشروعات جديدة، تدعم فكرة التوظيف الذاتي من ناحية، وتسهم في تحقيق النمو الإقتصادي للمجتمع وربطها بالواقع العملي، دون اغفال دور الجامعات، فهي تؤدي دورا مركزياً ومحورياً في توجيه الانماط السلوكية الريادية بين طلبتها ومنتسبيها من خلال إتباع اجراءات معينة، لتزويدهم بالمهارات والقدرات لمواجهة مشكلة البطالة ولعل من أهم الآليات التعليمية لتعزيز ثقافة العمل الحر لدى الطلاب تعزيز إحساسهم بالمشكلات المحلية، وتعزيز إنتمائهم للوطن وعقد مناقشات ومناظرات لنشر ثقافة الريادة، وتوفير مراكز للتدريب في الجامعة وتوظيف الأنشطة الطلابية لتعزيزها والتخطيط لبرامج التوعية والتأكيد على امتلاك الطلبة لبعض المهارات وترسيخ مفاهيم العمل والتعاون وإستضافة نماذج ناجحة في سوق الأعمال الحرة إلى بيئة الجامعة وتنمية مهارات الإبداع في الإنتاج (Met'eb & Radi, 2010; Johar, 2017). ومن الأنشطة المدرسية التي تكسب الطلبة مهارات (ريادة الأعمال) حسب فولكمان (Volkmann, et al., 2009): المحاكاة والألعاب، وتنفيذ الزيارات الميدانية الى شركات (ذات المشاريع الريادية)، وتشجيع الطلبة على اجراء الأبحاث الموجهة نحو السوق بشكل مباشر (يدرك فيها الطلاب فرص السوق من خلال الملاحظة وإجراء مقابلات مع العملاء المحتملين، وتحديد الاحتياجات في مجتمعاتهم)، وقيام الطلبة بالبيع والشراء واثاحة الفرصة للطلاب لإدارة الأعمال التجارية موظفا اموالا حقيقية (بما في ذلك مقصف المدرسة)، واستضافة رجال الأعمال أو الممولين للمشروعات للحديث في الفصول الدراسية عن تجاربهم الشخصية، وبهذا يحصل الطلاب على فرصة للتعلم بالمنهج الخفي، كما يتعلم الشباب أو قليلي الخبرة من الطلاب من خلال الملاحظة والمحاكاة لهذه التقنيات والمهارات، ويساعد على توصيل الدروس المستفادة بطريقة لا يتقن الكتاب المدرسي نفسه تقديمها.

مشكلة الدراسة.

ازدادت مسؤوليات النظام التربوي في الوقت الحاضر في التصدي للتحديات الإقتصادية التي تواجه المجتمع، والمتمثلة بزيادة الفجوة بين المخرجات التعليمية واحتياجات سوق العمل والمواءمة بينها، الأمر الذي استوجب الاهتمام بموضوع (ريادة الأعمال) بدءاً من التعليم الأساسي والثانوي، ومضاعفة دور الإدارة المدرسية بضرورة إيجاد بيئة تعليمية ايجابية توفر جميع متطلبات (ريادة الأعمال) لدى الطلبة، وتعمل على إكسابهم المهارات الأساسية، وتحفيزهم على الإبداع، وتعزيز بناء مقدراتهم ليكونوا صناع عمل بدلاً من طالبيه، وتمكينهم من تحمل المسؤولية بحيث تتحول ثقافتهم من ثقافة الاعتماد الى ثقافة التملك، وهذا سيسهم بدوره في تقليل الفجوة بين مخرجات التعليم وسوق العمل. وقد شعرت الباحثتان بالصعوبات التي يواجهها الخريجون للحصول على فرصة عمل بعد انتهاء المرحلة الجامعية، مما عزز لديهما ضرورة دراسة درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس الثانوية في "مديرية تربية قسبة المفرق" من وجهة نظر المعلمين، الامر الذي قد يساعدهم مستقبلاً على انشاء مشروع ريادي خاص يوفر لهم فرصة عمل بعد التخرج.

أسئلة الدراسة.

تجيب هذه الدراسة عن السؤالين الآتيين:

١. ما درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس الثانوية في "مديرية تربية قسبة المفرق" من وجهة نظر المعلمين؟

٢. هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) لاستجابات أفراد عينة الدراسة في درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المرحلة الثانوية وجهة نظر المعلمين وفقاً لمتغيرات الجنس، والمؤهل العلمي، وسنوات الخبرة؟

أهداف الدراسة.

يهدف البحث الحالي إلى تعرف درجة توفير الادارة المدرسية لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس الثانوية في "مديرية تربية قسبة المفرق" من وجهة نظر المعلمين. كما يسعى الى تعرف اثر متغيرات الجنس، والمؤهل العلمي، وسنوات الخبرة على الفروق بين اوساط استجابات

أفراد عينة الدّراسة نحو درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المرحلة الثانوية في "مديرية تربية قسبة المفرق" من وجهة نظر المعلمين.

أهمية الدّراسة.

تتمثل أهمية هذه الدّراسة بما يلي:

- من الممكن أن تسهم نتائج الدّراسة في تقديم تصور لدرجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس الثانوية في المديرية.
- تعد الدراسة الحالية من الدّراسات الاردنية الأولى التي تتناول موضوع درجة توفر مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس في المرحلة الثانوية.
- توعية الطلبة بالإتجاه نحو (ريادة الأعمال) وأهمية العمل الحر وتمكينهم من إيجاد روح المبادرة والإبتكار والإبداع
- قد تفيد الباحثين كمصدر ومرجع لتزويدهم بالمعلومات اللازمة في إجراء البحوث ذات الصلة.

حدود الدّراسة.

تمثلت حدود الدراسة بالآتي:

الحدود الموضوعية: اقتصرت الدراسة على تعرف درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس الثانوية في مديرية تربية قسبة المفرق من وجهة نظر المعلمين .

الحدود البشرية: إقتصرت الدراسة على عينة من مدرسي المرحلة الثانوية في تربية قسبة المفرق.

الحدود المكانية: طبقت الدراسة على المدارس الثانوية في مديرية تربية قسبة المفرق.

الحدود الزمانية: اجريت الدراسة الحالية خلال الفصل الاول للعام الدراسي ٢٠١٩/٢٠٢٠.

مصطلحات الدراسة

(ريادة الأعمال) اصطلاحا:

هي القدرة على تحويل الأفكار إلى أفعال، وتشمل الابتكار والإبداع وتحمل المخاطر، والمقدرة على التخطيط، وإدارة المشروعات بما يحقق الأهداف ويجعل العاملين أكثر وعياً بسياق عملهم، ويكونوا قادرين بشكل أفضل على تشكيل فرصهم، وتوفير أساس للرياديين لوضع الأنشطة المجتمعية أو التجارية (Ola, 2013, 494).

(ريادة الأعمال) إجرائياً: تحويل الطلاب الأفكار الإبداعية إلى مشاريع تجارية مميزة على أرض الواقع، بهدف إيجاد عمل حر لأنفسهم. وتقاس من خلال فقرات الاداة المعدة لهذا الغرض.

التربية الريادية:

إعداد جيل جديد من الرياديين والمبدعين في مجال الأعمال، للبدء في إنشاء مشروعهم الريادي معتمدين على أنفسهم في ذلك مبادرين ومستقلين بأنفسهم وبمواردهم المعرفية والمادية ومخاطرين بوقتهم ومالهم وجهدهم وسمعتهم وخبرتهم ويطمحون لتحقيق الأهداف الخاصة بهم وبمستقبلهم والتفاعل مع بيئة الاعمال بشكل ايجابي، والقضاء على الفقر والبطالة ورفع المستوى الإقتصادي والإجتماعي لأفراد المجتمع وزيادة رفاھيتهم (Mubarak, 2009).

التربية الريادية إجرائياً:

دمج ريادة الأعمال في النظام التعليمي لغايات إعداد الطلبة أثناء دراستهم في مرحلة التعليم الثانوي، وتوجيه دوافعهم نحو العمل الحر، بتزويدهم بالمعارف والمهارات اللازمة المتعلقة بريادة الأعمال وتشجيعهم على المبادرات والسلوكيات الريادية كالمخاطرة والإبتكار والإستقلالية.

الدراسات السابقة

أجرى دابك وآخرون (Dabic et al, 2012) دراسة سعت إلى بيان الفروق الجنسية بين الطالبات في إتجاهاتهم نحو (ريادة الأعمال) وإحتياجات التعليم للريادة. إعتمدت الدراسة المنهج الوصفي، فطبقت إستبانة على عينة مكونة من (٣٤٢٠) طالبا وطالبة جامعيين من عشر دول مختلفة، وتوصلت لوجود فروق بين الطلاب والطالبات لصالح الطلبة الذكور في التعليم الريادي، فالطالبات أقل إستعدادا لبدء حياتهن في الشركات الخاصة. على الرغم من شعور الإناث بالدعم من قبل أسرهم الا انهن أقل ثقة بالنفس ويشعرون بالقلق إزاء (ريادة الأعمال).

وأجرى ريميكين وآخرون (Remekiene et al., 2013) دراسة هدفت الى تقصي اثر التعليم الريادي على تشجيع الطلبة في الولايات المتحدة الأمريكية على (ريادة الأعمال)، حيث قام الباحثان بتصميم إستبانه وتم توزيعها على طلبة الهندسة الميكانيكية وطلبة الإقتصاد، وكشفت الدراسة أن هناك تأثير للتخصص الذي يدرسه الطالب على نواياه الريادية وأن النية لدى طلبة الإقتصاد أكثر من طلبة الهندسة الميكانيكية.

وأجرى سشلي وآخرون (Schlee et al., 2013) دراسة بعنوان "تدريب الطلبة على النشاطات الريادية" حيث هدفت إلى دراسة إتجاهات ومواقف الطلاب نحو (ريادة الأعمال)، وبلغ حجم عينة الدراسة ٦٥ طالبا خريجا ممن شاركوا في مسابقة الأعمال الريادية، التي سعت إلى تشجيع الطلاب على التفكير الإبداعي بمجال الأعمال لخلق عالم أفضل. واستخدم الباحثون الاستبانات الإلكترونية كاداة للدراسة. واطهرت النتائج أن الطلاب يميلون إلى تنفيذ أنشطة ريادة الأعمال المستقبلية، واوصى الباحثون بوضع سياسات لتشجيع البحث العلمي في هذا المجال وتعليم الأفراد وتعليمهم في مجال (ريادة الأعمال)

وأجرى الفواز (Al-Fawaz, 2014) دراسة هدفت التعرف إلى دور "حاضنات الأعمال الجامعية" في توجيه الطلبة نحو (ريادة الأعمال) لدى الطلبة المنتسبين "لحاضنات الأعمال" في الجامعات الأردنية ولتحقيق أهداف هذه الدراسة تم توزيع (١٧٤) استبانه على أفراد العينة. وأظهرت النتائج وجود مستوى عال لميول الطلبة نحو (ريادة الأعمال) في حاضنات الأعمال الجامعية في الجامعات الأردنية، ووجود اثر مهم لدور "حاضنات الأعمال الجامعية" في توجيه الطلبة نحو (ريادة الأعمال) في الجامعات الأردنية. كما اظهرت النتائج أن هناك مستوى عال للخدمات التي تقدمها "حاضنات الأعمال الجامعية" حسب كل من مجال الدعم التقني وتقييم الأداء للعاملين، ومجال الخدمات الإدارية والمكتبية. واطهرت مستوى متوسط عال للخدمات التي تقدمها "حاضنات الأعمال" الجامعية حسب مجال (التمويل والدعم المالي والتسويقي والتدريب والاستشارات العلمية الحديثة) في ريادة الأعمال.

وهدف دراسة احمد وجاد (Ahmed & Jad 2015) الى تقصي مدى تطبيق الريادة الإدارية في المدارس الثانوية العامة بمصر وما يعيق تطبيقها من وجهة نظر كل من المديرين والمعلمين، في ضوء عدد من المتغيرات كالوظيفة، والخبرة، والنوع في تصوراتهم. ولمعالجة مشكلة الدراسة

استخدم المنهج الوصفي، وتكونت عينة الدراسة من (٢٢٧) فرداً منهم (٥٢) مديراً، و(١٧٦) معلماً، للعام الدراسي ٢٠١٣ / ٢٠١٤م، واعتمد الباحث المنهج الوصفي لجمع بيانات الدراسة فصمم استبانة تكونت من ٦١ فقرة وزعت على مجالات الدراسة الاربعة. وبعد التحقق من صدق الاداة وثباتها، وزعت الاستبانات على عينة الدراسة، وأظهرت النتائج أن استجابات أفراد العينة حول واقع تطبيق الريادة الإدارية في المدارس الثانوية العامة بمصر كانت بدرجة متوسطة، كما أظهرت وجود فروق دالة إحصائياً بين استجابات العينة طبقاً للوظيفة في جميع أبعاد الريادة الإدارية، كما كانت الفروق دالة إحصائياً طبقاً للنوع في مجال الإبداع فقط، وطبقاً للخبرة في مجالين فقط هما الإبداع وأخذ المخاطرة، فيما لم تكن الفروق دالة في باقي المجالات، وظهرت النتائج ان ابرز معوقات تطبيق الريادة في الادارة المدرسية: ضعف الحوافز المادية وغير المادية، وحجم اعباء العمل الاداري الكبيرة. وأوصت الدراسة بتوفير الظروف المناسبة لتطبيق الريادة الإدارية، ونشر ثقافتها في المجتمع المدرسي.

وأجرى العتيبي ومحمد (Al-Otaibi, & Mohammed, 2015) دراسة هدفت الى بيان درجة معرفة الطلبة في جامعة نجران بثقافة (ريادة الأعمال) والتعرف على إتجاهاتهم نحوها، وما المعوقات التي قد تحول دون تطبيقها في المجتمع السعودي من وجهة نظر الطلاب انفسهم في ضوء متغيرين هما: الجنس (ذكر / أنثى) والتخصص (أدبي/علمي). اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لذا قام الباحث ببناء استبانة وزعت على عينة من طلبة جامعة نجران، بلغ عددهم (٣٣٦) طالبا وطالبة. وتوصلت الدراسة الى أن هناك وعي لدى الطلبة ومعرفة بمفهوم الريادة بدرجة متوسطة، كما اظهرت النتائج ايضا ان هناك معوقات في المجتمع السعودي تحول دون التوجه للريادة من وجهة نظرهم، وأنه لا يوجد فروق دالة تعزى لمتغير الجنس في التوجه نحو (ريادة الأعمال).

وأجرى سلطان (Sultan, 2015) دراسة سعت الى تعرف مدى توفر الخصائص الريادية لدى طلبة البكالوريوس من تخصص إدارة أعمال في جامعات جنوب الضفة الغربية، في ضوء عدد من المتغيرات، وتحديد إحتياجات الطلبة اللازمة لتوجههم للعمل الريادي. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي لملائمته لاغراض الدراسة، وقام الباحث ببناء استبانة لجمع البيانات، وتوصلت الدراسة إلى أن مستوى توفر الخصائص الريادية عند أفراد العينة جاءت بشكل كبير، وبينت الدراسة عدم

وجوانه لا يوجد اي تأثير لمتغيرات الجنس، والمعدل الجامعي، ومعدل الثانوية، والإلتحاق ببرامج الريادة الشبابية على خصائص الريادة لدى عينة الدراسة، بينما هناك تأثير لمتغير الجامعة على خصائص الريادة لدى عينة الدراسة.

اما دراسة عبد الفتاح (Abdel-Fattah, 2016) فسعت الى تعرف مستوى وعي طلبة السنة التحضيرية في جامعة الملك سعود بثقافة (ريادة الأعمال) واتجاهاتهم نحوها، وأبرز معيقاتها من وجهة نظر الطلبة. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي، حيث تكونت عينة الدراسة من ٥١٠ طالبا. وأعد الباحث إستبانة مكونة من (٧٢) عبارة موزعة على ثلاثة مجالات. وبينت النتائج وجود اتجاهات لدى الطلبة نحو مفهوم الريادة ولكن بدرجة متوسطة، وأن هناك معيقات في المجتمع السعودي تحول دون تبني هذا المفهوم، كما اظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية تعزى لمتغير الجنس.

وهدف دراسة اليماني (Al-Yamani, 2016) إلى تعرف دور الإدارة المدرسية في تعليم (ريادة الأعمال) لطلاب المرحلة الثانوية من وجهة نظر قادة المدارس في الرياض، والكشف عن معوقات تعليم (ريادة الأعمال) لطلاب المرحلة الثانوية من وجهة نظر قادة المدارس، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي فاعد الباحث استبانة لجمع البيانات. بلغ حجم مجتمع الدراسة (٣٢٧) قائداً وقائدة من قادة المدارس الثانوية بنين وبنات في مدينة الرياض، اختير منه عينة الدراسة التي تكونت (77) قائداً وقائدة، وتوصلت الدراسة إلى أن هناك موافقة بدرجة عالية بين أفراد عينة الدراسة على دور الإدارة المدرسية في تعليم (ريادة الأعمال) لطلاب المرحلة الثانوية من وجهة نظر قادة المدارس في مدينة الرياض.

أما دراسة جوهر (Johar, 2017) فسعت الى تعرف المتطلبات الإدارية لتعليم (ريادة الأعمال) بالمدارس الثانوية الصناعية في مصر وتحقيقا لهذا الهدف اعتمد البحث على المنهج الوصفي والذي بمقتضاه تم معالجة الموضوع وفقا لخمس محاور رئيسية تضمن اولاً الإطار العام للدراسة، أما القسم الثاني فقد تضمن إطاراً نظرياً عن تعليم (ريادة الأعمال) في المدارس الثانوية الصناعية من حيث طبيعته (مفهومه، أهدافه، المبادئ التربوية الموجهة له ، أبعاده / مجالاته) والاستراتيجيات الداعمة له، وكذلك معوقات تضمينه بهذه المدارس، أما القسم الثالث فتناول أفضل الممارسات المرتبطة بتعليم (ريادة الأعمال) بالمدارس الثانوية الصناعية في الأدبيات

المعاصرة وتمثلت في ممارسات مرتبطة بإدارة المدرسة وممارسات مرتبطة بدعم ثقافة الريادية وأخرى مرتبطة بتكوين المعلم الريادي وقد تناول القسم الرابع وصفا وتحليلا لواقع تعليم (ريادة الأعمال) بالمدارس الثانوية الصناعية بمصر. وتناول القسم الأخير أهم المتطلبات الإدارية الداعمة لتعليم (ريادة الأعمال) بالمدارس الثانوية الصناعية في مصر ، والتي تم تقسيمها إلى متطلبات فكرية وتشريعية وتنظيمية وبشرية وأخرى تكنولوجية.

وأجرى الحميديين (Al-Hamidiyyin, 2019) دراسة هدفت إلى تعرّف درجة تطبيق الإداريين العاملين في "مديريات التربية والتعليم لمحافظة العاصمة عمان" لمفهوم الريادة الإدارية في ضوء عدد من المتغيرات كالجنس والمؤهل العلمي والخبرة والمسمى الوظيفي). تكونت عينة الدراسة من (٢٨٥) موظفا إداريا. ولتحقيق أهداف الدراسة اعتمد الباحث التصميم الكمي والنوعي، حيث اعد الباحث اولا اداة الدراسة (استبانة)، والتي تكونت من (٦٤) فقرة موزعة على خمسة مجالات وهي (مجال المبادأة، ومجال التفرد، ومجال الإبداع، ومجال المجازفة، ومجال الإنجاز). ثم قام الباحث بإجراء مقابلة مع عينة ثانية من القادة التربويين تكونت من (٤٦) قائداً تربوياً. وأظهرت نتائج الدراسة أنّ درجة تطبيق الإداريين العاملين في "مديريات التربية والتعليم لمحافظة العاصمة عمان" للريادة الإدارية -من وجهة نظرهم- جاءت بدرجة متوسطة، وجاءت المجالات بدرجة متوسطة وهي كالآتي مرتبة تنازلياً: مجال المبادأة اولا ، ثم مجال التفرد، ومجال الإنجاز، ومجال الإبداع، ومجال المجازفة اخيرا. كما اظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى فقط لمتغير المسمى الوظيفي على جميع المجالات و لصالح مسمى المدير، كما اظهرت ايضا وجود فروق ذات دلالة احصائية تعزى لمتغير سنوات الخبرة في مجالات المبادأة والتفرد والإبداع ولصالح اصحاب سنوات الخبرة الطويلة (أكثر من ١٠ سنوات) في مجالي المبادأة، والتفرد. واطهرت فروقا دالة احصائيا لصالح اصحاب سنوات الخبرة القصيرة (أقل من ٥ سنوات) في مجال الإبداع، ولم تظهر فروق لأثر سنوات الخبرة باقي المجالات.

وأجرت الحماد (Al-Hammad, 2019) دراسة هدفت التعرف الى واقع تربية الطلبة على (ريادة الأعمال) في الجامعات الأردنية ووضع مقترحات لتطويرها، ولتحقيق هدف الدراسة اعتمد الباحث المنهج الوصفي التطويري، حيث اعد إستبانة مكونة من (٤٧) فقرة، وزعت على ستة مجالات لقياس واقع تربية الطلبة على (ريادة الأعمال) في الجامعات الأردنية. وتكون مجتمع

الدراسة من جميع الطلبة في الجامعات الأردنية الرسمية، وقد تكونت عينة الدراسة من (٩٣١) طالبًا خلال العام ٢٠١٨/٢٠١٩، وتم التأكد من صدقها وثباتها، وأظهرت النتائج أن واقع تربية الطلبة على (ريادة الأعمال) في الجامعات الأردنية كان مرتفعاً وبمتوسط حسابي (3.73)، أظهرت ايضاً عدم وجود فروق دالة إحصائية في واقع تربية الطلبة على (ريادة الأعمال) تعزى لمتغيرات (الجنس، الكلية، السنة الدراسية) ووجود فروق دالة إحصائية في واقع تربية الطلبة على (ريادة الأعمال) تعزى لمتغير التخصص لصالح التخصصات الإنسانية.

في ضوء عرض الدراسات السابقة استقادت الباحثتان من الدراسات السابقة في صياغة مشكلة ومنهجية الدراسة، والإسهام في اعداد الأدب النظري للدراسة، وبناء أداة الدراسة، والاستفادة منها في مناقشة مدى اختلاف النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية مع نتائج الدراسات السابقة ومدى الاتفاق معهم. وتميزت الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة بهدفها وعينتها وحدودها المكانية، حيث انها تسعى الى تعرف درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس المرحلة الثانوية في مديرية تربية قسبة المفرق من وجهة نظر المعلمين في ضوء ندرة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع حسب البيئة المدرسية وتركيزها الاكبر على البيئات الجامعية.

منهج الدراسة

استخدمت الدراسة الحالية المنهج الوصفي المسحي لملائمته لها. وتكون مجتمع الدراسة من جميع المعلمين والمعلمات في المدارس الثانوية في مديرية تربية قسبة المفرق. والبالغ عددهم (٦٨٢) معلماً ومعلمة، منهم (٣٣٨) معلماً، و(٣٤٤) معلمة، وفق إحصائيات المديرية للعام الدراسي ٢٠١٩/٢٠٢٠. وتكونت عينة الدراسة من (١٧٥) معلماً ومعلمة، وتشكل ما نسبته (٤,٩%) من مجتمع الدراسة، اختيروا بالطريقة العشوائية البسيطة، والجدول (١) يبين ذلك.

الجدول (١) توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغيرات الجنس والمؤهل العلمي والخبرة

المتغير	مستوى المتغير	العدد	النسبة المئوية
الجنس	ذكر	69	39.4%

المتغير	مستوى المتغير	العدد	النسبة المئوية
	أنثى	106	60.6%
	المجموع	175	100%
المؤهل العلمي	بكالوريوس	111	63.4%
	الدراسات العليا	64	36.6%
	المجموع	175	100%
الخبرة	١ - ٥ سنوات	43	24.9%
	٦ - ١٠ سنوات	37	21.1%
	اكثر من ١٠ سنوات	95	54.3%
	المجموع	175	100%
المجموع		175	100%

أداة الدراسة.

بعد الإطلاع على الادبيات السابقة ذات العلاقة بموضوع الدراسة، مثل دراسة جوهر (Johar, 2017)، ودراسة الحماد (Al-Hammad, 2019)، تم بناء إستبانة لقياس درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المرحلة الثانوية في محافظة المفرق، فتكونت الاداة من جزئين، الجزء الأول يتعلق بجمع معلومات عن الخصائص الديموغرافية للعينة، بينما تضمن الجزء الثاني (٤٥) فقرة بصورتها الاولية موزعة على اربعة مجالات. وأستخدمت الباحثتان مقياس ليكرت للتدرج الخماسي بهدف قياس آراء أفراد العينة، على النحو التالي: (كبيرة جدا) أعطي الدرجة (٥)، و(كبيرة) أعطي الدرجة (٤)، و(متوسطة) أعطي الدرجة (٣)، وأعطي خيار (قليلة) الدرجة (٢)، و(قليلة جدا) أعطي الدرجة (١).

صدق أداة الدراسة

للتحقق من صدق محتوى الاداة، والتأكد من أنها تخدم أهداف الدراسة، عرضت على (7) محكمين من ذوي الخبرة والإختصاص، اربعة اساتذة من قسم الادارة التربوية والاصول، وثلاثة معلمين في وزارة التربية والتعليم، وطلب إليهم تحديد درجة ملائمة الفقرات وشموليتها لقياس المجال الذي وردت فيه ودرجة وضوح الفقرات وسلامتها اللغوية والنحوية وقد أجمع المحكمون على ملائمة الأداة لأغراض الدراسة مع إجراء بعض التعديلات الطفيفة مثل: تعديل بعض أخطاء الصياغة اللغوية، وحذف بعض الفقرات، وبذلك اصبحت اداة الدراسة مكونة بصورتها النهائية من (٣٧) فقرة موزعة على مجالات اربع هي: تعريف الطلبة (بريادة الأعمال) وقد اشتمل على (٧) فقرات، ومجال تربوية (ريادة الأعمال) في المدارس، وقد اشتمل على (١٠) فقرات، ومجال ثقافة (ريادة الأعمال) في المدارس وشمتمل على (٨) فقرات، ومجال مهارات (ريادة الأعمال) في المدارس واشتمل على (١٢) فقرة.

ثبات أداة الدراسة

تم التحقق من ثبات أداة الدراسة باستخدام التطبيق وإعادة التطبيق (Test-Retest) من خلال تطبيق الإستبيان على عينة اولية مكونة من (٣٠) معلما ومعلمة من مجتمع الدراسة خارج عينتها وبفارق أسبوعين وبلغ معامل الثبات باستخدام معادلة كرونباخ ألفا، (0.98) الذي يعتبر مقبولاً لأغراض إجراء الدراسة كما هو مبين في الجدول (٢).

الجدول (٢) قيم ثبات الاعدادة ومعامل الاتساق الداخلي كرونباخ ألفا لمجالات أداة الدراسة والاداة ككل

الرقم	المجال	ثبات الاعدادة	الاتساق الداخلي
1	تعريف الطلبة (بريادة الأعمال).	0.81	0.91
٢	تربوية (ريادة الأعمال) في المدارس.	0.91	0.95
٣	ثقافة (ريادة الأعمال) في المدارس.	0.99	0.95
٤	مهارات (ريادة الأعمال) في المدارس.	0.98	0.96
	الكلي	0.99	

متغيرات الدراسة.

اشتملت الدراسة على المتغيرات المستقلة والتابعة الآتية:

أولاً: المتغيرات المستقلة.

- الجنس: وله فئتان (ذكر، أنثى).
- المؤهل العلمي وله مستويين (بكالوريوس، دراسات عليا).
- سنوات الخبرة: ولها ثلاثة فئات (١- أقل من ٥ سنوات، من 6- أقل من ١٠ سنوات، ١٠ سنوات فأكثر).

ثانياً: المتغير التابع: درجة توفير متطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المرحلة الثانوية في مديرية تربية قسبة المفرق.

نتائج الدراسة.

السؤال الأول: ما درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس الثانوية في مديرية تربية قسبة المفرق من وجهة نظر المعلمين؟ للإجابة عن هذا السؤال تم إستخراج الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس الثانوية من وجهة نظر المعلمين لكل مجالات الدراسة، ويظهر الجدول (٣) ذلك.

الجدول (٣) الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية والمرتبة والدرجة لتقديرات أفراد عينة الدراسة لمجالات أداة الدراسة والاداة ككل مرتبة تنازلياً

رقم المجال	المجال	الايوساط الحسابية	الانحرافات المعيارية	المرتبة	الدرجة
4	مهارات (ريادة الأعمال) في المدرسة.	3.46	0.84	1	متوسطة
1	تعريف الطلبة (بريادة الأعمال).	3.42	0.82	2	متوسطة
3	ثقافة (ريادة الأعمال) في	3.30	0.89	3	متوسطة

				المدرسة.	
متوسطة	4	0.92	3.21	تربية (ريادة الأعمال) لدى الطلبة.	2
متوسطة		0.78	3.35	الاداة ككل	

يلاحظ من الجدول (٣) أن درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس الثانوية في مديرية تربية قسبة المفرق من وجهة نظر المعلمين جاءت بدرجة متوسطة، بمتوسط حسابي (3.35)، وانحراف معياري (0.78). حيث جاء في المرتبة الأولى مجال مهارات (ريادة الأعمال) في المدرسة، بمتوسط حسابي (3.46) وانحراف معياري (0.84) وبدرجة متوسطة، ثم جاء بالمرتبة الثانية مجال تعريف الطلبة (بريادة الأعمال) بمتوسط حسابي (3.42) وانحراف معياري (0.82) وبدرجة متوسطة، وجاء في المرتبة الثالثة مجال ثقافة (ريادة الأعمال) في المدرسة، بمتوسط حسابي (3.30)، وانحراف معياري (0.89) وبدرجة متوسطة، وجاء في المرتبة الرابعة مجال تربية (ريادة الأعمال) لدى الطلبة بمتوسط حسابي (3.21) وانحراف معياري (0.92) وبدرجة متوسطة. أما بالنسبة لفقرات كل مجال فكانت على النحو التالي وفقا للنتائج مرتبة تنازليا حسب متوسطاتها الحسابية:

أولاً: مجال مهارات (ريادة الأعمال) في المدرسة

للإجابة عن فقرات هذا المجال تم استخدام الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية والدرجة لفقرات مجال مهارات (ريادة الأعمال) في المدرسة ، والجدول (٤) يبين ذلك.

الجدول (٤) الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية والمرتبة والدرجة لتقديرات أفراد عينة الدراسة لفقرات مجال مهارات (ريادة الأعمال) في المدرسة مرتبة تنازليا

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المرتبة	الدرجة
26	تسعى إدارة المدرسة إلى اكتساب الطلبة مهارات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات	3.66	1.10	1	متوسطة
28	تعمل إدارة المدرسة على تطوير مهارة العمل ضمن فريق لدى الطلبة	3.58	1.03	2	متوسطة

متوسطة	3	1.03	3.56	تعمل إدارة المدرسة على تطوير المهارات الاجتماعية والشخصية لدى الطلبة	27
متوسطة	4	0.98	3.53	تعمل إدارة المدرسة على تطوير مهارة الثقة بالذات لدى الطلبة	29
متوسطة	5	1.07	3.52	تشجع إدارة المدرسة الطلبة على ممارسة الأدوار القيادية	36
متوسطة	6	1.04	3.51	تعمل إدارة المدرسة على تطوير مهارة الرغبة في الإبداع لدى الطلبة	32
متوسطة	7	1.04	3.50	تعمل إدارة المدرسة على تطوير مهارة حل المشكلات لدى الطلبة	31
متوسطة	8	1.06	3.48	تعزز إدارة المدرسة ثقة الطلبة بأنفسهم	35
متوسطة	9	1.08	3.38	تعمل إدارة المدرسة على تطوير مهارة تحمل المخاطرة لدى الطلبة	30
متوسطة	10	1.07	3.37	تسعى إدارة المدرسة إلى أن يعمل الطلبة في مشروعات وأنشطة محددة	37
متوسطة	11	1.04	3.27	تسعى إدارة المدرسة إلى تطوير المهارات المتعلقة بوضع مسودة لخطط العمل لدى الطلبة	33
متوسطة	12	1.08	3.22	تسعى إدارة المدرسة إلى تطوير مقدرات الطلبة على التخطيط للميزانية الشخصية	34
متوسطة		0.84	3.46	المجموع	

يبين الجدول (٤) ان درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس الثانوية في مديرية تربية قصبه المفرق من وجهة نظر المعلمين لمجال مهارات (ريادة الأعمال) في المدرسة جاءت متوسطة، بمتوسط حسابي (3.46)، وانحراف معياري (0.84) وأن الاوساط الحسابية تراوحت بين (3.22-3.66) وجاءت الفقرة (26) بالمرتبة الأولى ونصها "تسعى إدارة

المدرسة إلى اكتساب الطلبة مهارات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات"، بمتوسط حسابي (3.66) وبإنحراف معياري (1.10)، وبدرجة متوسطة. ثم جاءت الفقرة (28) بالمرتبة الثانية ونصها "تعمل إدارة المدرسة على تطوير مهارة العمل ضمن فريق لدى الطلبة" بمتوسط حسابي (3.58)، وبإنحراف معياري (1.03) وبدرجة متوسطة، وجاءت الفقرة (34) في المرتبة الاخيرة ونصها " تسعى إدارة المدرسة إلى تطوير مقدرات الطلبة على التخطيط للميزانية الشخصية " بمتوسط حسابي (3.22) وبإنحراف معياري (1.08)، وبدرجة متوسطة.

ثانياً : مجال تعريف الطلبة (بقيادة الأعمال)

للإجابة عن فقرات هذا المجال تم استخدام الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية والدرجة لفقرات مجال تعريف الطلبة (بقيادة الأعمال)، والجدول (٥) يبين ذلك.

الجدول (٥) الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية والمرتبة والدرجة لتقديرات أفراد عينة الدراسة لفقرات مجال تعريف الطلبة (بقيادة الأعمال) مرتبة تنازلياً

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المرتبة	الدرجة
7	تتبن إدارة المدرسة للطلبة ان الدافع الذاتي المستمر هو مفتاح النجاح والتميز لانجاز الأعمال	3.61	1.01	1	متوسطة
1	توضح إدارة المدرسة للطلبة بأن (ريادة الأعمال) تهدف إلى استثمار الطاقات المتوفرة لدى الطلبة	3.52	0.98	2	متوسطة
3	تتبن إدارة المدرسة للطلبة أن (ريادة الأعمال) تحد من مشكلة البطالة	3.44	1.01	3	متوسطة
2	توضح إدارة المدرسة للطلبة بأن (ريادة الأعمال) هي عمل حر يتسم بالابداع والابتكار	3.43	0.96	4	متوسطة
5	توضح إدارة المدرسة للطلبة بأن (ريادة الأعمال) تعتمد على الخبرة والمعرفة بالسوق	3.37	1.01	5	متوسطة

متوسطة	6	0.97	3.32	تبيين إدارة المدرسة للطلبة أن يكون لديهم الاستعداد للتعامل مع عنصر المفاجأة في العمل	4
متوسطة	7	1.06	3.31	تبيين إدارة المدرسة للطلبة أن يكون لديهم الاستعداد للتعامل مع عنصر المخاطرة في العمل	6
متوسطة		0.82	3.42	المجموع	

يبين الجدول (٥) ان درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس الثانوية في مديرية تربية قصبة المفرق من وجهة نظر المعلمين حسب مجال تعريف الطلبة (ريادة الأعمال) جاءت متوسطة، بمتوسط حسابي(3.42)، وبانحراف معياري (0.82) وأن الاوساط الحسابية تراوحت بين (3.31-3.61) حيث جاءت الفقرة (7) بالمرتبة الأولى ونصها "تبيين إدارة المدرسة للطلبة ان الدافع الذاتي المستمر هو مفتاح النجاح والتميز لانجاز الأعمال"، بمتوسط حسابي (3.61) وبانحراف معياري(1.01)، بدرجة متوسطة، ثم جاءت الفقرة (1) بالمرتبة الثانية ونصها " توضح إدارة المدرسة للطلبة بأن (ريادة الأعمال) تهدف إلى استثمار الطاقات المتوفرة لدى الطلبة"، بمتوسط حسابي (3.52)، وبانحراف معياري(0.98) وبدرجة متوسطة. وجاءت الفقرة (6) في المرتبة الاخيرة ونصها " تبين إدارة المدرسة للطلبة أن يكون لديهم الاستعداد للتعامل مع عنصر المخاطرة في العمل " بمتوسط حسابي (3.31) وبانحراف معياري(1.06)، وبدرجة متوسطة.

ثالثاً: مجال ثقافة (ريادة الأعمال) في المدرسة:

للإجابة عن فقرات هذا المجال تم استخدام الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية والدرجة لفقرات مجال ثقافة (ريادة الأعمال) في المدرسة ، والجدول (٦) يبين ذلك.

الجدول (٦) الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية والمرتبة والدرجة لتقديرات أفراد عينة الدراسة لفقرات مجال ثقافة (ريادة الأعمال) في المدرسة مرتبة تنازلياً

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المرتبة	الدرجة
24	تعمل إدارة المدرسة على بناء الثقة مع الطلبة	3.46	1.08	1	متوسطة
25	تسعى إدارة المدرسة إلى تحسين المهارات التعليمية الريادية للطلبة	3.37	1.04	2	متوسطة
18	تتبنى إدارة المدرسة الثقافة الريادية و دعمها وتمييزها لدى الطلبة	3.37	1.05	2	متوسطة
20	توفر إدارة المدرسة للطلبة بيئة ثقافية ريادية تربوية تدعم الإبداع والابتكار	3.35	1.08	4	متوسطة
22	توفر إدارة المدرسة الإرشاد المهني لتشجيع الطلبة على المشاريع الريادية	3.31	1.09	5	متوسطة
19	تعطي إدارة المدرسة أهمية كبيرة لبناء ثقافة التفكير الريادي لدى الطلبة	3.30	1.04	6	متوسطة
23	تعمل إدارة المدرسة على دعم (ريادة الأعمال) لدى الطلبة	3.17	1.08	7	متوسطة
21	تشجع إدارة المدرسة الطلبة على المجازفة في (ريادة الأعمال)	3.09	1.12	8	متوسطة
	المجموع	3.30	0.89		متوسطة

يبين الجدول (٦) ان درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس الثانوية في مديرية تربية قسبة المفرق من وجهة نظر المعلمين حسب مجال ثقافة (ريادة الأعمال) في المدرسة جاءت متوسطة، بمتوسط حسابي(3.30)، وانحراف معياري (0.89) وتراوحت الاوساط الحسابية بين (3.09-3.46). وجاءت الفقرة (24) بالمرتبة الأولى ونصها " تعمل إدارة المدرسة على بناء الثقة مع الطلبة"، بمتوسط حسابي (3.46) وانحراف معياري(1.08) وبدرجة متوسطة، ثم جاءت الفقرة (25) بالمرتبة الثانية ونصها " تسعى إدارة المدرسة إلى تحسين المهارات التعليمية الريادية للطلبة "بمتوسط حسابي (3.37)، وانحراف

معياري (1.04) بدرجة متوسطة، وجاءت الفقرة (21) في المرتبة الاخيرة ونصها " تشجع إدارة المدرسة الطلبة على المجازفة في (ريادة الأعمال) " بمتوسط حسابي (3.09) وبانحراف معياري (1.12) وبدرجة متوسطة.

رابعاً : مجال تربية (ريادة الأعمال) لدى الطلبة

للإجابة عن فقرات هذا المجال تم استخدام الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية والدرجة لفقرات مجال تعريف الطلبة (بريادة الأعمال) ، والجدول (٧) يبين ذلك.

الجدول (٧) الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية والمرتبة والدرجة لتقديرات أفراد عينة الدراسة لفقرات مجال تربية (ريادة الأعمال) لدى الطلبة مرتبة تنازلياً

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المرتبة	الدرجة
8	توجه إدارة المدرسة الطلبة إلى الإبداع بما يتوافق مع اتجاهات سوق العمل	3.73	0.96	1	مرتفعة
9	تتمى إدارة المدرسة ثقافة (ريادة الأعمال) لدى الطلبة من خلال الدورات والندوات	3.34	1.09	2	متوسطة
13	تتمى إدارة المدرسة الأفكار الريادية المقدمة من الطلبة	3.33	1.13	3	متوسطة
14	تقوم إدارة المدرسة بتوعية الطلبة بالتوجه نحو التوظيف الذاتي كبديل لمهنة المستقبل	3.29	1.10	4	متوسطة
10	تعقد إدارة المدرسة برامج تدريبية للطلبة وفق متطلبات السوق	3.23	1.12	5	متوسطة
12	تسهم إدارة المدرسة في دعم مشاريع البحث والتطوير لدعم الإبداع والابتكار لدى الطلبة	3.14	1.11	6	متوسطة
11	تجري إدارة المدرسة مسابقات للمشاريع الريادية المقدمة من الطلبة بهدف تحويل الفكرة لمشروع ريادي	3.13	1.13	7	متوسطة
16	تعقد إدارة المدرسة محاضرات توعيه لتوضيح	3.03	1.21	8	متوسطة

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المرتبة	الدرجة
	التشريعات والقوانين المتعلقة بالأعمال التجارية				
15	تستعين إدارة المدرسة بحاضنات أعمال لدعم الطلبة الرياديين	3.03	1.24	9	متوسطة
17	تنظم إدارة المدرسة للطلبة لقاءات مع رواد الأعمال الناجحين	2.93	1.23	10	متوسطة
	المجموع	3.21	0.92		متوسطة

يبين الجدول (٧) ان درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس الثانوية في مديرية تربية قصبة المفرق من وجهة نظر المعلمين حسب مجال تربية (ريادة الأعمال) لدى الطلبة جاءت متوسطة، بمتوسط حسابي (3.21)، وبانحراف معياري (0.92) وتراوحت الاوساط الحسابية بين (2.93-3.73). حيث جاءت الفقرة (8) بالمرتبة الأولى ونصها "توجه إدارة المدرسة الطلبة إلى الإبداع بما يتوافق مع اتجاهات سوق العمل"، بمتوسط حسابي (3.73) وبانحراف معياري بلغ (0.96) وبدرجة متوسطة، ثم جاءت الفقرة (9) بالمرتبة الثانية ونصها " تنمي إدارة المدرسة ثقافة (ريادة الأعمال) لدى الطلبة من خلال الدورات والندوات"، بمتوسط حسابي (3.34)، وبانحراف معياري (1.09) بدرجة متوسطة، وجاءت الفقرة (17) في المرتبة الاخيرة ونصها " تنظم إدارة المدرسة للطلبة لقاءات مع رواد الأعمال الناجحين"، بمتوسط حسابي (2.93) وبانحراف معياري (1.23) ، وبدرجة متوسطة.

نتائج السؤال الثاني: هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$) في درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس الثانوية في مديرية تربية قصبة المفرق من وجهة نظر المعلمين تعزى لمتغيرات الجنس، والمؤهل العلمي، والخبرة؟

للإجابة عن هذا السؤال استخرجت الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية، واستخدم اختبار تحليل التباين الثلاثي لمعرفة أن كان هناك فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات أفراد عينة الدراسة نحو درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس الثانوية في

مديرية تربية قسبة المفروق من وجهة نظر المعلمين تعزى لمتغيرات (الجنس، والخبرة والمؤهل العلمي) والجدول (٨) يوضح ذلك:

الجدول (٨)

الايوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة لمجالات أداة الدراسة والاداة ككل حسب متغير الجنس والمؤهل العلمي والخبرة

المتغير	مستوى المتغير	تعريف الطلبة (بريادة الأعمال)	تربية (الأعمال) لدى الطلبة	ثقافة (ريادة الأعمال) في المدرسة	مهارات (ريادة الأعمال) في المدرسة	الأداة ككل
المتغير	ذكر	المتوسط الحسابي	3.18	3.97	3.52	3.38
		الانحراف المعياري	0.97	1.21	0.82	0.81
الجنس	أنثى	المتوسط الحسابي	3.24	4.05	3.42	3.33
		الانحراف المعياري	0.90	1.12	0.86	0.77
المؤهل العلمي	بكالوريوس	المتوسط الحسابي	3.18	3.97	3.48	3.35
		الانحراف المعياري	0.95	1.19	0.89	0.82
	دراسات عليا	المتوسط الحسابي	3.27	4.09	3.42	3.35
		الانحراف	0.88	1.10	0.77	0.71

المتغير	مستوى المتغير	تعريف الطلبة (بريادة الأعمال)	تربية (الأعمال) لدى الطلبة	ثقافة (ريادة الأعمال) في المدرسة	مهارات (ريادة الأعمال) في المدرسة	الأداة ككل
		المعياري				
أقل من ٥ سنوات	المتوسط الحسابي	3.24	3.03	3.79	3.45	3.28
	الانحراف المعياري	0.96	0.93	1.16	0.90	0.82
من ٦- أقل من ١٠ سنوات	المتوسط الحسابي	3.52	3.46	4.33	3.53	3.49
	الانحراف المعياري	0.76	0.77	0.96	0.86	0.71
١٠ سنوات فأكثر	المتوسط الحسابي	3.47	3.20	4.00	3.44	3.33
	الانحراف المعياري	0.77	0.96	1.20	0.82	0.79
الخبرة						

يبين الجدول (٨) تبايناً ظاهرياً في الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة نحو درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس الثانوية في مديرية تربية قسبة المفروق من وجهة نظر المعلمين، تعزى لمتغيرات (الجنس، والمؤهل العلمي، والخبرة)، في المجالات وفي الأداة ككل. ولبيان دلالة الفروق الإحصائية بين الاوساط الحسابية تم استخدام تحليل التباين المتعدد على المجالات كما في الجدول (٩).

الجدول (٩) تحليل التباين المتعدد لأثر كل من الجنس والخبرة والمؤهل العلمي على تقديرات أفراد عينة الدراسة لمجالات الدراسة

مصدر التباين	المجالات	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدالة الإحصائية
الجنس هوتلنج=0.039 ح=0.172	تعريف الطلبة (بريادة الأعمال)	0.137	1	0.13	0.20	0.65
	تربية (ريادة الأعمال) لدى الطلبة	0.379	1	0.37	0.44	0.50
	ثقافة (ريادة الأعمال) في المدرسة	0.593	1	0.59	0.44	0.50
	مهارات (ريادة الأعمال) في المدرسة	0.429	1	0.42	0.58	0.44
	الكلية	0.044	1	0.04	0.07	0.79
المؤهل العلمي هوتلنج=0.016 ح=0.016	تعريف الطلبة (بريادة الأعمال)	0.466	1	0.46	0.68	0.40
	تربية (ريادة الأعمال) لدى الطلبة	0.031	1	0.03	0.03	0.85
	ثقافة (ريادة الأعمال) في المدرسة	0.048	1	0.04	0.03	0.85
	مهارات (ريادة الأعمال) في المدرسة	0.129	1	0.12	0.17	0.67
	الكلية	0.050	1	0.05	0.07	0.77
سنوات الخبرة ويلكس=0.892 ح=0.014	تعريف الطلبة (بريادة الأعمال)	1.97	2	0.98	1.44	0.23
	تربية (ريادة الأعمال) لدى الطلبة	3.609	2	1.80	2.10	0.12

0.12	2.10	2.81	2	5.639	ثقافة (ريادة الأعمال) في المدرسة	
0.83	0.18	0.13	2	0.273	مهارات (ريادة الأعمال) في المدرسة	
0.46	0.77	0.48	2	0.971	الكلية	
		0.68	170	115.752	تعريف الطلبة (بريادة الأعمال)	الخطأ
		0.85	170	145.637	تربية (ريادة الأعمال) لدى الطلبة	
		1.33	170	227.558	ثقافة (ريادة الأعمال) في المدرسة	
		0.73	170	124.750	مهارات (ريادة الأعمال) في المدرسة	
		0.62	170	106.638	الكلية	
			175	2175.429	تعريف الطلبة (بريادة الأعمال)	الكلية
			175	1962.300	تربية (ريادة الأعمال) لدى الطلبة	
			175	3066.094	ثقافة (ريادة الأعمال) في المدرسة	
			175	2225.799	مهارات (ريادة الأعمال) في المدرسة	
			175	2079.024	الكلية	

يتبين من الجدول (٩) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0,05$) لاستجابات أفراد عينة الدراسة نحو درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس الثانوية في مديرية تربية قسبة المفرق من وجهة نظر المعلمين تعزى لمتغير الجنس، والمؤهل العلمي، وسنوات الخبرة.

مناقشة النتائج

تشير نتائج السؤال الاول الى أن درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس الثانوية في مديرية تربية قسبة المفرق من وجهة نظر المعلمين كانت متوسطة، وقد يعزى السبب ربما لان موضوع (ريادة الأعمال) ما زال موضوعا جديدا لم تكتمل معالمه بالصورة المطلوبة. كما بينت النتائج ان درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات ريادة الأعمال لطلبة المدارس الثانوية في مديرية تربية قسبة المفرق من وجهة نظر المعلمين لمجال مهارات (ريادة الأعمال) جاءت متوسطة، وقد يعزى ذلك الى سببين، الاول: ما يراه المعلمين من أن المهارات موجودة لدى الطلبة ولكنها ما زالت دون المستوى المطلوب فهي بحاجة إلى تعزيز في المدارس ليكتسبها الطلبة بشكل كبير. اما الثاني فيعزى إلى أن الطابع العام موجود بصورة نظرية والمهارات عادة تعكس الجانب العمل لذلك ما زالت دون المستوى المأمول.

اما فيما يتعلق بمجالات الدراسة فتشير النتائج الى ان درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات ريادة الأعمال لطلبة المدارس الثانوية في مديرية تربية قسبة المفرق من وجهة نظر المعلمين لمجال تعريف الطلبة (بريادة الأعمال) جاءت متوسطة. وقد يكون سبب هذه النتيجة كثرة الاعباء الملقاة على مدير المدرسة وقلة المخصصات المتوفرة لدعم (ريادة الأعمال) بالمدرسة، حيث يتطلب ذلك عقد دورات وورش عمل وهذه بحاجة الى مخصصات مالية كافية. اما مجال ثقافة ريادة الاعمال، فقد اظهرت نتائجها ان درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس الثانوية في مديرية تربية قسبة المفرق من وجهة نظر المعلمين حسب هذا المجال جاءت ايضا متوسطة، وقد يعزى ذلك إلى ان الطلبة لم يلتحقوا من قبل بدورات توعوية بثقافة ريادة الاعمال او ربما لم يكن عدد هذه الدورات كاف لنشر هذه الثقافة. اما المجال الرابع والآخر فقد بينت نتائجها ان درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس الثانوية في مديرية تربية قسبة المفرق من وجهة نظر المعلمين لمجال تربية (ريادة

الأعمال) لدى الطلبة جاءت متوسطة، وقد يعزى ذلك إلى أن المعلمين يعتقدون ان تربية (ريادة الأعمال) لدى الطلبة تحتاج الى أعمال كثيرة، منها توفير حاضنات أعمال بصورة كافية من قبل إدارة المدرسة، وتضمين المناهج الدراسية مفردات (ريادة الأعمال)، وهذا ما زال دون المستوى المطلوب لذلك جاءت النتيجة متوسطة. وتتسق هذه النتيجة مع نتائج دراسة كل من مبارك (2009, Mubarak)، احمد، وجماد (Ahmed, & Jad 2015)، ودراسة العتيبي ومحمد، Al-Otaibi, & Mohammed, (2015)، والحميديين (Al-Hamidiyyin, 2019)، التي جاءت نتائجها بدرجة متوسطة ايضا، ولكنها اختلفت مع نتائج دراسة اليماني (Al-Yamani, 2016)، ودراسة الحمالي والعربي (Al-Hamali, & Al-Arabi, 2016)، التي بينت ضعف ثقافة ريادة الأعمال في البيئات المدرسية، كما اختلفت ايضا مع دراسة الحماد (Al-Hammad, 2019) التي جاءت نتائجها المتعلقة بتربية الطلبة على ريادة الاعمال في البيئة الجامعية مرتفعة.

وتشير النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس الثانوية في مديرية تربية قسبة المفرق من وجهة نظر المعلمين تعزى إلى الجنس والمؤهلات العلمية والخبرة. وقد يكون هذا بسبب أن كلاً من المعلمين والمعلمات يخضعون لنفس تأثير التعليمات والقوانين لذلك لا يوجد فرق بين الجنسين. اما السبب وراء عدم فروق ذات دلالة احصائية حسب متغيرات المستوى التعليمي والخبرة، فيعود إلى حداثة موضوع (ريادة الأعمال) في المدارس لذلك لم يظهر فروق بين أصحاب الخبرة الطويلة والخبرة القصيرة، وحسب متغير المؤهل العلمي ايضا. وتتسق هذه النتائج مع دراسة كل من سلطان (Sultan, 201٥)، والحماد (Al-Hammad, 2019)، ودراسة عبد الفتاح (Abdel-Fattah, 2016). التي اظهرت نتائجها عدم وجود تأثير لمتغير الجنس على مفهوم الريادة وخصائصه. ولكنها اختلفت مع دراسة (Dabic, et al., 2012) التي اظهرت وجود فروقا دالة احصائيا بين الطلبة ولصالح الذكور. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة الحميديين (Al-Hamidiyyin, 2019). التي لم يرد فيها فروقات دالة احصائيا لصالح المؤهل العلمي، في حين اختلفت نتيجة الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة التي اظهرت وجود فروق دالة احصائيا ولصالح سنوات الخبرة الطويلة .

الخاتمة والتوصيات.

أظهرت نتائج البحث الحالية أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متغيرات الجنس والخبرة العلمية والمؤهلات الأكاديمية ، وتظهر النتائج أيضاً أن درجة توفير مدير المدرسة لمتطلبات (ريادة الأعمال) لطلبة المدارس الثانوية في مديرية تربية قسبة المفرق من وجهة نظر المعلمين كانت بدرجة متوسطة، واستناداً إلى النتائج السابقة، قدمت الباحثتان التوصيات التالية:

١. تعريف الطلبة بمفهوم ريادة الأعمال من خلال تضمين المناهج التعليمية له.
٢. اكساب الطلبة مهارات ريادة الأعمال في المدرسة، من خلال عقد الدورات التوعوية التي تشجع عليه.
٣. تجذير ثقافة (ريادة الأعمال) في المدرسة والاستعانة بوسائل الإعلام المتعددة لتحقيق ذلك.

References (Arabic & English)

- Abdel-Fattah, Mohamed. (2016). Awareness of the Culture of (Entrepreneurship) Among the Students at King Saud University and their Attitudes Towards it: A Field Study. *Journal of Scientific Research in Education*, 17 (3), 623-665.
- Abu Al-Sha'ar, Haneen& Tayseer Suleiman. (2016). *The Availability of Entrepreneurial Intent and the Factors Affecting it Among Students of Public Universities in Jordan*. (Unpublished Master Thesis). Yarmouk University, Jordan.
- Ahmed, Mohamed& Jad Hussein. (2015). The Reality of Applying Administrative Leadership in General Secondary Schools in Egypt and its Obstacles. *Journal of Educational and Psychological Studies*, 9 (2), 366-384.

Al-Fawaz, Imran. (2014). *The Role of Business Incubators in Directing Students Towards (Entrepreneurship) in Jordanian Universities.*

Master Thesis, Yarmouk University, Jordan. Retrieved from

<http://thesis.mandumah.com/Record/213267>

Al-Hamali, Rashid & Al-Arabi, Hisham. (2016). The Reality of Entrepreneurship Culture in the University of Ha'il and the Mechanisms of Activating it from the Viewpoint of the Faculty's Members. *Arab studies in psychology*, (76), 442-387.

Al-Hamidiyyin, Qasim. (2019). *The Degree of Applying Administrative Leadership to the Administrators Working in the Directorates of Education in Amman, Jordan. Master thesis. Al Al-Bayt University, Jordan.* Retrieved from

<http://search.shamaa.org/FullRecord?ID=250974>

Al-Hammad, Asma. (2019). *The Reality of Educating Students on Entrepreneurship in Jordanian Universities and Proposals to Develop Them.* (Unpublished Doctoral Thesis). University of Jordan, Jordan.

Al-Najjar, Fayez & Ali, Abdul Sattar. (2006). *Entrepreneurial and Small Business Administration.* Amman: Dar Al-Hamid for Publishing and Distribution.

Al-Otaibi, Mansour & d Musa, Mohammed. (2015). The Awareness of Entrepreneurial Culture Among Najran University Students and their Attitudes Towards it: A Field Study. *Journal of Education*, 162 (2), 615-670.

Al-Qudah, Muhammad. (2008). *Contemporary Issues in the Foundations of Education*. Irbid: Hamada Foundation for Publishing and Distribution.

Al-Yamani, Abeer. (2016). *The Role of School Administration in Teaching Entrepreneurship for High School Students*. Master Thesis. King Saud University, Saudi Arabia. Retrieved from <http://thesis.mandumah.com/Record/227829>

Ayasrah, Ali. (2006). *Leadership and Motivation in Educational Administration*. Amman: Dar Al-Hamid for Publishing and Distribution.

Badran, Ibrahim, & Sheikh, Muhammad. (2013). *Entrepreneurship: Creativity in Project Creation*. Amman: Dar Al-Shorouk for Publication and Distribution.

Basly, F. (2018). *Education for Entrepreneurship*. Amman: Osama House for Publishing and Distribution.

Dabic, M. Daim, T., Bayraktaroglu, E. Novak, I., Andbasi, M. (2012). Exploring Gender Differences in Attitudes of University Student towards Entrepreneurship: an International Survey. *International (3)*, 316–336. *journal of Gender Entrepreneurship*, 4

Ibn Manthoor. *Lisan Al-Arab*. 3, Beirut: Dar Sader.

Johar, Doaa. (2017). Administrative Requirements for Entrepreneurship Education in Industrial Secondary Schools in Egypt. *Journal of Educational Tool*, 4 (15), 559–653.

Met'eb, Hamed, & Radi, Jawad. (2010). *Entrepreneurship and its Impact on Distinguished University Performance: A New Study of the Opinions of a Sample of University Leaders at Al-Qadisiyah University*. (The Third Arab Conference: Challenges and Prospects), held at Sharm El-Sheikh on January, 227-248.

Mubarak, Magdi. (2009). *Entrepreneurship: Concepts, Models and Scientific Approaches*. Irbid, Jordan: Modern Book World.

Mubarak, Majdi Awad (2014). Entrepreneurial Education and Entrepreneurial Education, *Teacher's Message Jordan*, 51 (24): 30-33.

Ola, A & Joseph, A. (2013). The Historical Background of Entrepreneurial Development in Nigeria: Its Gains, Shortcomings and Needful. *Journal of Emerging Trends in Economics and Management Sciences*, (5), 494.

Schlee, Stewart, & Summers, D. (2013). Training Students for Entrepreneurial activities: Lessons from A Social Venture Plan Competition. *Journal of Entrepreneurship Education*, 16, 125-138.

Shaqur, Muhammad. (2002). *School Administration in the Era of Globalization*. Amman: Dar Al Masirah.

Sultan, Saadia. (2015), *The Availability of Leadership Characteristics for Bachelor of Business Administration Specializations at the University of the South West Bank*, Conference Works:

Entrepreneurship and Innovation in Small Business Development,
Gaza, May 1–29.

Volkman C., Karen E., Mariotti S., Rabuzzi D., & Vyakarnam, S.
(2009). *Educating the Next Wave of Entrepreneurs Unlocking
Entrepreneurial Capabilities to Meet the Global Challenges of the
21st Century: A Report of the Global Education Initiative*. World
Economic Forum; Switzerland.

Zidan, Amr. (2007). *Entrepreneurship is the Driving Force for National
Economies*. The League of Arab States: the Arab Administrative
Development Organization.

5	توضح إدارة المدرسة للطلبة بأن (ريادة الأعمال) تعتمد على الخبرة والمعرفة بالسوق.				
6	تبين إدارة المدرسة للطلبة أن يكون لديهم الاستعداد للتعامل مع عنصر المخاطرة في العمل				
7	تبين إدارة المدرسة للطلبة ان الدافع الذاتي المستمر هو مفتاح النجاح والتميز لانجاز الأعمال				
المجال الثاني: تربية (ريادة الأعمال) لدى الطلبة					
8	توجه إدارة المدرسة الطلبة إلى الإبداع بما يتوافق مع اتجاهات سوق العمل				
9	تنمي إدارة المدرسة ثقافة (ريادة الأعمال) لدى الطلبة من خلال الدورات والندوات				
10	تعقد إدارة المدرسة برامج تدريبية للطلبة وفق متطلبات السوق				
11	تجري إدارة المدرسة مسابقات للمشاريع الريادية المقدمة من الطلبة بهدف تحويل الفكرة لمشروع ريادي				
12	تسهم إدارة المدرسة في دعم مشاريع البحث والتطوير لدعم الإبداع والابتكار لدى الطلبة				
13	تنمي إدارة المدرسة الأفكار الريادية المقدمة من الطلبة				
14	تقوم إدارة المدرسة بتوعية الطلبة بالتوجه نحوالتوظيف الذاتي كبديل لمهنة المستقبل				
15	تستعين إدارة المدرسة بحاضنات أعمال لدعم الطلبة الرياديين				
16	تعقد إدارة المدرسة محاضرات توعيه لتوضيح التشريعات والقوانين المتعلقة بالأعمال التجارية				
17	تنظم إدارة المدرسة للطلبة لقاءات مع رواد الأعمال الناجحين				
المجال الثالث: ثقافة (ريادة الأعمال) في المدرسة					
18	تتبنى إدارة المدرسة الثقافة الريادية و دعمها وتنميتها لدى الطلبة				
19	تعطي إدارة المدرسة أهمية كبيرة لبناء ثقافة التفكير الريادي لدى الطلبة				
20	توفر إدارة المدرسة للطلبة بيئة ثقافية ريادية تربوية تدعم الإبداع والابتكار				
21	تشجع إدارة المدرسة الطلبة على المجازفة في (ريادة الأعمال)				
22	توفر إدارة المدرسة الإرشاد المهني لتشجيع الطلبة على المشاريع الريادية				
23	تعمل إدارة المدرسة على دعم (ريادة الأعمال) لدى الطلبة				
24	تعمل إدارة المدرسة على بناء الثقة مع الطلبة				
25	تسعى إدارة المدرسة إلى تحسين المهارات التعليمية الريادية للطلبة				

المجال الرابع: مهارات (ريادة الأعمال) في المدرسة						
					26	تسعى إدارة المدرسة إلى اكتساب الطلبة مهارات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات .
					27	تعمل إدارة المدرسة على تطوير المهارات الاجتماعية والشخصية لدى الطلبة.
					28	تعمل إدارة المدرسة على تطوير مهارة العمل ضمن فريق لدى الطلبة.
					29	تعمل إدارة المدرسة على تطوير مهارة الثقة بالذات لدى الطلبة .
					30	تعمل إدارة المدرسة على تطوير مهارة تحمل المخاطرة لدى الطلبة .
					31	تعمل إدارة المدرسة على تطوير مهارة حل المشكلات لدى الطلبة.
					32	تعمل إدارة المدرسة على تطوير مهارة الرغبة في الإبداع لدى الطلبة.
					33	تسعى إدارة المدرسة إلى تطوير المهارات المتعلقة بوضع مسودة لخطط العمل لدى الطلبة.
					34	تسعى إدارة المدرسة إلى تطوير مقدرات الطلبة على التخطيط للميزانية الشخصية
					35	تعزز إدارة المدرسة ثقة الطلبة بأنفسهم.
					36	تشجع إدارة المدرسة الطلبة على ممارسة الأدوار القيادية
					37	تسعى إدارة المدرسة إلى أن يعمل الطلبة في مشروعات وأنشطة محددة .